



إدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر



جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه

تأليف جماعي - ملّقى علمي

بتاريخ: 13 و 14 ربيع الأول 1438 هـ / الموافق لـ 13 و 14 ديسمبر 2016 م

تحرير وإشراف وتقديم

أ.د. إبراهيم رحمانى
أ.د. عبد الكريم بوغزالة

في خدمة القرآن الكريم وعلومه
جهود علماء الجزائر

بتاريخ: 13 و 14 ربيع الأول 1438 هـ / الموافق لـ 13 و 14 ديسمبر 2016 م
تأليف جماعي - ملّقى علمي

هذا الكتاب

لاشك أن البحث في جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن وعلومه، والاتّجاه قدماً في دراستها تجميعاً وتعميقاً وتقعيداً وبياناً وتوضيحاً وتحقيقاً؛ من أهم المقاصد العلميّة التي تقف على رأس أولويّات البحث في علوم القرآن وتفسيره؛ خدمة لثراث الأمة الجزائرية على وجه الخصوص، وخدمة لثراث الأمة الإسلامية على وجه العموم.

وتبحث الأوراق العلمية في هذا المصنف عن أبرز معالم العناية بالقرآن وعلومه تلاوة وأداء وإقراء وتأليفاً التي ندب علماء الجزائر أنفسهم إليها؛ وطرق الاستفادة منها في حياتنا اليومية. وبناء عليه تطرقت البحوث إلى عناية علماء الجزائر بالقرآن الكريم تلاوة وأداء وإقراء، وإلى عنايتهم بالقرآن الكريم تفسيراً وبياناً.

ISBN: 978-9931-273-84-4



للطباعة
والنشر
والتوزيع

سَامِي



إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

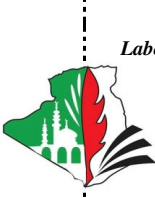
جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه

أبحاث الملتقى الوطني الخامس المنظم من قبل قسم أصول الدين،
بالتعاون مع: مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية -
معهد العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر

بتاريخ: 13 و 14 ربيع الأول 1438 هـ / الموافق لـ 13 و 14 ديسمبر 2016 م.

تأليف جماعي

تحرير وإشراف وتقديم
أ.د / إبراهيم رحمانى
أ.د / عبد الكريم بوغزالة



مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي

Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria

مخبر بحث معتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
تحت رقم (70). بتاريخ: 2015/02/21. الرمز: E0780400

الموقع الإلكتروني: <https://www.univ-eloued.dz/index.php/8-univ/1818-lasceis>

■ الطبعة الأولى: 1445 هـ / 2023 م

■ رقم الإيداع القانوني: جويلية 2023 م

■ ردمك: 4 - 84 - 273 - 9931 - 978



■ التنفيذ الطباعي:

ولاية الوادي - الجزائر

☎ 032 14 93 39

☎ 0557 97 44 43

✉ imp.alwady@gmail.com



جميع الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن آراء كاتبها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ

الَّذِي نَسَآ لُونِ بِهِ ۚ وَالَّذِي كَانَ عَلَيْنَكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70 و71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. يسعدنا أن نقدم سجل الأبحاث هذا بين يدي الباحثين والمتابعين لفعاليات الملتقى الوطني الخامس حول: "جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه".

فكرة الملتقى وموضوعه

عرفت الجزائر في حقب كثيرة من تاريخها حملات استعمارية توسعية من طرف أعداء الأمة الإسلامية، وذلك طمعاً في خيراتها وموقعها الاستراتيجي، ومن أعنف الاستعمارات وأبشعها الاستعمار الفرنسي الذي أراد أن تكون الجزائر جزءاً منه، ورام محو الهوية الإسلامية والعربية من هذا البلد العريق في إسلامه وعروبوته، فاندفع الشعب الجزائري المسلم بكل طاقاته المثقفة وغير المثقفة إلى الالتفات حول مبادئ الإسلام النقية، ومصادره الصافية، وينابيعه الكافية، وأصوله الشافية، من أجل مقاومة هذا الغزو الأجنبي المادي والمعنوي، الفكري والعقدي.

فكانت شدة تمسك هذا الشعب بأصل الأصول ومفتاح الوصول القرآن الكريم والوحي المجيد لاعتقادهم أنها هي الملاذ الوحيد الآمن والملاذ الفريد الحافظ من كل خطر يهدد بمقدرات الأمة وثوابتها الإيمانية.

وكان في مقدمة هؤلاء من عمرت قلوبهم بكتاب الله تعالى، ولهجت ألسنتهم بحروفه، وتناغمت أقوالهم وأفعالهم مع أحكامه ومقاصده؛ إنهم أهل العلم بالقرآن الكريم الذين أيقنوا أنه قول الله المرتضى، من تمسك به نجا ومن عمل به اهتدى ومن اكتفى به اكتفى، فكانت جهودهم في خدمة كتاب الله تعالى تلاوة وأداء وإقراء وتفسيراً من أهم المهمات التي اضطلع بها أهل العلم في هذا الصقع العربي الإسلامي المنيف.

ولاشكَّ أنَّ البحث في جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن وعلومه والاتّجاه قدماً في دراستها تجميعاً وتعميقاً وتقعيداً وبياناً وتوضيحاً وتحقيقاً من أهمّ المقاصد العلميّة التي تقف على رأس أولويّات البحث في علوم القرآن وتفسيره خدمة لتراث الأمة الجزائرية على وجه الخصوص وخدمة لتراث الأمة الإسلامية على وجه العموم. وعليه فإن عقد المؤتمرات العلمية والملتقيات الفكرية من أجل كشف التراث العلمي في الجزائر المتجه إلى العناية بالقرآن وعلومه لمن الخطوات الحميدة التي يجب أن تثنى.

إشكالية الملتقى

ما هي أبرز معالم العناية بالقرآن وعلومه تلاوة وأداء وإقراء وتأليف التي ندب علماء الجزائر أنفسهم إليها؟ وكيف يمكن الاستفادة منها اليوم؟

محاور الملتقى

المحور الأول: عناية علماء الجزائر بالقرآن الكريم تلاوة وأداء وإقراء
- التلقي والإجازات في علم القراءات- أسانيد القراء - الدور والمعاهد والمدارس القرآنية - جهود مشايخ الإقراء في التعليم والتأليف - رواد مشيخة الإقراء في المدن والقرى والدواوير - المطبوعات والمخطوطات في القراءات القرآنية - الجهود الأكاديمية في علم القراءات القرآنية وعلومها - دور الأقسام العلمية في التعليم وتحقيق التراث - جهود الهيئات والمؤسسات العلمية في خدمة القراءات القرآنية - جهود المكتبات الخاصة والعامة في اقتناء وخدمة القراءات القرآنية وعلومها.

المحور الثاني: عناية علماء الجزائر بالقرآن الكريم تفسيراً وبياناً.
- جهودهم المتعلقة بتفسير بعض من القرآن الكريم - جهودهم المتعلقة بتفسير القرآن الكريم كتابة ومشافهة - المطبوعات والمخطوطات في تفسير القرآن الكريم - الجهود الأكاديمية في علم التفسير وعلوم القرآن - دور الأقسام العلمية في التعليم وتحقيق التراث - جهود الهيئات والمؤسسات العلمية في خدمة القرآن - جهود المكتبات الخاصة والعامة في اقتناء وخدمة كتب التفسير وعلوم القرآن.

الهيئة العلمية للملتقى

من داخل جامعة الوادي: أ.د. أبو بكر لشهب؛ أ.د. مصطفى حميداتو؛ أ.د. محمد رشيد بوعزالة؛ أ.د. كمال قده؛ أ.د. يوسف عبد اللاوي؛ د. خالد حباسي؛ د. حياة عبيد؛ د. أكرم بلعمري؛ د. عبد القادر مهاوات؛ د. خريف زتون؛ د. تومي نور الدين؛ د. عبد الكريم حاقه.

من خارج جامعة الوادي: أ.د. أبوبكر كافي (جامعة الأمير عبد القادر)؛ د. عبد الرحمن معاشي (جامعة الأمير عبد القادر)؛ د. زكريا توناني (جامعة الأمير عبد القادر)؛ د. هدى حراق (جامعة الأمير عبد القادر)؛ د. محمد أمين بوروية (جامعة الأمير عبد القادر)؛ د. عيسى بوعكاز (جامعة باتنة1)؛ د. حسين شرفة (جامعة باتنة1)؛ د. عبد الكريم رقيق (جامعة باتنة1)؛ د. مهدي دهيم (جامعة الجزائر1).

كلمة رئيس الملتقى

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

سيادة مدير الجامعة: أ.د. عمر فرحاتي

السادة النواب في المجلس الشعبي الوطني ومجلس الأمة

السادة ممثلو الأسرة الثورية

السادة ممثلو القطاعات الأمنية

السادة المديرون التنفيذيون بولاية الوادي

السادة شيوخ الزوايا:..... التجانية – القادرية – السالمية

السادة الأئمة ومسؤولوا المدارس القرآنية

السادة ضيوف الجامعة والمعهد من خارج ولاية الوادي ومن داخل الولاية

السادة الإعلاميون في الصحافة المقروءة والمسموعة

السادة الأساتذة

أبنائي وبناتي الطلبة والطالبات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً بكم في رحاب القرآن الكريم، وبمعية أهل

القرآن الكريم، أهل الله وخاصته.

يطيب لي باسم الأسرة الجامعية بمعهد العلوم الإسلامية – جامعة الشهيد حمه لخضر

الوادي أن أرحب بكم جميعاً، وأشكركم جزيل الشكر على تلبية دعوتنا لهذا الملتقى الميمون.

ولا تفوتني هذه الفرصة المباركة في أن أعبر عن خالص شكري وتقديري للسيد مدير

الجامعة الذي لم نجد منه إلا كل الدعم والمؤازرة في جميع مفاصل نشاط هذا المعهد، في

الجوانب الدراسية والوظيفية والبحثية ونحوها... فجزاه الله عنا كل الجزاء وبارك في عمره

وأهله وولده، ونفع به، وزاده من واسع كرمه وجميل إحسانه.

تدور كلمتي هذه حول مسألتين: الأولى حول معهد العلوم الإسلامية ورسالته؛ والثانية

حول هذا الملتقى وموضوعه العام.

أما الأولى فمعهد العلوم الإسلامية بهذه الجامعة: حيث جاءت الانطلاقة الأولى في

تدريس العلوم الإسلامية بجامعة الوادي في إطار شعبة للعلوم الإسلامية بكلية العلوم

الاجتماعية والإنسانية (معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية سابقاً) خلال العام الجامعي

2009/2010. وفي جويلية 2015 صدر قرار إنشاء المعهد، وفي هذه السنة الجامعية يكون

المعهد قد استكمل هيكله جميع مراحل التكوين بالنسبة للطلاب الجامعي (ليسانس –

ماستر – دكتوراه بنوعها) وفي سبع تخصصات، وقد تجاوز عدد الطلبة الألفين، وعدد

الأستاذة الدائمين الخمسين نصفهم من حملة درجة الدكتوراه، ولم يبق إلا أن تُعمّق مجالات التخصص، وتُوسّع مجالات الدعم للبحث العلمي.

هذا، وإن التكوين في معهد العلوم الإسلامية بجامعةتنا يهدف إلى الإسهام في تمثين الأرضية المعرفية في علوم الشريعة والتي تتماشى واحتياجات المجتمع في القطاعات المختلفة، وتعميق المعارف الإسلامية المدعمة للهوية الوطنية والانتماء الحضاري، والتي تؤهل الطالب للبحث العلمي المثمر، والنشاط الاجتماعي الإيجابي، وتعميق البعد الديني الأصيل بقيم التسامح والخير والنفع العام، وفق نظرة علمية أصيلة، كما تسهم في غرس الأسس المعرفية والاعتقادية والفقهية والتعبدية والأخلاقية والسلوكية الصحيحة المبنية على الفهم العميق للكتاب والسنة، والمستندة إلى الموروث الحضاري من جهود علماء السلف الصالح وأعلام المذهب المالكي، والرصيد الفقهي المغربي بما يمكن طلاب المعهد من القدرة على العمل البناء والتوجيه السديد والجهد الإيجابي المثمر.

وبتلك النظرة وبالجهد الإيجابية تتشكل الشخصية العلمية السوية والمتزنة بعيدا عن التطرف أو الانحلال، والملتزمة بأحكام الشريعة والمتميزة في فهمها العميق والشامل للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والأحكام الشرعية المستنبطة منهما. وتمثل تلك الشخصية الكوادر المتخصصة في العلوم الإسلامية ذات التأهيل الرصين الذي يمكنها من الوصول إلى معرفة حكم الله تعالى في كل ما يستجد من أمور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية، ومتشعبة بروح وطنية وولاء للمجتمع الجزائري يدفع إلى التفاني في خدمة أهداف المجتمع والحرص على الرفع من مستواه.

وتحرص مختلف برامج التكوين في المعهد وكذا الأنشطة العلمية والثقافية المرافقة على تمكين الطالب من أدوات البحث وإكسابه عددا من المهارات اللازمة في المعارف الإسلامية وطرق الاستفادة من التراث وتجديده، وتنمية القدرات الإبداعية في حسن تطبيق الإسلام وخدمة مقاصده.

أما كلمتي حول الموضوع العام لهذا الملتقى فندرج أن هذه التظاهرة العلمية جاءت مجاورة ليومين مشهودين؛ أحدهما في تاريخ البشرية بذكرى مولد خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان ميلاده فتحا جديدا لرسالة إلهية خالدة وهي رسالة الإسلام؛ وثانيهما في تاريخ الجزائر الحديث بذكرى مظاهرات 11 ديسمبر 1960 التي قدمت للعالم بأسره رسالة الشعب الجزائري في أوضح صورة وأصرح تعبير للمطالبة بالاستقلال للجزائر كل الجزائر.

واستلهاما من الذكرى الأولى والثانية يأتي هذا الملتقى ليلفت الأنظار حول ضرورة الاجتماع حول القرآن وأن تشتغل به القلوب أولا، والعقول ثانيا؛ ليثمر هداية وتوفيقا، حتى نجتمع حول القرآن لا أن نتفرق فيه افتراق الأمم السابقة.

لنتذكر ونعتبر، وننسج على منوال جهابذة علمائنا الذين عملوا فأحسنوا العمل، واجتهدوا في البناء والإصلاح وتسبقوا الخيرات؛ فبارك الله جهودكم، وخَلَدَ مآثرهم، وأجرى الخير على أيديهم.

وما من عجب، فقد أظهر المسلمون عنايتهم بكتاب الله الخالد، منذ نزول أول نجم فيه فدعاهم إلى الالتفات إليه، والاحتفاء به؛ فأقبلوا عليه بكل جوانحهم، تعلقت به الأفئدة والأسماع، وانشغلت به طوائف كثيرة من الناس، استلهموا منه الهداية والإشراق، فكان القرآن متصدرا لحلقات الدرس والبحث، وكانت الريادة فيه تعني سبر ما في أغواره من عمق، وبيانه من اتساق، وأبعاده من بلاغة وسوره من إعجاز، وآياته من كشف وتفسير.

ولقد زخرت المكتبة الإسلامية من آثار هذا النشاط العظيم بل زخرت مكتبات أخرى، في لغات أخرى، وأمم أخرى بكنوز غاية في الروعة، يقف العقل أمامها مشدوهاً، يخالجه مزيج من الإعجاب والمهابة، ويملكه معنى عميق من معاني الخشوع، أمام هذه العظمة التي لا كفاء لها .

ولكي ندرك مدى هذه العناية الكبرى، التي تلقى بها المسلمون القرآن الكريم، في جميع عصورهم، ومراحل حياتهم، علينا أن نتلقت إلى ما سجله التاريخ الفكري للمسلمين، فلا تكاد تجد علما من العلوم، التي اشتغل بها المسلمون، في تاريخهم الطويل، إلا كان الباعث عليه هو خدمة القرآن؛ فالنحو الذي يقوم اللسان ويعصمه من الخطأ، أريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن، وعلوم البلاغة التي تبرز خصائص العربية وجمالها، أريد بها بيان نواحي الإعجاز في القرآن، وكشف أسرار الأدبية، وتتبع مفرداته اللغوية والتماس شواردها وشواهدا، وضبط ألفاظها، وتحديد معانيها؛ والتجويد والقراءات؛ لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته؛ والتفسير لبيان معانيه والكشف عن مرامييه؛ والفقه لاستنباط أحكامه؛ والأصول لبيان قواعد تشريعه العام وطريقة الاستنباط منه، وعلم الكلام لبيان ما جاء من العقائد، وأسلوبه في الاستدلال عليها، وهكذا بقية العلوم.

ومما يدلنا - أيضا - على مدى هذه العناية؛ أن الذين لم يتمكنوا من دراسة القرآن من تلك النواحي العلمية، ما فاتهم أن يضربوا بسهم في نواح أخرى جعلوها مظهرًا من مظاهر عنايتهم، وسبيلا إلى تحصيل رضوان الله وحسن ثوابه ؛ فهذا يكتبه بخط جميل، وهذا يزخرف صفحاته، وأوائل سوره، وهذا يرقم آياته، وهذا يطرز سجله وغلافه، وآخر يرصد الأموال لتحفيظه وتجويده والمكافأة على التميز فيه؛ فنظمت مسابقات محلية ووطنية ودولية بهذا الشأن، وأنفق عليها بسخاء كبير، ونالت اهتماما واسعا، وتلقاها المسلمون بالتأييد والحفاوة.

كما لا ننسى الجهود الكبيرة في نشر المصحف الشريف مطبوعا، أو مسجّلا، وقامت في كثير من الدول الإسلامية إذاعات للقرآن الكريم، ومعاهد متخصصة لدراسته، ولا زالت

الأيام تسفر عن الجديد، الذي يبرز مدى عناية المسلمين بالقرآن الكريم. وتلك الجهود التي تدور حول النص القرآني، وتناولته بالدرس من مختلف جوانبه، قد بدأت في الظهور، منذ وقت مبكر من التاريخ الإسلامي.

ورغم ما نال المسلمين وينالهم من مشكلات، وأزمات حضارية وتدهور في بعض نواحي الحياة، إلا أن القرآن لم ينضب معينه، فلا تكاد تمر سنة، دون أن تخرج لنا المطابع دراسات جديدة، في وجه من وجوه الإعجاز. والتأليف في التفسير لم ينقطع منذ العهود الإسلامية الأولى إلى اليوم.

هذا، وقد اجتهد بعض المعاصرين في فهرسة مجمل الدراسات القرآنية التي طبعت، أو تنتظر الطبع، وإن كان مثل هذا العمل لا يمكن أن يقوم به فرد؛ إذ لا يتسنى له أن يحصره حصرا شاملا، دون أن يفوته شيء من هذه المصنفات، التي ضمت جبالا من المعارف، أفى آلاف من الأعلام أعمارهم فيها.

وعلى سبيل المثال نجد: «معجم مصنفات القرآن الكريم» للدكتور علي شواخ إسحاق، في أربعة أجزاء ضمته: ثلاثة آلاف ومائتين وواحدًا وثمانين (3281) عنوانا وقريب منه: «معجم الدراسات القرآنية» للدكتورة ابتسام مرهون الصفار. وقد اعترفا أنه فاتهما كثير في هذا المضمار، فالسابقون تركوا موروثا هائلا من الدراسات القرآنية فنيبت فيه الأعمار، وحفيت فيها الأقلام، ففاضت المكتبة الإسلامية بهذه الآثار، وسار الخلف على منوال سلفهم، فسخرُوا أقاليمهم، وتفرغوا لخدمة القرآن الكريم، وشيدوا صرحا قرآنيا شامخا، لا يعدم روح الجِدَّة، وسلامة الفكر ودقَّة النظر.

ولعل كل هذا الاهتمام وتلك العناية تفسر لنا جانبا من الرعاية الإلهية لهذا الكتاب الكريم الذي تكفل الله تعالى بحفظه وتخليده في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر آية: 9]، فما كان الحفظ والتخليد بمجرد بقاء ألفاظه وكلماته مكتوبة في المصاحف، مقروءة بالألسنة، متعبدا بها في المساجد والمحاريب، إنما الحفظ والخلود بهذه العظمة التي شغلت الناس، وملأت الدنيا، وكانت مثارا لأكبر حركة فكرية اجتماعية عرفها البشر. وكان كتاب الله الخالد حقا «لا يشبع منه العلماء، ولا يملأه الأتقياء، ولا يَخْلُقُ عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه...».

لا أجد في ختام كلمتي هذه إلا أن أجدد لكم سادتي جزيل الشكر والتقدير وجميل الثناء على تشريفكم سائلا المولى عز وجل أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يديم علينا جميعا واسع الفضل والإحسان. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ.د. إبراهيم رحمانى

أستاذ أصول الفقه والفقه المقارن، ومدير المعهد

Rahmani-brahil@univ-eloued.dz

كلمة مدير الملتقى

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

أيها الحضور الكريم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرحب بدوري بالسادة:

السيد مدير الجامعة.

السادة نواب المجلس الشعبي الوطني.

المدرء التنفيذيون.

ممثلوا الأسرة الثورية.

ممثلوا القطاعات الأمنية.

ممثلوا مديرية الشؤون الدينية: الشيخ الهاشعي موساوي.

شيوخ الزوايا والمدارس القرآنية.

أسرة الإعلام.

الأساتذة والطلبة.

ملتقانا بعنوان: جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه.

الجزائر بلد بركة، بلد العلم والعلماء، بلد الرجال الفضلاء، بلد الخير والعطاء.

حباه الله تعالى بكوكبة من العلماء على مر الأزمان، كانوا بناء وطنهم ومصدر عزه.

وصف الرحالة ابن زاكور الفاسي علماء الجزائر بقوله: غرر أعلامها، ينجلي بهم الإظلام،

وشمس أئمة تتفرج بهم كل غمة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة، من رجال كالجبال، وأحبار

كالأقمار، طلوعوا في بروج صعودها بدورا ألبسوها رواء ونورا.

ولقد نبغ علماء الجزائر في العلوم كلها درسوا وألفوا أفادوا فأجادوا.

ولقد كان للأمة الجزائرية عناية فائقة بكتاب الله تعالى والعلوم المتعلقة به إقرأ

وتدريسا وتأليفا.

يأتي ملتقانا ليبرز جهود علمائنا في خدمة القرآن الكريم وعلومه، محافظة على التراث

الذي تركوه من الضياع، ووصلا للأواخر بالأوائل برا بهم.

ولئن كان المشاركة يفتخرون بعلمائهم فيها نحن المغاربة نفتخر بعلماء وطننا نحى
مأثرهم، ونجدد ذكرهم، عسانا بذلك نحافظ على الموروث العلمى الكبير الذى خلفوه.

نسأل الله لملتقانا النجاح ولباحثينا التوفيق والسداد، وللمستمعين من أساتذتنا
وظلابنا وضيوفنا الاستفادة.

أشكر كل من ساهم فى الوصول إلى هذه التظاهرة العلمية ابتداء بمدير جامعتنا الموقر،
وتثنية بمدير معهدنا المجل، وكذلك كل من ساعد من الأساتذة والطلبة والإداريين.

وجزى الله الجميع خيرا

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله
رب العالمين.

أ.د عبد الكريم بوغزاله

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

abdelkarim-boughezala@univ-eloued.dz

مجموع بحوث الملتقى

عناية الأمة الجزائرية بالقرآن الكريم وقراءاته

د/ مهدي دهيم

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر 1

mahdi.dehim@gmail.com

ملخص البحث

مما لا ريب فيه أنّ علماء الجزائر ساهموا في خدمة القرآن الكريم تلاوة وحفظاً، وقراءةً، وإقراءً وتنوعت جهودهم في ذلك من التأليف والشرح والتعليق، إلى التدريس والتعليم والتطبيق، فما هي مظاهر عناية الأمة الجزائرية بالقرآن الكريم وقراءاته؟.

هذا وقد تكوّن البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة، فذكرت في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، والمنهج المتبع فيه، والتمهيد وفيه: عناية الأمة الجزائرية بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتجويداً، أما المبحث الأول ففيه: عنايتهم بقراءة الإمام نافع المدني رواية وتأليفاً، المبحث الثاني: عنايتهم بالقراءات السبع رواية وتأليفاً، المبحث الثالث: مدار أسانيد قراء الجزائر، الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته.

مقدمة

الحمد لله الذي جعلنا من ورثة كتابه، وهياً وسائل وسبلاً لحفظه وتجويده، ونشر قراءاته، وصلى الله على حبيبنا وسيدنا محمد خير خلقه، الناقل إلينا القرآن لفظاً ومعنى بحروفه وبراعة نظمه، فتناقله السادة القراء من الصحابة والتابعين وأهل الأداء من بعده، ثم توارثه قوم من بعدهم عُرِفوا بشدة العناية، والنقل والفهم والدراية، شغلوا أوقاتهم بتعليمه، وصرفوا أعمارهم في قراءته، وترنّمه وتحبيره، فكانوا بذلك أئمة زواهر، وقراء يُقتدى بهم بواهر، وامتدت السلسلة المباركة عبر القرون الغواير، إلى أن دخل نور الهدى بلدنا الجزائر، وانتشر القرآن الكريم في البوادي والحوضر، وشَغِف بحفظه وترتيبه كل مقيم وزائر، قال الرحالة ابن زاكور الفاسي-رحمه الله- واصفاً الجزائر وعلمائها:

«...ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيها النواضر، التي غصّ ببهجتها كل عدوّ وكافر، فلذلك يترى صون بها الدوائر، في الموارد والمصادر، ويرسلون عليها صواعق لم تعهد في الزمن الغابر،... إذ هي كما قيل:

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَكَسَاهُ حُلَّةٌ رِيَشِهِ الطَّلُؤُوسُ⁽¹⁾

ووصف علمائها: بقوله: «... غُرُرُ أعلامها ينجلي بهم الإظلام، وشموس أئمة تنفجر بهم كل

(1) انظر: رحلات مغربية ص 40.

غمة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة، من رجال كالجبال، وأحبار كالأقمار، طلوعوا في بروج سعودها بدورا، ألبسوها زواً ونورا»⁽¹⁾.

وانطلاقاً من عناية أمتنا بالقرآن الكريم وعلومه، أحببت أن أشارك السادة العلماء والأساتذة الفضلاء في هذا الملتقى المبارك بهذا البحث الموسوم بـ(عناية الأمة الجزائرية بالقرآن الكريم وقراءاته)، سائلاً المولى سبحانه التوفيق في ذلك.

موضوع البحث وتساؤلاته:

مما لا ريب فيه أنّ علماء الجزائر ساهموا في خدمة القرآن الكريم تلاوة وحفظاً، وقراءةً، وإقراءً، وتنوعت جهودهم في ذلك من التأليف والشرح والتعليق، إلى التدريس والتعليم والتطبيق، فما هي مظاهر عناية الأمة الجزائرية بالقرآن الكريم وقراءاته؟؟.

- مما حدا بي إلى اختيار هذا البحث، مجموعة من العوامل المتضافرة والتي منها:
- الرغبة في الوقوف على جهود الأمة الجزائرية في خدمة القرآن الكريم وقراءاته.
- بيان مكانة علماء الجزائر العلمية في القراءة والإقراء.
- إبراز جهود علمائنا في خدمة القراءات القرآنية وعلومها.
- التعرف على مدار أسانيد قراء الجزائر في القراءة والإقراء.

هذا وقد تكوّن البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة، فذكرت في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، والمنهج المتبع فيه، والتمهيد وفيه: عناية الأمة الجزائرية بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتجويداً، أما المبحث الأول ففيه: عنايتهم بقراءة الإمام نافع المدني رواية وتأليفاً، المبحث الثاني: عنايتهم بالقراءات السبع رواية وتأليفاً، المبحث الثالث: مدار أسانيد قراء الجزائر، الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد:

وفيه: عناية الأمة الجزائرية بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتجويداً

إن الحديث عن عناية الجزائر-المحروسة- بالقرآن الكريم وقراءاته ليعود بنا إلى حقبة مشرقة في تاريخ أمتنا، يوم أن حلّ الفاتحون في ربوع شمال إفريقيا، حاملين مشكاة الهداية والإيمان، ونبراس العلم والقرآن، ولقد شاركت الجزائر في إثراء الحضارة العربية الإسلامية في مختلف الجوانب الفكرية، والثقافية والعلمية على امتداد التاريخ الإسلامي إلى اليوم⁽²⁾، وعُرف عنها على مر العصور شدة عناية أهلها بالقرآن الكريم، وكثرة حفاظه، وانتشرت المساجد؛ إذ المسجد النواة الأولى للمؤسسات التعليمية، ثم ظهرت بالتدريج المدارس والمحاضر والكتاتيب القرآنية والمعاهد الدينية⁽³⁾.

(1) انظر: رحلات مغربية: ص 40.

(2) انظر: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 22-23 (بتصرف).

(3) انظر: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب: 210/1 (بتصرف).

ولجمعية العلماء الجزائريين -منذ تأسيسها- جهود ظاهرة في بناء وتشديد المدارس والكتاتيب القرآنية، قال العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي -رحمه الله تعالى-: «تسعى الجمعية في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدرج في أهم مراكز القطر، ويحتوي برنامجها على تعليم الخط العربي والنحو والصرف وحفظ القرآن مع تفهيم مفرداته وضروريات الدين والأخلاق الإسلامية، وتختار من كتب التعليم أقربها للإفادة، وتأخذ الأساتذة بتنفيذ ذلك البرنامج على وجه الدقة»⁽¹⁾.

ولوزارة الشؤون الدينية والأوقاف دور بارز في تعليم القرآن ونشره وطباعة المصاحف - برواية ورش عن الإمام نافع ونشرها وتوزيعها، وتنظيم الأيام الدراسية والملتقيات الوطنية والدولية حول القرآن الكريم، كما تشرف على الأسبوع الوطني للقرآن الكريم الذي تعقد فيه المسابقة المحلية للقرآن الكريم، إضافة إلى محاضرات وندوات في علوم القرآن الكريم. وأنشئت مسابقة الجزائر الدولية لحفظ القرآن الكريم وترتيله تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية، والتي تعقد في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك من كل عام.

كما تم إنشاء إذاعة القرآن الكريم، وقناة القرآن الكريم التي تعنى ببث التلاوات المختلفة لمجموعة من المشايخ والمرتلين، إضافة إلى دروس وحصص توجيهية.

ولقد أنشأت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الوقت الحاضر أقساما تعنى بالدراسات القرآنية، وتتيح الفرصة للباحثين الأكاديميين من إثراء المكتبة القرائية بمختلف البحوث في علوم القرآن الكريم وفنونه بجميع المراحل التعليمية (ليسانس-ماجستير- ماستر- دكتوراه)، على غرار تخصص (اللغة والدراسات القرآنية) بكليات العلوم الإسلامية، وتخصص (القرآن الكريم وعلومه) بأقسام الكتاب والسنة، وغيرهما.

المبحث الأول: عنايتهم بقراءة الإمام نافع المدني رواية وتأليفا

لقد حظيت قراءة الإمام نافع من رواية قالون وورش بعناية فائقة من لدن العلماء والقراء تلاوة وأداء؛ إذ هما الروايتان اللتان حظيتا بالقبول والحفظ والدراسة في المساجد والكتاتيب في مغربنا الكبير منذ عهد بعيد إلى عصرنا الحاضر، لا سيما رواية ورش منهما، وكان ممن قرأ بقراءة الإمام نافع المدني إبراهيم بن فائد الزواوي القسنطيني المالكي، (من علماء القرن التاسع الهجري) تلا بقراءة نافع على الزين ابن عياش، وحضر مجلس الحافظ ابن الجزري -رحمه الله-⁽²⁾، ومحمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بحفيد ابن مرزوق تلا بقراءة نافع على عثمان بن رضوان بن عبد العزيز الصالحي⁽³⁾، ومحمد بن أحمد الفُزَياني نسبة لفُزَيَّانَة إحدى مدائن إفريقية بالقرب من قسنطينة، حفظ

(1) انظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: 88/1.

(2) انظر: الضوء اللامع: 116/1.

(3) انظر: الضوء اللامع: 50/7.

القرآن وتلاه بقراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو، على عبد الله بن عرفة، وبقراءة نافع وابن كثير على أبي عبد الله محمد بن أبي العباس البطرني الأنصاري مسند المغرب، ومحمد بن عثمان بن ظافر بن علي المغربي البجائي⁽¹⁾، ولا زالت قراءة نافع تروى وتُسند إلى قتنا الحاضر فله الحمد والمنة.

من المؤلفات في قراءة الإمام نافع:

- كتاب المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع لعلامة الجزائر ومفسرها عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ)⁽²⁾.
- نظم تقريب المنافع في الطرق العشر عن نافع لمحمد بن محمد الوهراني المشهور بشقرون (ت 929هـ)⁽³⁾.
- كتاب العقد الجامع للدرر اللوامع في مقرا الإمام نافع لعلي بن عبد الواحد بن محمد الأنصاري السجلّمايّي الجزائري الدّار (ت 1057هـ)⁽⁴⁾.
- رسالة تقييد على قراءة الإمام نافع من روايتي عيسى قالون وعثمان ورش لابن توزينت العبادي التلمساني (ت 1118هـ)⁽⁵⁾.
- حاشية على الدرر اللوامع للعلامة أبي العلاء إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة الحسني التلمساني (ت 1137هـ) المعروف بالمنجرة الكبير، وهو في حكم المفقود⁽⁶⁾.
- تشهير ما لنافع في الطرق العشر للعلامة أبي العلاء إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة الحسني التلمساني ت 1137هـ، وهو (نظم) مخطوط⁽⁷⁾.
- تقييدات على الطرق العشرية عن الإمام نافع من ذلك:
- تقييد الشيخ محمد البشير بن محمد السعيد بن علي بن مرزوق العدلي (وهو مخطوط).
- تقييد الشيخ قدور الدرعي (وهو مخطوط).
- تقييد بعض القراء عن الشيخ محمد العربي الحرزوني البتروني (وهو مخطوط).

(1) انظر: الضوء اللامع 70-67/7

(2) وهو مطبوع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر، وأعيد طبعه مؤخرا.

(3) تم تحقيق النظم ودراسته وشرحه بقسم القراءات بكلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة.

(4) وهو قيد التحقيق يسر الله طبعه قريبا إن شاء الله.

(5) وهو محمد بن علي بن محمد الموفق بن أحمد المعروف والشهير بابن توزينت العبادي التلمساني، انظر: تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبو القاسم سعد الله: 22/2، والكتاب مخطوط لدي منه نسختان، وحقق كمذكرة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص علم القراءات والترتيل من طرف الباحث: خالد بوحلفاية بجامعة الحاج لخضر باتنة، وطبع طبعة غير علمية بدار ابن حزم.

(6) انظر: قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 228/3.

(7) منها أربعة نسخ خطية بمركز جمعة الماجد بدولة الإمارات، انظر: قاعدة المعلومات بمركز جمعة الماجد.

- التبصرة في قراءة العشرة-العشر الصغير-وهي الطرق العشرية عن الإمام نافع-
لمحمد بن أبي القاسم البوجلبي(ت1314هـ)⁽¹⁾.

بيد أن كثيرا من هؤلاء القراء كانوا مقلين في الإنتاج العلمي المدوّن، فهم يعتمدون على الإقراء وتعليم التلاميذ، ويكتفي كثير منهم بالنقل والرواية ؛ إذ القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.

المبحث الثاني : عنايتهم بالقراءات السبع رواية وتأليفا

يعتبر كتاب التيسير في القراءات السبع للحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ) عمدة أهل المغرب الإسلامي والأندلس في القراءة والإقراء وقد نظم الإمام الشاطبي-رحمه الله تعالى- في قصيدته الموسومة بحرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، وقد نوه بذلك فقال:

وَفِي يُسْرِهَا التَّيْسِيرُ رُمْتُ اخْتَصَارَهُ فَأَجَنْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مِنْهُ مُؤَمَّلًا
وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدٍ فَلَقْتُ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تُفَضَّلًا
وَسَمَّيْتُهَا "حِرْزَ الْأَمَانِي" تَيْمُنًا وَوَجْهَ التَّهَانِي فَاهْنِهِ مُتَقَبَّلًا

واعتمد أهل الجزائر في تدريسهم القراءات القرآنية على كتاب التيسر ونظم الشاطبية تلاوة وإقراء كما اعتنوا بشرح ابن القاصح على الشاطبية وكتاب غيث النفع في القراءات السبع للعلامة أبي الحسن علي النوري الصفاقسي، ومن الزوايا التي اعتنت بالقراءات القرآنية زاوية سيدي أحمد بن إدريس البجائي(ت760هـ) وهو أول معهد علمي متعدد التعليم بزواوة...وهو معهد مختص بتعليم القراءات السبع والعشر، وبتعليم علوم اللغة والدين⁽²⁾، وزاوية سيدي منصور الجنادي: حيث الدراسة فيها تشمل القرآن الكريم وتفسيره والروايات السبع وتلاوة القرآن وضبطه ورسمه⁽³⁾، وزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي التي أسسها الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد اليلولي سنة(1044هـ)، بإشارة من شيخه محمد السعدي الجهلولي، وهي أشهر زاوية بمنطقة-زواوة المعروفة الآن بمنطقة القبائل، عُرفت بتخصصها في علم القراءات⁽⁴⁾.

وممن روى القراءات السبع تلاوة وأداء أحمد بن محمد بن عبد الله البجائي يعرف بأبي

(1) وهو محقق من طرف الأخ الفاضل الشيخ/حسين وعليلي ونال به درجة الماجستير في اللغة والدراسات القرآنية بجامعة الجزائر بكلية العلوم الإسلامية - قسم اللغة والحضارة- (عام1428هـ)، وطبع بدار ابن حزم، الطبعة الأولى1434هـ.

(2) انظر: أعلام من زواوة: ص27-28.

(3) انظر: أعلام من زواوة: ص58-72.

(4) انظر: زوايا العلم والقرآن بالجزائر: ص120-149، تاريخ الجزائر الثقافي: 3/188-190، أعلام من زواوة: 85-

العباس بن كحيل، تلا بالقراءات السبع على أبي القاسم بن أحمد البرزلي مات-رحمه الله- سنة 869هـ تقريباً⁽¹⁾.

وعليُّ بن موسى المطغري، نسبة إلى مطغرة تلمسان، لازم العلامة ابن غازي ختم عليه عشرين ختمة بالقراءات السبع وغيرها، وأخذ عنه الشاطبية الكبرى (حزب الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع) والتيسير⁽²⁾، ومحمد المري التلمساني أخذ القراءات عن أبي القاسم الدكالي عن ابن غازي وغيرهم، من تلامذته في القراءات العلامة ابن عاشر⁽³⁾.

وأحمد بن مقداش الجزائري، مقرئ كبير، من فقهاء المالكية قال عنه صاحب تعريف الخلف: (كان آية زمانه في علم القراءات بالروايات السبع)⁽⁴⁾.

والشيخ الحاج عبد الرحمن بوعزيز (أوبعزين) (ت 1374هـ) تعلم القرآن الكريم، على والده بقرية أمزراق وحفظه حفظاً جيداً، وأتقن تجويده على الروايات السبع⁽⁵⁾.

والشيخ صديق بوفليح بن محمد أوجمعة، وكانت قراءته للقرآن أولاً برواية قالون وورش مفردين ثم بالجمع بينهما ثم قرأ بالبدور السبعة المسماة بالقراءات السبع، أخذ ذلك عن شيخه السيد علي بن قاسه، وعلم بالمساجد والزوايا إلى أن وافته المنية عام 1940م⁽⁶⁾.

من المؤلفات في القراءات السبع:

- قصيدة في القراءات السبع لأبي الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي (ت 629هـ)⁽⁷⁾، وهي في حكم المفقود.

- أرجوزة ألفية في محاذاة حرز الأمانى (مفتاح باب الجنة في مقرئ السبعة أهل السنة) تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسى التلمساني (ت 842هـ)⁽⁸⁾ وهو مخطوط (يقوم أحد الباحثين بتحقيقه).

- شرح الشاطبية الكبرى (حزب الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع) ومختصر في القراءات السبع⁽⁹⁾: تأليف محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي

(1) انظر: الضوء اللامع: 136/2

(2) انظر: تعريف الخلف 107/2، 108.

(3) انظر: الدر الثمين: ص 3، نشر المثاني: 150/1، سلوة الأنفاس: 361/3.

(4) انظر: تعريف الخلف: 353/1، معجم أعلام الجزائر: ص؟

(5) انظر: أعلام الفكر والثقافة: 73-57/1.

(6) انظر: أعلام الفكر والثقافة: 136-126/1.

(7) انظر: معجم الأدباء: 36-35/20.

(8) هو الإمام الحافظ المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسى التلمساني، عُرف بالحفيد أخذ عن أبيه وعمِّه وجده وسعيد العقباني، وبتونس عن ابن عرفة والقصار، انظر: فهرس الفهارس للكتاني: 523/1، والبستان: ص 211، وتاريخ الجزائر العام: 294-289/2.

(9) ذكره له تلميذه أبو جعفر أحمد بن علي الوادي أشي في ثبته وقال لم يكمل، انظر: ثبت الوادي أشي: ص 443، نيل الابتهاج: ص 325-329، أعلام الجزائر: ص 189.

التلمساني (ت 895هـ) وهو في حكم المفقود⁽¹⁾.

- حاشية على كثر المعاني، أو فتح الباري على بعض مشكلات أبي إسحاق الجعبري للعلامة عبد الرحمن بن إدريس بن محمد، المنجرة الحسني التلمساني (ت 1179هـ) وهي مخطوطة⁽²⁾.

- مختصر شرح الجعبري على الشاطبية لمحمد بن علي الشريف الزواوي الشلاطي، وهو مخطوط، منه نسخة فريدة بخط المؤلف بالمكتبة الوطنية ولدي نسخة منها (يقوم أحد الباحثين بتحقيقه).

وكان لعلم رسم القرآن وضبطه نصيب وافر من مؤلفات علماء الأمة أيضًا فعلقوا على المنظومات وبينوا المشكلات، كشرح المسائل المشكلات في مورد الظمان لمحمد بن محمد بن حسن البوني (ت 799هـ)⁽³⁾، والطراز في ضبط الخراز تأليف محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني (ت 899هـ)⁽⁴⁾، وحاشية على فتح المنان شرح مورد الظمان لابن عاشر لعبد الرحمن بن إدريس بن محمد، المنجرة الحسني التلمساني ت 1179هـ⁽⁵⁾، وغيرها من الكتب والمصنفات.

المبحث الثالث: مدار أسانيد قراء الجزائر

يعتبر السند القرآني من خصائص هذه الأمة المحمدية، خصَّ الله به المسلمين دون سائر الملل، قال عبد الله بن المبارك-رحمه الله تعالى- «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»⁽⁶⁾، فقد تحمل أعلام كبار أعباء النقل والرواية، وأسهموا في تأصيل مسائل الدراية منذ القرن الثالث الهجري كالإمام ابن مجاهد، ومكي بن أبي طالب القيسي، والإمام المهدوي، وابن شريح الرعيني، وأبي عمرو الداني، ثم انتشر العلم الشرعي وعمَّ الإسناد القرآني بعد ذلك في بلدان المشرق والمغرب والأندلس.

يقول الحافظ ابن الجزري-رحمه الله تعالى- مبينا هذه الخاصية: «... ومنها ما أدّخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربه واتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية، وإعظاما

(1) هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني، عالم تلمسان صاحب العقائد المشهورة وشروحها، وحواشي الصحيح، أخذ عن الثعالبي والقلصادي وابن مرزوق الحفيد وغيرهم، انظر: فهرس الفهارس: 2/ 999، وتعريف الخلف برجال السلف: 1/ 207-220، و البستان في ذكر الأولياء بتلمسان للمديوني: ص 245-246.

(2) انظر: قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 2/ 200، الفهرس الشامل للتراث العربي (مخطوطات القراءات): ص 145-146.

(3) وهو في حكم المفقود انظر: أعلام الجزائر: ص 81.

(4) والكتاب محقق مطبوع حققه فضيلة الدكتور: أحمد شرشال ونال به درجة الماجستير من قسم القراءات بالمدينة المنورة، وطبع بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة الطبعة الأولى 1420هـ.

(5) منها نسخة مصورة بمركز جمعة الماجد بدولة الإمارات تحت رقم (577040).

(6) انظر: صحيح مسلم باب لأن الإسناد من الدين: 15/1، شرح النووي على مسلم: 1/ 87.

لقدر أهل هذه الملة الحنيفية، وكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله ويرفع ارتباط الملحد قطعاً بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لَوُفَّت⁽¹⁾.

وقد سار على هذا النهج صفوة علماء المسلمين الذين بلغ من شغفهم بالرواية كل مبلغ، فأحبوا العلم وأهله، ورغبوا في الالتحاق بالسند، والتشرف بالإجازة⁽²⁾، وملاقة العلماء والأخذ عنهم، فقاموا برحلات علمية في سبيل هذا الغرض الشريف. ومن هؤلاء:

عبد الله بن محمد بن يحيى بن فرج أبو محمد العبدري الزهري (540هـ):

مقرئ مصدر، أخذ القراءات عن أبي داود، وأقرأ بقلة حماد زماناً ثم نزل بجاية، وبها توفي سنة أربعين وخمسمائة توفي سنة أربعين وخمسمائة⁽³⁾.

والأستاذ المقرئ، أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني: من أهل شاطبة: قال عنه الحافظ ابن الجزري: «خطيب بجاية وشيخها يعرف بابن رحيمة وأعلى الناس إسناداً بالشاطبية هناك رواها سماعاً من أبي بكر محمد بن أبي القاسم بن وضاح سنة إحدى وثلاثين وستمائة، رواها عنه محمد بن عمر بن محمد بن رشيد ومحمد بن علي بن محمد بن سلمة الأنصاري، ومحمد بن محمد بن محمد بن غريون وخالق حتى رواها عنه شيخاه الحافظ أبو عبد الله محمد بن الأبار والخطيب المحدث أبو محمد بن برطلة⁽⁴⁾».

أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الزواوي المقرئ (ت748هـ):

مقرئ بقسنطينة، قرأ على إبراهيم بن أحمد الغافقي، وعلي بن سليمان بن أحمد⁽⁵⁾، ومالك بن المرحل، روى القراءة عنه أحمد بن مسعود بن الحاجة التونسي لقيه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بقسنطينة⁽⁶⁾.

ويسند أهل المغرب الإسلامي القراءات السبع، وخاصة قراءة الإمام نافع وطرقها العشر إلى الإمام أبي عمرو الداني من طريق هذا الإمام عن شيخه ابن سليمان القرطبي⁽⁷⁾، ولا زال السند متصلاً إلى وقتنا الحاضر والله الحمد والمنة.

البشير التواتي البجائي التونسي الدار (ت1311هـ):

هو شيخ القراء بالديار التونسية العالم الصالح محمد البشير بن محمد الطاهر الشهير بالتواتي البجائي الأصل التونسي الدار، أخذ القراءات عن الشيخ محمد بن الرايس التونسي عن الشيخ محمد المشاط التونسي عن الشيخ حمودة بن محمد بن إدريس الحسني عن الشيخ محمد الحرقافي الصفاقسي، عن أبي الحسن علي النوري الصفاقسي عن أبي عبد

(1) انظر: النشر في القراءات العشر: 53/1.

(2) انظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ص466.

(3) انظر: غاية النهاية: 407/1.

(4) انظر: غاية النهاية: 137/2.

(5) وهو القرطبي (ت730هـ).

(6) انظر: غاية النهاية: 115/1.

(7) انظر: فهرس ابن غازي: ص37.

الله الأفرائي المغربي عن الشيخ سلطان المزاخي بأسانيده المعروفة بأسانيده المعروفة⁽¹⁾.
محمد بن أبي القاسم البجليلي (ت1314هـ)⁽²⁾ :

أخذ الشيخ العلامة محمد بن أبي القاسم البجليلي قراءة نافع عن:
الشيخ العلامة محمد العربي بن العربي الأخداشي وهو يروي عن الشيخ أوصالح بأولاد
أعمرو زكَّان تقع ناحية غزازقة بتيزي وزو.

وعن الشيخ محمد الطاهر الجنَّادي وهو يروي عن الشيخ محمد بن يحيى اليرزاني، وقد
أدركه الشيخ البجليلي إماماً بمقام الشيخ عبد الرحمن اليلولي، عن الشيخ محمد بن بسَّع،
عن الشيخ عبد الله الخراط، عن شيخه ابن تريغت.

وعن الشيخ العلامة محمد بن علي بن مالك الثَّقَافِي، له عنه ثلاثة أسانيد:
الأول: يروي العلامة محمد بن علي بن مالك الثَّقَافِي عن الشيخ أحمد بن إيدير القُمالي
من بني يعلَى ترمورين، عن شيخه ابن تريغت.

الثاني: عن الشيخ محمد بن يحيى اليرزاني عن الشيخ عبد الله الخراط، عن شيخه ابن
تريغت.

الثالث: عن الشيخ عبد الله الخراط، عن شيخه ابن تريغت.

فكل الأسانيد مدارها على الشيخ ابن تريغت، وهو من بني يعلَى ترمورين، وهو يروي عن
شيخه الحسين بن قَريِّ اليعلاوي، عن شيخه الشيخ محمد بن أعنتر البتروني من أولاد علي
أخزرون بعرض أولاد بتُّون بقبيلة زواوة، عن شيخه الشيخ الأستاذ عبد الرحمن اليلولي (ت
1105هـ) عن شيخه الشيخ المقرئ محمد السعيد صاحب ابن تريغت، النازل بناحية دلس،
والشيخ العلامة المقرئ محمد العربي الحزروني البتروني. وقرأ كلُّ من الشيخ محمد السعيد
الدَّلسي المغربي، والشيخ محمد العربي الحزروني البتروني عن شيخهما الماهر الشيخ عبد
الرحمن بن القاضي (يسنده المعروف).

العلامة عبد الحميد بن باديس-رحمه الله تعالى:-

فقد قرأ شرح ابن القاصح على الشاطبية على حسن ابن حاج عمر بن عبد الله بن عمر
السيناوي الغدامسي، وقرأ القرآن العظيم كله بقراءات الأئمة السبعة من طريق حرز
الأمان بما وافق غيث النفع على الشيخ السيد محمد الشريف بن السعيد بن محمد
الزواوي الشريف الحسني وهو عن الشيخ حسن السيناوي الغدامسي عن شيخه السيد
عمار بن صعيدة بن سالم الخياطي الشريف عن شيخ الجماعة الحاج محمد بن علي بن
يوسف ابن يالوشة الشريف عن الشيخ محمد بشير التواتي⁽³⁾.

علي بن عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن الحفاف المقرئ (ت1307هـ):

قرأ القراءات السبع، على أستاذه الشَّيْخ أحمد ابن الكاهية، عن شيخه السَّيِّد أحمد
بن منصور، عن الأستاذ السَّيِّد الجيلاني، عن الشَّيْخ سيِّدي أحمد بن ثابت التلمساني، عن

(1) انظر: فهرس الفهارس 231/1.

(2) أفادني بهذا السند فضيلة الشيخ نبيل موساوي-وفقه الله تعالى-.

(3) ينظر: إجازة العلامة ابن باديس في القراءات السبع (مخطوطة).

السَّيِّد إبراهيم التَّازِي⁽¹⁾.

إجازة الشيخ محمد بابا عمر بن الحاج مصطفى(1396هـ):

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

أما بعد، فقد لازمني مدَّةٌ مديدة قرأ عليَّ فيها القرآنَ العظيم [الطَّالِب المجوِّد سيدي محمَّد بن مصطفى البابا عمر البليدي (نفعه الله ونفع به)، آمين]، بالقراءات السَّبع سلكةً واحدة، قِراءةً مرَّتلةً مجوِّدة، وأجزَّته في القِراءة والإِقراء بها على النَّهْجِ المستقيم، والصِّراطِ السَّويِّ المستقيم، كما أجازني كذلك أستاذي مفتي الجزائر الشَّيخ علي بن الحَقَّاف....

قُدُّور بن علي بن مهدي البليدي

كان الله له وليا ونصيرا

في يوم الخميس 21 حِجَّة سنة 1339. الموافق لـ: 25 أوت 1921 م⁽²⁾.

الخاتمة

وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات.

- إنَّ الجزائر- حرسها الله تعالى- من البلدان الإسلامية التي لأهلها عناية بالقرآن الكريم قراءة وإقراء؛ وذلك من خلال بروز طائفة من القراء اعتنوا بالتعليم والتدريس والتأليف.
 - من شيوخ الإقراء بالمغرب الإسلامي الإمام أبو العباس الزواوي-رحمه الله-(وهو من علماء القرن الثامن الهجري)، فطريقه عن شيخه أبي الحسن بن سليمان القرطبي من أشهر الطرق المسندة المتسلسلة في القراءات القرآنية.
 - من أعلى القراء سندا الأستاذ المقرئ أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني-نزِيل بجاية-، من أهل القرن السابع-، ومن الأسانيد التي لا تزال منتشرة في ربوع بلادنا المباركة سند الشيخ المقرئ الجليلي-رحمه الله-.
 - الاهتمام بتراث علماء الأمة المتقدمين، وذلك من خلال الندوات والمحاضرات والمؤتمرات واللقاءات العلمية التي تكشف عن حياتهم وسيرتهم العلمية.
 - على الجهات العلمية المتخصصة في الدراسات القرآنية العناية بإخراج وتحقيق وطباعة تراث علمائنا الأفاضل.
 - التوصية بإنشاء جمعية وطنية علمية تعنى بالقرآن الكريم وعلومه.
- فهذا ما يسر الله لي جمعه وترتيبه، واللَّه المسؤول أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصا، وينفع به كاتبه وقارائه في الدنيا والآخرة، إنه سميع الدعاء، وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1)

(2) صورة من الإجازة.

أبو العباس المقرئ الباغاني

وجهوده في تفسير القرآن الكريم (345-401 هـ)

أ. د / مختار نصيرة، ود / حدة سابق

كلية أصول الدين - جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة
necira03@gmail.com

ملخص البحث

يعد الغرب الإسلامي منذ الفتوحات الإسلامية، ودخول عدد من الصحابة، ثم التابعين ومن بعدهم، محضنا علميا يكون ويخرج أعلاما كبارا انتشر صيتهم، في الآفاق، وخلدت تراجمهم الفهارس والمعاجم والمدونات، وقد عرف المغرب الأوسط (الجزائر) عددا من المراكز العلمية التي التقى فيها كثير من العلماء. وكان ممن عرف بالطلب، وسمع وتلقى وأدى وألف من أبناء الجزائر في القرن الرابع، الفقيه مقرئ عالم بالتفسير وعلوم القرآن، أبو العباس المقرئ الباغاني، الذي سنعرف به في هذا البحث ونكشف النقاب عن بعض جهوده التي وصلت إلينا، إما من خلال ما ذكره أصحاب التراجم، أو ما وصلنا من مخطوطات منسوبة إليه.

المقدمة

لقد كان طلب العلم قبلة كثير من أهل الغرب الإسلامي عموما والجزائر خصوصا، وهذا منذ القرون الأولى، فكان التوجه التقليدي في الطلب يبدأ بأعلام البلد والحواضر القريبة، فإذا تم التلمذ عليهم، أمكنه الرحلة إلى الحواضر العلمية البعيدة في الشرق والغرب، فمن علماء الجزائر، من جعل قبلته أرض الحرمين، ومنهم من جعل قبلته مصر والعراق وغيرها، ومنهم من جمع بينها مرتحلا من حاضرة إلى أخرى. ومنهم من جعل قبلته الغرب إلى الأندلس والحواضر المجاورة لها، وكل يطلب الحديث ويجالس الفقهاء والقراء والمحدثين، يسمع منهم ويروي عنهم، فإذا نضج واكتمل عوده عقد المجالس، وألف الكتب والأجزاء.

وهذا البحث يكشف النقاب على علم من أعلام الجزائر لا يعرف عنه الباحثون وطلبة العلم الكثير، فقيه مقرئ عالم بالتفسير وعلوم القرآن، إنه أبو العباس المقرئ الباغاني⁽¹⁾، الأوراسي من حاضرة باغايا، نعرف به وبما وردنا من معلومات عن مؤلفاته. وقسمنا البحث إلى ثلاثة مطالب:

(1) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض، 21/2 - 22. وتاريخ الإسلام، الذهبي، 36/28. والصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: ابن بشكوال، 28/1. والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: ابن فرحون المالكي، 162/1. معجم المؤلفين، كحالة، 316/1. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحق العصر الحاضر» (49/1)

المطلب الأول: ترجمة أبي العباس الباغائي:
المطلب الثاني: التعريف بكتاب "أحكام القرآن":
المطلب الثالث: التحقيق في نسبة كتاب "توجيه القرآن" إليه:
المطلب الأول: ترجمة أبي العباس الغائي

أولاً: الموقع الجغرافي والتاريخي لمدينة باغاية:

بَاغَايَة⁽¹⁾ (الغين معجمة، وألف، وياء): مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مَجَانَة وقسنطينية الهواء⁽²⁾.

وذكر اليعقوبي: مدينة قديمة تنتمي إلى الزاب وهو بلد واسع⁽³⁾.

وقال البكري: وهي مدينة جليلة أولية، ذات أنهار وثمار ومزارع ومسارح، على مقربة منها جبل أوراس، وهي حصن صخر قديم حوله ريبض كبير من ثلاث نواح، وليس فيما يلي الناحية الغربية ريبض إنما يتصل بها بساتين ونهر، وفي أرباضها فنادقها وحمّاماتها وأسواقها وجامعها داخل الحصن، وهي في بسات من الأرض عريض كثير المياه، وجبل أوراس مطلّ عليه. ويسكن فحوص هذه المدينة قبائل مزاتة وضريسة وكلهم إباضية⁽⁴⁾.

وإلى مدينة باغاية لجأ البربر والروم وبها تحصّنوا من عقبة بن نافع القرشي، فدارت بينهم حروب عظيمة وكانت الدائرة فيها على أهل باغاية، فهزمهم عقبة بن نافع وقتلهم قتلاً ذريعاً⁽⁵⁾.

أما هذه التسمية اليوم في مدينة (بلدية) تابعة إدارياً إلى ولاية خنشلة تقع شرقي نهاية جبل الأوراس تبعد على مقر الولاية بإحدى عشر كلم (11) من الجهة الشمالية الشرقية، وبها أثار قصر الكاهنة التاريخي، وهي مدينة فلاحية رعوية.

(1) اختلف المؤرخون في نسبة هذا البلد؛ ففي ترتيب المدارك للقاضي عياض والصلة لابن بشكوال، والديباج لابن فرجون، كتبوها: باغاني بالنون، والذي في النسخة الخطية بالهمز، وهذا يوافق القواعد النحوية بقلب الهمز ياء بعد حذف التاء"، ذكره صاحب كتاب تفسير آيات الأحكام ومناهجها علي بن سليمان العبيد، 163/1.

ورجح هذه النسبة أيضا محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني، في رسالته للدكتوراه "التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا"، وذلك في تعقبه على كتاب "المدرسة القرآنية إلى ابن عطية لعبد السلام أحمد الكنوني - عبارة عن رسالة لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا بدار الحديث الحسنية بالرباط بتاريخ 1394/5/17هـ إشراف د. عائشة عبد الرحمن، حيث قال: "ومن ذلك أنه ذكر أحمد بن علي بن أحمد الباغاني ت 401 هـ (كذا والصواب الباغائي)"، ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، 139-140.

(2) ينظر: معجم البلدان (325/1)

(3) ينظر: البلدان لليعقوبي (ص: 190)

(4) ينظر: المسالك والممالك للبكري، بتصرف (831/2)

(5) ينظر: المسالك والممالك للبكري (831/2)

ثانياً: اسمه ونسبه:

هو أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو العباس الربيعي⁽¹⁾ الباغائي المقرئ، الفقيه المالكي.

درس القراءات بمصر⁽²⁾، وقدم الأندلس سنة ست وسبعين وثلاثمائة. وقدم إلى الإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة واستأذبه المنصور محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن، ثم عتب عليه فأقصاه، وعلت منزلته، وقدم للشورى بعد أبي عمر بن المؤوي. ثم رقاؤه المؤيد بالله هشام بن الحكم بقرطبة مكان أبي عمر الأشبيلي الفقيه على يدي قاضيه أبي بكر بن واهد، ولم يطل أمده⁽³⁾.

ثالثاً: ثناء العلماء عليه:

قال ابن حيان: "كان ربانياً في علوم الإسلام، جم الرواية شديد الحفظ. لم يخلف بعده أحد يقربه في علوم القرآن وهي كانت الغالبة عليه"⁽⁴⁾.

قال الذهبي: "وكان أحد الأذكياء الموصوفين. وكان بحرًا من بحور العلم، لا سيما في القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ والأحكام"⁽⁵⁾.

وقال ابن بشكوال: "وكان: من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آية من آيات الله تعالى، وكان بحرًا من بحور العلم، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءاته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه. وله كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوًا حسنا وهو على مذهب مالك رحمه الله"⁽⁶⁾.

قال ابن حيان: "ربانياً في علوم الإسلام، جم الرواية شديد الحفظ، آية في ذلك. لم يخلف بعده أحد يقربه في علوم القرآن. وكان بحرًا من بحار العلم، وله تأليف في أحكام القرآن، وكانت له خاصة من العامرية. وقدم للشورى أكرم موت ابن المكوي، فلم يطل أمره"⁽⁷⁾.

(1) هكذا ثبت ابن بشكوال الربيعي، وكذا ذكره عبد الرحمن الجيلالي، في مقاله: شخصيات لامعة من الأوراس، مجلة الأضالة، عدد 61/60 سنة 1978، ص 107. وفي كتابه تاريخ الجزائر العام، 360/1. وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام تدمري (36/28)، بالياء والغين: الريغي. ولعل الصواب هو الأول.

(2) مجلة التاريخ العربي (ص: 3068)

(3) ابن المكوي، أحمد بن عبد الملك بن هشام أبو عمر الأشبيلي المالكي، المعروف بابن المكري توفي سنة 401 إحدى وأربعمائة. له كتاب الإستيعاب من فروع المالكية في مائة جزء. هدية العارفين (71/1)

(4) الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ص 87

(5) الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد عبد الملك، ص 87 تاريخ الإسلام تدمري (36/28)،

(6) الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد عبد الملك، ص 87، وينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (175/1)

(7) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (198/7)

قال ابن فرحون: "من الطبقة السابعة من الأندلس، يكنى أبا العباس الحافظ كان بحراً من بحار العلم وله تأليف في أحكام القرآن"⁽¹⁾.
وقال: "وقرأ عليه ابن عتاب وناهيك به مزية؟ وكان ابن عتاب يستحسن كتابه في الأحكام"⁽²⁾.

رابعاً: مولده ووفاته:

قال ابن حيان: "توفي يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة إحدى وأربع مائة مع أبي عمر الإشبيلي في عام واحد. قال أبو عمرو: ومولده بباغايا في سنة خمس وأربعين وثلاث مائة"⁽³⁾. قال الذهبي: "تُوفي في ذي القعدة وله ست وستون سنة"⁽⁴⁾.

خامساً: شيوخه:

1. أبو بكر مُحَمَّد بن عَلِيّ الأَدَفَوِي (المتوفى: 388 هـ): المصري المقرئ النحوي المفسر، أصله من أدفو، مدينة من مدن صعيد مصر قريب من أسوان؛ سكن مصر، صحب أبا جعفر النَّحَّاس ولزمه، وحمل عنه سائر كتبه، وسمع الحديث، وقرأ القرآن برواية ورش فأتقنها، وكان سيد أهل عصره بمصر، وكانت له حلقة كبيرة. أخذ عنه طائفة.
وله كتاب "تفسير القرآن" في مائة وعشرين مجلدة⁽⁵⁾.

قال أبو عمرو الداني: "انفرد أبو بكر بالإمامة في وقته، في قراءة نافع مع سعة علمه، وبراعة فهمه وصدق لهجته وتمكنه من علم العربية، وبصره بالمعاني"⁽⁶⁾.
وقال سهل بن عبد الله البزاز: "صنف شيخنا أبو بكر الأَدَفَوِي، كتابه الاستغناء في علوم القرآن في اثنتي عشرة سنة"⁽⁷⁾.

2. عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون أبو الطيب الحلبي نزيل مصر (المتوفى: 389 هـ): المقرئ الشافعي، أستاذ ماهر كبير كامل محرر ضابط ثقة خير صالح دين، ولد بحلب وانتقل إلى مصر فسكنها وروى القراءة عرضاً وسماعاً. وألف كتابه "الإرشاد في معرفة مذاهب القراء السبعة وشرح أصولهم".

(1) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (1/174).

(2) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (1/174).

(3) الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد عبد الملك، ص 87، طبقات المفسرين للداوودي (1/53 - 54)

(4) تاريخ الإسلام تدمري (28/36)

(5) تاريخ الإسلام ت بشار (8/642) وفيات المصريين (ص: 37)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (6/2570) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: 198-199). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 87).

(6) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: 199).

(7) المصدر نفسه

قرأ عَلَيْهِ القراءات ابنه طاهر مصنف التذكرة، وَالْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّقَلِي، وأبو عمر الطَّلَمَنَكِي، وَالْحَسَنُ بْنُ قَتِيْبَةِ الصَّقَلِي، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّيْغِي، وَأَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَزْدِي، وَمَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ⁽¹⁾.

سادسا: تلاميذه:

1. عمر بن نمارة بن عمر بن حبيب بن روح بن مطرح الأموي: من أهل قرطبة، يكنى أبا حفص وتوفي في نحو الأربع مئة⁽²⁾.

2. علي بن محمد بن عبد الله بن منظور القيسي: من أهل إشبيلية؛ يكنى: أبا الحسن (367هـ . 422هـ): قرأ القرآن على أبي العباس الباغاني المقرئ وغيره. وكان من أهل العلم بالقرآن والفقه والعربية. وكانت فنون العربية أغلب عليه. وكان حسن السميت من أهل الفهم والضبط⁽³⁾.

3. قاسم بن إبراهيم بن قاسم بن يزيد بن يوسف بن يزيد بن معاوية بن إبراهيم بن أغلب بن عبادة بن سعيد بن حارث بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي: يعرف: بابن الصابوني، من أهل قرطبة. سكن إشبيلية؛ يكنى: أبا محمد⁽⁴⁾.

4. أبو بكر بن أحمد بن علي بن أحمد الباغاني: ثم القرطبي، المقرئ. قال القاضي عياض في ترجمة أبيه: "وابنه أبو بكر خلفه بجامع قرطبة للإقراء، وكان حسن التلاوة، ذا حظ من الفقه، وبصر بالشروط، طاهر الثوب"⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "أحكام القرآن"

أولا : وصف النسخ الخطية للكتاب:

- توجد نسخة خطية منه بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم 360 رواق المغاربة، بمجلد واحد تبلغ 91 ورقة، يتراوح عدد أسطر كل ورقة بين 20 و28 سطرا⁽⁶⁾.

وذكر الأستاذ الدكتور علي بن سليمان العبيد، أن بها نقصا في آخرها، كما فيها تعليقات جانبية، وخاصة في أولها⁽⁷⁾.

- ومنه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض بعنوان "أحكام القرآن". برقم: 1282 - ف.

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر (37/187) تاريخ الإسلام ت بشار (8/649). وغاية النهاية في طبقات القراء (1/470).

وفهرسة ابن خير الإشبيلي (ص: 25) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 87).

(2) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 375).

(3) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 393)، طبقات المفسرين للدواودي (1/429).

(4) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 445).

(5) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (7/198).

(6) تفسير آيات الأحكام ومناهجها، ص 168.

(7) تفسير آيات الأحكام ومناهجها، ص 168.

-ومنه نسخة مخطوطة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة بالملكة العربية السعودية، رقم الحفظ: 4 (عن مكتبته الأزهر برقم 360) ⁽¹⁾.

-والكتاب حقق جزءاً منه الدكتور سليمان بن عبد العزيز بن صالح آل سليمان بعنوان: "أحكام القرآن لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد المقرئ المتوفى سنة (401هـ) من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة البقرة"، ونشرته جامعة الملك سعود، سنة 1429هـ.

جاء في بدايتها: «قال الشيخ الإمام الورع أبو العباس أحمد بن علي المقرئ رضي الله عنه: هذا تأليف أذكر فيه توجيه القرآن، وهو مما رويته بسندي عن مشايخي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فأقول وبالله التوفيق» ⁽²⁾.

ثانياً: ثناء العلماء على كتاب أحكام القرآن:

وقال ابن بشكوال: "وله كتابٌ حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحواً حسناً وهو على مذهب مالك رحمه الله" ⁽³⁾.

وقال: "وقرأ عليه ابن عتاب وناهيك به مزية؟ وكان ابن عتاب يستحسن كتابه في الأحكام" ⁽⁴⁾.

وقال القاضي عياض: "وكان أبو عبد الله بن عتاب يستحسن تأليفه في الأحكام، وقرأه عليه" ⁽⁵⁾.

قال ابن فرحون: "من الطبقة السابعة من الأندلس، يكنى أبا العباس الحافظ كان بحراً من بحار العلم وله تأليف في أحكام القرآن" ⁽⁶⁾.

ثالثاً: نسبة الكتاب إلى مؤلفه وعنوانه:

اتفق جميع من ترجم لأبي العباس المقرئ الباغاثي على ذكر كتابه "أحكام القرآن"، مما يؤكد أنه ألف كتاباً في أحكام القرآن، والذي يثبت نسبة هذا المخطوط إليه، ما ورد في أول المخطوطة، قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله وصحبه. قال أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد المقرئ الباغاثي رضي الله عنه: الحمد لله المتحد بالتقديس، والمتعالي فوق عرشه بلا أنيس، الذي لا تلحظه العيون، ولا تدركه الظنون، ولا يعجل لعجلة العباد، ولا يفوته الحاضر ولا الباد، حمداً يزلف لديه، ويستدعي المزيد من نعمه، وصلى الله على خير خلقه، وأمينه على وحيه، صلاة تامة زاكية، وعلى أهله

(1) خزانة التراث - فهرس مخطوطات (767/62)، بتقييم الشاملة (آيا)، الرقم التسلسلي: 63079

(2) وجوه القرآن، أبو العباس المقرئ، مخطوط، ورقة 28 جهة أ.

(3) الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد

عبد الملك، ص 87، وينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (1/175)

(4) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (1/174).

(5) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (7/198)

(6) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (1/174).

الطيبين، وأصحابه المنتخبين، وأزواجه أمهات المؤمنين⁽¹⁾.

ويعد هذا الكتاب اختصارا لما ورد في اللوحة الخارجية للمخطوط: "كتاب في أحكام القرآن اختصار أبي العباس أحمد بن علي المقرئ البغائي، رحمه الله تعالى"⁽²⁾.

رابعاً: المعالم العامة لمسلكه في كتابه⁽³⁾:

1. أنه كتاب في أحكام القرآن على مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى، وهذا ما يستفاد من قول ابن بشكوال: "وله كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا وهو على مذهب مالك رحمه الله"⁽⁴⁾، ويؤكد هذا محتوى المصنف.

2. بين الباغائي أحكام القرآن وفق ترتيب المصحف بداية بسورة البقرة بقوله تعالى: [إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة]، إلى سورة الإخلاص، فتناول 78 سورة⁽⁵⁾.

3. بدأ بالبسملة وأحكامها، وخلاف العلماء في ذلك، ثم ذكر لفظة آمين، ومعناها وحكمها.

4. يبدأ المؤلف بذكر الآية التي لها علاقة بحكم من الأحكام الشرعية، ثم يبين معناها، وخلاف العلماء فيها من أحكام وأسباب نزول وأحكام.

5. يبين معاني الآيات باختصار دون التعرض لما فيها من معان لغوية، واشتقاق للألفاظ، وشرح للمفردات، والإعراب.

6. يورد أقوال العلماء في الآية الواحدة، وأحيانا يقوم بالترجيح بين الأقوال.

مثال ذلك: في سورة المعارج قال: قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلْمَسْكِينِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج 24).

قال بعضهم: هي الزكاة المفروضة.

وقال بعضهم: هي غيرها، ثم بين الراجح، فقال: "والقول الأول أولى؛ لأن ما سوى الزكاة غير معلوم من قر الضيف، وإغاثة مضطر، وتكفين ميت، وما أشبه ذلك"⁽⁶⁾.

7. يركز في بيان الأحكام على مذهب الإمام مالك، وقد يعرج إلى بعض المذاهب الأخرى، لكنه لم يكثر.

مثال ذلك: قوله: "قال الله عز وجل: "إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا". هذه الآية ناسخة للصلح الذي صالح رسول الله ﷺ المشركين ألا يمنع أحد

(1) نقلا عن تفسير آيات الأحكام ومناهجها، ص 167-168

(2) تفسير آيات الأحكام ومناهجها، ص 167.

(3) تفسير آيات الأحكام ومناهجها، ص 167.

(4) الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ص 87، وينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (1/175)

(5) هذه المعالم مستفادة من كتاب تفسير آيات الأحكام ومناهجها، باختصار، ص 174-179

(6) نقلا عن تفسير آيات الأحكام ومناهجها، ص 172.

من البيت.

قال مالك وعمر بن عبد العزيز: يمنع اليهود والنصارى وسائر الكفار من دخول الحرم ومن دخول جميع المساجد.

وقال الشافعي: يمنع المشركون جميعا من دخول الحرم، ولا يمنعون من دخول المساجد، وقال أبو حنيفة وجماعة: لا يمنع اليهود والنصارى دخول الحرم، ولا من دخول سائر المساجد، وإنما المشركون عنده عبدة الأصنام⁽¹⁾.

8. يستدل للأحكام والنصوص بأحاديث للنبي ﷺ، ونصوص الصحابة.

9. يفصل القول كثيرا في بيان النسخ والإحكام في كثيرة من الآيات.

10. يعرج إلى بيان بعض القراءات إذا كان لها أثرا في بيان الأحكام⁽²⁾.

المطلب الثالث: التحقيق في نسبة كتاب "توجيه القرآن" للباغائي

أولا: وصف النسخ الخطية للكتاب:

كتاب "توجيه القرآن" له ثلاث نسخ في أماكن مختلفة: الأولى: في المكتبة الأزهرية برقم (219 علوم القرآن). والثانية: نسخة المتحف البريطاني ضمن مجموع تحت رقم (1229). والثالثة: نسخة دار الكتب المصرية.

ونسخة المكتبة الأزهرية، تقع في 11 ورقة، في كل صفحة 27 سطرا. ولا يوجد عليها أثر للناسخ ولا وقت نسخها⁽³⁾.

جاء في بدايتها: «قال الشيخ الإمام الورع أبو العباس أحمد بن علي المقرئ رضي الله عنه: هذا تأليف أذكر فيه توجيه القرآن، وهو مما رويته بسندي عن مشايخي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فأقول وبالله التوفيق»⁽⁴⁾.

وكتاب طبع بتحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى سنة 1434هـ/ 2013م، مكتبة دار البشير، دار عباد الرحمن، الشارقة، الإمارات⁽⁵⁾.

ثانيا: التحقيق في نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

لم يرد في النسخ الثلاث نسبة المؤلف أحمد بن علي المقرئ إلى بغاية أو غيرها، إلا أن بعض المحققين، ذكر نسبته إلى أبي العباس البغائي، ولم يورد دليل على ذلك،

وذكر الدكتور أحمد بن محمد البريدي أنه توفي سنة 658هـ، دون أن ينسبه⁽⁶⁾.

وقال محقق كتاب "توجيه القرآن" أ.د. حاتم صالح الضامن: "بعد التتبع والتنقيب، في

(1) نقلا عن تفسير آيات الأحكام ومناهجها، ص 175.

(2) نقلا عن تفسير آيات الأحكام ومناهجها، ص 175.

(3) الوجوه والنظائر القرآنية وأثرها في التفسير، د. حدة سابق، ص 119.

(4) وجوه القرآن، أبو العباس المقرئ، مخطوط، ورقة 28 جهة أ.

(5) أفادنا بنسخة مطبوعة من هذا الكتاب الزميل الأستاذ الدكتور بوبكر كافي حفظه الله تعالى.

(6) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة تأصيلية، ص 39.

بطون كتب التراجم، وقفت على أسماء اثني عشر قارئاً تحت اسم " أحمد بن علي أبو العباس المقرئ، وقد استبعدت قسماً منهم لتقدم سنة وفاتهم أولاً، أو أنهم من الأندلسيين ثانياً. ووقفت عند: "أحمد بن علي أبو العباس المقرئ الضرير المعروف بالكمال المحلي، المتوفى سنة 672هـ". ومما يدعم قولي وجود ورقة بعد توجيه القرآن فيها "رسالة علامات الإعراب" لأمين الدين المحلي محمد بن علي المتوفى سنة 673هـ، وكأن الناسخ أراد والله أعلم أن يذكر من نسب إلى المحلة بمصر غير أبي العباس مقرئ المحلي، وفي نفسي شيء من صحة نسبة الكتاب، وعسى أن يقف أحد الفضلاء على أبي العباس المقرئ أحمد بن علي، مؤلف "توجيه القرآن"، فيكشف لنا هويته الحقيقية فيفيد العلم. وأهله⁽¹⁾.

وقال: "أما ما ذكره محقق كتاب الوجوه والنظائر للدغاني المتوفى سنة 478هـ في الصفحة العاشرة من مقدمته للكتاب: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربيعي الباغاني، ت401هـ ألف كتاب توجيه القرآن، وهو مما رواه بسند مشايخه عن عبد الله بن عباس"⁽²⁾.

قال: "أقول: هذا بعيد لا يصح إذ لم تذكر مصادر ترجمته أنه ألف كتاب توجيه القرآن، وهذا من اجتهاداته غير الصائبة"⁽³⁾.

وهذا ما يترجح لدينا أن تبقى نسبة كما هي في لوحات المخطوطات، دون نسبتها إلى حين التأكد.

ثالثاً - محتوى الكتاب ومنهجه في عرض الوجوه:

أما عن محتوى هذا المؤلف⁽⁴⁾ فهو رسالة مختصرة في وجوه القرآن، حيث شمل خمسة وسبعين لفظاً فقط⁽⁵⁾، غير مرتبة أبجدياً ولا معجمياً.

وتميّز عرض المؤلف للوجوه بالاختصار، حيث يذكر باب الكلمة ووجوهها مستشهداً لكل وجه بأية قرآنية غالباً، ولم يكن مقلداً لمن قبله في نوع الوجوه، حيث أضاف وجوهاً لم

(1) مقدمة تحقيق كتاب توجيه القرآن لأبي العباس المقرئ، حاتم صالح الضامن، ص6.

(2) مقدمة تحقيق كتاب توجيه القرآن لأبي العباس المقرئ، حاتم صالح الضامن، ص7.

(3) مقدمة تحقيق كتاب توجيه القرآن لأبي العباس المقرئ، حاتم صالح الضامن، ص7.

(4) لقد عرفت الدكتورة حدة سابق بهذا المؤلف في صفحة واحدة في مؤلفها "الوجوه والنظائر القرآنية وأثرها في التفسير"، ومنها استقيننا هذه الملاحظات المنهجية حول هذه الرسالة، ص119.

(5) هذه الكلمات هي: الوحي، الحسنى، العلم، كتب، الخير، الخيانة، الفتنة، العدوان، الاعتداء، الفرض، الطهور، العفو، إن وأن، أتى، الظن، الضحى، تولى، الاستطاعة، الهدى، الكفر، الحس، الشرك، جعل، الخزي، الخاسرين، النادي، الطيب، الصبر، اللغو، الماء، الوجه، التأويل، الضر، النعمة، كلا، سبحانه، النفس، الموت، الحياة، أدنى، المتاع، الجبار، الأسباب، من، في، الحساب، الوكيل، الحرج، هل، الرجاء، الحق، الأرض، الفرار، الحين، سواء، المرض، الفساد، اللباس، السوء، الحسن، السيئة، الرحمة، الفرقان، الأمة، الشقاق، الذكر، الخوف، الناس، طاغوت، الظلمات، الظالمين، الظلم، الدين، الإسلام، الإحصان.

يسبقه إليها أحد، مثال ذلك:

1 - في "باب وجوه الحسنى"، اتفق مع من سبقه في ذكر ثلاثة وجوه: "الجنة، الإصلاح، البنون"، واستدرك عليهم وجها رابعا، قال فيه:

الوجه الرابع: الحسنى الخلف في النفقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾⁽¹⁾، أي: بالخلف، ومثله: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾⁽²⁾، أي: وكذب بالخلف⁽³⁾.

2 - وفي "باب وجوه العلم"، نجده اختلف مع مقاتل في عدد وجوه هذا اللفظ ونوعها. فوجوه لفظ العلم عند مقاتل ثلاثة: "يرى، العلم بعينه، علم إذن"⁽⁴⁾.

بينما عند أبي العباس أربعة وجوه: "القرآن، محمد صلى الله عليه وسلم، علم الكيمياء، الشرك"⁽⁵⁾.

ومما يلاحظ على هذه النسخة من "وجوه القرآن"، أن مؤلفها أحيانا يذكر في الباب أن اللفظ كذا وجه في القرآن الكريم، ثم لا يفي بذلك العدد من الوجوه، مثال ذلك:

1 - في "باب وجوه الوحي على ستة أوجه"، ولم يذكر إلا خمسة وجوه فقط: "الرسالة، الإلهام، الإيمان، الكتاب، الأمر"، ولم يذكر الوجه السادس⁽⁶⁾.

2 - وفي "باب وجوه الناس على سبعة أوجه"، ولم يذكر منها إلا ستة أوجه فقط: "النبي صلى الله عليه وسلم، المؤمنون خاصة، الرجال، عبد الله بن سلام وأصحابه، كفار قريش خاصة، آدم عليه السلام"، ولم يذكر الوجه السابع⁽⁷⁾.

• وقد استعان بكتاب توجيه القرآن سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، في كتابه "اللباب في علوم الكتاب"، حيث نقل عن أبي العباس المقرئ كثيرا من الوجوه منها: (كتب، العفو، الاستطاعة، الحس، الطيب، الصبر، الوجه، النفس، الموت، أدنى، المتاع، الحساب، الوكيل، الرحمة)⁽⁸⁾.

قائمة المصادر والمراجع

1. الاستبصار في عجائب الأمصار: كاتب مراكشي (توفي: ق 6هـ). دار الشؤون الثقافية، بغداد. 1986م
2. الأشباه والنظائر، لمقاتل.

(1) الليل: 5، 6.

(2) الليل: 9.

(3) ينظر: توجيه القرآن، أبو العباس المقرئ، 21.

(4) الأشباه والنظائر، لمقاتل، ص 231.

(5) ينظر: توجيه القرآن، أبو العباس المقرئ، ص 22.

(6) ينظر: المصدر نفسه، ص 19.

(7) ينظر: توجيه القرآن، أبو العباس المقرئ، ص 96.

(8) ينظر: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب: الكتاب: 485/1، 572، 56/3، 250، 42/4، 380، 136/5، 146، 256، 415، 59/6، 154، 167، 523.

3. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: 1399هـ). عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقيا. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان
4. البلدان: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد 292هـ). دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1422 هـ
5. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ). المحقق: عمر عبد السلام التدمري. دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993 م. بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ
6. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ). المحقق: عمرو بن غرامة العمروي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1415 هـ - 1995 م
7. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي. تحقيق: محمد ابن تاويت الطبيخي، وزارة الأوقاف المغربية، ط2، 1403هـ 1983م
8. تفسير آيات الأحكام ومناهجها: علي بن سليمان العبيد، دار التدمرية.
9. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا: محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلي أبو الأرقم المصري المدني، رسالة دكتوراه. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، 1426 هـ
10. توجيه القرآن، أبو العباس المقرئ، مخطوط، في المكتبة الأزهرية برقم (219 علوم القرآن).
11. توجيه القرآن، أبو العباس المقرئ، تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، مكتبة دار البشير، دار عباد الرحمن، الشارقة، الإمارات. الطبعة الأولى سنة 1434هـ/2013م.
12. خزانة التراث - فهرس مخطوطات (62/ 767، بترقيم الشاملة آليا)، الرقم التسلسلي: 63079
13. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: ابن فرحون المالكي. تحقيق: محمد الأحمد أبو النور. مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1426هـ - 2005م، 1/162.
14. الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الجُميرى (المتوفى: 900هـ). المحقق: إحسان عباس. مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج. الطبعة: الثانية، 1980 م
15. الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، تصحيح: عزت العطار الحسني. مكتبة الخانجي- القاهرة. الطبعة 2، 1994م، 1/28.
16. طبقات المفسرين للداوودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ). راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية - بيروت

17. فهرسة ابن خير الإشبيلي: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (المتوفى: 575هـ). المحقق: محمد فؤاد منصور. دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان. الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م
18. الباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ). المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م.
19. مجلة التاريخ العربي.
20. المسالك والممالك: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ). دار الغرب الإسلامي. 1992 م
21. المصحف الشريف برواية حفص عن نافع.
22. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ). المحقق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م
23. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ. دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، 1995 م
24. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان. الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م
25. معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: 1408هـ). مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت
26. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ). دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م
27. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: 1399هـ). طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها الهية استانبول 1951 أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان
28. الوجوه والنظائر القرآنية وأثرها في التفسير: الدكتور حدة سابق، رسالة دكتوراه، نوقشا في كلية الشريعة، باتنة، 2011هـ.
29. وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم من سنة 375: إبراهيم بن سعيد النعماني - بالولاء - المصري، أبو إسحاق الحَبَّال (المتوفى: 482هـ). المحقق: محمود بن محمد الحداد. دار العاصمة - الرياض. الطبعة: الأولى، 1408هـ.

تاريخ قراءة نافع بالجزائر

د / مراد بلخير

قسم العلوم الإسلامية - جامعة وهران

belkhir.mourad1@gmail.com

ملخص البحث

يسلط هذا البحث الضوء على عناية علماء الجزائر بقراءة الإمام نافع، وهذا من خلال الكشف عن المراحل التاريخية لوصول قراءة نافع بالجزائر، مع بيان عوامل استقرارها بهذا البلد، من الاهتمام بأخذ الإسناد والاعتناء بالمدارس الإقرائية، وتخصيص التأليف في علم القراءات على ما يوافق هذه القراءة المنتخبة.

وكشف البحث عن التواصل المثمر بين المغرب والأندلس في مجال القراءة والذي كان تبعاً لدخول المذهب الفقهي المالكي، قصداً إلى الجمع بين مدرسة الفقه وما يلائمها من القراءة النافعية، وكان التركيز على رواية ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق وفق اختيارات الإمام أبي عمرو الداني الأندلسي، حتى أضحت شعاراً للمدرسة القرآنية الجزائرية، ومركزاً تستمد منه مختلف العلوم الأصلية والفرعية، والتلاوة الرسمية الوحيدة التي يستند إليها في التعليم والقراءة والدراسة.

وقد أبرز البحث نماذج للأسانيد المنتشرة بالجنوب الجزائري، بالإضافة إلى أهم المؤلفات الجزائرية في علم القراءات، كما كشف البحث عن أثر قراءة نافع في الحركة العلمية بالجزائر، وما له من تأثير على نهج المفسرين الجزائريين، وطريقة صياغة المنظومات التعليمية لصغار حفظة القرآن من ناحية ضبط الرسم وقواعد التجويد، وكذا الظواهر الصوتية للكلام العامة.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد الذي علمه ربه القرآن الكريم؛ فعلمه لأصحابه -رضوان الله عليهم-، وتوالى حفظه عنهم جيلاً بعد جيل إلى وقتنا هذا.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي أوحى لعبده ونبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- قرآناً تكفل بحفظه بذاته سبحانه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:09]، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله رغبتنا في حفظ القرآن وتعليمه؛ فقال: «خيركم من تعلم

القرآن وعلمه»¹، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وخطاه إلى يوم الدين .

أما بعد: فإن الاهتمام بكتاب الله تعالى حفظا وتعهدا لحروفه وطرائق أدائه كان من سمات أهل الجزائر على مر الحقب التاريخية التي توالى عليها، وقد برزت قراءة إمام أهل المدينة بروزا لا تدانيه قراءة أخرى، مما أكسبها نوعا من المرجعية في هذه البلاد، كان له الأثر الإيجابي على وحدة الأمة في وحدة قراءتها زيادة على وحدة مذهبها الفقهي الذي عزز من هيمنة قراءة نافع على المنطقة المغاربية عموما، وكان لعلماء الجزائر أيضا دور مهم في خدمة القراءة وإثرائها بالتأليف المرتبطة بها والخدمة لها، ويدرس هذا البحث المراحل التاريخية التي مرت بها القراءة وأبرز محاضرها العلمية وما لها من تأثيرات تحت العنوان الآتي: تاريخ قراءة نافع بالجزائر.

وإن في دراسة تاريخ تَمَكُّن قراءة نافع على أهل هذه البلاد لكشفاً عن جوانب مهمة في جهود الحركة العلمية بالجزائر في خدمة القراءات عموما وقراءة نافع خصوصا، كما تحيلنا على دورها في ضبط معالم المدرسة الإقرائية بالجزائر خصوصا في ظل التنكر الحاصل لدورها التاريخي، الذي ساهمت فيه عوامل الاستعمار، والضعف الطارئ على نشاط المدارس المرجعية الكبرى في الجزائر المهتمة بالإقراء؛ فما هي إذن الأسباب التي أدت إلى استقرار ورسوخ هذه القراءة؟ وما هي قيمتها في النشاط العلمي لعلماء الجزائر؟

وهو ما يحاول البحث أن يكشف عنه من خلال رصد العوامل التي ساهمت في تثبيت القراءة في الجزائر، وبالتالي السير على هذا النهج للحفاظ على قراءة نافع في الجزائر.

وتأتي خطة البحث على النسق الآتي:

تمهيد: ترجمة الإمام نافع

المطلب الأول: قراءة نافع في الجزائر.

المطلب الثاني: عوامل استقرار قراءة نافع بالجزائر.

أولا: الاهتمام بأخذ الإسناد.

ثانيا: المدارس الإقرائية.

ثالثا: التأليف في القراءات

المطلب الثالث: أثر قراءة نافع في الحركة العلمية بالجزائر.

خاتمة: تلخص أهم نتائج البحث وأفاق الدراسة في الموضوع.

1- رواه البخاري في صحيحه-كتاب فضائل القرآن-باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه- رقم:4739.

تمهيد: ترجمة الإمام نافع

ولادته ونشأته:

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم المدني، ولد سنة 70هـ بالمدينة وبها نشأ، وأصله من أصفهان.

يكنى: أبا الحسن وأبا عبد الله وأبا نعيم وأبا عبد الرحمن، وأشهر كنية له هي: أبو رويم، وهي تصغير ريم، وهو الغزال¹.

سُبي جده أبو نعيم غداة الفتح لبلاده فارس، وكان فتح مدينة أصفهان التي ينتمي إليها على يد أبي موسى الأشعري في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . رضي الله عنهما، وأسلم على يد بيت من بني ليث²، وبذلك ارتبط بيت نافع ببني ليث برباط الولاء؛ فنسب إليهم.

صفته و مناقبه:

كان رحمه الله رجلاً أسود حالكا، صبيح الوجه ذا دعابة، وكان طيب أخلاق. وكان نافع عالماً بوجوه القراءات والعربية، فهو إمام دار الهجرة في القراءة بعد أبي جعفر، وكان إذا تكلم يُشَمُّ من فيه رائحة المسك، ف قيل له : أنتطيب كلما جلست للإقراء؟ فقال: لا أُمس طيباً، ولكني رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام يقرأ في فيٍّ، فمن ذلك الوقت أشم من فيٍّ هذه الرائحة.

قال قالون: كان نافع من أطهر الناس خلقاً، ومن أحسن الناس قراءة، وكان زاهداً جواداً، صلى في مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- ستين سنة³.

وفي كتاب السبعة لابن مجاهد عن عبد الله بن وهب قال: «قراءة أهل المدينة سنة، قيل له قراءة نافع؟ قال: نعم»⁴.

وقال: نافع إمام الناس في القراءة⁵.

1- ابن السَّلَّار أمين الدين-طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم-ت: أحمد عزوز-المكتبة العصرية-بيروت- ط: 1423-01/هـ/2003م- ص:70.

2- ابن الباذش أبو جعفر أحمد-الإقناع في القراءات السبع- ت: عبد المجيد قطامش-دار الفكر-دمشق- ط: 1403-01-هـ- ج: 1/ص:55.

3- ينظر: الذهبي شمس الدين- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار- دار الكتب العلمية-بيروت- ط: 1417-01/هـ/1997م - 64/1.

4- أبو بكر بن مجاهد - السبعة في القراءات- ت: شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة-ط: 1400-02-هـ- ص:62.

5- ابن الجزري شمس الدين أبو الخير- غاية النهاية في طبقات القراء- مكتبة ابن تيمية-د-ت- ج: 02/ص:331.

طلبه للعلم وشيوخه:

كان الإمام نافع ممن أكثروا الأخذ عن الشيوخ، حتى ذكروا عنه أنه أخذ عن سبعين من التابعين¹، ويعتبر الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع² المدني أول من التقى بهم الإمام نافع من أهل القراءة.

ومن أهم شيوخه أيضاً: شعبة بن نصاح القاضي³، وعبد الرحمن بن هرمز⁴، ومسلم بن جندب⁵.

تولى الإمام نافع مشيخة الإقراء بالمدينة بعد هؤلاء، وإمامة مسجد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-مدة ستين سنة، وتوفي سنة:169هـ.

وكان ممن أخذ عنه القراءة خلق كثير، برز منهم أعلام:

- قالون: تولى خلافته على إمامة الإقراء بالمدينة من بعده ربيب ابن زوجته، حيث نشأ في بيته وهو عيسى بن مينا المعروف بقالون⁶، الذي ذكر أنه كان « يقرئه قراءة الفراش: يعني يعني الدار »⁷.

لزم قالونُ نافعاً خمسين سنة⁸، وهو دليل على شدة متابعتة له، وقد سئل أيضاً كم

1- ذكر الذهبي عن أبي قرّة موسى بن طارق: سمعت نافعاً يقول: "قرأت على سبعين من التابعين". الذهبي

شمس الدين- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار-ج:01/ص:64.

2- أبو جعفر بن يزيد القعقاع أحد القراء العشرة، وهو مدني مشهور رفيع الذكر، أخذ عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما، توفي سنة:127هـ ينظر: معرفة القراء الكبار-ج:01/ص:40.

3- شعبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المدني المقرئ الإمام، مولى أم سلمة -رضي الله عنها، وأحد شيوخ نافع في القراءة، وقاضي المدينة ومقرئها مع أبي جعفر. أدرك أم المؤمنين عائشة وأم سلمة - رضي الله عنهما، وقرأ القرآن على عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة، توفي سنة ثلاثين ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار-ج:01/ص:45.

4- عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني مولى محمد بن ربيعة. أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس -رضي الله عنهما، وعبد الله بن عباس بن أبي ربيعة، وأكثر من السنن عن أبي هريرة، قرأ عليه القرآن نافع بن أبي نعيم وغيره. توفي عام سبعة عشر ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار-ج:01/ص:44.

5- مسلم بن جندب أبو عبد الله المدني القارئ القاص مولى هذيل، قرأ القرآن على عبد الله بن عباس المخزومي مقرئ المدينة، وحدث عن: أبي هريرة، وحكيم بن حزام، وابن عمر، وابن الزبير وأسلم مولى عمر وغيرهم، قرأ عليه نافع الإمام وتأدب عليه عمر بن عبد العزيز. مات في خلافة هشام بن عبد الملك، بعد سنة عشر ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار-ج:01/ص:46.

6- ابن الجزري- غاية النهاية في طبقات القراء-ج:01/ص:615.

7- عبد الهادي حميتو- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش- منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب-1424هـ/2003م-ج:01/ص:208.

8- المارغيني ابراهيم- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع- دار الفكر- بيروت-1429هـ/2008م-ص:14.

قرأت على نافع؟ فقال: «ما لا أحصيه كثرة، إلا أني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة»¹.

- ورش: هو أبو سعيد، وأبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو، مولى آل الزبير. قيل: ولد سنة عشر ومئة، شيخ القراء المحققين، وإمام أهل الأداء المرتلين، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه. ولد سنة عشرومئة بمصر، ورحل إلى نافع ابن أبي نعيم، فعرض عليه القرآن عدة ختمات في سنة خمس وخمسين ومئة².

جَوَّدَ ختماتٍ على نافع، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه، والورش: لبن يصنع. وقيل: لقبه بطائر اسمه ورشان، ثم خفف، فكان لا يكرهه. ويقول: نافع أستاذي سماني به³.

تلا عليه: أحمد بن صالح الحافظ، وداود بن أبي طيبة، ويوسف الأزرق، وعبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم، ويونس بن عبد الأعلى، وعدد كثير.

وكان جَيِّدَ القراءة، حسن الصوت، لا يمله سامعه، ومات بمصر في سنة سبع وتسعين ومئة عن سبع وثمانين سنة⁴.

وقال النحاس: قال لي أبو يعقوب الأزرق: إن ورشاً لما تعمق في النحو وأحكمه اتخذ لنفسه مقراً يسمى مقراً ورش، قلت: يعني مما قرأ به على نافع⁵.

وقد انتشرت قراءة الإمام نافع من رواية الإمام ورش، وأصبحت القراءة المتعارف عليها في المساجد، والتي ينشأ عليها الصبيان في حفظهم للقرآن، والقراء في قيامهم بالناس.

المطلب الأول: قراءة نافع في الجزائر.

إن البحث في الجانب التاريخي لدخول القراءة واستقرارها في منطقة معينة، تفرض علينا فهم العناصر المؤثرة في تلك المناطق، بما في ذلك التأثير على الاتجاه العلمي.

وبالنسبة للجزائر فإنها لم تكن بمنأى عن تلك الحركة العلمية في شمال إفريقيا وامتداداتها إلى الأندلس؛ فالنشاط العلمي السائد كان مشتركاً إلى حد بعيد، وهو ما يتجلى في المذهب الفقهي والقراءة.

ولا شك أن أول أمر يمكن أن يلاحظه المتتبع لتاريخ الأندلس منذ أول الفتح وخلال عصر الولاة الذي امتد إلى أواخر العقد الرابع من المائة الثانية، هي التبعية لما هو سائد في بلاد الشام، وهيمنة العناصر الشامية على الحياة، وذلك أمر طبيعي لما نعلمه من تبعية سياسية لهذه المناطق للخلافة بالشام، لأن فتحها كان على أيديهم، ولذلك لم يكد ينتهي

1- غاية النهاية-ج:01/ص:615.

2- المارغيني إبراهيم- النجوم الطوالع-ص:13.

3- معرفة القراء الكبار- ج:01/ص:91، وغاية النهاية- ج:01/ص:502.

4- النجوم الطوالع- ص:13.

5- معرفة القراء الكبار- ج:01/ص:92.

الفتح حتى امتلأت الأندلس بالشاميين.

وبذلك دخلت قراءة ابن عامر الشامي¹ منطقة شمال إفريقيا بعد الفتح الإسلامي؛ فكانت أول القراءات انتشرا على يد الدعاة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز، وبخاصة إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر²، الذي أسلم على يديه عامة أهل البربر³.

قال المقرئ في نفح الطيب: «واعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي وأهل الشام منذ أول الفتح»⁴.

واستمر المغاربة والأندلسيون يُقرءون القرآن الكريم برواية هشام عن ابن عامر ما يزيد على القرن⁵.

ثم في المئة الثانية، انتشرت في القيروان قراءة حمزة⁶ على يد المقرئين القادمين من بغداد والكوفة مع الولاة العباسيين، قال ابن الجزري: «ولم يكن يقرأ لنافع إلا خواص من الناس»⁷.

أما قراءة نافع فإن المؤرخين للقراءة قد أطبقوا على إسناد الريادة في دخولها للأندلس إلى الغازي بن قيس⁸ القرطبي، وكان ممن رحل إلى المدينة للقاء مالك والأخذ عنه، فكان

1- عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي، أبو عمران، إمام أهل الشام في القراءة وأحد القراء السبعة، أخذ القراءة عرضا عن أبي الدرداء، ولد سنة 21 هـ وتوفي سنة 118 هـ في دمشق. ينظر: ابن الجزري-غاية النهاية في طبقات القراء- ج:01/ص:424.

2- أبو عبد الحميد المخزومي مولاهم الشامي، سمع أم الدرداء روى عنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر في الصوم. ينظر: الكلاباذي أحمد بن محمد-الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسادات:عبد الله الليثي-دار المعرفة-بيروت-ط:01-1407هـ-ج:01/ص:69.

3- البَلَذْرِي أحمد بن يحيى- فتوح البلدان-دار ومكتبة الهلال- بيروت-1988م-ص:229.

4- أحمد بن المقرئ التلمساني- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب-ت:إحسان عباس- دار صادر- بيروت-1997م-ج:03/ص:230.

5- ينظر: عبد الهادي حميتو-قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش-ج:01/ص:121.

6- حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الكوفي، أبو عمار، لقب بالزَيَّات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، أحد القراء السبعة، أدرك الصحابة بالنسبة، ولعله رأى بعضهم ولد سنة 80 هـ، توفي سنة 156 هـ. ينظر: ابن الجزري-غاية النهاية في طبقات القراء- ج:01/ص:261.

7- غاية النهاية في طبقات القراء-ج:02/ص:217.

8- الغازي بن قيس، أموي يكنى: أبا محمد، من أهل قرطبة. رحل قديماً فسمع من مالك الموطأ وسمع من ابن أبي ذئب وابن جريج والأوزاعي وثور بن يزيد ومحمد ابن وردان، شهد مالكا وهو يؤلف الموطأ ظاهراً، وانصرف إلى الأندلس يعلم عظيم، نفع الله به أهلها. وأدب بقرطبة قبل رحلته، وكان إمام الناس بها في القراءة. توفي فيها قبل سنة تسع وتسعين ومائة.

ينظر: القاضي عياض أبو الفضل بن موسى -ترتيب المدارك وتقريب المسالك-ت: عبد القادر الصحراوي-مطبعة فضالة - المغرب - ط:01-1970م-ج:03/ص:114.

الرائد الأول في إدخال قراءة نافع، في حين أنه أيضا أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس¹. وقد كانت حلقة نافع بن أبي نعيم في هذا المسجد لا تقل عن حلقة مالك الفقهية في الكثرة والأزدحام ونوعية العارضين للقراءة عليه من أقطار البلدان الإسلامية، مما كان يتيح لمرتاد هذا المسجد أن يحصل في آن واحد على قراءة أهل المدينة وفقهها معا متنقلا بين حلقتي نافع ومالك، حتى إذا عاد من رحلته اتجه إلى ما قدر له من غلبة القراءة أو الفقه أو رواية الحديث أو نحو ذلك مما يقصده الطلاب فيه².

ويترتب عليه أن كل من أخذ الفقه زواج معه القراءة، وبهذا يمكن اعتبار الجرم الصغير من رواة الفقه المالكي الذين تلقوه عن مالك ما بين زمن تصدّره حوالي سنة (117هـ)³ ووفاء ووفاء نافع (ت 169هـ) هم في الوقت ذاته من رواة قراءة نافع على نسبة ما أُتيح لكل واحد منهم بحسب اهتمامه ومدة مكثه بالمدينة، ولاسيما إذا اعتبرنا قيام نافع بإمامة الناس في الصلاة بالمسجد النبوي ستين سنة.

إلا أن المنافسة ما تزال بينها وبين غيرها من القراءات، وبالأخص بينها وبين قراءة حمزة؛ فجاء بعد الغازي بن قيس من أهل الأندلس من نشرها وأثبتها قراءة رسمية وهو الإمام محمد بن خيرون⁴، الذي قدم من رحلته إلى مصرفنزل القيروان.

قال ابن الجزري: «وهو الذي قدم بقراءة نافع على تلك البلاد؛ فإنه كان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ لنافع إلا خواص الناس؛ فلما قدم ابن خيرون القيروان اجتمع عليه الناس ورحل إليه القراء من الآفاق»⁵.

ونلاحظ في ترجمته التي أثبتها ابن الجزري أن من تلامذته الذين أخذوا عنه القراءة الشيخ علي ابن محمد البجائي الجزائري⁶، مما منحها انتشارا في أوساط المناطق الجزائرية تبعا لنشاط هذا العالم.

لكن د. عبد الهادي حميتو يذهب إلى أن اتصال قراءة نافع بقراءة حمزة حصل قبل

1- غاية النهاية-ج:02/ص:296. ترتيب المدارك-ج:03/ص:114.

2- ينظر: عبد الهادي حميتو-قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش-ج:01/ص:126.

3- تصدر مالك للفتوى في حياة شيخه نافع مولى عبد الله بن عمر (ت 117 هـ). ينظر: قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش-ج:01/ص:126.

4- محمد بن عمر بن خيرون أبو عبد الله المعافري الأندلسي ثم القروي، شيخ القراء بالقيروان، أخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن سيف وإسماعيل النحاس ومحمد بن سعيد الأنماطي وعبيد بن محمد، له: كتاب الابتداء والتمام وكتاب الألفات واللامات، توفي بمدينة سوسة يوم الاثنين النصف من شعبان سنة ست وثلاثمائة. ينظر: ابن الجزري- غاية النهاية-ج:02/ص:217.

5- غاية النهاية-ج:02/ص:217.

6- لم أعر على ترجمته.

ذلك بكثير، قال: « ونخلص من هذا إلى تأكيد انتشار قراءة نافع بإفريقية قبل الوقت الذي حدده ابن الفرضي. وأن هذا الانتشار قد كان في زمن سحنون، وربما في العقود الأولى من المئة الثالثة، ثم تزايد الإقبال عليها من لدن الجمهور بتدخل من السلطة القضائية لصالحها، وبالأخص على عهد ولاية سحنون للقضاء سنة 234 هـ¹.

وعلى كلتا الحالتين؛ فإن الترجيح يبقى باعتبار ظروف بروز القراءة وهيمنتها على الجو العلمي، وكذا إلى تبعيتها للمذهب الفقهي؛ فإن الإمام سحنون هو الذي رسم المذهب المالكي كمذهب للسلطة، على حسب التعليل التاريخي للأستاذ عبد الهادي حميتو، وقد لخص عوامل اعتماد قراءة نافع قراءة رسمية في سبعة أمور²:

1- الرحلة إلى الحجاز.

2- إثارة مذاهب أهل المدينة على غيرها.

3- العلاقة بين القراءة والمذهب.

4- النقل المزدوج للقراءة والمذهب معا على أيدي الرواد.

5- تشجيع السلطة الحاكمة وتدخلها.

6- الرغبة في استقلال الشخصية عن المشرق.

7- ميل المغاربة إلى الوحدة السياسية والمذهبية والفكرية.

كما أن البيئة المغاربة ساهمت في تأقلم الناس مع قراءة نافع، ومناسبتها للمعتاد عندهم من الظواهر الصوتية المنتشرة.

المطلب الثاني: عوامل استقرار قراءة نافع بالجزائر

استقرت مدارس الإقراء على القراء العشرة المعروفين، واهتم العلماء باختياراتهم في القراءة، وعليها جرى التأليف في علم القراءات، وهؤلاء القراء هم: نافع بن أبي رؤيم المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم الكوفي، وحمزة بن حبيب الكوفي، وعلي الكسائي، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، ويعقوب الحضرمي، وخلف في اختياره.

وكان لاستقرار ربوع عامة الجزائر على قراءة نافع من رواية ورش عوامل مؤثرة في هذا التمسك التاريخي، وأذكر ثلاثة من هذه العوامل:

أولاً: الاهتمام بأخذ الإسناد.

فقد كان العلماء وحملات القرآن الكريم على دراية بأهمية الإجازة في قراءة القرآن، وأهمية أخذ القراءة بالسند المتصل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فكان هذا الأمر

1- عبد الهادي حميتو-قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش-ج:01/ص:138.

2- عبد الهادي حميتو-قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش-ج:01/ص:149.

من مميزات الرحلة العلمية إلى المشرق، ومن أهم مجتنياتها، وقل من كان يتصدر لأمر الإقراء وتعليم القرآن إلا وله مبلغ من هذا الجانب.

ومما يمكن التدليل عليه هو الإجازات التي أحرز عليها شيوخ القراءات بتوات وفي الجنوب الجزائري عموماً، وقد ذكر الشيخ محمد باي بلعالم، أسانيد الشيخ سيدي عبد الرحمن بن بعمر التلاني¹ التي تلاقها عن مشايخه في رحلاته العلمية، وأجازها تلامذته، ومن شيوخه الذين ذكر أسانيدهم:

✓ الشيخ سيد صالح بن محمد الغماري: حيث نقل تلميذه السيد المحفوظ بن محمد بن الحاج محمد التيمائي إجازة شيخه التلاني على هذا الشيخ من روايتي ورش وقالون، بعد أخذها عنه، ثم طلب منه سنده في ذلك فكتب إليه سيدي عبد الرحمن التلاني إجازة بسنده جاء فيها : « .. وبعد فقد من الله عليَّ بملاقة الشيخ الفاضل، النبيل الأريب، الأستاذ الفقيه المشارك النبيه شيخنا سيد صالح بن محمد الغماري، فغمرني بنواله وخصني بإكرامه .. قرأت عليه القرآن العظيم برواية قالون من طريق أي نشيط، وسمعت منه كثيراً برواية ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق، وقد قرأه رضي الله عنه على شقيقه سيدنا ومولانا العلامة الولي الصالح الشهير في أقطار الأرض، العديم النظير من غير مدافع ولا نكير، أبي العباس سيدي أحمد الحبيب سقى الله ضريحه بشأبيب رحمته بالقراءات العشر، وأخذة عن جماعة منهم العلامة الشيخ علي الشيراملسي، وهو عن الشيخ عبد الرحمن اليميني²، إلى أن وصل بسنده إلى إمام القراء ابن الجزري، ثم إلى نهاية الإسناد إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى جبريل إلى رب العزة.

فطريق السند الذي كان سائداً ومعتماً هو طريق الإمام الشاطبي في حرزه، وهو مما يفهم من طرق روايتي قالون وورش، وهما على التوالي أبو نشيط والأزرق.

- ومن المقررات المعتمدة أيضاً في قراءة نافع: "كتاب الدرر اللوامع في مقراً الإمام نافع" لابن بري التازي (730هـ)، حيث أخذه الشيخ عبد الرحمن التلاني على الشيخ الحاج عبد الرحمن بن محمد التواتي التماوي، وقد التقى به في بلده بتوات، كما أخذ عنه الإجازة في مقراً الإمام نافع من طريق الشاطبية، وقرأ عليه الدرر اللوامع³.

1- هو الشيخ عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف، مسقط رأسه بـ تنلان وهي إحدى قصور تيجي في الشمال الشرقي لمدينة أدرار، من مؤلفاته: مختصر السمين في إعراب القرآن، مختصر النوادر والزادات لابن أبي زيد القيرواني. توفي في: 29 من شهر صفر 1189هـ بمصر. ينظر: محمد باي بلعالم- الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التلاني- دار هومة- الجزائر- 2004م- ص: 71-03.

2- محمد باي بلعالم- مقال بمجلة: رسالة المسجد- ص: 05-العدد: 01-رجب: 1428هـ/جويلية: 2007م- ص: 29، 30.

3- محمد باي بلعالم- الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التلاني- ص: 24، 25.

- ومن إجازات الشيخ المغربية في قراءة نافع ما أخذه في رحلته إلى سجلماسة على الشيخ سيدي صالح بن محمد الغماري السجلماسي ثم اللمطي، الذي قرأ عليه القرآن كله وطلب منه الإجازة فيه، وذكر سنده عن أخيه الشيخ سيدي أحمد الحبيب السجلماسي وأبيه سيدي محمد المكي عن الشيخ إبراهيم المسكوري عن الشيخ عبد الرحمن بن القاضي عن أبي زيد عبد الرحمن الفلالي عن شيخه الشريف الميرني عن سيدي قاسم بن إبراهيم عن ابن غازي عن الأستاذ الصغير عن أبي العباس الفلالي عن أبي عبد الله الفخار السماني عن الزواوي عن أبي الحسن بن سليمان عن أبي جعفر بن الزبير عن ابن العجلان عن ابن حستون عن ابن بقي عن ابن العرجاء عن الطبري وابن هرمز عن أبي هريرة عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم¹.

ثم اشتغل هذا العالم بتبليغ أسانيده في مقراً الإمام نافع، وممن أخذ عنه: السيد المحفوظ بن محمد بن الحاج محمد التيمائي، والشيخ محمد بن مالك القبلي.

وكلها أسانيد مثبتة، كانوا يهتمون بضبطها وتحري طبقاتها حتى لا يضيع منهم هذا الكنز، ويؤرخون لها تقييدا وزيادة في الضبط والتحري، ومن ذلك أن الشيخ القبلي نقل عدة أسانيد عن الشيخ التماوي لولده حمزة القبلي الذي أجاز بدوره ابن أخيه السيد محمد عمر المعروف ب:بابا، وهي مؤرخة في ربيع الثاني من عام 1335هـ².

ومن الأسانيد الجزائرية المثبتة ما ذكره الشيخ محمد البوجليلي في رسالة له في القراءات، جاء في ديباجتها «..أما إسناد قراءتنا فأقول إني افتتحت قراءتي صغيرا عن والدي رحمه الله، ثم انتقلت عام 1261هـ إلى مقام الولي الصالح سيدي عبد الرحمن اليلولي، فقرأت هناك على أشياخي السيد العربي الأخداشي بعض ختمة برواية قالون، والسيد الطاهر معمر الجنادي حين كان هناك تلميذا، والسيد محمد بن علي بن مالك..ثم أقرأت بعد نحو ثلاثين سنة في المقام المذكور، على حسب وقت الرقم وتمام عامه سبعة أعوام أولها عام 1297هـ، وقرأ الجنادي على الشيخ السيد محمد بن يحيى البراتني، وعن الشيخ الأخداشي أفرادا وعشرا، وعن الشيخ السيد محمد بن علي المزبور عشرا ونحو..»³.

فهذا تأكيد آخر على قيمة السند عند علماء الجزائر ومدى حظوتهم به، بالإضافة إلى الدور التعريفي بمشايع الإقراء وأسانيدهم.

ثانيا: المدارس الإقرائية.

عرفت الحركة العلمية بالجزائر نشاطا مكثفا في خدمة القرآن الكريم من جميع

1- المرجع السابق-ص:33.

2- المرجع نفسه-ص:36.

3- نقلا عن: المهدي بوعبدلي، مجلة: رسالة المسجد-س:01-العدد:08-محرم:1425هـ/مارس:2004م-ص:16.

نواحيه، ومن ذلك تعليمه وضبط حروفه وطرق أدائه، وكانت المدرسة المتكفلة بهذا الجانب تأخذ أشكالاً متنوعة من الجامع والكتّاب المرتبط به، والزوايا، إلى غاية منزل المدرس والشيخ، ومما ساعد على هذا التوجه والارتباط بهاته المعازل هي تلك النزعة الموجودة في أهل الجزائر نحو تعظيم علماءها وإجلالهم، وعدم التقدم بين يديهم في تصدر العلم، مما حدا بالكثير من الأمراء المتعاقبين على حكم الأقطار الجزائرية إلى تشجيع العلماء على إنشاء مدارس خاصة بالإقراء، وهو عامل ساهم في تثبيت قراءة نافع، على اعتبار أن علماء المنطقة كانوا على تلك القراءة تبعاً لعلماء المذهب المالكي الذين عرفوا بها.

ويذكر يحيى ابن خلدون في كتابه "بغية الرواد في ملوك بني عبد الواد" جهود الجزائريين في بناء المدارس في عهد أبي حمو موسى بن يوسف الثاني (791هـ)، حيث بنى بتلمسان مدرستين:

- الأولى بالعُباد على ضريح أبيه أبي يعقوب يوسف (763هـ).

- والثانية هي مدرسة ابني الإمام، نسبة إلى الفقيمين أبي زيد عبد الرحمن (741هـ) وأبي موسى (749هـ) ابني محمد بن عبد الله التنسي، لما نزلا تلمسان زمن أبي حمو موسى.

وكانت في منطقة زواوة محاضر اهتمت بتعليم القراءات المتواترة وخصوصاً بقراءة نافع، واشتهر من علمائها الشيخ محمد بن صولة، والشيخ محمد بن أبي القاسم البوجليلي¹.

كما كانت لهذه المدارس طرق خاصة في العناية بالجانب الإقرائي لدى الطالب، منها ما نقله صاحب "المعيار المغرب" عن الشيخ أحمد بن محمد بن زكريا التلمساني قوله: «جرت عوايد الشيوخ قديماً وحديثاً أن يجتهدوا في فصل الشتاء بسرر القليل من المسائل وإفراغ الوسع في نقل ما للعلماء فيها، وتحقيق ما يخصها من مباحث وأنظار، لا يسمحون لأنفسهم في هذا الفصل بشيء من البطالة، فإذا انصرم هذا الفصل أجمّوا على أنفسهم بعض الإجمام، ثم شرعوا في إقراء الطلبة...»²، فكانوا يستغلون أوقات النشاط والجد في الإقراء، لما فيها من الصعوبة وأخذ الوقت الكثير، وهو ما يناسب فصل الصيف عندهم.

كما يضعنا ابن خلدون في منهج هؤلاء وطرقهم في تعليم القرآن، فيقول: «فأما أهل المغرب، فمذهبيهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس

1- محمد بن أبي القاسم البوجليلي، نسبة إلى قرية بوجليل ببجاية، ولد عام 1826م وتلمذ على يد والده الشيخ الذي كان معلماً في الكتّاب، ثم بعثه إلى زاوية الشيخ سيدي عبد الرحمن اليلولي، وأخذ على شيخ الزاوية وقها المفري محمد بن يحيى اليراتي، فجمع عليه القراءات، توفي سنة 1316هـ من أهم مؤلفاته: التبصرة في قراءة العشر، وهو في تحرير وضبط الطرق العشر النافعية. ينظر: بحث منشور: العشر النافعية وامتداداتها في الجزائر-حسين وعلي-المؤتمر العالمي الأول للقراءات-مراكش المغرب- ماي 2013م-ص:12.

2- الوئشريسي أحمد- المعيار المغرب- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط: 01-1981م-ج: 07/ ص: 238.

بالرسم و مسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعروا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه؛ فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة.

وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب، في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشيبية، وكذا في الكبير إذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره؛ فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم¹.

وهذا المنهج في أفراد القرآن بالدراسة هو الذي أكسب أهل المغرب قوة وضبطاً أمتن من غيرهم، فاشتهرهم بحفظ القرآن لا يضاهى بغيرهم، وكذا في التأليف في مسائله وعلومه، وهذا ما يوجهنا إلى العامل الثالث.

الثالث: التأليف في القراءات

شكّل التأليف في القراءات حلقة مهمة من حلقات تثبيت قراءة نافع بالجزائر، لكنه لم يكن كثيفاً بل اعتمد على الحاجة إلى ضبط بعض المسائل في القراءات، أو جمع ما استصعب من الأوجه ودقائق المسائل في أراجيز علمية ومؤلفات خاصة، إذ الاعتماد كان لا يزال على كتب المتقدمين، كنظم الشاطبي في القراءات السبع، و"الدرر اللوامع" لابن بري، وفي الرسم على: "مورد الظمان" للشريشي المعروف بالخراز، وشرحه "الطراز في شرح ضبط الخراز" لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني.

ومن المؤلفات البديعة التي اختصت بقراءة نافع لعلماء الجزائر:

- تقريب النافع في الطرق العشر لنافع، لمحمد بن أحمد شقرون المعروف بالوهراني (899هـ)، تحوي منظومته اثنين وثلاثمائة بيت.

- تقييد قراءة نافع، لمحمد بن توزين العبادي التلمساني (1118هـ) الذي خصص كتابه لكيفية جمع الطرق وتحريرونها على قراءة الإمام نافع.

- الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء، لأحمد بن ثابت التلمساني (1158هـ).

ولاشك أن تأليف هذه الكتب وغيرها مما هو حبيس دور المخطوطات نشأ عن حاجة ماسة لخدمة القراءة الشائعة في زمن أولئك المؤلفين، مما انعكس على خدمة القراءة وتثبيت دعائمها كمرجعية للقراءة في الجزائر.

المطلب الثالث: أثر قراءة نافع في الحركة العلمية بالجزائر

عرفت قراءة نافع امتدادات على مستوى واسع في النشاط العلمي بالجزائر تأليفاً وتدریسا، وكانت مميزات القراءة النافعية حاضرة في جهود علماء الجزائر على مختلف مستويات نشاطهم؛ إذ هي القراءة المرتضاة والنبع الذي نشأ عليه العلماء؛ فاعتنوا بها أيما

1- ابن خلدون عبد الرحمن- المقدمة- الدار التونسية للنشر- ط: 1984-01-م- ج: 02/ص: 701.

اعتناء.

ويمكن الكشف عن هذا التأثير للقراءة في الأوساط العلمية، من خلال ما يلي:

✓ اعتماد قراءة نافع من رواية ورش قراءة رسمية لدى الأئمة في المساجد، ومقررا في مدارس تحفيظ القرآن.

وما ذلك إلا لتحقيق نوع من التكامل بين طبقات المجتمع في كتاب ربهم، وحتى لا يدخل اللبس على عوام الناس في قراءة القرآن إن هم استمعوا إلى رواية أخرى.

✓ كما أن قراءة نافع كانت حاضرة عند المفسرين الجزائريين؛ فجعلوها القراءة الأساس لتفاسيرهم، ولا يخفى ما لمعرفة قراءة المفسر من أهمية في فهم معاني الآيات المفسرة¹، ومن المتقدمين يبرز تفسير الإمام عبد الرحمن الثعالبي الموسوم بـ: الجواهر الحسان، فعلى كثرة إيراده للقراءات كانت قراءة نافع هي المقدمة عنده.

ومن المتأخرين الإمام عبد الحميد بن باديس -رحمه الله- في: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، وكذا الشيخ اطفيش في تفسيره². والشيخ أبو بكر الجزائري في "أيسر التفاسير" الذي اعتمد على رواية ورش اعتمادا مطلقا دون الإشارة في الغالب إلى غيرها عند اختلاف القراءات.

1- دأب كثير من المفسرين على بيان القراءة التي سيعتمدونها، وذلك في مقدمة التفسير، ومن هؤلاء الذين اعتمدوا قراءة نافع:

- ابن جزي الغرناطي في تفسيره: "التسهيل لعلوم التنزيل" فقال: « وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجوب أحدهما أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب الأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة ».

- ابن جزي محمد-التسهيل لعلوم التنزيل-دار الكتب العلمية-بيروت-ط:01-ص:1415/هـ/1995-/
ج:01/ص:10.

- ابن عاشور في تفسيره: "التحرير والتنوير" فقال: « وأبني أول التفسير على قراءة نافع برواية عيسى ابن مينا المدني، الملقب بقالون؛ لأنها القراءة المدنية إماما وراويا، ولأنها التي يقرأ بها معظم أهل تونس.. والقراءات التي يقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام من هذه القراءات العشر، هي قراءة نافع برواية قالون في بعض القطر التونسي وبعض القطر المصري، وفي ليبيا وبرواية ورش في بعض القطر التونسي وبعض القطر المصري، وفي جميع القطر الجزائري وجميع المغرب الأقصى ».

- ابن عاشور محمد الطاهر-تفسير التحرير والتنوير- دارسحنون -تونس-1997م-ج:01/ص:63.

2- في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ أَمُنْتُكُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ ﴾ [الأعراف:123]، قال -رحمه الله-: «- " أَمُنْتُكُمْ بِهِ " من ثلاث همزات في الأصل، الأولى للاستفهام التوبيخي مخففة محذوفة في الإمام، والثانية همزة أفعل مسهلة بين همزة مفتوحة وبين همزة ساكنة ثابتة، وهي همزة آمن كأكرم وأعلم زائدة، وبعدها ألف محذوفة في الإمام تتولد من حصة الفتح في الثانية الثابتة .. هذه قراءة نافع، وهي في خطنا معشر المغاربة..». اطفيش محمد بن يوسف-هميان الزاد-/208-المكتبة الشاملة- الإصدار الخامس.

✓ الاهتمام برسم القرآن الكريم وضبطه على رواية ورش، حيث كانت المدراس القرآنية تُولي اهتماما كبيرا بالرسم، وكان تعليمه متوازيا مع الحفظ في الألواح مما يُكسب الطالب تشبعا بمباحثه، ورسوخا في مسائله، حتى إن حامل القرآن لا يعتبر حاذقا وضابطا للختم إلا إذا كان له رصيد مهم من علم الرسم عن طريق حفظ المنظومات المتعلقة به، ويكون للشيخ دور مهم في إملاء تلك التقييدات في الرسم لمن يراه كفؤا وأهلا لها. كما اشتهرت تقييدات باللهجة الدارجة تسهيلا لحفظها وسرعة استظهارها.

لكن هذا الاهتمام طغى على حفظ الأسانيد والاهتمام بأخذ الإجازات مما أضعفَ هذا الجانب، وانعكس القصور فيه على القراءة عموما؛ فدخل اللحن فيها، وكثر الخطأ في ضبط أوجه القراءة.

✓ حضور الكثير من المظاهر الصوتية المتعلقة برواية ورش في كلام العامة، كنقل الهمز من نحو: الأرض، الايمان .. وهو أثر من آثار حمل الرواية على الكلام اليومي.

فهذا الاندماج بين قراءة نافع بما تحويه من ميزات تاريخية والقراءة في الجزائر أكسب القراءة رسوخا في هذه البلاد، على الرغم من الانفتاح الحاصل على القراءات الأخرى ورواياتها.

خاتمة

إن دراسة تاريخ قراءة نافع في الجزائر وثبات أهلها عليها وشدة تمسكهم بها، مكنتنا من الوصول إلى النتائج الآتية:

- دخول قراءة نافع للجزائريين مشتركا ومتزامنا مع دخولها للأندلس وشمال إفريقيا.
- قراءة نافع كانت ولا تزال مرتبطة مع المذهب الفقهي الذي عليه عامة أهل الجزائر؛ وهو من أهم أسباب استقرار القراءة على مقرأ أهل المدينة.
- كما أن نظرة أهل الجزائر لمدرسة المدينة الفقهية والإقرائية وإجلالها انطلاقا من تعظيم مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان له الأثر الأكبر في هذا التمسك.
- كان لعلماء الجزائر دور مهم في المشاركة في خدمة قراءة نافع تدوينا للمؤلفات الخادمة لها، وتأسيسا للمدارس الإقرائية المعنوية بها.
- وبرز من خلال البحث في تاريخ القراءة بالجزائر اهتمام علماءها بالإسناد في قراءة نافع ورواية ورش على الأخص؛ فحفظوا تلك الأسانيد وأدّوها لمن بعدهم، وكل ذلك خدمة لكتاب الله، وعِرفانا منهم بأهمية الإسناد في ضبط الجانب الأدائي للقراءة.
- وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المدارس القرآنية الرسمية في الجزائر بين الواقع والمأمول دراسة نظرية ميدانية - مدينة باتنة أنموذجا

د/ بشير قادره

كلية العلوم الإسلامية، وكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة باتنة 1

bachirgadra@gmail.com

ملخص البحث

انطلقت هذه الدراسة الميدانية من إشكال قلة حفظة القرآن الكريم، من خلال معاناة البحث عنهم في شهر رمضان لصلاة التراويح، ومن ثم تهدف الدراسة إلى معرفة واقع المدرسة القرآنية الرسمية، التي أنشئت منذ أكثر من عشرين سنة، كما هي في الواقع وماذا تقدم للإنسان الجزائري في مجال القرآن الكريم تعلمًا وتلاوة وفهما وحفظًا، ومن ثم بناء الإنسان المسلم المتوازن، وجاءت الدراسة في ثلاث محاور كبرى هي:

. محور واقع المدرسة القرآنية الرسمية كما هي في الواقع. . محور ما يأمله الدين والمجتمع من المدرسة القرآنية.

. وأخيرًا/ عوائق المدرسة القرآنية وكيف يمكن تذليلها. وكانت أهم نتائج الدراسة المتوصل إليها هي:

- 1/ المدرسة القرآنية بدون تكفل مالي من الدولة.
- 2/ لا يوجد لها هدف واضح تسعى لتحقيقه.
- 3/ تعيش على نفقات المحسنين إن وجدوا.
- 4/ تدرس مبادئ العلوم الشرعية.
- 5/ من يدرس بالأقسام النموذجية بها يخوض مسابقات التوظيف بقطاع الشؤون الدينية كمعلم(ة) للقرآن الكريم.
- 6/ تأثنت لعزوف الذكور عن التعليم القرآني.
- 7/ طرق التحفيظ بها لا تساعد على الحفظ الجيد.
- 8/ يقصدها الصغار في القسم التحضيري كمعبر للدخول إلى المدرسة النظامية.
- 9/ يمكن أن تؤدي دورها إذا أعيد النظر في هدفها والتكفل المالي بها.

مقدمة

لكتاتيب القرآن الكريم مسار تاريخي في تعليم القرآن، وتحفيظه، والمحافظة عليه، لدى الصغار منذ ظهور تلك الكتاتيب عبر التاريخ الإسلامي، ليس في الجزائر فقط، ولكن على مستوى ربوع العالم الإسلامي، وفي الجزائر ظهرت كتاتيب التعليم القرآني في زمن مبكر، بظهور المساجد بالجزائر في القرن الأول الهجري (القرن السابع الميلادي) وتم تأسيس هذه الكتاتيب بجوار المساجد للحاجة إليها، في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم للصغار من جهة، وللمحافظة على نظافة المسجد ووقاره من ضوضاء الأطفال وأوساخهم من جهة أخرى. وكان لهذه الكتاتيب الدور الكبير في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر، في مواجهة التنصير والتمسيح والفرنسة، ومن ثم حماية الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية من الذوبان الذي كان يسعى إليه المحتل، ومقاومة سياسة التجهيل التي كانت تتبعها إدارة المحتل إزاء الجزائريين¹. حيث كانت الكتاتيب هي ملجأ الجزائريين للتعلم من جهة، وحفظ القرآن الكريم والمحافظة عليه من جهة أخرى.

ثم تعزز هذا الدور من خلال النقلة النوعية التي أحدثها المرسوم المنشئ للمدارس القرآنية، في بداية التسعينيات من القرن العشرين.

. حيث يبلغ اليوم عدد المدارس القرآنية على مستوى ولاية باتنة 27 مدرسة، وفي مدينة باتنة عاصمة الولاية وحدها 13 مدرسة حسب الإحصاءات الرسمية² وينتسب لكتاتيب ومدارس التعليم القرآني لولاية باتنة 13969 متمدرسا منهم 7767 من الإناث & 6202 من الذكور حسب إحصاء نهاية 2015.³

. وقد تعزز دور المدارس القرآنية، بما يمنحه لها المرسوم المنشئ لها في مجال تعليم العلوم الشرعية في المدارس القرآنية، مما يجعل دورها لا يتوقف عند تحفيظ القرآن الكريم فقط، كما كان الشأن للكتاتيب، ولكنه توسع الدور إلى فهم القرآن الكريم، من خلال ما يرافق تحفيظ القرآن الكريم، بما يدرس فيها من العلوم الشرعية، ومن ثم محاولة تحقيق الفهم للقرآن الكريم، المنشئ للسلوك المطلوب، وبناء الإنسان المسلم، كمقصد أساسي للقرآن الكريم.

. تأتي هذه المداخلة الموسومة ب/ المدارس القرآنية في الجزائريين الواقع والمأمول: دراسة

1. بوعزيز، يحي. المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر، منشورات ANEP، 2002، ص 13، 15.

2. سلمت لنا هذه المعلومات يوم 13/أكتوبر/2016م من خلال المقابلة التي أجريتها مع رئيس مكتب التعليم القرآني لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة.

3. مصدر المعلومات المقابلة التي أجريت مع رئيس مكتب التعليم القرآني للمديرية المذكورة، بتاريخ 13/أكتوبر/2016.

نظرية ميدانية . مدينة باتنة أنموذجا . في إطار المحور والعنصر التي سبق ذكرها، لتلقي مزيدا من الضوء على واقع المدرسة القرآنية، في مجال المحافظة على القرآن الكريم: تعلمها، وتلاوة، وحفظا، وفهما، وسلوكا يرتجى بعد ذلك، بين الواقع والمأمول؟ من خلال الإشكال التالي:

- كلما جاء شهر رمضان المعظم تبدأ عملية البحث عن من يصلي بالناس صلاة التراويح؟ مما يدل على نقص فادح في حفظة القرآن الكريم. رغم أن المدرسة القرآنية تم اعتمادها في بداية التسعينيات من القرن الماضي، أي قرابة ربع قرن.

ثم ماذا تقدم المدرسة القرآنية زيادة على الحفظ في مجال بناء الإنسان المسلم بفهم القرآن والالتزام بما يدعو إليه في مختلف المجالات؟

أليس المطلوب منا كمسلمين التفاعل مع القرآن الكريم تعلمًا وتلاوة وفهما وحفظًا للوصول إلى السلوك العملي الذي يأمرنا به القرآن الكريم؟

- وبناء على هذا فما هو واقع المدرسة القرآنية في الجزائر في الإسهام في تحقيق هذه الأهداف؟

- وإذا كان الجواب لا؟ فما هي العوائق التي تحول دون تحقيق تلك الأهداف؟ وكيف يمكن تجاوزها؟

ومن ثم جاءت هذه الدراسة على المدرسة القرآنية، فهي المؤسسة التي يقع عليها واجب الإسهام في إشباع حاجات الجزائريين من القرآن الكريم: تعلمًا، وتلاوة، وفهما، وحفظًا، وسلوكًا قرآنيًا في الحياة العملية. ويعلق عليها الجزائريون كبير الأمل في تحقيق تلك الأهداف.

ومن ثم تسعى هذه الدراسة لمعرفة المدرسة القرآنية كما هي في الواقع من جميع الجوانب، وما هي فلسفتها وأهدافها في المحافظة على القرآن الكريم وبناء الإنسان الجزائري على قيم القرآن؟ وما مدى تحقق تلك الأهداف في الواقع؟ وما هي العوائق التي تحول بينها وبين تحقيق تلك الأهداف المأمولة؟

وعلى ضوء التساؤلات المذكورة لإشكالية الدراسة، تم صياغة 11 سؤالًا تم توجيهها لمسؤول التعليم القرآني بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية باتنة & 41 سؤالًا تم طرحها على مديري المدارس القرآنية.¹

تسعى الدراسة النظرية الميدانية (نظرية في جزء صغير منها والباقي ميداني)، من خلال أسئلة الاستمارة بالمقابلة، ومنهجي دراسة حالة والوصفي، بالمسح الشامل للمدارس القرآنية بمدينة باتنة، الوصول إلى الأجوبة التي يقتضيها عنوان الدراسة وتساؤلات الإشكال، وقد

1. يمكن تصفح الأسئلة المطروحة في الملحق بآخر الدراسة.

جاءت الدراسة مقسمة إلى العناصر التالية:

- أولاً/ واقع المدارس القرآنية بمدينة باتنة من خلال العناصر الجزئية التالية
1/ تعداد كتاتيب ومدارس التعليم القرآني بولاية ومدينة باتنة:
أ/ النشؤ والتطور ب / التعداد ج / التجهيزات
2/ تعداد متمدرسي المدرسة القرآنية وأصنافهم:
أ/ التعداد الكلي للمتمدرسين ب/ جنسهم ج / فئاتهم
3/ تأطير المدرسة القرآنية: أ/ فئات المؤطرين ب/ مستوياتهم د/ أدوارهم
4/ طرق تحفيظ القرآن الكريم ومستويات الحفظ
5/ مصير الحفظة بعد تخرجهم من المدرسة القرآنية
6/ ماذا يدرس من العلوم الشرعية بالمدرسة القرآنية
ثانيا/ آمال المجتمع في المدرسة القرآنية
ثالثا/ عوائق المدرسة القرآنية
أولاً/ واقع المدرسة القرآنية بمدينة باتنة:ـ

يتناول هذا العنوان الفرعي، واقع المدرسة القرآنية من جميع جوانبها، من خلال الأسئلة المرفقة¹ ويعتبر هذا العنصر الجزء الأساسي في الدراسة، من خلال الوصف التحليلي المعمق لما هي عليه المدرسة القرآنية، منذ نشأتها في بداية التسعينيات من القرن الماضي إلى اليوم، ويتناول العناصر الجزئية الآتية:

- 1/ النشوء والتطور والتعداد للمدرسة القرآنية بباتنة:
أ/ نشوء وتطور المدرسة القرآنية:

لم تظهر المدارس القرآنية بمدينة باتنة وسائر مدن القطر الجزائري رسميا بهذه التسمية، إلا بعد صدور المرسوم المنشئ لها في بداية التسعينيات من القرن الماضي، الذي أحدث تغييرا في تسمية كتاتيب التعليم القرآني لتصبح مدارس للتعليم القرآني، إذا توفرت بعض الشروط في الهياكل، وإضافة في محتوى التدريس. وأول مدرستين ظهرت في مدينة باتنة هما مدرسة المسجد العتيق ومدرسة مسجد عبد الحميد بن باديس، وكانتا موجودتين بالصورة التي علمها اليوم، قبل نشؤ المدرسة القرآنية، في صورة كتاتيب للتعليم القرآني، ثم تم تحويلهما إلى مدرستين للتعليم القرآني. وتحتوي مدرسة مسجد عبد الحميد بن باديس على ثلاثة أقسام مرتبطة بالمسجد، في حين تحتوي مدرسة المسجد العتيق على 4 أقسام بجوار المسجد لكنها منفصلة عنه، ومقرده، ومرافق، وهي الوحيدة ذات النظام

1 . الأسئلة التي بني عليها هذا الوصف والتحليل هي 11 سؤالا لرئيس المكتب، المسؤول عن التعليم القرآني بالمديرية، و41 سؤال وجهت لمديري المدارس من خلال الاستمارة بالمقابلة، المرفقة بأخر هذه الدراسة.

الداخلي في مدينة باتنة، والموجهة للحفظة من الذكور المتفرغين للدراسة بالمدرسة القرآنية. وقد تطورت المدارس القرآنية عددياً على مدار السنوات السابقة. حيث كان تعدادها سنة 1996 ثلاث مدارس بمدينة باتنة، وثلاثة عشر بالولاية كلها، لكنها في تطور مستمر من حيث العدد، والتجهيزات، والبرامج، ومستوى الأساتذة الذين يدرسون بها، وطبيعة الوظائف المسندة إليها، زيادة على تحفيظ القرآن الكريم.

ب/ تعداد المدارس القرآنية بمدينة باتنة: وصل عدد المدارس القرآنية اليوم 13 مدرسة بمدينة باتنة و27 بالولاية، و266 كتاباً بمدينة باتنة، و481 كتاباً بالولاية¹، مما يعني تطوراً عددياً معتبراً للمدارس والكتاتيب من حيث الكم. ويلاحظ أن مدينة باتنة كعاصمة للولاية تستحوذ على نصف العدد الإجمالي لمدارس وكتاتيب التعليم القرآني.

ج / التجهيزات: تطورت تجهيزات المدرسة القرآنية عما كانت عليه الكتاتيب، وأصبحت التجهيزات الأساسية اليوم متوفرة في كل المدارس القرآنية، بل حتى في الكتاتيب، وتمثل تلك التجهيزات في الكراسي، والطاولات، والسيورات، بالإضافة إلى التدفئة شتاء والتبريد صيفاً، وتتوفر على تجهيزات أخرى، تختلف من مدرسة لأخرى حسب فعالية المدير أو الإمام المسير لتلك المدرسة. والحي الذي تقع فيه، وكرم المحسنين، حيث يتوفر لبعضها مَقْرَأَة (تجهيزات لتجويد القرآن الكريم) وقاعة للرياضة، ومكتبة، وقسم للإعلام الآلي، كما هو الحال في مدرسة الإمام علي بن أبي طالب بمدينة باتنة.

2/ تعداد متمدرسي المدرسة القرآنية بباتنة وأصنافهم:

لم تعد المدرسة القرآنية كما كان الحال للكتاب سابقاً، يستقبل صغار الحفظة، أو المتسربين من المدرسة أو الذين لم يلتحقوا بالمدرسة أصلاً، المتفرغين لحفظ القرآن الكريم، وإنما أصبح يؤمها أصناف متعددة، وأعمار متفاوتة من الجنسين ذكورا وإناثا، حسب نشاط المدرسة وفعالية المشرفين عليها مما زاد في عدد متمدرسيها وبالأخص في أقسام التمهيدي والتحضير.

أ/ التعداد الكلي للمتمدرسين بالتعليم القرآني بولاية باتنة نهاية 2015:

وصل عدد المنتميين للمدرسة القرآنية وكتاتيبها بولاية باتنة نهاية 2015 إلى 13969 متمدرساً في مختلف الأطوار، منهم 7767 إناثاً و6202 ذكوراً. والموزعين على 27 مدرسة و481 كتاباً. وأغلبية هذا العدد ينتمي لأقسام التمهيدي والتحضير (تلاميذ أقسام التمهيدي تتراوح أعمارهم بين 3.5 إلى 4.5 سنة، وهي أشبه ما تكون بأقسام الحضنة، وأقسام التحضير تتراوح أعمارهم بين 5 إلى 6 سنوات وهم الذين يستعدون للدخول إلى المدرسة النظامية).

1. من أجوبة رئيس مكتب التعليم القرآني بمديرية الشؤون الدينية لولاية باتنة في مقابلة 2016/10/13.

ب/ جنس المتمدربين: تغيرت طبيعة المدرسة القرآنية في الغالب من حيث جنس روادها من المتمدربين، فلولا أقسام التمهيدي والتحضيرى التي يتوزع بها الذكور والإناث بنسب متقاربة لصالح الإناث، لأصبحت المدرسة القرآنية مائة بالمائة إناث.

ج/ فئات المتمدربين بالمدرسة القرآنية:

يتوزع المتمدربون بالمدرسة القرآنية على مجموعة من الفئات هي:

ج 1/ فئة أقسام التمهيدي وهم ما يقابل أطفال الحضانة في دور الحضانة (تتراوح أعمارهم بين 3.5 إلى 4.5 سنة)، ويأتي بهم أولياؤهم لسمعة المدرسة القرآنية، لما تقدمه من برامج تربوية أخلاقية، وكذلك لأسعارها المقبولة، بالمقارنة مع دور الحضانة التي يغلب عليها الطابع التجاري المحض، مع غياب برنامج تربوي هادف.

ج 2/ فئة أقسام التحضيرى وهم من يستعدون للدخل إلى المدرسة النظامية، بين 5 و 6 سنوات.

ج 3/ فئة تلاميذ الإبتدائي المنتمين للمدرسة النظامية:

وهؤلاء يأتي بهم أولياؤهم لحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ولاكتساب الآداب والأخلاق، للسمعة الطيبة للمشرفين على المدرسة القرآنية. وبرامج هذه الفئة يُراعى فيها توقيتهم المدرسي الذي يتلاءم مع المدرسة النظامية.

ج 4/ فئة أحكام الترتيل: وهي فئة نسوية مائة بالمائة، في الغالب غير متجانسة من حيث العمر، جمعهم هدف واحد وهو تعلم أحكام تلاوة القرآن الكريم، ويقوم بتعليمهم أستاذات مؤهلات في أحكام التلاوة.

ج 5/ فئة حفظ القرآن الكريم: وهذه الفئة هدفها حفظ القرآن الكريم، وهي بدورها أيضا غير متجانسة من حيث السن والمستوى، ولذا يتم تفويجها إلى فئات فرعية، هي: تلاميذ المدارس، طالبات جامعات، وأمهات مأكثات بالبيوت. (كما هو في المدرسة القرآنية لمسجد أول نوفمبر بمدينة باتنة)

ج 6/ فئة محو الأمية: وهي في الغالب من الأمهات المسنات اللاتي لم يلتحقن بالمدرسة في بداية حياتهن، وقد يكون معهن بعض الشابات أيضا اللاتي لا يعرفن القراءة والكتابة، ووجدن في المدرسة القرآنية ما يحقق لهن محو أميتهن، وتعلم القراءة والكتابة.

ج 7/ فئة الأقسام النموذجية: وهي الأقسام التي تتميز بها المدرسة القرآنية، كونها تجمع بين تحفيظ القرآن الكريم وتدرّس العلوم الشرعية، لمدة أربع سنوات، يبلغ عدد الأقسام النموذجية بمدرسة أول نوفمبر أربعة أفواج، يتوزعون من السنة الأولى إلى الرابعة، وهذا برنامج العلوم الشرعية بها: الفقه، وعلوم القرآن، والسيرة النبوية، واللغة العربية، في السنة الأولى، والثانية، أما في السنتين الثالثة والرابعة يُدرّس فيها تاريخ الخلفاء ولغة عربية، وفقه، وحديث، وفي السنة الرابعة تاريخ الجزائر بدلا من تاريخ الخلفاء، وأما الفئة التي

تستقبلها المدرسة القرآنية في الأقسام النموذجية هم التلاميذ الذين تسربوا مدرسيا من التعليم المتوسط والثانوي، وفي ولاية باتنة كلها توجد مدرستان للذكور هما مدرسة مسجد العتيق بباتنة المدينة، ومدرسة دشرة أولاد موسى بأريس، والباقي كلها مدارس للإناث.

ويمكن للمتمدرسين بالأقسام النموذجية بالمدرسة القرآنية الالتحاق بالتكوين بصفة معلمي ومعلمات القرآن الكريم متى أتموا السنة الرابعة بنجاح بالأقسام النموذجية.

3/ تأطير المدرسة القرآنية:

إن تأطير المدرسة القرآنية من أحد العوائق التي تقف في طريقها، لأداء دورها على الوجه الأكمل، لأنها عندما أنشئت كانت بدون تغطية مالية، ومن ثم التجأت الجهة الوصية في بداية الأمر إلى معلمي القرآن الكريم وإلى بعض الأئمة لتأطيرها، وأمام العجز في التأطير انفتحت المدرسة على فئات أخرى.

أ/ فئات المؤطرين للمدرسة القرآنية: يؤطر المدرسة القرآنية اليوم ثلاث فئات هي:

أ/1. فئة الموظفين بقطاع الشؤون الدينية برتبهم المعروفة من معلم قرآن، أستاذ التعليم القرآني، إمام معلم، إمام مدرس، وإمام أستاذ. فقد ينتدب هؤلاء إلى المدرسة القرآنية، وقد يزواج أحدهم بين عمله في المسجد والتعليم القرآني.

أ/2. فئة المتعاقدين: في الغالب هم من يعمل في إطار عقود ماقبل التشغيل، أو يتعاقدون مع الجمعية المشرفة على المدرسة القرآنية مقابل أجره متفق عليها، وهؤلاء المتعاقدون هم من المتخرجين من الجامعة، وهن في الغالب نسوة إلا إذا كانت المدرسة بها حفظة ذكور كما في مدرسة المسجد العتيق بباتنة.

أ/3. فئة المتطوعين: بطلب منهم فترخص لهم الإدارة إذا توفرت فيهم شروط معينة من الاستقامة والكفاءة على الخصوص.

ب/ مستويات المؤطرين للمدرسة القرآنية: مستويات المؤطرين للمدرسة القرآنية متنوعة، ويعود ذلك لكونها أنشئت بدون تغطية مالية ولا حتى رؤية واضحة عن أهدافها مما جعلها تعتمد على كل من يمكن أن يساعد في تأطيرها من الموظفين بقطاع الشؤون الدينية والمتعاقدين ما قبل التشغيل والمتطوعين، ومن ثم من الطبيعي أن يكون التأطير متنوع المستويات.

ب/أ. مستوى معلمي القرآن الكريم: وهم من يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب، ولكن بدون مستوى في الغالب، لكن بسبب حفظهم للقرآن الكريم يحسنون القراءة والكتابة، وكان هؤلاء في السابق يوظفون مباشرة من خلال إجراء امتحان التأكد من حفظ القرآن أمام لجنة من الحفظة، وقد يكون لبعضهم جهود خاصة في تحسين مستواهم. إلا أنه منذ سنتين خلتا قررت وزارة الشؤون الدينية أن تشترط مع حفظ القرآن كاملا، مستوى السنة الثانية ثانوي والالتحاق بمعاهد التكوين لمن سيكون معلما للقرآن الكريم،

في رتبة جديدة تسمى أستاذ التعليم القرآني.

ب/ 2 . مستويات الأئمة حسب رتبهم، إن كان إماما مدرسا أو معلما فهو مستوى تعليم ثانوي مع التكوين بمعهد تكوين الأئمة، وإذا كان إماما أستاذا فمستواه جامعي قد يصل إلى مستوى ماستر.

ب / 3 . مستويات المتعاقدين والمتطوعين: في الغالب مستوى جامعي يتراوح من شهادة ليسانس إلى الدكتوراه في مرحلة الإنجاز، أو حتى التدريس في الجامعة، والتطوع للتدريس بالمدرسة القرآنية.

ج / أدوار المؤطرين للمدرسة القرآنية:

من خلال الأسئلة المطروحة على مديري ومسيري المدرسة القرآنية عن أهداف المدرسة القرآنية ووظيفتها وفلسفتها، تبين أنها تعمل بدون رؤية وفلسفة وهدف، وهي تختلف من مدرسة لأخرى حسب تصور ورؤية المدير المسير وفعاليته، ومن ثم اختلفت أدوار المؤطرين لها، حسب ما تقوم به كل مدرسة من أنشطة.

ج/ 1 . دور معلمي القرآن: نظرا لكونهم يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب بالطريقة التقليدية، ولضعف مستواهم الدراسي في الغالب، فهم يقومون بتحفيظ القرآن الكريم، ولما أصبحت المدرسة القرآنية الآن يغلب عليه الطابع النسوي للمتمدرسات، من التلميذات والطالبات والنسوة الماكثات بالبيوت، فقد استلزم أن يكون أيضا من يؤطرن من النساء، فمثلا مدرسة أول نوفمبر بمدينة باتنة، وهي أكبر مدرسة قرآنية في الولاية بـ 2350 مسجلا بها، يتوزعون على 93 فوجا في مختلف الأطوار والمستويات، يشرف على التأطير فيها 48 مؤطرا كلهن من النساء، ولا يوجد فيها من الرجال إلا خمسة، هم أربع حراس وعامل صيانة، وليس بها أي معلم للقرآن الكريم، ومن ثم أصبح دور معلم القرآن في المدرسة القرآنية ثانويا، إلا في المدارس التي هي موجهة للذكور فقط، وهي مدرسة واحدة فقط بمدينة باتنة، هي مدرسة المسجد العتيق. وحتى هذه المدرسة أصبحت هذه السنة بقطبين منفصلين عن بعضهما البعض، قطب للذكور بالمسجد العتيق، وقطب ملحق بها موجه للإناث بمسجد البشير الإبراهيمي.

ج/ 2 . أدوار الأئمة: أصبح عدد الأئمة في المدرسة القرآنية قليلا، مقارنة بالفئات الأخرى من المتعاقدين والمتطوعين، لأسباب عدة في مقدمتها تأنث المدرسة القرآنية.

ومن ثم يختلف دور الأئمة في المدرسة القرآنية . إن وجدوا . من مدرسة لأخرى، وتتمثل أدوارهم في الآتي:

أ/ في الغالب يرأس المدرسة القرآنية إمام المسجد، ومن ثم يصبح دوره في المدرسة التسيير وما يترتب عنه.

ب / يصبح دور الإمام بصفته مديرا للمدرسة، همزة وصل بين المحسنين والمجتمع عامة

واحتياجات المدرسة في الجانب المادي من تجهيزات ومعونات كيفما كان نوعها، لاسيما وأن المدرسة تعتمد أساسا على معونات المحسنين، ولايوجد لها تغطية مالية في ميزانية الدولة والشؤون الدينية.

ج/ قد تشرف على المدرسة مرشدة، ويكون دور الإمام في المدرسة أيضا همزة وصل بين المرشدة والمدرسة عموما وجمهور المسجد وسكان الحي في مجال الإعلام . على الخصوص . في احتياجات المدرسة، وأنشطتها، والدعوة إلى تسجيل الأطفال فيها ...الخ.
د/ قد يكون للإمام دور في تدريس بعض العلوم الشرعية بالمدرسة إذا كانت المدرسة موجهة للذكور.

ج/ 3. دور المتطوعين والمتعاقدين في المدرسة القرآنية:

لقلة الموظفين الرسميين في قطاع الشؤون الدينية، الذي يعاني عجزا على مستوى تأطير المسجد فضلا عن المدرسة القرآنية، التي لا يوجد لها أصلا في المرسوم المنشئ لها تغطية مالية من ميزانية الدولة، ومن ثم لاتستطيع أن توظف بطريقة رسمية لصالحها، مما يجعلها تلجئ إلى المتطوعين والمتعاقدين لتغطية إشكال نقص التأطير فيها، فما هو دور المتطوعين والمتعاقدين في مجال التأطير؟

ج/ 3. أ. دور المتطوعين:

المتطوعون في تأطير المدرسة القرآنية هم فئات مختلفة من حيث المستوى، وهم في الغالب الأعم جامعيون، يتراوح مستوى تأهيلهم من الليسانس إلى الدكتوراه، وفي تخصصات مختلفة، ذات صلة باحتياجات المدرسة القرآنية في العلوم الشرعية على الخصوص، ولذا يتولى هؤلاء المتطوعون تدريس تلك البرامج التي تبرمجها المدرسة القرآنية لطلابها، وهي في الغالب علوم شرعية، من تفسير القرآن، وعلومه، وأحكام التلاوة، السيرة النبوية، الفقه، الحديث، اللغة العربية، وتاريخ الجزائر. وهي تختلف من مدرسة لأخرى حسب طبيعة المتدربين، والمؤطرين، وفعالية ونشاط المسؤول عن المدرسة.

وقد يكون هؤلاء المتطوعون فعلا لايتقاضون أي مقابل مادي مقابل مايقدمونه من جهود في المدرسة القرآنية، كما هو حال بعض الأساتذات بكلية العلوم الإسلامية، اللاتي يؤطرن العلوم الشرعية في الأقسام النموذجية، والندوات العلمية الهادفة بمدرسة أول نوفمبر. وقد يكون المتطوعون بدون عمل وهم في مرحلة إنهاء الدكتوراه، أو أتموا الدكتوراه في مرحلة البحث عن العمل، مما يجعل المدرسة من خلال المحسنين تقدم بعض التشجيعات المادية الرمزية، من حين لآخر.

ج/ 3. ب. دور المتعاقدين: والمتعاقدون هم أيضا جامعيون تخرجوا من الجامعة في مستويات الليسانس، والماستر، وحتى مرحلة الدكتوراه، بدون عمل، يلتجئون إلى عقود

ماقبل التشغيل، ويتم تعيينهم في المدرسة القرآنية، مقابل راتب معروف يدفع لهم شهريا. ويقوم المتعاقدون مع المتطوعين بتغطية أنشطة المدرسة القرآنية، فمثلا المدرسة القرآنية أول نوفمبر، ينتهي إليها 2350 ممتدسا للعام الدراسي 2017/2016 في مستويات مختلفة، يتوزعون على 93 فوجا يؤطرون من طرف 48 أستاذة، وهذه الأفواج تشمل أقسام ما قبل التمدرس من التمهيدي والتحضيرى، وأقسام تلاميذ المدارس، والأقسام النموذجية للمدرسة، وأقسام الطالبات الجامعيات. وأقسام الماكثات بالبيت من النساء.

4/ طرق تحفيظ القرآن الكريم ومستويات الحفظ

أ/ طرق تحفيظ القرآن الكريم:

من خلال الأجوبة عن الأسئلة الموجهة للقائمين على المدارس القرآنية، عن نوعية الطرق المتبعة في تحفيظ القرآن الكريم، تبين أن الطريقة التقليدية التي تعتمد على إملاء المعلم على التلاميذ آيات القرآن الكريم كلمة كلمة، وتصحيح المعلم للألواح بعد ذلك، وتصحيح القراءة للتلاميذ، ثم يبدأون في الحفظ، وعرض الحفظ بعد ذلك على المعلم، ليأذن لهم بمسح ألواحهم، ليكتبوا آيات أخرى، والكتابة بالصمغ على اللوح الخشبي المطلي بالصلصال الأبيض، قد اختفت تماما، ولم يعد يعمل لها وجود في المدرسة القرآنية. وأصبحت الطرق المتبعة في التحفيظ هي كالآتي:

- الحفظ من المصحف مباشرة: أي يأخذ التلميذ المصحف ويردد أية أو آيات معينة منه، حتى يحفظها تماما، وهذه الطريقة عليها مأخذ وتحفظات من وجهة نظر علماء النفس في عملية التعلم، ومن هذه المآخذ، فقد يحفظ التلميذ بطريقة خاطئة، إذا لم يجد متابعة جيدة أثناء الحفظ من معلمه، كما أنها لا تساعد على الحفظ الجيد، ويضيع ما يحفظ بسهولة، لأنها لا توظف كل جوارح وحواس التلميذ أثناء عملية الحفظ، فالتلميذ لم يستعمل حاسة السمع، لأن الآيات لم تمل عليه، ولم يكتب ومن ثم عطل حركة اليد، وكذلك عطل حركة العين وهي تشاهد كيفية كتابة كلمات الآيات، وهذه كلها تنقص من جودة عملية الحفظ، ثم يضيع ويُنسى ما حُفَظ بسهولة.

- استعمال الكرايس نقلا من المصحف، وهذه الطريقة قد تكون فيها أخطاء، أثناء نقل الآيات، بالإضافة إلى أنها لم توظف الأذن.

- التلقين الشفوي الجماعي، كأن يقرأ الملقن بصوت مرتفع الآية من القرآن ويردد من ورائه التلاميذ، ويكرر العملية حتى يتم حفظ تلك الآية فينتقلون لأخرى. وهي أيضا لاتستخدم كل الحواس في عملية الحفظ، مما يجعل ما يحفظ يُنسى بسهولة.

مما يجعل هذه الطرق المستعملة في حد ذاتها تحمل اختلالا في عملية الحفظ، لذلك قل الحفظة إلى درجة كبيرة، إن لم نقل كاد حفظ القرآن أن يزول. لا قدر الله.

ب / مستويات الحفظ:

من خلال إشكالية البحث في قلة الحفظة كظاهرة يشعر بها الجميع، ومن خلال الأسئلة المطروحة على مسؤولي المدارس فيما إذا تخرج حفظة من المدرسة القرآنية التي يشرفون عليها، فكانت إجاباتهم تتراوح بين عدم التخرج تماما، وأن دور المدرسة يتمثل في ختم القرآن تعليما وليس تحفيظا، وهذا مصطلح جديد، لا يعبر عن أي شيء، لا يوجد حفظ، ولكن ختم للتعلم؟ لماذا يتعلم؟ وفي بعض المدارس تخرج عدد قليل من الحفظة يتراوح بين 5 إلى 20 حافظا خلال عشرين سنة، وهكذا يتضح من خلال هذه الدراسة الميدانية أن إشكال قلة الحفظة للقرآن الكريم لن تحله المدرسة القرآنية الحالية بهذا الأداء من جهة، والتوجه نحو الإناث فقط لأسباب كثيرة، منها عزوف الذكور عن الالتحاق بالمدارس القرآنية، ثم توجه مسؤولي المدارس بالتشجيع لعنصر الإناث متمدرسات ومعلمات بحجج عدة، منها أنهن أكثر انضباطا من الذكور، ولاجتناب التحرش الجنسي بالصغار عندما يكون المؤطرون من المعلمين، ولذا تأنيث المدرسة متمدرسين ومدرسات بالنسبة إليهم، حل للفضائح الأخلاقية التي كانت تحدث من حين لآخر في كتاتيب التعليم القرآني.

5/ مصير الحفظة بعد تخرجهم من المدرسة القرآنية:

من خلال أجوبة مسيري المدرسة القرآنية تبين أن هذه الأخيرة لن تحل إشكال تحفيظ القرآن الكريم الذي يعاني منه المجتمع، حتى أن بعض المدارس القرآنية كما صرح مسيروها أنها تخرج القرآن تعليما وليس تحفيظا؟ وحتى في الحالات القليلة جدا التي تم فيها تخريج عدد قليل جدا من الحفظة، لم يُستفد منهم إلا قليلا، فبعضهم ذهب إلى الجامعة لمواصلة الدراسة وعدد قليل التحق بالتعليم القرآني معلما للقرآن وحتى إماما في سلك من الأسلاك بعد أن واصل الدراسة زيادة على حفظه للقرآن الكريم.

6/ ماذا يُدرس من العلوم الشرعية بالمدرسة القرآنية:

يختلف نشاط تدريس العلوم الشرعية في المدرسة القرآنية، من مدرسة لأخرى، ويرتبط ذلك بمدى وجود أقسام نموذجية بالمدرسة القرآنية وعددها، والأقسام النموذجية تتعلق بمتفرعين لدراسة القرآن والعلوم الشرعية، وفي مدارس مدينة باتنة كل الأقسام النموذجية إناث متفرعات لحفظ القرآن ودراسة العلوم الشرعية، عدا مدرسة واحدة، هي مدرسة المسجد العتيق. وقد وجد أن أفضل المدارس في تدريس العلوم الشرعية هي مدرسة أول نوفمبر لنوعية المؤطرين بها، ويعد ذلك لجهود السيدة مديرة المدرسة ونشاطها من جهة ولسمعة مسجد أول نوفمبر من جهة أخرى، وقربها من كلية العلوم الإسلامية والاستفادة من تأطير أستاذاتها.

ثانيا/ الآمال المعلقة على المدرسة القرآنية من المجتمع

إن المجتمع يعلق آمالا كبيرة على المدرسة القرآنية للأسباب التالية:

- كون أن المجتمع الجزائري مسلم، فهو يحكم على الشيء من خلال مرجعيته الدينية، ومن ثم يحكم على المدرسة القرآنية عن مدى استجابتها للنصوص الشرعية، منها الحديث الشريف الذي يجعل الخيرية في تعلم القرآن وتعليمه، (عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)¹، وحقيقة تعلم القرآن الكريم وتعليمه لا تتوقف عند حفظ حروفه مجردة عن معرفة معانيه، وإنما يتحقق التعلم بالحرص على حفظ كتاب الله تعالى وترداده، والتعبد بتلاوته، والعمل على نشره وإذاعته بين الناس، ... والارتقاء في الاستفادة العلمية من القرآن في مجال المعتقد، والسلوك، والدعوة إلى الله تعالى، فلو حصل هذا للحافظ لكتاب الله، لكان له نعم الغنيمة². ومصادق ذلك ما أخرجه الدارمي بسنده عن الضحاك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾³ قال: "حق على كل من قرأ القرآن أن يكون فقيها"⁴ والفقه مما يعنيه الفهم وهو درجة أعلى من الحفظ.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)⁵، وغيرها من النصوص الكثيرة التي تستلزم التعلم والتفقه في القرآن الكريم ولا تتوقف عند الحفظ.

- ما يحتاج إليه مجتمعنا اليوم، هو تعلم القرآن وفهمه والعمل به، في إطار بناء الإنسان المسلم المتوازن في جميع المجالات.

- الاسترشاد بتاريخ الأمة الإسلامية في التعامل مع القرآن الكريم: تعلمنا، وفهما، وتلاوة، وحفظا، وسلوكا، وبذلك التعامل مع القرآن الكريم تحولت الأمة العربية التي نزل فيها القرآن الكريم من التيه وري الإبل، إلى الريادة وقيادة الأمم. فقد قال رجل للإمام أبي جعفر القارئ يزيد بن القعقاع المديني (ت 127هـ) رحمه الله، هنيئا لك بما أتاك الله القرآن، فقال أبو جعفر (ذاك إذا حلت حلاله، وحرمت حرامه، وعملت بما فيه)⁶

-
1. النووي. رياض الصالحين، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، صيد الفوائد، ج 1، ص. 495. وأخرجه أيضا: البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، باب: من انتظر حتى تدفن، ج 6-7
 2. الوافي، إبراهيم. الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، ط 3، الرباط، مكتبة دار الأمان، 1999، ص. 18.
 3. آل عمران: الآية 79.
 4. الدارمي. المسند، من كتاب/ التبويب الموضوعي للأحاديث، باب/ تفسير آيات، ج 1، حديث رقم 328، ص. 15664.
 5. الحميدي، محمد بن فتوح. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب، بيروت، دار ابن حزم، 1423 هـ. 2002، كتاب/ الجمع بين الصحيحين، باب/ المتفق عليه من مسند أبي عبد الله، ج 3، حديث رقم 2907، ص. 312.
 6. السامرائي، عبد القدوس بن أسامة. أثر القرآن في سلوك المجتمع، الإمارات العربية، دبي، إدارة بحوث الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، 2009، ص. 39.

لكل هذه الاعتبارات وغيرها يعلق مجتمعنا آمالا كبيرة على المدرسة القرآنية.

لكن من خلال الإجابات المحصل عليها من مسؤولي المدرسة القرآنية في هذه الدراسة، والتي أعطت صورة واضحة عن واقع المدرسة القرآنية الرسمية في الجزائر، والتي تم تفصيلها في العنوان الفرعي للدراسة، المتعلق بواقع المدرسة القرآنية بمدينة باتنة، من جميع الجوانب، والتي تبين فيها أن عنوان المدرسة القرآنية لا يعكس واقعها الملموس، في مختلف المستويات، تعلمًا، وفهمًا، وتلاوة، وسلوكًا يعمل به في الحياة اليومية، أي يتحول إلى منهج حياة وسلوك عام في حياة كل مسلم، كيفما كان سنه وجنسه ومستواه، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن. ووجد أن المدرسة القرآنية أخذت منحى آخر، فيقصد بها الأولياء بصغارهم في مرحلتي التمهيد والتحصيري، ليست على أساس أنها مدرسة قرآنية بما تقدمه في التواصل والتفاعل مع القرآن الكريم، بل على أساس أنها تؤدي وظيفة روضة لحضن الأطفال ما بين ثلاث وأربع سنوات، ربما بسبب عمل الأمهات، وعلى أساس الدراسة التحضيرية التي تُلزم بها المدرسة النظامية الأولياء من أجل قبول أولادهم في السنة الأولى ابتدائي، بالنسبة لذوي سن الخامسة إلى السادسة، واستجابت المدرسة القرآنية لمطلب الأولياء، وتم تكييف برامجها للاستجابة لاهتمامات هذه الشريحة من الأطفال من حيث الكم، والبحث عن الملمات اللائي يقمن بتعليم ورعاية هؤلاء الأطفال، وأصبحت المدرسة القرآنية أول نوفمبر أكبر مدرسة قرآنية بولاية باتنة عدة تجهيزًا، يتساوى فيها بالتقريب تلاميذ المدرسة القرآنية بـ 4 أفواج مقابل 3 أفواج من تلاميذ ما قبل التمدرس للعام الدراسي 2016/2017م. ويتكون برنامجهم لمدة ساعتين ونصف يوميًا من خمس مواد، مادة واحدة هي قرآن وأذكار وأربع مواد يوميًا تؤخذ من المواد التالية: القراءة، الكتابة، القصة، المحفوظات والأناشيد، تربية علمية وتكنولوجية، رياضيات، رياضة، رسم وأشغال، تربية إسلامية. ومن ثم فهي أقرب إلى أن تكون مكملًا لبرنامج المدرسة النظامية لوزارة التربية. لولا فئات: الأقسام النموذجية، وأحكام الترتيل، والحفظ، رغم أن عملية الحفظ مردودها ضعيف جدًا. وفي بعض المدارس منعدم تمامًا. ولعل هذا الواقع للمدرسة القرآنية الذي لم يرق للمطلوب يعود لعدة أسباب وعوائق، كالآتي:

ثالثًا/ عوائق المدرسة القرآنية:

عوائق المدرسة القرآنية كثيرة، وهذه أهمها:

- أ. - المدرسة القرآنية بدون أية فلسفة: أول عائق في طريق المدرسة القرآنية الرسمية أنها اعتمدت بدون أية فلسفة (لن هي موجهة، وما هو الهدف منها، وكيف تحقق تلك الأهداف؟ من حيث الوسائل إن على مستوى التأطير البشري، والمادي)؛ وهي مجرد تغيير في التسمية من أقسام تحفيظ القرآن الكريم أي الكتاتيب، إلى مدرسة قرآنية.
- ب. / المدرسة القرآنية بدون تغطية مالي رسمية: العائق الثاني الكبير أنها اعتمدت بدون

تغطية مالية، وهل يمكن إنجاز شيء في عالم الواقع بدون أموال؟ فعندما يغيب المال يتوقف كل شيء، فالمال والرجال هما أساس كل شيء.

وهذان السببان (غياب فلسفة للمدرسة، وبدون تغطية مالية) يكفيان لتكون المدرسة بدون جدوى، لأن فلسفة أي مشروع هي التي تحدد له الهدف وآليات تحقيقه. ووجود المال وغيابه، هما كالفرق بين الواقع المنجز ووهم الخيال.

- ج/ عندما يغيب الهدف تصبح المدرسة القرآنية مدارس، ويصبح المشرف على تسييرها هو المدرسة.

- د/ توقيت مرسوم المدرسة القرآنية: جاء مرسوم المدرسة القرآنية في التسعينيات من القرن الماضي، وقت الاضطرابات السياسية والأمنية التي مرت بها الجزائر، وكان المسجد في بؤرة الصراع، في عهد وزير الشؤون الدينية "الساسى لعموري" آنذاك، وهو خرجة من خرجات الساسي، يغلب عليه الطابع السياسي والارتجال، أكثر منه صدق النية في خدمة القرآن الكريم، وخدمة المجتمع.

- ه/ التوجه العام للنظام السياسي في مسألة التنشئة الاجتماعية وبناء الإنسان الجزائري على القيم الإسلامية، يسودها التغريب والحساسية من الإسلام، ليس فقط على مستوى المدرسة القرآنية، بل على مستوى المنظومة التربوية كلها، وإلا فما هي فلسفة التربية والتعليم على مستوى التعليم بمراحله المختلفة؟ هل نحن نعلم؟ أم نربي؟ وماذا نعلم؟ وبماذا نربي؟ ماهو طبيعة الإنسان الذي صنعه الاستقلال؟ في ظل هذه الآفات الاجتماعية، والتخلف الشامل في كل المجالات.

الملاحق

أسئلة المقابلة التي وجهت لرئيس المكتب (المسؤول عن التعليم القرآني) بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بباتنة يوم 13 أكتوبر 2016م بمكتبه.

1. معنى المدرسة القرآنية من منظور المرسوم المنشئ لها؟
2. كم هي عدد المدارس القرآنية بباتنة المدينة؟ والولاية؟
3. كم هي عدد المدارس ذات النظام الداخلي بكل من مدينة باتنة وبالولاية؟
4. كم هي عدد كتاتيب التعليم القرآني بولاية باتنة؟
5. كم هو عدد مؤطري المدرسة القرآنية بولاية باتنة بنهاية العام الدراسي 2015/2016؟

6. ما هي مستويات المؤطرين للمدرسة القرآنية؟
7. كم هو عدد المنتسبين للتعليم القرآني بولاية باتنة بنهاية العام الدراسي 2015/2016 الكلي والجزئي ذكورا وإناثا؟
8. ما هي أعمارهم؟

- 9 . مستويات الحفظ عندهم؟
10 . مستويات تطور التعليم القرآني على مستوى الهياكل وبشرياً خلال عشرين سنة
أي من 1996 إلى اليوم؟
11 . ما هو هدف المدرسة القرآنية بالنسبة لكم كإدارة؟ وكيف تقومون مدى تحقق الأهداف؟

أسئلة الاستمارة بالمقابلة التي تم توجيهها لمديري المدارس القرآنية

- 1 . منذ متى وأنت مدير(ة) لهذه المدرسة:
- 2 . متى أنشئت هذه المدرسة:
- 3 . كم قسم بها:
- 4 . كم العدد الكلي للأساتذة بها لهذا العام؟
- 5 . عدد الذكور
- 6 . عدد الإناث
- 7 . هل هي مجهزة بالكراسي والطاولات والسبورات؟ نعم إلى حد ما لا
- 8 . هل للمدرسة حاجة لتجهيزات أخرى غير المذكورة؟ نعم لا ما هي:
- 9 . من يقوم بعملية التجهيز: المحسنون المديرة
- 10 . تأطير المدرسة القرآنية: بالمنتسبين للقطاع (الرسميين) بالمتطوعين بكليهما
- 11 . مستويات معلمي القرآن الرسميين: متوسط ثانوي مستوى آخر ما هو؟
- 12 . عمل معلمي القرآن بالنسبة للمدرسة القرآنية: تحفيظ القرآن تعليم مبادئ العلوم الشرعية كليهما
- 13 . النسبة المئوية للمتطوعين في المدرسة القرآنية؟
- 14 . المستويات العلمية لمؤطري المدرسة القرآنية من المتطوعين: متوسط ثانوي جامعي
- 15 . مستوى المتطوعين في حفظ القرآن الكريم: ماتيسر من القرآن الكريم ربه نصفه ثلاث أرباع
- القرآن كله كل المستويات موجودة لا يشترط فيهم أي حفظ
- 16 . دور المتطوعين: تحفيظ القرآن تعليم العلوم الشرعية كلاهما أنشطة أخرى أذكرها
- 17 . هل المتطوعون يتقاضون أجراً؟ لا نعم في حالة نعم من يدفع لهم ذلك الأجر
- 18 . طرق تحفيظ القرآن الكريم:
- الطريقة التقليدية (اعتماد اللوح والصلصال والصمغ) الحفظ الجماعي باستعمال السبورة
- استعمال اللوحات الفردية الحديثة استعمال الكراسيس الحفظ من المصحف مباشرة

- طرق أخرى أذكرها....
19. العدد الكلي لتلاميذ المدرسة لهذا العام الدراسي 17/16:
 20. عدد الذكور يتراوح سنهم من إلى
 21. عدد الإناث يتراوح سنهم من إلى
 22. عدد تلاميذ المدرسة القرآنية صيفا يزداد بسبب إقبال تلاميذ المدرسة النظامية
نعم لا
 23. تتراوح أعمار الذكور من هؤلاء المقبلين صيفا من إلى
 24. تصل نسبة الزيادة منهم إلى 25 بالمائة 50 بالمائة 100 بالمائة
 25. تتراوح أعمار الإناث من المقبلات صيفا على المدرسة القرآنية من إلى
 26. تصل نسبة الزيادة منهم إلى 25 بالمائة 50 بالمائة 100 بالمائة
 27. أثناء مدة رئاستك للمدرسة القرآنية هل تخرج منها حفظة للقرآن الكريم؟ لا
نعم إذا كان الجواب بنعم كم عددهم:
 - ذكورا إناثا كليهما سنهم يتراوح من إلى
 28. متى كان ذلك (خلال السنوات):
 29. هل تعلم أين توجهوا بعد ذلك؟ نعم لا
 30. هل مازال للمدرسة صلة بهم؟ نعم لا
 31. يوجد بالمدرسة القرآنية حاليا منتسبين إليها من المدرسة النظامية يزاوون حفظ القرآن بصورة دائمة: لا نعم
 32. إن كان الجواب بنعم ما هو مستواهم الدراسي ابتدائي متوسط ثانوي جامعي
 33. مستويات الحفظ عندهم (عدد الأجزاء المحفوظة): من إلى
 34. يرافق عملية حفظ القرآن الكريم تدريس العلوم الشرعية: لا نعم
 35. إن كان الجواب بنعم فما هي هذه العلوم الشرعية؟
 36. من يؤطر تدريس العلوم الشرعية: مستواهم العلمي؟ موظفون؟ متطوعون؟
متعاقدون؟
 38. ما هو الهدف المرسوم للمدرسة القرآنية من طرف الجهة الوصية؟ تحفيظ القرآن/ تعليم العلوم الشرعية/ فهم القرآن الكريم/ بناء الإنسان المسلم المتوازن/ كل ذلك/ غير ذلك.
 39. ماذا تحقق من تلك الأهداف؟
 40. ما هي العوائق التي تحول دون تحقيق الأهداف المرسومة؟
 41. في نظرك ما هو الحل لتجاوز تلك العوائق؟

الشيخ مختار هنيات وجهوده في خدمة القرآن الكريم

د/ عبد القادر مهاوات

رئيس قسم الشريعة – معهد العلوم الإسلامية - جامعة الوادي

mehaouatabdelkader@gmail.com

ملخص البحث

تُعَدُّ منطقة الوادي من حواضن القرآن الكريم حفظاً وتحفيظاً؛ إذ إنَّ عددًا من أهلها قد نَدَرَ نفسه له، ومنهم مترجمنا الذي علَّمه زهاء نصف قرن من الزمن؛ لذا أردتُ أن أسهم في التعريف به من حيث بيان تاريخ مولده وظروف نشأته وأسرته، وأهم أعماله ووظائفه، وأبرز شيوخه وتلاميذه، ومعالِم شخصيته عالِمًا بكتاب الله ومعلِّمًا له، وبعض من أقواله وتوجيهاته.

على أنَّ المداخلة في شَقِّها الثاني ستركز على منهجه الخاص في تحفيظ القرآن الكريم، وتتمين ما فيها من إيجابياتٍ، والتنبيه على ما فيها من مؤاخذاتٍ؛ لِيُتَخَرَّجَ بنتائج وتوصياتٍ من شأنها أن تزيد في خدمة كلام الله تعالى، وحُسن نَقْلِهِ للأجيال.

مقدمة

تُعَدُّ منطقة وادي سوف حاضنةً من حواضن القرآن الكريم في الجزائر؛ إذ بها تنتشرُ مدراسُ قرآنيةً كثيرةً، بعضها تشرفُ عليه مديريَّة الشؤون الدينيَّة والأوقافِ للولاية، وبعضها توطَّره جمعياتٌ متخصصةٌ في تحفيظ القرآن ونشر علومه، أو جمعياتٌ ذاتُ طابعٍ خيريٍّ ثقافيٍّ اجتماعيٍّ تُدرِّجُ تحفيظ القرآن ضمنَ اهتماماتها وإسهاماتها، وفي هذا الخضمِّ القرآنيِّ برزَ عددٌ من مشايخ المنطقة ممَّن نَدَرَ نفسه لهذا العملِ الجليل، وكَرَّسَ حياته لخدمة كتاب الله وطلابه، ومن هؤلاء مُتَرَجِّمُنَا: "الشيخ مختار هنيات" أطال الله في عمره، ومنحه الصحة والعافية.

هذا الشيخُ عرفتهُ عن قريب، وكَسْتُ عطاءاته عن كَثْبٍ؛ حيثُ إنني تتلمذتُ عنه ملازمةً زهاء عقدٍ ونصفٍ؛ من بداية ثمانينيات القرن العشرين للميلاد إلى منتصفِ التسعينيات منه، وذلك في المدرسة القرآنية التابعة لمسجد حيِّ الطَّالِبِيَّة ببلدية الوادي، فأخذتُ القرآنَ كاملاً مِنْ فِيهِ، وَسَمِعْتُ مِنِّْي جميعاً، وتعلَّمتُ منه الرسمَ القرآنيَّ وإعرابَ القرآن، وهما العِلْمَانِ اللَّذَانِ كانَ يُنْجِفُنَا بهما أثناءَ عمليَّةِ الإقراء، وظللتُ على تواصلٍ معه إلى حدِّ كتابة هذه الأسطر؛ وذلك من خلال زيارتي المختلفة له، لا سيَّما في الأعيادِ وسائر مناسباته الخاصَّة، أو عن طريق تشريفه لي بالمجيء إلى مسجدِ عمر بن الخطاب بَحْيٍ أولادِ أحمد ببلدية الوادي؛ إذ إنَّه يَأْنَسُ بسماعِ خُطْبِي الجُمُعِيَّة فيشهدُها معي، أو تكريمي لي بزيارته في بيتي في مناسباتي الشخصيّة المختلفة.

ومِمَّا دفعني إلى العناية بهذا الموضوع والكتابة فيه:

1- عطاءاتُ الشيخِ المميَّزة، ودورهُ المعْتَبَرُ في خدمة كتاب الله تعالى، ممَّا رأيتهُ بأمِّ عيني، وعاشتهُ بجوارحي.

2- الإسهام ولو بعمل متواضع في الترجمة له؛ حتى يُقدّم قدوةً حسنةً لحملة القرآن ومُقرّبيه، فيُخذوا حذوهُ.

3- تصويبُ بعض الأخطاء المتعلّقة بترجمته ممّا سمعته في بعض مجالس أهل القرآن من أبناء منطقتيّنا، أو ممّا اطلعتُ عليه في بعض مواقع التواصل الاجتماعيّ الإلكترونيّة، ممّا كتبه بعض تلاميذ الشيخ ومُحبّيه.

4- رُدُّ شيء من الجميل للشيخ؛ فإنّي أعتبر نفسي صنيعةً من صنائعه قرآنًا ولغةً، وتسطيعُ ترجمة له يُعدُّ في تقديري صورةً من صور رَدِّ الجميل.

لهذه الأسباب الرئيسة استعنتُ بالله تعالى وكتبْتُ عن الشيخ وإسهاماته في خدمة كتاب الله ﷻ¹، لأعرض ذلك في مطلبين: أولهما يتناولُ السيرة الذاتية للشيخ، وثانيهما يُعرِّفُ بجهوده في خدمة القرآن الكريم ويبينُ منهجه في تعليمه.

المطلب الأول: السيرة الذاتية للشيخ مختار هنيّات

أولاً- نسبه ومولده:

هو مختار بن العربي بن عليّ هنيّات، وأمّه عائشة بنت محمد حاقه، ينتمي إلى "العزّازلة" إحدى فِرق عرش المصاعنة بوادي سوف. تَلَقَّتْ عائلته بـ "هنيّات"؛ نسبةً إلى إحدى جدّاتها التي كانت تسمّى "هنيّة"، ويدعى هو شخصياً "ذهانة"؛ نسبةً إلى جدّه من أمّه يُقالُ إنه سقطَ في إناء كبير "زير" فيه سَمْنٌ، وهو "الذهان" على لهجة سوف.

وُلِدَ الشيخ بالوادي خلال سنة 1936م²، ولا يُعرفُ تاريخ ميلاده الدقيق من حيث اليوم والشهر.

ثانياً- نشأته وأسرته:

نشأ الشيخ في أسرة فقيرة بقرية الخُبنة ببلدية الرقيبة؛ حيث كان أبوه ضريباً، وأمّه هي التي أشرفت على تربيته، وليس له من الأخوة الذين عاشوا إلى الكبر إلا أختان: إحداهما شقيقة، والأخرى لأُمّه فقط.

فَقَدَ الشيخ إحدى عَيْنَيْهِ وهو صغير؛ وذلك إثرَ مرضٍ عَيْنِيٍّ أَلَمَ به، لم تستطعَ عائلته مع الظروف الاستعماريّة وحالتها الماديّة المحدودة أن تُنَجِّدَهُ.

تزوَّجَ الشيخ أكثرَ من مرّة في بداية شبابه، ولم تستقرَّ حياته الزوجيّة إلا سنة 1963م مع السيدة الزُهْرَة بَيّه، وهي التي زوّجَ منها بسائر أولاده ذكوراً وإناثاً، وهم على الترتيب: العربي ومطيّرة

1- أكثرُ المادّة العلميّة الواردة في هذه المداخلَة استقيمتُها من خلال عمليّة استرجاع شخصيٍّ لأهمِّ ما بقيَ عالماً في ذاكرتي ممّا عرفتهُ عن الشيخ عن طريق احتكاكي الطويل به، ثم دَعَمْتُها بتواصلٍ معه في جلسةٍ خاصّةٍ بهذا الغرض، سعدتُ بها يوم السبت 3 ديسمبر 2016م في بيتِه الكائن بحي باب الوادي ببلدية الوادي، من الساعة: 15:45 إلى الساعة: 17:30، وعضدتها بلقاءٍ مع ابنه الأكبر "العربي" وهو أكثرُ أولاده ملازمةً له، ومتابعةً لشؤونيه، وذلك بمسجد عمر يحيى أولاد أحمد، من الساعة: 13:30 إلى الساعة: 14:00، وفي هذا اللقاء زوّدتني بالعديد من الوثائق الثبوتية المرتبطة بحياة الشيخ الشخصية والمهنية.

2- ينظر: شهادة ميلاد الشيخ رقم: 05891.

وعزُّ الدين وأمينته وعبدُ الرحمن وعائشة وعبدُ الوهاب ومحمدُ البشير وعبدُ القادر، ولم يُفَرِّقَ بينهما إلا الموتُ الذي أخذَهما سنة 2012م¹، ليرتبط بعدها بسنتين بزواجه الحالي الصافية زُويَّته.

ثالثاً- تَعَلُّمُهُ وشيوخُهُ:

بدأ الشيخُ تَعَلُّمُهُ في قريةِ الخُبْنَةِ على يَدِ معلِّمِهِ الأولِ العربيِّ بنِ أحمدَ بنِ موسى الذي أخذَ عنه الكتابةَ وقصَّارَ السُّورِ². وبحُكْمِ قساوةِ هذا المعلِّمِ مع تلاميذه وجدَّته معهم، انتقلَ إلى معلِّمِهِ الثاني عَلِيِّ بنِ العربيِّ عبدِ اللَّوِيِّ- وقد كان ضريراً-، فتلقَّى عنه القرآنَ كاملاً بطريقِ الإملاء؛ إذ لم تَكُنِ المصاحفُ حينذاك متداولةً. فكان يُلقِّنُهُ في اللوحِ الواحدِ ثُمَّنَ الحزبِ أو دُونَهُ بقليلٍ، فدامتُ فترةُ حفظِهِ من سنة 1944م إلى سنة 1955م، شَهِدَ له فيها معلِّمُهُ الثاني بأنَّه كان تلميذاً جاداً لم يجدْ معه أيَّ صعوبةٍ طيلة رحلتهِ التعلُّميَّةِ القرآنيَّةِ.

سَعِدَ الشيخُ بالتَّلمُذِ على يَدِ عَلمَينِ كبيرين من أعلامِ سوف وهما الأزهاري الحَزْرُولِي³ وأحمدُ العُيَيْدِي⁴؛ فأخَذَ عن الأولِ "الأجْزُومِيَّة" وشرَّحَهَا في مسجدِ سيدي مسعود العتيق بسوق الوادي سنة 1962م، وعن الثاني "قَطْرَ النَّدى" وشرَّحَهُ، و"ابْنَ عَاشِرٍ" وشرَّحَهُ، ببيئته بَحْيٍ أولادِ أحمدَ وسطَ مدينةِ الوادي في السنةِ نفسِها⁵.

ورغمَ ظروفِ الشيخِ الاجتماعيَّةِ الصعبةِ وسيِّئِهِ التي بدأتْ تُقاربُ الكهولةَ في سبعينيَّاتِ القرنِ الميلاديِّ الماضي، فإنَّ نَهْمَهُ العلميَّ جعلَهُ ينضمُّ إلى الجامعةِ الشعبيَّةِ، المقامةِ بثانويَّةِ بُشُوشَةِ بالوادي، التابعةِ لوزارةِ التعليمِ الأصليِّ والشؤونِ الدينيَّةِ، من خلالِ الدروسِ اللَّيليَّةِ؛ فكان أنْ أَخَذَ سَنَتَيِ 1975 و1976م عن عددٍ من المدرِّسينِ المشاركةِ علوماً شرعيَّةً ولغويَّةً وكونيَّةً شَيْءً أهمُّها: التوحيد والفرائض والتفسير والرياضيات والعلوم الطبيعية، وبلَّغَ بذلك مستوى الرابعةِ إعدادي⁶.

- 1- أحوُزُ بطاقةً عائليَّةً للحالةِ المدنيَّةِ للشيخِ صادرةً عن بلديةِ الوادي في 08-12-2016م.
- 2- يذكُرُ الشيخُ أَنَّهُ أَخَذَ عن شيخِهِ الأولِ الفاتحة، ومن الناسِ إلى اليَنِّيَّةِ تصاعدياً عذا العاديَّاتِ التي نَسِيَ الشيخُ أنْ يحفظَهَا إِيَّاهُ.
- 3- هو الأزهاري بنُ صالحِ الحَزْرُولِي المولودُ خلالَ سنة 1902م بالوادي، حفظَ القرآنَ الكريمَ بزاويةِ سيدي سالم بالوادي، وأخذَ علومَ اللُغةِ والدينِ عن الشيخِ إبراهيمَ بنِ عامرٍ، ودَرَسَ بجامعِ الزيتونةِ عامًا، ظلَّ عقوداً من الزمنِ يُدرِّسُ في عددٍ من مساجِدِ بلديةِ الوادي إلى أنْ تُوفِّيَ سنة 1986م. ينظر: سعد العمامرة وأحمد منصور، أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، بدون رقم ط، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، الوادي، 2006م، ص68-69.
- 4- هو أحمدُ بنُ بلقاسمِ العُيَيْدِي المولودُ خلالَ سنة 1888م بالوادي، حفظَ القرآنَ صغيراً، وأخذَ علومَ اللُغةِ والدينِ عن عددٍ من علماءِ مدينتِهِ على رأسِهِم أخوه الطاهر، والتحقَ بجامعِ الزيتونةِ ونالَ منه شهادةً علميَّةً، دَرَسَ في الوادي وتُفَرَّتْ وَجَامَعُهُ، له قصائدٌ ومنظوماتٌ كثيرةٌ في أغراضٍ مختلفة، تُوفِّيَ بالوادي سنة 1977م. ينظر: سعد العمامرة وأحمد منصور، أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، ص46-47.
- 5- هذا هو الذي سمعتهُ من الشيخِ ذاتِهِ، وقد ذَكَرَ لي الأستاذُ الدكتورُ المؤرِّخُ عاشوري قَمْعُونُ يوم: 03 ديسمبر 2016م في الساعة 22:00 عبر تواصلٍ الكترونيٍّ من خلالِ صفحتينَا على الفيسبوك أَنَّهُ شَهِدَ الشيخَ مختاراً عامَ 1964م في بيتِ العَلَّامةِ أحمدِ العُيَيْدِي يُدَارِسُهُ موضوعَ "التنازع في النحو".
- 6- هذا مثبتٌ بشهادةِ مدرسيَّةٍ تحملُ الرقمَ 93-ع ت مؤرَّخَةً ومختومةً وممضاهُ من طرفِ المديرِ مسعود مناعي في 21-04-1976م.

رابعاً- أعماله ووظائفه:

لقد أُنقِنَ الشيخُ حفظَ القرآنِ الكريمِ، وتَبَنَّتْهُ في صدره تثبيتاً عجيّباً، وصلّى به إماماً في صلاةِ التراويحِ سنواتٍ عديدةً، ولم يهجره أبداً منذ أن حازَهُ؛ إذ إنّه لا يكادُ ينتهي الشهرُ إلا وقد راجعه من محفوظه، فلا يتعاملُ مع المصحفِ إلا في النادرِ القليلِ، بل ربّما كان يَحْتِمُهُ في العديدِ من أجزاءِ حياته فيما لا يتجاوزُ الأسبوعَ، إضافةً إلى معرفتهِ الكبيرةِ بالرسمِ العثمانيِّ التي أوتّاها من خلالِ حفظه وفهمه للمنظومات التي كانت شائعةً عند حَقْطَةِ القرآنِ كاللُتْناسيّ والمُصْبَاحيّ، علاوةً على إعرابِ القرآنِ الذي تمكّن منه من خلالِ ما أَخَذَهُ من اللغةِ العربيّةِ من شيوخه المذكورين.

هذا كُلُّه أَهْلُهُ لأنَّ يكونَ معلِّماً لكتابِ اللهِ تعالى بامتيازٍ، وهو ما حصلَ فعلاً؛ فإنّه عقبَ إتمامه حفظه، أَقْرَأَهُ سَنَتَي 1956م و1957م في مسقطِ رأسه، ولمّا انتقلَ إلى الوادي إثرَ حملةِ اعتقالاتٍ وقتلٍ واسعةٍ طالَت قريتهُ من قِبَلِ السلطاتِ الاستعماريّةِ سنة 1959م، دَرَسَ في مسجد "نَزْلَةُ مَهْرِيَّة"¹ من سنة 1963م إلى سنة 1965م، ثم في الفترةِ الممتدّةِ من 1967م إلى 1970م في مدرسةِ مسجد "فَرْدِيَّة" بحَيِّ أولادِ أحمد، ثم في بيتهِ سَنَتَي 1970م و1971م، لِيَسْتَقَرَّ به المقامُ لمّا انتظمَ رسمياً في سلكِ الشُؤونِ الدينيّةِ سنة 1981م بالمدرسةِ القرآنيّةِ التابعةِ لمسجدِ حَيِّ "الطَّلَائيبة"² إلى غايةِ إحالتهِ على التقاعدِ سنة 2006م³.

وفي سائرِ الفتراتِ التي كان ينقطعُ فيها عن التعليمِ القرآنيِّ، كانت الظروفُ الماديّةُ ومسؤوليّاتُهُ العائليّةُ تُلْجِئُهُ إلى الاستزاقِ من أعمالٍ أخرى شاقّةٍ لا تليقُ بمَن أُوتِيَ مثلهُ قدراتٍ عاليّةٌ على التعليمِ والتحفيظِ؛ حيث إنّه اهتمَّ البناءَ والأشغالَ العموميّةَ والفلاحةَ في "سَيْفِ المُنَادِي" و"صَحْنِ الطَّيَّارَةِ" ومستشفى الوادي القديمِ وغيرها من المواضعِ.

خامساً- نتاجه وتلاميذه:

إنَّ الشيخَ وإن لم يكتبْ شيئاً ممّا اعتقدُ أنّه كان مَأكِناً فيه، سواء ممّا تعلّقَ بالرسمِ القرآنيِّ ومتشابهاتِ القرآنِ اللفظيّةِ، أو ما تعلّقَ باللغةِ العربيّةِ عموماً وإعرابِ القرآنِ خصوصاً، فإنّه نَقَلَ ذلكَ رفقَةً كلامِ الله تعالى إلى أعدادٍ غفيرةٍ من أبناءِ بلديةِ الوادي، لعلَّ أشهرَهم: الإمامان "محمدُ العَوَامِرُ" و"إبراهيمُ بحري"، والرّاقِي المتخصّصُ في اللغةِ العربيّةِ وأدائها "السعيدُ بحري"، والطبيبُ المتخصّصُ في الجراحةِ التجميليّةِ "محمدُ العُزْبِي"، والمديرُ التربويُّ المتقاعدُ "عثمانُ بن خليفة"، والقارئُ "علي سَعِيد"، والمتخصّصان في العلومِ الإسلاميّةِ "سالمُ غَسِيلَة" و"بشير طليبة"، والشابان اللّذان يُؤمّنانِ النَّاسَ في التراويحِ "حمزةُ دُرَيْ" و"عبّاسُ حَشَف"، ومُقَدِّمُ الطريفةِ التيجانيّةِ "عبد الله تُوَاتِي طليبة" الذي صَحَّحَ عليه تلاوتهُ للقرآنِ كاملاً.

1- يُؤكِّدُ هذا مخطوطٌ عندي صورةً منه لبطاقةٍ فَنَيّْةٍ تاريخيّةٍ لمسجدِ الإمامِ البخاريّ -وهي التسميةُ الحاليّةُ لمسجدِ "نَزْلَةُ مَهْرِيَّة"-، هذه البطاقةُ أَمْلَى ما فيها السيد "العربي سليمان"، وحزَّرها في: 10-12-2002م الأستاذ إدريس ربي - وهو من أبناء هذا المسجد-.

2- يَبَيِّنُ يدي شهادةَ عملٍ برقم: 114/2004 محرَّرةً وممضاةً في: 02-08-2004م من طرف أحمد قريشي مدير الشُؤونِ الدينية والأوقاف لولاية الوادي.

3- عندي تبليغٌ بالإحالةِ على التقاعدِ رقم: 226/2006 محرَّرةً وممضاةً في: 05-03-2006م من طرف إبراهيم يحيى مدير الشُؤونِ الدينية والأوقاف لولاية الوادي.

سادساً- بعض من شهادته وأقواله:

من أهم شهادته التي سمعناها منه أكثر من مرة ما ذكره من ضرب شيخه "علي عبد اللاوي" له ضرباً مبرحاً على رجليه، الأمر الذي جعله لا يقوى على المشي أياماً، ولما صحَّ امتنع عن الرجوع إلى مواصلة الحفظ، فأقنعته أمه بالعودة، على أن تقف مع الشيخ موقفاً مناسباً للواقعة، فصاحبها إليه وهو ينتظر أن تُسمعه كلاماً تنتصر فيه له، فتفاجأ بأنها تدعوه إلى مأدبة طعام في بيتها؛ إكراماً له على العناية الخاصة بآبئها.

ومن أبرز الأقوال التي كانت كثيراً ما تجري على لسانه وهو يحفظ تلامذته: "يمكن أن أقبل الخطأ في نسيان كلمة أو عبارة أو آية، لكن لا أقبل الخطأ في الحركات والسكنات التي تضبط بها الحروف؛ لأن الخطأ الأول يسهل كشفه واستدراكه، لكن الثاني يصعب الانتباه إليه وتصويبه".¹

سابعاً- أهم ملامح شخصيته:

تميّز الشيخ بدمائه الخلق وحسن السيرة² ورحابة الصدر وشدة الصبر وعظم التحمل وكبر الانضباط؛ ذلك أن عدداً من تلاميذه وأولياهم قد يجهلون عليه وهو يؤدي رسالته القرآنية، فيكظم غيظه ويعفو عنهم ويصفح³، كما أنه تجاوز تأثير مرض السكري الذي أصيب به منذ أواخر سبعينيات القرن الميلادي الماضي⁴، فلا يُعرف له انقطاع أو تأخر عن التدريس ودوامه اليومي إلا في عطلة السنوية.

والشيخ كان مُهابَ الجانبِ مُوقِّراً من قبل جميع الشرائح الاجتماعية؛ وقد أُوتي ذلك بمحدودية مخالطته للعامة، وتفرضه التام للقرآن الكريم استظهاراً وتحفيظاً، واستقامته التامة، وحيائه الدائم، وقلة كلامه إلا فيما تعلق بكتاب الله تعالى.

وقد أُقبل الناس بمختلف مشاربهم على الشيخ تعلماً؛ لأنهم رأوا فيه أباً للجميع؛ إذ لا يُعلم له انتماء سياسي، ولا تعصب عرقي، ولا انحياز حركي أو مذهبي أو طُرقي.

1- هذه العبارة سمعناها منه بمعناها مراراً، وصغتها هنا بأسلوب الخاص.
2- هذا الحكم على أخلاق الشيخ سمعته أكثر من مرة من جدي ووالدي -رحمهما الله تعالى-؛ ذلك أن جدي عمل معه في الأشغال العمومية، ووالدي كان قد مكّن سائر أولاده وبناته من التعلم على يده. كما أن عدداً من أكابر حي "الطلّابية" الذي درس فيه زهاء رُبع قرن يُقرّون له بهذا. وأكّد لي عليه الأستاذ الدكتور عاشوري فَمَعُون في التواصل الإلكتروني السابق؛ حيث قال: "إنّه طيّب جداً".

3- ممّا ذكره في هذا الإطار ممّا شهدته شخصياً وأنا في مراهقتي تجرؤ أحد الشباب عليه أمام المألّ في صلاة الترواج بمسجد الطلّابية في آخر يوم من أيامها وهو في المحراب يصلي بنا إماماً؛ عندما أتى بالتكبير بين السُور ابتداءً من سورة الضحى إلى آخر القرآن، فكان أن وصفه الشاب بالبدعة وأمره بترك التكبير، فلم يردّ عليه الشيخ. وهذه المسألة خلافية كما هو معلوم عند القراء، وممّن تكلم فيها بشيء من الاستيعاب ابن مفلح؛ حيث قال: "وَأَسْتَحَبُّ أَحْمَدَ التَّكْبِيرَ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الضُّحَى إِلَى أَنْ يَخْتِمَ، ذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ وَغَيْرُهُ، وَهُوَ قِرَاءَةُ أَهْلِ مَكَّةَ أَخَذَهَا الْبُزْجِيُّ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ، وَأَخَذَهَا ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَأَخَذَهَا مُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَخَذَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي ثَيْبٍ كَعْبٍ، وَأَخَذَهَا أَبِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، رَوَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: الْبُغْوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ انْقِطَاعُ الْوَحْيِ ...". ينظر: كتابه: الآداب الشرعية، ت: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ/1999م، 295/296.

4- يُضَافُ هذا المرض إلى ما ذكرناه سابقاً من كونه لا يرى إلا بعين واحدة.

المطلب الثاني: جهود الشيخ في خدمة القرآن الكريم ومنهجه في تعليمه

أولاً- جهود الشيخ في خدمة القرآن الكريم¹:

لقد قضى الشيخ أكثر عمره معلماً لكتاب الله تعالى كما يتَّنا في المطلب الأول، وإذا أردنا أن نُجمل جهوده في ذلك، فإنه يُمكننا أن نَصوغها في الجوانب الآتية:

1- تخريج عددٍ من حفظة القرآن كلّهم ممن تولّوا تحفيظهُ من بعده للناس، أو إمامتهم به الصلوات الخمس والتراويح. وهؤلاء يُعدّون بالعشرات، وقد ذكرنا في المطلب الأول عدداً من أعيانهم.

2- الإسهام في تعريف الحفظة بإعراب القرآن وأسباب نزوله وشرح غريبه. وهذا الأمر له اعتبارُهُ الكبير؛ إذ إنّ أكثر معلّمي القرآن، بل والمدارس القرآنيّة -فيما أعلم- لا تكاد تُغنى بهذه الجوانب؛ فهي تقتصر على مجرد التحفيظ، وفي أحسن أحوالها تهتمّ معه بأحكام التلاوة فقط².

3- جعل الطلبة يتقنون كتابة القرآن وفق الرسم العثماني؛ وهذا الأمر أصبح عزيزاً الآن؛ إذ إنّ العارفين به، والمُعتمدين بتعليمه قلّة، وقد استسلم الكثير ممن نعلم إلى الكتابة الإملائيّة العادية، في الوقت الذي ظلّ فيه الشيخ منافحاً عنه، ولا يقبل الإخلال به.

4- تحفيظ أعدادٍ كبيرة تُعدّ بالآلاف لأجزاء معينة من كتاب الله تعالى، الأمر الذي كان سبباً في استقامة سلوكهم، ومثانة لغتهم؛ ومعلوم أنّ «القرآن يَهْدِي لِلّٰهِ هِيَ أَقْوَمُ» [الإسراء:10]، ويَرَوْضُ اللسانَ والقلمَ على العربيّة السليمة.

5- جعل هذه الفئة الأخيرة تقرأ القرآن الكريم بشكلٍ مقبولٍ إلى حدٍّ معتبر، وإنّ لم يحفظوه كلّهُ؛ حيث إنهم عرّفوا مبادئ الرسم القرآنيّ وبعض أحكام التلاوة، فيصبح تعاملهم مع المصحف سهلاً إلى حدٍّ ما، ويقلّ اللحن عندهم بشكلٍ ملموسٍ.

ثانياً- منهج الشيخ في تعليم القرآن الكريم:

يمكن لي أن أعرّض عناصر منهجه التعليمي القرآني في النقاط الآتية:

1- يُمكن على كلّ تلميذٍ من حفظه دون رجوع إلى المصحف. ومع كثرة التلاميذ، وتعدّد سورهم في الآن الواحد، فإنه لا يكاد يَرْتَجّ عليه إلا نادراً³، ولا يستسلم للمصحف بسرعة حينها للتنبّت، إلا

1- تثنياً لجهوده في خدمة القرآن الكريم فقد كرّمته مديريّة الشؤون الدينيّة والأوقاف لولاية الوادي بمناسبة الاحتفال ببليلة القدر المباركة لعام 1432هـ/2011م، وتبنّى يدّي شهادةً موقعّةً من طرفها.

2- يبدو أنّ الأقرب للهندي النبوي في التعليم القرآني أن يُغنى معلّم القرآن بالتفسير مع التحفيظ؛ لأنّ المقصد الأكبر من العناية بالقرآن فيه هو الذي يُهمّد الطريق إلى العمل به، لا مجرد حفظه أو تلاوته. ومما يشير إلى هذا حديث سَعِيد بن جُبَيْر عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ إِذْ إِنَّهُ نَقَلَ عَنْهُ قَوْلُهُ: "جَمَعْتُ الْمُخَكَّمُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"، فَقَالَ لَهُ: "وَمَا الْمُخَكَّمُ؟" فَقَالَ: "الْمُقَصَّلُ"؛ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي شِدَّةِ حِفْظِهِ وَذَكَائِهِ وَقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ بِإمكانِهِ أَنْ يَتَلَقَّى وَيَحْفَظَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ عَلَى عَهْدِهِ، لَكِنَّ عنايةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كانت متجهةً إلى الفهم أكثر، وذلك هو الذي أَهْلَهُ بَعْدَ لِيَكُونَ تَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ. والأثر المذكور رواه البخاري في صحيحه، ت: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير واليامة، بيروت، 1407هـ/1987م، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، حديث رقم: 4749، 1922/4.

3- وهذا يدلّ على متانة الحفظ الذي أوّاه بالتعاهد الدائم له؛ حتى إنّه أخبرني بأنّه يكون معه تاليفاً مستذكراً وهو يقوم بشؤونهِ الحياتيّة المختلفة.

بعد استفاد طاقته في الاسترجاع من المحفوظ.

2- يَكْفُ التلميذ وهو يُمْلِي عليه أن يتابعه من المصحف؛ حتى يَسْهَلَ عليه كتابه ما أَمْلَأَهُ عليه على لوجه الخشبي، ويتيسر أمر تصوُّر ما يُوجِّهُهُ إليه ممَّا يتعلَّق بالرسم العثماني¹ والمتشابه اللفظي في كتاب الله تعالى².

3- يصحَّح المكتوب على اللوح بدقة عالية قبل أن يباشِر التلميذ عملية الحفظ منه؛ فيُراعي الشيخ في تصحيحه الحركات والسَّكَنَات والمدود وسائر متعلَّقات الرسم العثماني³، وبعد الحفظ يستظهره عليه⁴.

4- يُعَلِّم على مدار السنة؛ مداومة صباحية وأخرى مسائية⁵؛ بحيث يستفيد التلميذ في العطل من فترتين في اليوم، وفي أيام الدراسة الأكاديمية يتخَّر الفترة التي تناسبه؛ فإن كان ممَّن يبدأ دراسته في الساعة الثامنة صباحاً يأتي إلى الشيخ مساءً عندما ينهي دراسته في الساعة الثالثة، وإن كان ممَّن يبدأ دراسته في الساعة العاشرة يأتي إلى الشيخ صباحاً في الساعة الثامنة⁶.

5- يدرِّس الذكور والإناث، والكبار والصغار، إلَّا أنَّ الإناث لا يَكُنَّ عادةً إلا دون البلوغ، والصغار الذين لا يعرفون الأبجدية يبدأ بتعليمهم إيَّاهَا؛ بحيث يكتب لكل واحدٍ سائر الحروف على لوجه الخاص، ويكفِّ مَنْ يُفَرِّهُم إيَّاهَا مكتوبةً على السبورة بشكلٍ جماعي.

6- يكتب للصغير إذا حَفِظ الأبجدية قسطه القرآني اليومي من قصار السُّور تصاعدياً⁷ بقلم

1- مثال ذلك ما يرتبط بالثابت والمحدوف من الألفات، والمفتوحات والمربوطات من تاءات نحو كلمة "رحمة" و"شجرة".

2- في الوقت الذي تميَّز فيه الشيخ بالعناية بالرسم العثماني وعدم التساهل بشأنه، فإنَّه يلاحظ عليه عدم العناية الكافية بأحكام التلاوة والوقوف. اعتبر هذا من المؤاخذات؛ لأنَّ القرآن يُفَرِّضُ أن يُقرأ غصّاً طريّاً كما أنزل، والالتزام بالوقوف المشار إليها في مواضعها منه يُعِين على الفهم الصحيح.

3- رغم كثرة ألواح التلاميذ التي تُعدُّ بالمئات لا سيَّما في العطل، وكثرة المكتوب في العشرات منها، فإنَّ الشيخ لا يكلُّ ولا يَمَلُّ، ويَمُرُّ عليها جميعاً تصحيحاً.

4- من المؤاخذات الواردة على طريقة الشيخ في التحفيظ أنَّه يكتفي باستظهار التلميذ اللوح المعين عليه، ثم لا يُعْنَى بأمر جمع الألواح إلى بعضها، أو استظهار السورة كاملة، أو استظهار الأقسام المعنوية من القرآن كخمسة أحزاب ونحوها. عَدَدْتُ هذا من المؤاخذات؛ لأنَّ التلميذ إن لم يكن صاحب هِمَّةٍ خاصَّة، أو إن لم يجد مَنْ يتابعه من أهله، فإنَّه لن يحفظ في نهاية المطاف القرآن، وإنما يختمه فقط.

5- الفترة الصباحية من الثامنة إلى العاشرة، والفترة المسائية من الثالثة إلى الخامسة.

6- هذه الطريقة مناسبة في العطل، لكنها لا تناسب في الموسم الاجتماعي إلا تلاميذ الابتدائي فقط؛ لأنَّ الذين يدرسون في المرحلة المتوسطة أو الثانوية لا يكدون يستفيدون منها إلا قليلاً؛ ولذا كان الأوَّل في تقديري أن يكون دوامه الصباحي مبتدئاً من بعد صلاة الصبح مباشرةً إلى حدود السابعة، والمسائي فيما بين المغرب والعشاء؛ حتى يناسب تلاميذ الأطوار الثلاثة وكذا الجامعيين والموظفين.

7- أي: بعد الفاتحة يحفظه الناس فالفلق فالإخلاص، وهكذا. وهذه الطريقة هي الشائعة في سائر كتاتيب منطقة سوف؛ وفيها تسهيل على الطفل المبتدئ في الحفظ؛ نظراً لتداول هذه السور بين سائر الشرائح الاجتماعية، ومن ثَمَّة سيشهِّم عددٌ من أهل بيته في تحفيظه، بل إنَّ التلميذ سيجدها قد طُرِقت سمعه سابقاً من خلال إتيان الناس بها في صلواتهم، كما أنَّ فيها تأثيراً نفسياً عليه؛ بحث يُجسِّس وهو ينتقل من سورة إلى أخرى في وقتٍ وجيزٍ بأنَّه في تطوُّر مستمرٍّ، على عكس ما إذا بُدِئ له بعد الفاتحة بالقرعة وسائر الطوال تنازلياً، فإنَّه سيَمُضي أشهرَ وربَّما السنوات في السورة الواحدة، فتَنَسَّدْ شهيقه للحفظ؛ لأنَّه يرى نفسه بأنَّه يُراوِج مكانه.

الرصاصي، وهو يُتَابَع كتابته بقلمه الخشبي الذي يأخذ به حبره الأسود من دَوَاتِهِ الخاصّة، فإذا تَمَرَّنَ على الكتابة انتقل إلى التلقّي إملاءً من الشيخ¹.

7- يتابع تلاميذه حضورًا وحفظًا وسلوكًا، لا سيّما النجباء منهم ممّن يتوسّم فيه الخير، ويُسدي النصّح، ويشدّد الهِمّة، ويقوّي العزيمة، مكتفياً في ذلك -غالبًا- بالموعظة الحسنّة؛ بحيث لا يلجأ إلى الضرب إلا في حدود ضيقة.

8- له تقسيمات خاصّة للقرآن الكريم من حيث رؤوس أحزابِه وأنصافِه وأرباعِه وأثمانِه؛ فهو في بعض المواضع لا يلتزم المتداول في المصاحف المغربيّة².

خاتمة

بعد هذه الإطلالة عن حياة الشيخ مختار هُنيّات وإسهاماته في خدمة كتاب الله تعالى، أجدني في نهاية المطاف أسجّل النتائج الآتية:

- 1- التعمّد الدائم لكتاب الله تعالى عاملٌ أساسيّ في تثبيت المحفوظ منه في الصدر.
- 2- عدمُ انتماء معلّم القرآن إلى التكتلات السياسيّة، وترقُّعه عن التعصّب للجماعات المذهبيّة المختلفة، يجعل منه واسع التأثير، كثير الإقبال من الجميع.
- 3- التعليم القرآني ينبغي أن يكون متكاملًا؛ فلا يُقتصر فيه على تحفيظ كلام الله مجزئًا عن أحكام تلاوته ووقفه ورسيمه وتفسيره.
- 4- للوالدين دورٌ كبيرٌ في تمكين ولدهما من النجاح في الحياة عمومًا، وفي الناحية العلميّة خصوصًا، وفي حفظ القرآن الكريم على وجهٍ خاصّ.

وقبل إسدال الستار على حياة الشيخ وإسهاماته القرآنيّة، أريد أن أوصي بالآتي:

- 1- على طلبة العلم النجباء في منطقة سوف خاصّة، وفي الجزائر عامّة، أن يكونوا أوفياء لشيوخهم الذين تلقّوا القرآن وعلومه على أيديهم؛ فذاك أقلّ القليل الذي يمكن أن نكافئهم به. والوفاء يقتضي أن يبادروا إلى تخليد ذكراهم بالترجمة لهم، وعرض جهودهم التي خدموا بها الكتاب العزيز؛ حتّى تُقدّمهم قدوة طيبة للأجيال الحاليّة واللاحقة.
- 2- ضرورة العناية بأصحاب القدرات الخاصّة في كتاب الله تعالى، والتكفّل المادي والمعنويّ بهم، وتفريغهم التام لتعليمه؛ فإنّ مردودهم حينئذ سيكون عظيمًا.
- 3- بحث مسألة التقسيمات الخاصّة للقرآن الكريم أحزابًا وأنصافًا وأرباعًا وأثمانًا؛ وذلك من حيث توثيقها وتأصيلها، لا سيّما وأنّ عددًا منها له علاقة بالسياق، وحالات عديدة منها أرى شخصيًا أنّها أجدى بالوقوف عندها ممّا هو مُثبت في مصاحفنا المغربيّة.

1- أذكر أنّي دخلت السنة الأولى في المدرسة النظاميّة وأنا في سورة الرحمن أكتب إملاءً من الشيخ.
2- من ذلك أنّ النصف الثاني من الحزب الأوّل يبدأ عنده من قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة:44]، وليس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:42]. وقد سألتُه عن هذا الأمر، فأعلّمني بأنّه ملتزم بما تلقّاه عن شيخه.

التفسير الجزائري المطبوع - دراسة تاريخية استقرائية ببلوغرافية -

أ/ نبيل صابري

ماجستير كتاب وسنة - جامعة الجزائر 1

Sabrinabil02@gmail.com

ملخص البحث

يتمركز البحث حول مطبوعات التفسير الجزائرية، وقبل التعرض لاستقرائها ألمحت بنبذة تاريخية عن اعتناء القطر الجزائري بالتفسير عبر القرون، حيث نلاحظ أنه لم يمر قرن إلا ونعثر على كتابات تحاول استشرّاح النص القرآني بقدر الطاقة الإنسانية، بداية من القرن الثاني حتى العصر الحديث، هذا عن المبحث الأول، ثم تتبعت في المبحثين اللذين يليه جميع ما نشر في الأسواق، مقسما المطبوع إلى: مطبوعات لأعلام سابقين، ومطبوعات لأعلام معاصرين، سواء كان تفسير جميع القرآن، أم جزء منه، وقد خلصت في النهاية إلى أزيد من خمسين عمل تفسيري زخرت بهم الجزائر، ورغم هذا العدد المفاجئ الذي لم أكن أنتظره في بداية بحثي، حيث يعد كبيرا مقارنة بما يسبق للذهن من إهمال لعلم القرآن، علم الكتاب المجيد، فإني أشرح هذا العدد إلى مضاعفات في السنوات المقبلة إن شاء الله تعالى، نتيجة اتجاه يد المحققين إلى كثير من مخبّات المخطوط التفسيري - بضغط مذكرات التخرج، والأمل معقود على توفيتهم ببغيتهم لتعدد كتابات الجزائريين في هذا الفن المبارك وإن كان قليلا بعلم الفقه وأصول الدين-، واجتهاد بعض العلماء والمتخصصين المعاصرين في المشاركة الفعالة في علم التفسير والحرص على طبع أعمالهم.

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والشكر له على ما حفظ في اللوح من بديع الكلم، ثم لما استحفظ علومه من بني الإنسان ضيّع فلم تسلم، واجتهد في الشرح فأصاب بعضها وغابت عنه أشياء فلم يفهم.

لكل قُطر مدارسه، ولكل بلد علماؤه، ولكل أمة تاريخها؛ تاريخٌ يشهد لها بالحضارة والرقى، أو التعثر والسقوط، ومهما بلغت في العلم شأوا، فإنها لا تعلق في مدارج التمكين إلا بمقدار ارتباطها بكلام رب العالمين؛ حفظا، وإقراء، وتفسيرا، وعملا، سنةً كونية لا محيد عنها ولا تبديل، ولقد كان للجزائر قديما دورها الريادي وهي آخذة بزمام أنواع الدراسات القرآنية، على فترات متفاضلة في الاعتناء أو الإهمال، وإن يكن في عصرنا من واجب في حقهم، فأول ما يناط بزمنا هو تخريج ما ورثوه لنا في حلل قشبية، محققا مصححا، وطباعته،

وتسويقه، بعد مرحلة الجمع والنقب عن تواجده.

وإذا تأكدنا من حقيقتين: وجود تراث مأسوف على حاله مع توافره، واتجاه التكليف إلى ضرورة طبعه لا تشويمه، فما هو مقدار ما أخرجناه للأمة طباعة وتكشيفا ؟ وكم بقي مجهولا في الخزانات والأقبية لا زال ينتظر نفث الغبار عن الهمم قبل المَعْلَم؟ ولما كان هذا الملتقى الوطني الفذ، يتناول الجهود الجزائرية في خدمة التفسير وعلوم القرآن، ارتأيت المداخلة بموضوع هام؛ هو: "التفسير الجزائري المطبوع- دراسة تاريخية استقرائية بيبليوغرافية"، تحت محور المطبوعات والمخطوطات في تفسير القرآن الكريم.

عملي في هذه الدراسة يتمثل في استقراء جميع كتب التفاسير الجزائرية المطبوعة، معتمدا على المنهج التاريخي في رصد حركة التفسير عبر القرون، والمنهج الاستقرائي في التتبع، والمنهج البيبليوغرافي النسقي الحصري في كشفها وترتيبها بيبليوغرافيا فقط وفق الترتيب الزمني، ولا أتعرض لنقد الطباعات، أو المقارنة بين المخطوط والمطبوع، وإنما أقصد ذكر معلوماتها من مصادرها المطبوعة، سواء كانت في كتاب، أو مجلة، أو مجموعة أعمال، ولا ألتزم بالتفاسير الكاملة، وإنما كل تفسير لآية، أو سورة، فهو داخل في نطاق العمل.

تأتي قيمة الدراسة في إضافة مادة مجموعة متاحة للباحثين، لم أطلع على إنجاز يشبهها، اللهم إلا ما كتب عن المفسرين في مرحلة معينة؛ كالمفسرين الجزائريين في العهد العثماني للأستاذ عبد الغني عيساوي، وهي رسالة دكتوراه لم تناقش بعد، أو ما كتب عن المفسرين على امتداد التاريخ، كمؤلف الأستاذ اسكندر في كتابه الموسوم: المفسرون الجزائريون عبر القرون، وهي تعني بإبراز الجهود المطبوعة والمخطوطة، وتختلف دراساتي عن الأولى في اتساعها، وعن الثانية في شمولها لكثير مما طبع بعدها، خاصة إذا علمنا أنها قديمة.

قصدي بالمفسر الجزائري في القائمة البيبليوغرافية، ذاك الذي أصوله جزائرية، أو ولد في الجزائر، أو نشأ بها، ولا أتعرض للمفسرين الذين استوطنوها في مرحلة من مراحل حياتهم، كالخروبي أو الحرالي المراكشي، وكذلك ما كتب في الصحافة ولم يطبع مستقلا؛ كاختصار تفسير ابن عاشور للأستاذ عمار طالبي على جريدة البصائر، وجعلت مطلع القرن الرابع عشر هي المرحلة الفاصلة بين الأعلام السابقين والأعلام المعاصرين، أما عن أهدافها فهي كثيرة، وهذه بعض منها:

• تمكن الباحث من معرفة التراث التفسيري المطبوع، وتهديه إلى ما خفي من مصادر

هامة.

• تجنب التكرار في الأعمال لمن رام طبع تفسير ما.

• الوقوف على حجم تراث أسلافنا، وعظيم ما بذلوه من جهود.

• تقدير الأعمال المنجزة، والأعمال التي بقيت حبيسة، لتعجيل نشرها، خاصة ما حقق

في الجامعات ولم تبذل له الأموال في سبيل طبعه.

وبالنسبة للعناصر المطروقة، فقد قسمت البحث وفق الخطة الآتية:

• مقدمة

- المبحث الأول: نماذج من عناية علماء الجزائر بالتفسير عبر القرون.
- المبحث الثاني: مطبوعات تفسيرية لأعلام سابقين.
- المبحث الثالث: مطبوعات تفسيرية لأعلام معاصرين.
- خاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا وإني بعملني هذا لا أدعي الإحاطة الشاملة، والوقوف على جميع التفاسير المطبوعة، خاصة مع غياب فهارس الكتب المطبوعة، ونفاذ كثير من الكتب في المكاتب التجارية، خاصة ما تم نشره منذ سنوات بعيدة، وأحيانا حتى ما تم نشره في وقتنا، لانعدام التواصل، والله الأمر من قبل ومن بعد.

المبحث الأول: نماذج من عناية علماء الجزائر بالتفسير عبر القرون

بدأ تاريخ التفسير في الجزائر منذ وقت مبكر، فولادة علم التفسير مرتبط بولادة دولة الجزائر المسلمة المستقلة، وذلك بإقامة عبد الرحمن بن رستم (171هـ) بتمرت، وبيعته على الإمامة سنة 160هـ، حيث ترك لنا تفسيراً من شاكلة تفاسير القرن الثاني، ولكن لم يصلنا شيء منه لنحكم على منهجه وطريقة تفسيره⁽¹⁾.

ثم نثر بعده على تفسير ثمان لهود بن مُحَكَّم القاضي الهواري (في حدود 280هـ) من جبل الهوارة بضواحي الأوراس، وهو تفسير جليل، ولأهميته تذكر المصادر أنَّ رجلين تنازعا وتخاصما فيه، كلُّ يدعي ملكيته واقتناؤه، حتَّى كادت عشيرتاها تقتتلان، ممَّا حدا بالقاضي أبي محمَّد جمال المدوني إلى تقسيمه نصفين، فقام كلُّ منهما بنسخ النصف الآخر، وهو ما يؤكد أيضا اشتهار الكتاب بعد وفاته حيث كانت سنة وفاة المدوني بعد 354هـ، وقد وصلنا تفسير هود مع بُعد زمنه، والمتفحص فيه يدرك تقاربه مع تفسير يحيى بن سلام البصري القيرواني (200هـ)، بل جزم محققه بالحاج بن سعيد شريفي أنه مختصر منه، ومهما يكن من نقل عمن سبقه مع زيادة ونقصان، فهو يشير لحركة التفسير المبكرة⁽²⁾.

لم تسعفنا التراجم بذكر مفسرين مع بداية القرن الرابع، ولعل هذا يرجع لانعدام التأليف فيه، والاشتغال بغيره من العلوم كالفقه واللغة، أو على الأقل الاستغناء بتفسير الهواري الذي كان له بعض الذبوع، وإما أن التأليف كان موجودا، وشحت المصادر عن ذكره لعدم شهرته أو اندثاره السريع، غير أن نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس عرف

(1) البيان المغرب، محمد بن عذاري، ج 1 ص 196، الأزهار الرياضية، سليمان الباروني، ج 2 ص 2، معجم

أعلام الاباضية، مجموعة من الباحثين، ج 1 ص 249، معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 147.

(2) تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم، مقدمة المحقق، ج 1، معجم أعلام الاباضية، مجموعة من الباحثين، ج 1 ص 443، معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 338.

بعض النشاطات التفسيرية من قبَلِ أئمة معتمدين، نذكر منهم:

. أحمد بن علي الباغي أو الباغي (401هـ) من باغاية بخنشلة، وهو من الريانيين الذين لم يخلفهم أحد في علوم القرآن كما نص على ذلك مترجموه⁽¹⁾؛ وعلم التفسير من أجل علوم القرآن وأولاه بالدخول، وقد ترك لنا كتابا في أحكام القرآن يدل على مكنته في التفسير الفقهي وتميزه في مباحث القرآن، قال فيه ابن بشكوال: "وله كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا"⁽²⁾.

. أحمد بن نصر الداودي المسيلي (402هـ)، الذي كان له تفسير للقرآن متداول ومشهور، وآخر من نقل عنه الإمام الثعالبي (875هـ) في تفسيره⁽³⁾، ما يدل على أن تفسيره وصل حتى القرن التاسع، فخمسة قرون من نسخته ونقله كفيلا بالتأكيد على أهميته وقيمه العلمية. مروان بن علي البوني (439هـ)، تلميذ أحمد الداودي، يعد من المفسرين للقرآن الكريم، ولعله تأثر بشيخه في تفسيره حيث لازمه أزيد من خمسة أعوام، وليس بين أيدينا أي أثر محفوظ عن ما خلفه⁽⁴⁾.

أما القرن السادس فبرز من المفسرين يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني (570هـ) بتفسيره الذي يبلغ سبعين جزءاً، قال البرادي: "رأيت منه في بلاد "ريغ" سفرا كبيرا؛ لم أر، ولا رأيت قط، سفرا أضخم منه، ولا أكبر منه، حررت أنه يجاوز سبعمائة ورقة أو أقل أو أكثر، فيه تفسير فاتحة الكتاب، والبقرة، وآل عمران،... فلم أر ولا رأيت أبلغ منه ولا أشفى للصدر في لغة أو إعراب أو حكم مبين أو قراءة ظاهرة أو شاذة أو ناسخ أو منسوخ أو جميع العلوم منه..."⁽⁵⁾.

ونجد في القرن السابع أبو زكريا يحيى بن أبي علي المشتهر بالزواوي (611هـ)، حيث كان يفسر القرآن الكريم إقرائيا، وقد بلغ من فهمه للتنزيل مبلغا جعله في إحدى مراته يدخل في نوبة، ثم يموت بعدها⁽⁶⁾، وكذلك علي بن عبد الله الوهراني (615هـ) الذي ألف كتابا في تفسير القرآن⁽⁷⁾، ويحيى بن محمد بن موسى التجيبي (652هـ)، من فقهاء تلمسان ووعاظها،

(1) ترتيب المدارك، القاضي عياض، ج7، ص198، تاريخ الاسلام، محمد الذهبي، ج9، ص25، معجم المفسرين، عادل نويعض، ص49.

(2) الصلاة، ص87.

(3) قال الثعالبي: "ومهما ذكرت الداودي في هذا المختصر، فإنما أريد أحمد بن نصر الفقيه المالكي، ومن تفسيره أنا أنقل". الجواهر الحسان ج1، ص430.

(4) تاريخ الإسلام، محمد الذهبي، ج9، ص602، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، ج3، ص1245، معجم أعلام الجزائر، عادل نويعض، ص52.

(5) معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج1، ص481، معجم أعلام الجزائر، عادل نويعض، ص341.

(6) عنوان الدراية، أحمد الغبريني، ص127، كتاب الوفيات، أحمد بن قنفذ، ص306، التشوف إلى رجال التصوف، يوسف بن الزيات، ص428.

(7) طبقات المفسرين، محمد الداودي، ج1، ص413، معجم أعلام الجزائر، عادل نويعض، ص349.

الذي شارك بمصنف مستقل في التفسير⁽¹⁾.

عرف القرنان بعده؛ أي الثامن والتاسع، بتفوق في فهم الخطاب وتأويله، شارك في ذلك جماعة من الأعيان والعلماء، بعضهم اشتغل بالتدريس، وبعضهم اشتغل بالتحريير والتأليف، ومنهم من جمع بين الطريقتين، والتفسير قد يكون لآية، أو آيات، أو تفسير لكامل القرآن، أو حاشية على تفسير مهم، ولو أردنا استقصاءهم لطال بنا المقام، ولكن تكفي الإشارة إلى بعضهم:

. محمد بن محمد المقرئ (756هـ)، كان يقوم أتم قيام على التفسير، وعالم بعلوم القرآن⁽²⁾.
. محمد بن إبراهيم الآبلي (757هـ)، اعتنى بمشكل القرآن، وله كلام في خطورة التأويل وتحريف المعنى، جعلته يقول: "والحق أن تفسير القرآن من أصعب الأمور، فالإقدام عليه جراءة"⁽³⁾.

. منصور بن علي الزواوي (كان حيا في حدود 770هـ)، جلس لإقراء التفسير بالأندلس⁽⁴⁾.
. محمد بن أحمد الشريف التلمساني (771هـ)، من أعمدة المفسرين، حضر ابنه عبد الله عنده في تفسير القرآن من سورة النحل إلى الختم، ومن أوله في المرة الثانية إلى قوله: يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وكان يقرأ عليه كتابا في التفسير ليلا، دام تفسيره نحو 25 سنة، أتى فيه بالعجب العجيب، ومجلسه عظيم هائل، يحضره أكابر الملوك والعلماء والصالحين وصدور الطلبة ومشيخة زمانه لا يتخلف منهم أحد، حتى قال السلطان مرة: إني لأرى العلم يخرج من منابت شعره⁽⁵⁾.

. محمد المراكشي البوني الضرير (807هـ)، ألّف في تفسير القرآن، قال عنه أحمد بن قاسم البوني:

ألّف في التفسير والبيان* وفي الكلام فاستمع بياني⁽⁶⁾

. سعيد بن محمد العقباني (811هـ)، من آثاره: تفسير سورة الفاتحة، وسورتي الأنعام والفتح⁽⁷⁾.

-
- (1) طبقات المفسرين، محمد الداودي، ج2، ص376، معجم أعلام الجزائر، عادل نويّض، ص83.
 - (2) البستان، محمد بن مريم، ص175، 192، شجرة النور، محمد مخلوف، ج1، ص334، نفح الطيب، أحمد المقرئ، ج5، ص279، وقد اختلف في سنة وفاته.
 - (3) الإحاطة، محمد لسان الدين بن الخطيب، ج2، ص124، الدرر الكامنة، أحمد بن حجر، ج5، ص13، البستان، محمد بن مريم، ص236.
 - (4) الإحاطة، محمد لسان الدين بن الخطيب، ج3، ص248، نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكي، ص611، شجرة النور، محمد مخلوف، ج1، ص336.
 - (5) البستان، محمد بن مريم، ص140، 185، نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكي، ص430، شجرة النور، محمد محمد مخلوف، ج1، ص337.
 - (6) الدرة المصونة، أحمد البوني، ص129، كتاب الوفيات، أحمد بن قنفذ، ص381، الضوء اللامع، محمد السخاوي، ج8، ص48.
 - (7) الديباج، ابن فرحون، ج1، ص394، معجم أعلام الجزائر، نويّض، ص237، البستان، ابن مريم، ص129.

. عبد الرحمن بن محمد الشريف التلمساني (826هـ) يلقب بأخيراً المفسرين، اطلع أخوه عبد الله على تفسيره أول سورة الفتح، فأجازه بالإتقان والتفوق⁽¹⁾.
. أحمد بن محمد المسيلي (830هـ)، له تقييد في التفسير عن ابن عرفة، فيه فوائد وزوائد ونكت⁽²⁾.

. وكذلك كل من محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (842هـ)⁽³⁾، وأحمد بن محمد بن زاغو (845هـ)⁽⁴⁾، وإبراهيم بن فائد الزواوي (857هـ)⁽⁵⁾، ومحمد بن محمد المشدالي (865هـ)⁽⁶⁾، وعبد الرحمن بن محمد الثعالبي (875هـ)⁽⁷⁾، ومحمد بن محمد النقاسي (بعد 897هـ)⁽⁸⁾.

نلج القرن العاشر مستفتحين بالعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (909هـ)، حيث يعتبر أول من ألف في التفسير بمنطقة توات، وغُثِرَ في فهرست مروياته أنه ألف تأليفاً في تفسير القرآن سماه: الفتح المبين في شرح القرآن الكريم، وله البدر المنير في علوم التفسير؛ الذي لم يظهر أي خبر عنه، ودلالة اسمه تشير إلى أنه إما تفسير، أو كتاب في علوم القرآن، كما ألف في تفسير الفاتحة بنفس طويل وقصير⁽⁹⁾.
وممن ألف كذلك محمد بن عبد الرحمن بن أبي العيش التلمساني (911هـ)، حيث وضع تفسيراً للقرآن الكريم⁽¹⁰⁾، أما أحمد بن محمد الشهير بابن الحاج اليبدي (930هـ) علامة تلمسان بلا مدافع، فقد كان يتعارض في أحكام القرآن ويدرسها، ويدرس القراءات السبع، وله أبيات في عدد سور القرآن⁽¹¹⁾.

-
- (1) البستان، محمد بن مريم، ص 149، شجرة النور، محمد بن مخلوف، ج 1، ص 362، معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص 70.
 - (2) نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكي، ص 115، معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص 299.
 - (3) الدرر الكامنة، أحمد بن حجر، ج 5، ص 93، نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكي، ص 499، البدر الطالع، محمد الشوكاني، ج 2، ص 119.
 - (4) البستان، محمد بن مريم، ص 70، نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكي، ص 118، معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص 157.
 - (5) نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكي، ص 56، شجرة النور، محمد مخلوف، ج 1، ص 378، معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص 160.
 - (6) الضوء اللامع، محمد السخاوي، ج 9، ص 180، نظم العقيان، عبد الرحمن السيوطي، ص 160، معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص 301.
 - (7) نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكي، ص 257، شجرة النور، محمد مخلوف، ج 1، ص 382، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، مسعود كواتي ومحمد الشريف، ص 93.
 - (8) الضوء اللامع، محمد السخاوي، ج 10، ص 7، معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص 332.
 - (9) البستان، محمد بن مريم، ص 272، فهرس الفهارس، عبد الحى الكتاني، ج 2، ص 253، التاريخ الثقافي لإقليم توات، الصديق حاج أحمد آل المغيلي، ص 192.
 - (10) البستان، محمد بن مريم، ص 272، نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكي، ص 579، معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص 246.
 - (11) نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكي، ص 136، البستان، محمد بن مريم، ص 37، ص 125.

في هذه الفترة جاد علينا فقيه الجزائر في عصره محمد بن علي الخروبي (963هـ) بتفسيره المشهور؛ رياض الأذهار وكثر الأسرار في تفسير القرآن، جامعا بين الحقيقة والشرعية⁽¹⁾، وقاسم بن يحيى الفكون (965هـ) الذي عرف في كتب التراجم بالمفسر، وإن كنا لا نملك أي خبر عن تفسيره⁽²⁾.

وضع مفخرة الجزائر أحمد بن محمد بن يحيى المقري (1041هـ) كتابا في إعراب القرآن⁽³⁾ بعد القرن العاشر، وشرع علي بن عبد الواحد بن محمد الأنصاري السجلماسي (1057هـ) في تفسير القرآن بلغ فيه إلى قوله تعالى: ولكن البر من اتقى، كما نظم أيضا منظومة في علم التفسير وشرحها⁽⁴⁾، وحكّم يحيى بن محمد الشاوي (1096هـ) بكتابه: الحاكمة، على تفاسير الزمخشري وابن عطية وأبي حيان، وفسر بعض الآيات في كتاب آخر⁽⁵⁾.

لم يكن القرن الثاني عشر أقل اهتماما من القرون قبله، فمحمد بن عبد الرحمن بن زكري التلمساني (1144هـ) وضع تقييدا على سورة الفاتحة وعلى آية في سورة الكهف، وفسر سورة الإخلاص⁽⁶⁾، وصنّف حسين بن محمد بن العنابي (1150هـ) تفسيرا للقرآن، اعتمد عليه عليه حفيده محمد بن محمود بن محمد بن حسين العنابي (1267هـ) بواسطة جده محمد (1203هـ)، وكان يقول: "قال مولانا الجد الأكبر حسين بن محمد رحمه الله في تفسيره"⁽⁷⁾، ونظم أحمد بن قاسم البوني (1139هـ) غريب القرآن للعزيزي في نحو أربعة آلاف بيت، وكتب إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن، والفتح القدسي بتفسير آية الكرسي، وغيرها⁽⁸⁾، وحسّى يوسف بن محمد المصعبي المليكي (1187هـ) على تفسير الجلالين⁽⁹⁾، ولعبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني (1194هـ) تفسير آيات وقعت بمجالس صالح باي⁽¹⁰⁾.

-
- (1) شجرة النور، محمد مخلوف، ج1، ص411، الأعلام، خير الدين الزركلي، ج6، ص292، تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج1، ص498، ج2، ص16.
 - (2) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج2، ص72، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، أبو القاسم سعد الله، ص40، معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص255.
 - (3) ربحانة الألبا، أحمد الخفاجي، ص239، الفكر السامي، محمد الحجوي، ج2، ص328، أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج1، ص119.
 - (4) صفوة من انتشر، محمد الإفرائي، ص243، الفكر السامي، محمد الحجوي، ج2، ص330، أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج1، ص449.
 - (5) الفكر السامي، محمد الحجوي، ج2، ص330، خلاصة الأثر، محمد المحبي، ج4، ص486، أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج2، ص427.
 - (6) شجرة النور، محمد مخلوف، ج1، ص484، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، ص197، أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج2، ص154.
 - (7) رائد التجديد الاسلامي، أبو القاسم سعد الله، ص23، أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج1، ص224، ص224، ج2، ص260، معلمة القرآن والحديث، عبد العزيز بن عبد الله، ص57.
 - (8) الدرة المصونة، أحمد بن قاسم، ص14، شجرة النور، محمد مخلوف، ج1، ص475، معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص49.
 - (9) أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج2، ص432، معجم أعلام الاباضية، ج1، ص491.
 - (10) أعلام الفكر الجزائري، بسكر، ج1، ص391، معجم أعلام الجزائر، نويهض، ص145، الزركلي، الأعلام، ج4، ص38.

تواصل التأليف والتدريس في هذا الفن المبارك كحلقة في سلسلة ممتدة عبر القرون، فهذا أحمد بن عمار بن عبد الرحمن من القرن الثالث عشر (1205هـ) يحرر رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك﴾⁽¹⁾، ومحمد بن أحمد الراشدي الشهير بأبي راس العسكري (1238هـ) يتحفنا بثلاثة أسفار على عاداته في الجمع باسم: مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير⁽²⁾، ويوسف بن عدون عدون اليزقني (1252هـ) يجاري أهل عصره بكتابة حاشية على تفسير البيضاوي⁽³⁾.

رغم ما قيل عن فترة الدولة العثمانية في الجزائر، وما صاحبها من التقليد والجمود، فإنني لا ألحظ انقطاعاً في أي قرن من مدة حكمها عن ظاهرة التأليف والتدريس في التفسير وهو مجال بحثنا، بل يمكن القول بأن الخروج عن قيود التبعية والانغلاق كان هو الغالب، وما رصدته في هذه النبذة ابتداء من النصف الأول من القرن العاشر إلا خير دليل عن التوارث في تجلية معاني القرآن، وفك الغموض عنه، وإعراجه، وتبيان قراءاته.

دخلت الجزائر بعد 1245هـ في صراع مع المحتل الغاصب، ورغم ما ضُيق عليها بدفن مواهبها، ونفي علمائها، وإذلال مثقفها، فإنها لم تهدأ حركتها العلمية في الاستمرار ولو بما أتيح لها من وسائل، وقد استطاعت أن تنجب مفسرين مجيدين، توزعوا في ربوع الوطن، وألهموا الشعب مكسب الحرية الخالدة.

فمحمد بن عيسى الجزائري (1310هـ) ألف رسالتين في التفسير⁽⁴⁾، ومحمد بن أبي القاسم الهاملي (1315هـ) فسر سورة القدر⁽⁵⁾، وأمحمّد بن يوسف اطفيش (1332هـ) ألف ثلاثة تفاسير⁽⁶⁾، وطاهر بن صالح السمعوني الجزائري (1338هـ) له عدّة حواشي على تفاسير تفاسير المتقدمين⁽⁷⁾، وصالح بن عمر الأعلى (1347هـ) خلف لنا القول الوجيز في كلام الله العزيز⁽⁸⁾، وعلامة الجزائر ومجددها عبد الحميد بن باديس (1359هـ) فسر القرآن طيلة خمس وعشرين سنة بالجامع الأخضر بقسنطينة، ونشر بعضاً منها كافتتاحيات لمجلة الشهاب⁽⁹⁾، وكذلك محمد أرزقي الشرفاوي الأزهري (1364هـ) فسر القرآن كله إقراءياً، وألف

(1) معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج2، ص27، معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص97، أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج1، ص97.

(2) معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج9، ص25، أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج2، ص106، معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص306.

(3) معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص230، الموسوعة الميسرة، مجموعة من الباحثين، ج3، ص2963.

(4) معجم أعلام الجزائر، نويمض، ص112، أعلام مدينة الجزائر، مسعود كواتي ومحمد الشريف، ص98.

(5) معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص335، معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج11، ص260.

(6) أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج2، ص276، معجم أعلام الاباضية، ج1، ص399.

(7) معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص101، معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج5، ص35.

(8) معجم أعلام الجزائر، نويمض، ص194، معجم أعلام الاباضية، مجموعة من الباحثين، ج1، ص230.

(9) معجم أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص28، عبد الحميد بن باديس مفسراً، حسن سلوادي، ص39.

وَأَلَّفَ كِتَابًا فِي الْإِعْرَابِ بِاسْمِ: إِرْشَادِ الطَّلَابِ إِلَى مَا فِي الْآيَاتِ مِنَ الْإِعْرَابِ ⁽¹⁾، وَدَرَسَ الْعَرَبِيَّ التَّبْسِييَ (1376هـ) التفسير بأسلوب شَيْقٍ ⁽²⁾، وَكَتَبَ عَمْرَ رَاسِمَ عَلِيَّ بْنِ سَعِيدِ الْبَجَائِي (1379هـ) تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ بِسَجْنِ بَرْبُوسٍ. وَرَسَمَ الْقُرْآنَ بِخَطِّهِ الْجَمِيلِ، وَطَبَعَ الْمَصْحَفَ فِي مَطْبَعَةِ رُودُوسِي ⁽³⁾، فَكَانَتْ مَجَالِسُ الْعُلَمَاءِ عَادَةً لَا تَخْلُ مِنْ تَوْجِيهِ آيَةٍ وَتَحْلِيلِهَا، بَلْ تُخَصُّ تُخَصُّ حَصَصٌ لِلدَّرْسِ الْقُرْآنِيِّ، وَلَوْ فِي أَعْيِ السَّجُونِ.

أَمَّا الْعَصْرُ الْحَالِي، عَصْرُ الْإِسْتِقْلَالِ وَالنُّورِ، فَجَنَدَ مُحَمَّدُ الْعَرَبِيُّ بْنُ التَّبَائِي السُّطَائِفِي (1390هـ) قَدْ خَتَمَ تَفْسِيرَ الْبَيْضَاوِيِّ، وَالنَّسْفِيِّ، وَالْخَازَنِ، وَابْنَ كَثِيرٍ، وَالْإِتْقَانَ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ بِالْحَرَمِ الشَّرِيفِ ⁽⁴⁾، وَكَانَ نَعِيمُ بْنُ أَحْمَدَ النَّعِيمِيِّ (1392هـ) يَلْقِي دُرُوسًا فِي التَّفْسِيرِ عَلَى طَبَقَةِ كَلِيَّةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ قَسَنْطِينِيَّةٍ ⁽⁵⁾، وَأَتَمَّ فَضِيلُ إِسْكَندَرِ (1402هـ) مِنَ الْمَدِينَةِ، تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ كُلَّهُ إِقْرَانِيًّا، حَيْثُ طَبَقَ وَصِيَّةَ ابْنِ بَادِيَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ سَنَةِ 1935م، حَتَّى خَتَمَهُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ سَنَةَ 1969م ⁽⁶⁾، وَمَكَثَ بِالْحَاجِّ بْنِ عَدُونِ قَشَارٍ (1417هـ) أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي التَّفْسِيرِ، ابْتَدَأَ تَفْسِيرَهُ سَنَةَ 1956م، وَخَتَمَهُ فِي سَنَةِ 1996م ⁽⁷⁾، وَكَانَ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ التَّلِيلِي الْقُمَارِيُّ السُّوْفِي (1424هـ) عَارِفًا بِالتَّفْسِيرِ، وَلَهُ أَنْظَامٌ فِي بَعْضِ مَسَائِلِهِ ⁽⁸⁾، كَمَا كَانَ مُحَمَّدُ بَايَ بِلْعَالَمٍ يَدْرُسُ التَّفْسِيرَ مِنْ فَتْحِ الْبَيَانِ لِلْقَنْوَجِيِّ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْأُسْبُوعِ (1430هـ).

وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، يُؤَدُّونَ وَاجِبَهُمْ عَلَى كِبَرِ سَنَتِهِمْ، وَعَجَزِ حَالِهِمْ: مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ آيَتُ عُلُجَتٍ، وَالتَّوَاتِي بْنُ التَّوَاتِي، وَسَعِيدُ كَعْبَاشٍ، وَالْأَخْضَرُ الدَّهْمَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ جَابِرُ الْجَزَائِرِيِّ، وَغَيْرُهُمْ، كَمَا يَشْتَغِلُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ عَلَى كِتَابَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، مِثْلَ مُحَمَّدِ الدَّرَاجِيِّ الَّذِي فَسَّرَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَهَمَّتْهُ تَدْفِيعُهُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَضِيِّ فِي سَبِيلِ خَتَمِهِ عَلَى عَادَةِ عُلَمَاءِ بَلَدِهِ، وَكَذَلِكَ مُحَمَّدُ أَمْقِرَانَ الَّذِي قَدَّمَ لِلطَّبْعِ تَفْسِيرَ الرَّبْعِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ، بِتَقْدِيمِ اسْتَاذِهِ مُحَمَّدِ الصَّالِحِ الصَّدِيقِ.

المبحث الثاني: مطبوعات تفسيرية لأعلام سابقين

■ تفسیر کتاب الله العزيز ليهود بن محمّم الهواري (في حدود 280هـ)

1. تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب، بيروت، ط1، 1990م، أربعة أجزاء.
2. وأعيد طبعه مؤخرًا بدار البصائر، الجزائر، 2011م، أربعة أجزاء.

■ أحكام القرآن لأحمد بن علي الباغائي (401هـ)

- (1) الشيخ الرزقي الشرفاوي حياة وأثار، محمد الصالح الصديق، أعلام الفكر والثقافة، بوعزيز، ج1، ص315.
- (2) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج7، ص13.
- (3) معجم أعلام الجزائر، نويهيض، ص243، أعلام مدينة الجزائر، مسعود كواتي ومحمد الشريف، ص131.
- (4) إتحاف ذوي النجابة، محمد العربي بن التباي، ص11.
- (5) معجم أعلام بسكرة، عبد الحليم صيد، ص215.
- (6) سير أعلام المدينة، عبد العزيز خليل الشرفي، ص29.
- (7) معجم أعلام الاباضية، ج1، ص80، أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، ج1، ص203.
- (8) منظومات في مسائل قرآنية، محمد التليلي، الدرّة المعارة لقراء الاستعارة، محمد التليلي، ص24، 38، 68.

نشرته جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، السعودية، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز آل سليمان، من أول الكتاب إلى نهاية أحكام البقرة، 1429هـ.

□ تفسير أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني (402هـ)

تأليف: عبد العزيز دخان، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م، جزآن، طبع ضمن أعماله الكاملة باسم: موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه.

□ تفسير أحمد بن محمد البسيلي (830هـ)

له تفسيران:

الأول: هو الأصل؛ واسمه: التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تحقيق: عبد الله بن مطلق الطواله، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية، من أوله إلى نهاية سورة آل عمران، ط1، 1412هـ/1992م، جزآن.

والثاني: هو اختصار للأول، صدر باسم نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس البسيلي التونسي (ت 830هـ)، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي (ت 919هـ)، تحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1429هـ، ثلاثة أجزاء.

□ الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن الثعالبي (875هـ)

1. صدر أول مرة بتحقيق: محمد بن مصطفى بن الخوجة مع قدور بن محمد، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ذي الحجة 1327هـ، أربعة أجزاء، وتوجد نسخة مصورة عن الطبعة السابقة، طبعة مؤسسة الأعلي للمطبوعات، بيروت، أربعة أجزاء.

ثم حقق بعدها مرات كثيرة؛ منها:

2. تحقيق: عمار طالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، وأعاد طبعه: بسحب الطباعة الشعبية للجيش، 2007م، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م، وصدر أيضا ضمن مجموعة أعمال الدكتور عمار طالي، دار كردادة، الجزائر، طبعة خاصة، 2013م، أربعة أجزاء.

3. تحقيق: عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/1996م، ثلاثة أجزاء، وأعيد طبعه سنة 2014.

4. تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1997م، ثلاثة أجزاء.

5. تحقيق مشترك للأساتذة: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي مع مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م، خمسة أجزاء.

6. كما نشر الأستاذ عصام طوالي الثعالبي جزء عم فقط، برعاية جمعية سيدي عبد الرحمن الثعالبي لإحياء التراث، الجزائر، 2009م.

□ معجم مختصر في شرح ما وقع في كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن من الألفاظ الغريبة للإمام عبد الرحمن الثعالبي (875هـ)

1. تحقيق: محمد بن مصطفى بن الخوجة، المطبعة الثعلبية، الجزائر، 1328هـ، جزء.
وصدر بأسماء أخرى:
2. المعجم المختصر في غريب القرآن الكريم، تحقيق: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، جزء بذيّل تفسير الجواهر الحسان، وسنة 2006م، كما طبعه أيضا بسحب الطباعة الشعبية للجيش، 2007م، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م، جزء، وأيضا ضمن مجموعة الأعمال الكاملة للمحقق، دار كردادة، الجزائر، طبعة خاصة، 2013م، جزء.
3. الذهب الإبريز في تفسير غريب القرآن العزيز، تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات، ابن مرابط، الجزائر، ط1، 2014م، جزء.
4. معجم الغريب، شرح مفردات الألفاظ والعبارات من القرآن والسنة والأثر، تحقيق: محمد عيسى وموسى، منشورات الدار الجزائرية، 2015م، جزء.
- تفسير فاتحة الكتاب للإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (895هـ)
1. تحقيق: ماحي قندوز، دار كردادة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م، ضمن أعمال المؤلف، جزء (ترجمة الإمام أبي عبد الله السنوسي التلمساني وتحقيق بعض رسائله).
2. تحقيق: عبد الرحمن حمادو الكتي، دار كردادة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م، ضمن أعمال المؤلف، جزء (مع ابن يوسف السنوسي الإمام)، باسم: تفسير سورة الفاتحة.
3. تحقيق: مولاي عبد العالي محمد، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2013م، باسم: تفسير سورة الفاتحة.
- تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)
1. صدر تفسيره بعنوان: مخطوط فاتحة الكتاب للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من تحصيل البداية إلى التحقيق والنهاية، تحقيق: المغيلي خدير، مجلة رفوف المحكمة، جامعة أدرار الجزائر، محرم - صفر 1435هـ/ ديسمبر 2013، العدد الثالث، ص268.
2. وصدر أيضا في مجموعة الأعمال الكاملة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، بتحقيق: علّال بوربيق، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013م، ضمن جزء: شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي؛ تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي.
- المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري ليحيى الشاوي (1096هـ)
- تحقيق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1430هـ/ 2009م، جزآن.
- تقييد على سورة الفاتحة لمحمد بن عبد الرحمن بن زكري (1144هـ)
- تحقيق: عبد الله محمد النقرات، مجلة آفاق الثقافة والتراث، 2000م، عدد 29 و30، ص6.
- ألفية الغريب لمحمد بلعالم الزجلّاي (1212هـ)
1. نشرت أول مرة باسم: ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم، للعلامة محمد باي بلعالم الأدراري، مطابع عمارقرفي، باتنة، جزآن.
2. ثم حققها الأستاذ بقادر عبد القادر، في رسالة ماجستير، وطبعت في دار المعتز، الأردن، ط1، 2016م، باسم ألفية غريب القرآن.

المبحث الثالث: مطبوعات تفسيرية لأعلام معاصرين

■ تفسير الأمير عبد القادر الجزائري (1300هـ)

1. طبع أول مرة باسم: المواقف في الوعظ والإرشاد، في مطبعة الشباب، القاهرة، 1331هـ/1911م، ثلاثة أجزاء، وسنة 1344هـ/1923م.
ثم طبع مرات كثيرة، وبأسماء مختلفة، منها:
2. المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، دار البقعة، بيروت، ط1، 1386هـ/1966م، ودار البقعة، دمشق، ط2، 1387/1967م، ثلاثة أجزاء.
3. المواقف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1403هـ/1983م، ثلاثة أجزاء.
4. المواقف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم)، الجزائر، 1416هـ/1996م، ثلاثة أجزاء.
5. المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، تحقيق: بكري علاء الدين، الناشر: خاص، 2014، كما طبع أيضا بالتحقيق نفسه في دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1434هـ/2014م، ثلاثة أجزاء.
6. المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م، جزآن.
7. المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، تحقيق: عبد الباقي مفتاح، دار الهدى، الجزائر، 2005م، 2015م، جزآن.
8. المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2011م، جزآن.
9. المواقف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012م، ثلاثة أجزاء.
10. المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1436هـ/2015م، جزآن.
11. المواقف في الوعظ والإرشاد، مكتبة ومطبعة المجلد العربي، القاهرة، ط1.
12. طبع الموقف الثامن والأربعون بعد المئتين، بطلب من المصنف، تحت اسم: بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.
13. اختصر الكتاب أحمد كمال الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1427هـ/2007م.

■ تفسير محمد بن عيسى الجزائري (1310هـ)

■ الماس في احتباك يعجز الجنة والناس

- وهو تفسير قوله تعالى: ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم، المطبعة الرسمية، تونس، ط1، 1306هـ/1888م.
- الثريا لمن كان بعجائب القرآن حفيا
- المطبعة الرسمية، تونس، ط1، 1307هـ/1889م.
- تفاسير أمحمد بن يوسف اطفيش (1332هـ)
- له تفسيران مطبوعان:

■ تيسير التفسير: له طبعات كثيرة:

1. الجزائر، ط1، 1326هـ، سبعة أجزاء.
2. طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، 1401هـ/1981م.
3. نشرة وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، من 1981م إلى 1988م، خمسة عشر جزء، وصدر مرات أخرى سنة 1993م، 1997م، 2004م، 2006م بتحقيق إبراهيم طلاي.
4. دار إحياء الكتب القديمة، مصر، 1987م، خمسة عشر جزء.
5. مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1987م، أربعة أجزاء.
6. تحقيق: إبراهيم محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية، ابتداء من سنة 1996، سبعة عشر جزء.

7. جمعية التراث، الجزائر، 2015م.

8. اختصره إبراهيم محمد طلاي، فاختصر أولاً الربع الأخير من سورة يس إلى سورة الناس، ثم اختصر الربع الثالث من سورة مريم إلى سورة فاطر، ثم اختصر الربع الثاني فالأول على فترات، 2009م، 2011م، 2013، 2014م، مطبعة بلفور، الجزائر، أربعة أجزاء.

■ هيميان (أو هميان) الزاد إلى دارالمعاد

1. المطبعة السلطانية، زنجبار، تنزانيا، 1407هـ/1986م، اثني عشر جزء.
2. نشر وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ابتداء من 1980م حتى 1991م، خمسة عشر جزء، وأعيد طبعه سنة 1993م، وصدر بتحقيق إبراهيم طلاي، 2006، اثني عشر جزء.

■ تفاسير أحمد بن مصطفى بن عليوة (1353هـ)

■ الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد في معنى انطواء الكتب السماوية في نقطة

بسم الله الرحمن الرحيم

المطبعة العلاوية، مستغانم، تحقيق: يحي الطاهر برقة، وقفت على أربع طبعات، ط2 كانت سنة 1345هـ/1926م.

■ لباب العلم في تفسير سورة والنجم

1. المطبعة الأهلية، تونس، ط1، 1334هـ.
2. المطبعة العلاوية، مستغانم، تحقيق: يحي الطاهر برقة.

■ مفتاح علوم السر في تفسير سورة والعصر

المطبعة العلاوية، مستغانم، تحقيق: يحي الطاهر برقة.

.وقد جمعت هذه الرسائل الثلاث في كتاب باسم:

■ مهمل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن

المطبعة العلاوية، مستغانم، جمع وتحقيق: يحي الطاهر برقة، طُبِعَ خمس طبعات، آخرها سنة 1997م.

■ البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور؛ يتضمن قواعد وتفسير البسملة وسورة

الفاتحة ومتين وسبع آيات من سورة البقرة.

المطبعة العلاوية، مستغانم، تحقيق وتصدير: يحي الطاهر برقة، ط1، 1982، الجزء

الأول فقط، حتى الآية 106 من سورة البقرة، ط2، 1995م، جزآن كاملان.

■ تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام عبد الحميد بن باديس (1359هـ)

طبعت مرات كثيرة:

1. نشرة أحمد بوشمال، تقديم: محمد البشير الابراهيمي، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، 1948م، جزء، وهي تضم مختارات من سورة الفرقان فقط.
 2. تحقيق: محمد الصالح رمضان بالاشتراك مع توفيق محمد شاهين، منشور دار الكتاب الجزائري، الجزائر، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ط1، 1384هـ/1964م، جزء، وطبعته أيضا: دار الفكر، بيروت، ط2، 1391هـ/1971م، ودار الفكر، القاهرة، ط3، 1399هـ/1979م، ودار الفكر، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م.
 3. تقديم محمد البهي، وتصدير البشير الابراهيمي، طبعة مصورة عن منشورات دار المعارف، وهران (دت).
 4. تحقيق: عمار طالبي؛ ضمن كتاب: آثار ابن باديس (وأحيانا باسم: ابن باديس حياته وآثاره)، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1388هـ/1968م، ط2، 1403هـ/1983م، ط3، 1417هـ/1997م، أربعة أجزاء، وطبعه بدار الغرب، بيروت، 2008م، 2014م، دار الأمة، الجزائر، 2009م، 2014م، أربعة أجزاء، دار ابن حزم، بيروت مع دار عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2014م، ستة أجزاء، دار المتعلم، الجزائر، 2015م، ستة أجزاء، دار الوعي، الجزائر، 2016م، أربعة أجزاء.
 5. تحقيق: فريق من الباحثين بوزارة الشؤون الدينية، تصدير وزير الشؤون الدينية عبد الرحمن شيبان، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، الجزائر، ط1، 1402هـ/1982م، جزء، كما طبعته وزارة الشؤون الدينية سنة 2005م.
 6. أعيد نشر الطبعة الثانية التي هي باعتناء محمد الصالح رمضان مع توفيق شاهين بتعليق وتخرّيج أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1995م، جزء، وصدرت الطبعة الثانية سنة 1424هـ/2003م، والطبعة الثالثة سنة 2009م.
 7. تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار الراية، السعودية، وأعيد طبعه بدار الرشيد، الجزائر، ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1430هـ/2009م، جزآن، ط2، 2011م، ط3، 2015م.
 8. طبعة المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، جزء.
 9. نشرت وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2006م، الجزء الأول من ستة أجزاء.
 10. نشر الأستاذ يوسف نواصة تفسير المعوذتين فقط، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2005م.
 11. كما نشر الأستاذ عبد الرزاق قسوم تفسير المعوذتين، عالم الأفكار، الجزائر، 1، 2007م.
- عرض وتلخيص واستنتاج من تفسير الذكر الحكيم لمحمد العاصمي (1372هـ)
- وهي مقالات كان ينشرها في مجلته الشهرية صوت المسجد؛ صدر العدد الأول من المجلة في أكتوبر 1948م، وتوقفت في جوان 1950م، ولا أدري أي الأعداد التي نشر فيها التفسير.
- تفسير محمد الخضر حسين (1377هـ)

1. صدر أول مرة بجمع من الأستاذ علي الرضا التونسي، ووضع له اسم: أسرار التنزيل،

- المطبعة التعاونية، تونس، والقاهرة، 1396هـ/1976م.
2. ثم صدر مرة ثانية ضمن موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، دار النوادر، بيروت، ط1، 1431هـ/2010م، الجزء الأول من مجموع خمسة عشر جزءاً.
- ❑ فتح نوافذ القرآن لإبراهيم أبي اليقظان (1393هـ)
- دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1973م.
- ❑ في رحاب القرآن لإبراهيم بن عمر بيوض (1401هـ)
1. دار النهضة للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1، 1992م.
2. نشر جمعية التراث، الجزائر، تحقيق: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، ابتداء من سورة الإسراء، حتى سورة المعراج، من سنة 1993م، إلى سنة 2016، 25 جزء.
- وأعيد طبع الجزء الأول والثاني، ط2، سنة 2009م من النشرة نفسها.
3. اختصر الشيخ الناصر بن محمد المرموري تفسيره، سورة (الكهف، مريم، طه، الأنبياء)، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1996م، ط2، 2005م، (الحج، المؤمنون، النور)، 2000م، (الفرقان، الشعراء، النمل، القصص)، 2003م، (العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ، فاطر)، 2005م، (من سورة يس إلى نهاية سورة الدخان)، 2007م، (من سورة الجاثية إلى آخر سورة المجادلة)، 2009م.
- ❑ إشارات سانحة لبعض أسرار الفاتحة لأبي حفص الزموري (1410هـ)
1. طبع ضمن: من رسائل العلامة الشيخ عمر أبي حفص الزموري (المجموعة الثانية)، كما طبع في المجموعة تفسيره لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته إلى قوله: المفلحون، وتفسير سورة القدر، منشورات حواركم، الجزائر، 1994م، جزء اوحده.
2. نشر الأستاذ بلقاسم آيت حمو في كتاب: من آثار ومآثر العلامة الشيخ عمر أبو حفص الزموري رضي الله عنه تفسيره لسورة القدر، دار الهدى، الجزائر، 2003م.
- ❑ المدخل في غريب القرآن لمحمد الطاهر التليلي (1424هـ)
- وهي منظومة تشتمل على 445 بيتاً من الرجز، صدرت مع منظومتين أخرتين له باسم: منظومات في مسائل قرآنية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986م.
- ❑ الفيض الرباني في بيان معان القرآن لمحمد الحواس بوسنة السطايفي (1432هـ)
- تحقيق: عبد الكريم حامدي، دار كنوز الرشيد، الجزائر، طبعة خاصة، 2015م، جزآن من مجموعة ستة أجزاء، صدر الكتاب ضمن الأعمال الكاملة للمؤلف.
- ❑ من توجيهاات القرآن العظيم لمحمد بن عبد الكريم الزموري (1433هـ)
1. طبعة ليبيا، طبع جزء منه فقط، لم أقف على معلومات كافية.
2. مؤسسة المعالي، الجزائر، ط1، 1434هـ/2013م، 7 أجزاء.
- ❑ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر جابر الجزائري
- مع حاشيته: نهر الخير؛ طبع مرات كثيرة،
1. طبعة راسم للدعاية والإعلان، جدة، ط1، 1406هـ/1986م، ط2، 1407هـ/1987م،
- ط3، 1410هـ/1990م، أربعة أجزاء، بدون حاشية.

2. طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994م، 1997م، 2000م، 2002م، 2008م، 2010م، خمسة أجزاء، بحاشية.
3. طبعة دار الفكر الاسلامي الحديث، مصر، 2000م، خمسة أجزاء، بحاشية.
4. طبعة المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، 2010م، 2013م، خمسة أجزاء، بحاشية.
5. طبعة دار الحديث، القاهرة، 2006م، ثلاثة أجزاء، بحاشية.
6. طبعة مكتبة الرشد، السعودية، 2008م، خمسة أجزاء، بحاشية.
7. طبعة المكتبة التوفيقية، مصر، 2010م، ثلاثة أجزاء، بحاشية.
8. نشرة دار الإمام مالك (طبعة مكتبة العلوم والحكم)، الجزائر، 2012م، جزأين، بحاشية.
9. طبعة الدار العالمية، مصر، 2013م، جزآن، بحاشية.
10. طبعة دار ابن الجوزي، مصر، 2014م، ثلاثة أجزاء، بحاشية.
11. طبعة دار السلام، مصر، 2015م، خمسة أجزاء، بحاشية.
- ▣ الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للتواتي بن التواتي
 1. مطبعة رويغي، الأغواط، ط1، 2011م، عشرون جزء.
 2. مطبعة دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2016م.
 3. كما نشر المؤلف تفسير آية الكرسي مستقلة باسم: الفيض القدسي في تفسير آية الكرسي، مطبعة رويغي، الأغواط، ط1، 2011م، رسالة صغيرة.
- ▣ نفحات الرحمن في رياض القرآن لمحمد سعيد كعباش
 1. المطبعة العربية، غرداية، تحقيق: قاسم بن عمر حاج امحمد، وابن عيسى عبد الله، ط1، ابتداء من سنة 2003م حتى سنة 2015م، 14 جزء.
 2. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط2، 2015م، 14 جزء.
- ▣ قطوف دانية من آيات قرآنية للأخضر الدهمة
 1. المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1997م، جزآن، وطبع ثانية سنة 2001م.
 2. وطبع باسم: قطوف دانية من سور قرآنية، مطبعة مداد، غرداية، 2010م، جزآن.
 3. دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، 2015م، جزآن.
 4. كما نشر المؤلف تفسير سورة يس مستقلة باسم: إرشاد الظمآن إلى معاني قلب القرآن (تفسير ميسر لسورة يس)، المطبعة العربية، الجزائر، 2005م.
- ▣ تفاسير محمد الصالح الصديق
 - ▣ تأملات في أسرار القرآن الكريم
 - دار المعرفة، الجزائر، ط1، بدون.
 - ▣ القرآن الكريم في محيط العقيدة والإيمان
 - دار الأمانة، الجزائر، ط1، 2002م.
 - ▣ ومضات من سورة الفاتحة
 1. دار البعث، الجزائر، ط1، 1984.
 2. دار قرطبة، الجزائر، ط2، 2010م، وترجمها للفرنسية: محمد الشريف إلمان، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2010م.

- هذا هو القرآن
- دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2011م.
- وحي وعبر
- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م.
- نور على نور
- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004م.
- ما جرى مجرى الحكمة في القرآن الكريم
- دار هومة، الجزائر، ط1، 2011م.
- في ضوء القرآن
- دار الفكر، الجزائر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دت.
- ثم نشرت هذه الكتب جميعا في بعض أجزاء الأعمال الكاملة للشيخ محمد الصالح الصديق، دار هومة، الجزائر، 2014م، 51 جزء.
- وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
- دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2016م.
- تأملات في سورتى الفاتحة والبقرة لصالح بن النبيلي فركوس
- 1. دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، جزء.
- 2. ثم طبعت في مجموعة الأعمال الكاملة للمؤلف، مع تأملات في سورة النمل، القافلة للنشر والتوزيع، ط1، 2014م، خمسة أجزاء.
- تفسير جزء المجادلة
- إعداد مكتب الدراسات تحت إشراف: أحمد ادريس عبدو، رشيد كويرة، دار الهدى، الجزائر، 1998م، جزء.
- تفسير جزء تبارك
- إعداد مكتب الدراسات قسم البحوث الإسلامية، تحت إشراف: حسن رمضان فحلة، محمد جعيجع، رشيد كويرة، دار الهدى، الجزائر، 1998م، جزء.
- تفسير جزء عم
- إعداد حسن رمضان فحلة، دار الهدى، الجزائر، 1998م، جزء.
- عجائب فريدة من سورة يوسف عليه السلام لعادل أكتوف
- دار طليطلة، الجزائر، ط1، 2011م.
- محاضرات في تفسير آيات الأحكام لعبد القادر بن عزوز
- دار البلاغ، الجزائر، ط1، 2002م.
- التفسير الميسر للزواوي الهاشمي قرنان
- فسر سورة الفاتحة وجزء عم، دار الفجر، الجزائر، ط1، 2006م.
- ومضات قرآنية في ليالي رمضان لبوحفص بن شحم
- دار الهدى، الجزائر، 2007.
- تفسير القرآن الكريم لسعيد بويصري

فسر سورة الفاتحة وسورة البقرة، دار النعمان، الجزائر، ط1، 2008م، وقد ترجم للأمازيغية، الانجليزية، الفرنسية.

□ تفسير جزء عم لعثمان أمقران

دار الهدى، الجزائر، 2005م.

□ ولعلمهم يتفكرون لنور الدين بن عبد الله

دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2006م.

خاتمة

بَلَغَتْ عدد التفاسير الجزائرية المطبوعة بضعا وخمسين تفسيرا، وهي متنوعة بين تفسير آية أو جزء أو كل القرآن، ما يدل على جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم، كما أن مقاصد مؤلفيها تختلف، وتبعا لذلك فهي تختلف في الجدّة من عدمها، فنجد التفسير الذي اجتهد مؤلفه في مواكبة عصره، ونجد الناقل من غير تمحيص أو تدقيق، كلّ في إطاره الزمني.

يمكن القول أن تفسير هود بن محكّم هو أول مطبوع تفسيري، وفي عصرنا لازالت المطابع تقذف كل يوم بما تسطره حفدة أعلام الجزائر، وأحسن ما يمثل له تفسير القرآن الكامل للتواتي بن التواتي، ومهما طُبع، فإن التراث زاخرويت من ثقله المعرفي الجم، المحبوس في الرفوف والخزائن، سواء المخطوط، أو المحقق في رسائل جامعية دون السعي في نشره.

هذه المداخلة تنبّه إلى كثير مما نفذ منذ سنوات في الأسواق، وتساعد الباحثين على معرفة المطبوع من غيره حتى لا تتكرر الأعمال، فنجد إحدى التفاسير قد بلغت أزيد من عشر طبعات، وبحقيقات مختلفة، بينما نجد أعمالا أخرى طبعت مرة واحدة قبل قرن من الزمن، ثم أفل نجمها، أولم تخرج لحيز الوجود أصلا، والعامل في ذلك يرجع لقلّة الاهتمام بالتراث التفسيري من جهة، ولسوء النشر في الجزائر، فالنشر ضعيف جدا، وهو لا يخدم البحث في تداوله بين الباحثين.

بالنسبة للأعلام المتقدمين، فتفاسير هود والبسيلي والثعالبي هي التي وصلتنا كاملة، وتم طبعها بحمد الله، وبمقارنة سريعة مع ما تمت الإشارة إليه في المبحث الأول ندرك مدى الغبن في التفاوت الهائل بين المخطوط والمطبوع، كما أن تراث السابقين في التفسير يمثل أقل من الربع من مجموع التراث المطبوع، أما تفاسير الأعلام المعاصرين، فهي الغالبة، وهي تركز أكثر على بيان معاني بعض الآيات والسور، وإن كنا لا نعدم تفاسير مطبوعة كاملة (كتفاسير: كعباش واطفيش وجابر الجزائري والتواتي ومحمد الزموري وبيوض)، مبرزًا فيها التفسير الإباضي أكثر من غيره، فلهم مشاركات معتبرة في هذا الباب، كما يلاحظ أنهم يخدمون حتى طباعته ونشره وتسويقه، بعد تفسيره وتحقيقه وتصنيفه.

من جملة ما يمكن أن أقترحه في هذه الخاتمة:

. ضرورة الاعتناء بالتراث التفسيري الجزائري، والبذل في ذلك كل الأسباب من دورات

ومؤتمرات.

. حسن النشر والتسويق بإحداث مواقع متخصصة، وتبصير دور النشر والباحثين

بالتقصير المفرط.

. تجنب تحقيق ما تم رصده من مطبوعات، وتكثيف الكشف عن مجاهيل المخطوطات وما لم يحقق.

فهرس المصادر والمرجع:

. إتحاف ذوي النجابة، محمد العربي بن التبانى، تحقيق: محمد الموزعي، المكتبة المكية، السعودية، ط1، 2002م.
. الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد لسان الدين بن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ.

. الأزهار الرباضية، سليمان الباروني، مطبعة الأزهار البارونية، مصر، دت.
. أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، دار كردادة، الجزائر، طبعة خاصة، 2013م.
. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحي بوعزيز، دار الغرب، بيروت، ط1، 1995م.
. أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، مسعود كواتي ومحمد الشريف، منشورات الحضارة، الجزائر، ط2، 2010م.

. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.
. البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، محمد بن مريم التلمساني، منشورات السهل، الجزائر، 2009م.
. البيان المغرب، محمد بن عذاري، تحقيق: ج.س. كولان و إلفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م.

. تاريخ الاسلام، محمد الذهبي، تحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب، بيروت، ط1، 2003م.
. التاريخ الثقافي لإقليم توات، الصديق حاج أحمد آل المغيلي، دار الحبر، الجزائر، ط2، 2011م.

. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2007م.
. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى اليعصبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مطبعة فضالة، المغرب، ط1، من 1965م إلى 1983م.
. التشوف إلى رجال التصوف، يوسف بن الزيات، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، المغرب، ط2، 1997م.
. تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم، تحقيق: بالحاج شريفي، دار الغرب، بيروت، ط1، 1990م.

. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث، دبي، ط1، 2002م.

. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
. خلاصة الأثر، محمد المجبي الدمشقي، دار صادر، بيروت، دت.

. الدرة المصونة، أحمد بن قاسم البوني، تحقيق: سعد بوفلاقة، الجزائر، ط1، 2007م.
. الدرة المعارة لقراء الاستعارة، محمد التليلي، تحقيق: محمد توفيق الكيفاني، دار نور الكتاب، الجزائر، ط1، 2013م.

. الدرر الكامنة، أحمد بن حجر، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط2، 1972م.
. الديباج المذهب، إبراهيم بن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، دت.

- . رائد التجديد الاسلامي محمد بن العنابي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب، بيروت، ط2، 1990م.
- . ريحانة الألبا، أحمد الخفاجي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط1، 1967م.
- . سير أعلام المدينة، عبد العزيز خليل الشرفي، دار فليتس، الجزائر، ط1، 2013م.
- . شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
- . شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب، بيروت، ط1، 1986م.
- . الشيخ الرزقي الشرفاوي حياة وآثار، محمد الصالح الصديق، دار الأمة، الجزائر، 1998م.
- . صفوة من انتشر، محمد الإفرائي، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، ط1، 2004م.
- . الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، خلف بن بشكوال، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1955م.
- . الضوء اللامع، محمد السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- . طبقات المفسرين، محمد الداودي، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- . عبد الحميد بن باديس مفسرا، حسن سلوادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- . عنوان الدراية، أحمد الغبريني، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.
- . الفكر السامي، محمد الحجوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.
- . فهرس الفهارس، عبد الحي الكتاني، إحسان عباس، دار الغرب، بيروت، ط2، 1982م.
- . كتاب الوفيات، أحمد بن قنفذ، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983م.
- . البدر الطالع، محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، 2004م.
- . معجم أعلام الاباضية، مجموعة من الباحثين، دار الغرب، بيروت، ط2، 2000م.
- . معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980م.
- . معجم أعلام بسكرة، عبد الحليم صيد، دار النعمان، الجزائر، 2014م.
- . معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط3، 1988م.
- . معجم المؤلفين، عمر كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
- . معلمة القرآن والحديث، عبد العزيز بن عبد الله، مركز البحوث بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، 1985م.
- . منظومات في مسائل قرآنية، محمد التليلي، تحقيق: سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- . الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، مجموعة من الباحثين، إصدارات الحكمة، ط1، 2003م.
- . نظم العقيان، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت.
- . نفح الطيب، أحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968م.
- . نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكتي، تحقيق: عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب، ليبيا، ط2، 2000م.

مخطوطات التفسير وعلوم القرآن في الجزائر

د/ أكرم بلعمري

قسم أصول الدين . معهد العلوم الإسلامية . جامعة الوادي
akrambell19@hotmail.fr

ملخص البحث

يتناول هذا الموضوع محاولة إبراز جهود علماء الجزائر في التفسير وعلوم القرآن، من خلال العناية بالمخطوطات ونسخها ونشرها، ولقد حاولت الدراسة إحصاء أهم المخطوطات المنتشرة في ربوع الجزائر المحروسة في مختلف فنون التفسير وعلومه، من خلال الاعتماد على أهم الفهارس المعاصرة للمكتبات والزوايا؛ كمخطوطات زوايا ولاية أدرار، وزاوية أحمد بوزيد بسريانة، ومكتبة زاوية الشيخ بالمهوب، ومكتبة الشيخ التهامي صحراوي ومكتبة زاوية الهامل، ومخطوطات وزارة الشؤون الدينية وجامعة الأمير عبد القادر،... وغيرها، وقد خلصت الورقة إلى عد أهم هذه المخطوطات وتصنيفها وترتيبها على حروف المعجم؛ مما يتيح المجال أمام الباحثين لخدمتها.

مقدمة

إن للمخطوط أهمية بالغة في حفظ تراث الأمة الفكري والثقافي، كونه يشكل ذاكرة الأمة وعنوان هويتها ومخزون أفكارها وجماع إبداعاتها، فبه نقلت لنا مختلف علوم الشريعة وآراء العلماء والفقهاء، وعليه تكون الحاجة ملحة لحفظه وصيانتها من التلف والضياع، وذلك من خلال استثمار الجهود والطاقت البشرية والمادية والمعنوية لأجل المحافظة على هذا الإرث الثقافي الهائل، والجزائر كغيرها من البلاد العربية تعتبر مستودعا هائلا ومخزونا لا ينفذ من مختلف صنوف المخطوطات وفي شتى العلوم، وفي علوم الشريعة على وجه الخصوص، إذ ما فتى علماؤها يحرصون على تلقي العلوم وتعليمها والتصنيف فيها ونسخ ما كتب حولها سواء كان النسخ بخط أيديهم أو من عمل تلاميذهم ونساختهم، فكانت بحق مركز إشعاع علمي؛ من بجاية شمالا إلى أدرار جنوبا، ومن قسنطينة شرقا إلى تلمسان غربا، هذه الحواضر العلمية كان لها الأثر البالغ والدور البارز في نقل المعارف ونشر علوم الشريعة، ولقد كان للتصنيف والنسخ للمصنفات المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن النصيب الوافر في ذلك؛ رغم عناية شيوخ الزوايا وطلاب العلم بالجانب الفقهي - خاصة الفقه المالكي - أكثر منه عناية بالتفسير وعلوم الحديث، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود مئات المخطوطات في التفسير وعلوم القرآن، سواء ما اهتم علماؤنا بالإبداع والتصنيف فيه، ككتاب التبصرة في قراءة العشرة لمحمد بن أبي القاسم البوجيلي القبائلي (1314هـ 1898م) وهو مطبوع، وكتاب تقييد في قراءة الإمام نافع المدني للعلامة أبو عبد الله محمد ابن علي بن محمد بن أحمد التلمساني المعروف بتوزينت المالكي التلمساني (1118هـ) وهو مطبوع أيضا، ورسالة في القراءات لمحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي القاضي

أبو عبد الله المقرئ التلمساني (756 هـ)، وتفسير كتاب الله العزيز ليهود بن محكم الهواري الأوراسي (250 هـ) وهو مطبوع أيضا، وأبو العباس أحمد الباغائي (461 هـ)، وغير هؤلاء كثير، أو ما حرص علماء الجزائر وطلبة العلم والنسّاخ على نقله ونسخه؛ اعتمادا على الرحلات العلمية الفردية والجماعية؛ أو القوافل العلمية التي تمر بالجزائر لتوسطها المغرب الإسلامي، كلّ ذلك شكّل ثروة علمية هائلة من المخطوطات في جانب التفسير وعلوم القرآن، ذلك ما حدى بي إلى محاولة تتبع تلك المخطوطات في شتى الفهارس الموضوعية لحواضرنا العلمية العتيقة، ومعرفة عناوينها ومصنّفها ومكان تواجد كل واحد منها، إسهاما في خدمة التراث عموما وتراث التفسير وعلوم القرآن خصوصا.

أهمية الموضوع: تكمن أهمية هذا الموضوع في:

- تحسيس الدارسين بأهمية المخطوطات في حفظ تاريخ الأمة الإسلامية، وكذا الحرص على جمعها وتحقيقها في كل مناحي علوم الشريعة بوجه خاص والعلوم الأخرى بشكل عام.
- مدى عناية علماء الجزائر بالمخطوطات وبالتصنيف والاستنساخ لمختلف المؤلفات في علوم التفسير والقرآن.

أهداف الموضوع: يهدف الموضوع في جملته إلى:

- جمع مختلف عناوين المخطوطات المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن من مظان فهارس مخطوطات المكتبات والزوايا.
- تصنيف هذه المخطوطات وفق العلوم المتعلقة بالتفسير والقراءات والرسم وغير ذلك.
- محاولة تحديد مكان تواجد كل مخطوط وعدد نسخه إن وجدت؛ وذلك تيسيرا على المشتغلين بهذا التخصص قصد الوصول إلى المخطوط وخدمته دراسة وتحقيقا.
- وصف المخطوط، وذكر عدد لوحاته، وناسخه وتاريخ نسخه، ونوع خطه، إن وجد.
- ولأجل الوصول إلى تلك الأهداف المنشودة توصلت في هذا الورقة بخطة قوامها: تقديم للموضوع، وبيان عناية علماء الجزائر بالتفسير وعلوم القرآن، مع بيان أهم مصادر هذه المخطوطات، وطريقة تصنيفها وبيان أهم اختصاراتها.

أولا: بيان عناية علماء الجزائر بالتفسير وعلوم القرآن.

لا يخفى على دارس علوم الشريعة الإسلامية أهمية المخطوطات في حفظ هذه العلوم من الزوال والضياع، ولقد كان لعلماء الجزائر النصيب الوافر في حفظ هذا التراث عموما، وفي التفسير وعلوم القرآن خصوصا، ويمكن أن نصنف جوانب هذه العناية إلى مناح عدة، أهمها:

- التدريس والتعليم: وذلك شيمة هؤلاء العلماء من خلال مجالس وحلقات تفسير القرآن وتحفيظه، ومدارسه علومه، وما يتعلق به، وقد لعبت الزوايا والمساجد في ربوع الجزائر الدور المنوط بها في ذلك، يقول مؤرخ الجزائر أبو القاسم سعد الله: "أما تدريس التفسير فقد كان شائعا بين العلماء البارزين ومن الذين اشتهروا بذلك محمد بن علي أبهلول، وابن لؤي (لؤلؤ) التلمساني، وعبد القادر الراشدي القسنطيني (1194 هـ)، وأبو راس الناصر، ورغم أننا لا نملك الوثائق الآن فإن أمثال سعيد قدورة وأحمد بن عمارة وسعيد

المقري ربما تناولوا أيضا التفسير في مجالس دروسهم التي اشتهروا بها".¹ وهذا يدل على كثرة المشغلين بالتفسير، رغم أن الشيخ رحمه الله ذهب لترجيح صحة ما قيل من أن العقائد كانت مهنة أهل المغرب وأن التفسير فن أهل المشرق، ودليله على ذلك قلة التفاسير عند المغاربة مع كثرتها في المشرق، بينما الأمر بعكس ذلك بالنسبة للعقائد ونحوها.

- جانب التصنيف: في مختلف ما يتعلق بالقرآن: تفسيراً، وإقراء، وعلوماً، ورسماء، ولقد زخرت حواضر الجزائر بمخطوطات منها ما حقق وخرج به الأفاضل إلى النور، ومنها ما يزال حبيس الخزائن والرفوف في الزوايا والمكتبات العامة والخاصة والغالب مفقود، ولعل الخوض في التأليف قليل - كما يقول شيخ المؤرخين أبو القاسم -: "ورغم شهرة مدرسة تلمسان العلمية فإنها لم تنتج مفسرين للقرآن الكريم جديرين بالإشارة، حتى العالم المعروف، أحمد الونشريسي وابنه عبد الواحد لم يعرف عنهما التأليف في التفسير، ونفس الشيء يقال عن مدرسة بجاية وقسنطينة، فرغم شهرة عمر الوزان وعبد الكريم الفكون (الجد) خلال القرن العاشر، فإننا لم نعثر لهما على تأليف في التفسير، وقد اعتنى عبد الرحمن الأخصري بمختلف العلوم، شرعية وعقلية، ولكننا لم نعرف عنه أنه حاول التفسير".² وذكر أن محمد بن علي الخروبي له تأليف في التفسير، وأحمد البوني له "الدر النظيم في فضل آيات من القرآن العظيم"، أما أبو راس الناصر فله "التيسير إلى علم التفسير"، وغير هؤلاء كثير.

- جانب نسخ المخطوطات: والمقصود به نسخ مختلف كتب التفسير وعلوم القرآن على تعددها وتنوعها، وقد كان للرحلات العلمية التي قام بها الطلبة والعلماء مشرقاً ومغرباً، عبر طرق القوافل التجارية: طريق الشمال الساحلي الذي ربط بين المغرب العربي بدول المشرق، والطريق الذي كان يربط توات بسجلماسة وفاس بالمغرب، والطريق الرابط بين القيروان وفاس مروراً بالجزائر، والطريق الرابط بين تلمسان وفاس³، وطريق السودان الغربي الرابط بين تمبوكتو بمالي مروراً بتوات وصولاً لتلمسان، والطريق بين أغماس بليبيا وشنقيط بموريتانيا مروراً بتوات، وطريق التوارق الرابط بين أغاديس بالنيجر وفاس ومكناس بالمغرب الأقصى مروراً بإقليم توات بأدرار⁴، وهذه الطرق لها دورها في توثيق الصلة الثقافية بين شعوب المنطقة وحركة نسخ المخطوط، واعتبار الجزائر ممراً للقوافل العلمية، كل ذلك له أثر كبير في نقل واستنساخ مختلف الكتب والتصانيف من المشرق إلى المغرب ومن الشمال إلى الجنوب والعكس، للاستفادة منها، وكذا نقلها بين الحواضر العلمية في ربوع الجزائر شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، كزاوية الشيخ الحسين ببليدية سيدي خليفة

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، دط، 2007 م، 12/2.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 16/2.

3- ينظر: عبد القادر بقادر، المخطوطات الجزائرية في الخزنة العامة بالرباط، مجلة رفوف، العدد الثاني، أكتوبر 2013م، ص 171.

4- ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري: المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، منشورات وزارة الشؤون الشؤون الدينية، دط، 2015م، ص 16.

بولاية ميله، وزاوية علي بن عمر بطولقة، وزاوية سيدي خالد بناحية الزيبان ببسكرة، وزاوية الشيخ المولود بوزيد بسييانة بباتنة، وزاوية الهامل، وزاوية العثمانية، وزاوية خنقة سيدي ناجي، والجامع الكبير بتلمسان، وغيرها كثير.

ثانيا: أهم مصادر هذه المخطوطات.

قصد إبراز جانب عناية علماء الجزائر بمخطوطات التفسير وعلوم القرآن سواء في جانب التصنيف أو النسخ، حاولت من خلال هذه الورقة أن أبرز أهم المخطوطات التي تزخر بها الزوايا والمكتبات في الجزائر؛ وذلك من خلال تتبع فهرسها، ومحاولة إخراج مخطوطات التفسير وعلوم القرآن، ثم تصنيفها وفق الشائع في تصنيف هذه العلوم.

ولا يخفى على المشتغل بالمخطوطات عموما ومخطوط التفسير وعلوم القرآن خصوصا أهمية إخراج هذه المخطوطات والتعريف بها خاصة لطلبة العلم في الدراسات العليا، من أجل بيان المطبوع من ذلك الكم الهائل، وكذا محاولة تحقيق وطباعة ما يزال منها دفيناً في الخزائن، معرضاً للرطوبة والتلف، وذلك لأجل الحفاظ على تراث الأمة الجزائرية بوجه خاص. ومن أجل عمل مسرد ولائحة بأهم هذه المخطوطات فقد عمدت إلى جمع مختلف فهرس مخطوطات الزوايا والمكتبات العامة والخاصة التالي ذكرها، مخرجا منها ما تعلق بعناوين المخطوطات المصنفة في جانب التفسير وعلوم القرآن، دون التمييز بين ما هو لعلماء الجزائر بصفة خاصة وما هو لغيرهم، وذلك لصعوبة التعرف على علماء الجزائر، وهذا يحتاج للمتمرس الخبير في ذلك حتى يتمكن من تقديم خدمة عظيمة لطلبة العلم الجزائريين خاصة، كما أنني لم أميز المطبوع من غيره من هذه المخطوطات لحاجة هذا العمل لمزيد من الوقت للقيام بذلك، ويمكن الاستعانة على ذلك بكتاب معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، لبشير ضيف، وهو مطبوع ومتداول.

وفيما يلي بيان لأهم المصادر التي رجعت إليها في جمع عناوين هذه المخطوطات:

- مخطوطات زوايا ولاية أدرار: كزاوية قصر أولاد وشن، وزاوية بوعلي، وزاوية رقان، وزاوية مولاي هيبه ...، وغيرها، وقد بلغ عدد هذه الزوايا التي حوت المخطوطات أكثر من 24 زاوية، متوزعة في أقاليم توات، قورارة، تيدكت¹، قام المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم التاريخ والانسان بعمل أول فهرس خاص بمنطقة أدرار، أعده الأستاذان بشار قويدر، وحساني مختار، وطبع بإشراف وزارة الثقافة.

- لائحة بمخطوطات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية: ولم تتوفر لي المعلومات الكافية عنها؛ إلا ما وجد من فهرس غير منظم لأهم المخطوطات التي جمعتها الوزارة وهي بحوزة مكتبها الخاصة، والفهرس منشور على الشبكة العنكبوتية.

- فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ التهامي صحراوي، بباتنة، أعده الأستاذ عبد الكريم عوفي، أستاذ بجامعة قسنطينة، وصاحب المكتبة هو التهامي بن أحمد التهامي صحراوي،

1- أحمد أبا الصافي جعفري: المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، المرجع السابق، ص 17. وقد احصى الكاتب أكثر من 50 مكتبة خزانة ومكتبة خاصة بإقليم توات.

المولود بتاريخ 1913م، يوجد بها حوالي 20 مخطوطا في علوم الحديث والتفسير والفقه والشعر والأدب.

- فهرس مخطوطات زاوية أحمد بوزيد المعروفة بمنطقة الأوراس بزاوية مولى القرقور بـسريانة ولاية باتنة، أعده الأستاذ الفاضل عبد الكريم عوفي¹، بها حوالي 66 مخطوطا، في علوم التربية والسلوك والتصوف والتفسير والتوحيد والحديث والفقه والفلك واللغة، كما يغلب على مخطوطاتها الفقه والأصول، كما أن الكثير منها من نسخ شيوخ الزاوية وتلامذتها.

- فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب الخاصة: الواقعة بقرية "تالة وزرار" بأيت ورثيلان بمنطقة القبائل بين بجاية وسطيف، وقد حوت هذه المكتبة أكثر من 580 مخطوطا في مختلف العلوم الشرعية، حيث قامت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن بعمل فهرسة لهذه المكتبة أعده الأستاذ جمال الدين مشهد، نشر سنة 2004م.

- فهرس مكتبة الدكتور أحمد عرو- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: وقد قامت الجامعة بجمع عدد هائل من المخطوطات قارب 1080 مخطوطا، خاصة من الزوايا كزاوية الشيخ الحسين بميلة، الواقعة ببلدية سيدي خليفة بولاية ميلة، يعود تاريخ تأسيسها إلى ق 13 هـ (1818م) وكذا مختلف المكتبات التي وقفها أصحابها على جامعة الأمير عبد القادر كمكتبة الشيخ نعيم النعيمي، محمد خير الدين، محمد الطاهر تليلي، عبد المؤمن العياشي الوهراني، ... وغيرهم، وقد أسست الجامعة لذلك مخبرا خاصة يقوم على هذه المخطوطات بتصويرها ضوئيا، ولهذه المخطوطات جناح خاص بمكتبة الشيوخ بالجامعة.

- فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية بزاوية الهامل بوسعادة، وهي زاوية معروفة بولاية المسيلة وبمكتبتها العامرة، أعد لها محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني فهرسا، نشرته دار الغرب الإسلامي بـلبنان عام 2006م، منه استقيت المعلومات عن مخطوطات التفسير وعلوم القرآن الموجودة بها.

- فهرس مجموعة أبو بكر بلقاسم ضيف للمخطوطات: وهو أحد المحققين والمهتمين بالمخطوطات حقق مجموعة من أمهات كتب التراث ك: تقييد على قراءة الإمام نافع من رواية قالون وورش للتلمساني، ولب الباب في رد الفكر إلى الصواب، تأليف محمد بن عبد الكريم المغيلي الجزائري (909هـ)، ومبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين: في الجبر والمقابلة، لأبي العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني الجزائري المالكي ابن قنفذ صاحب الوفيات (810هـ)،... من بلدية حاسي بحبح بالجلفة، ولم تتوفر لي معلومات كافية عنه، غير أن الكثير من المهتمين بالمخطوط يلجؤون إليه لاهتمامه بجمع المخطوط قصد الحصول عليه، أما فهرسته فهي موجودة على الشبكة العنكبوتية، وقد نشره هو بنفسه في ملتنقى أهل الحديث.

ثالثا: طريقة ترتيب المخطوطات وتصنيفها.

- صنفت عناوين المخطوطات إلى أربعة أقسام:

1- نشر بمجلة أفاق الثقافة والتراث، السنة السابعة، العدد 28/27، يناير 2000م.

قسم المصاحف المخطوطة: وهو جانب مهم يبرز مدى عناية علماء الجزائر بكتابة القرآن الكريم ونسخه.

قسم القراءات: وجمعت فيه المخطوطات المتعلقة بعلوم القراءات والرسم القرآني ومخطوطات كتب التجويد.

قسم التفسير: وفيه جمع لأهم مخطوطات تفسير القرآن الموجودة عبر الزوايا والمكتبات، مع ذكر تعدد النسخ إن وجدت.

قسم علوم القرآن: وفيه المخطوطات المتعلقة بعلوم القرآن وأنواعها.

- رتبت المخطوطات في كل قسم على حسب حروف المعجم، قدر الإمكان، تسهيلا للوصول إلى عنوان المخطوط ومكان تواجده، مع ذكر فهرسه الأصلي، وعدد نسخه إن كانت له نسخ.

- راعيت الاختصار في ذكر المعلومات المتعلقة بالفهرس تجنباً للطول، ومن أراد المزيد يمكنه الرجوع إلى الفهرس الأصلي.

رابعا: الاختصارات المستخدمة.

الأمير: وأقصد به مكان تواجد المخطوط بمكتبة الشيخ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، في قسم المخطوطات.

القاسمية: المكتبة القاسمية بزاوية الهامل.

ضيف: بلقاسم بالجلفة.

الموهوب: مكتبة الشيخ الموهوب الخاصة.

صحراوي: مكتبة الشيخ التهامي بباتنة.

الوزارة: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية.

بوزيد: مخطوطات زاوية مولى القرقور بسريانة.

[د.م]: دون معلومات عن المخطوط. [د.ن]: دون اسم الناسخ. [د.ت]: دون تاريخ النسخ.

22/15: يعني قياس المخطوط بالسنتيمتر.

خامسا: مسرد لأهم المخطوطات في التفسير وعلوم القرآن.

أولا: المصاحف المخطوطة:

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م]: رابع بن سي علي بن سي محمد بن سي موسى بن

سيدي محمد، 1318هـ - 162 ورقة (19 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 20/26 سم.

أوله: "مصحف كامل يبدأ بسورة الفاتحة ويختم بسورة الفاتحة"، نوع الخط مغربي، التجليد عادي، حالة المخطوط جيدة.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م]، بن أحمد الجودي، الطاهر بن أحمد بن الطيب،

1316هـ. 258 ورقة (18 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 23/15 سم، أوله: "بسم الله

الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد سورة الفاتحة مكية ..."، آخره: "سورة

الناس"، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، أسماء السور مكتوبة

باللون الأصفر، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 73 ورقة (8 سطر): لون الحبر أسود، أحمر، أخضر، أزرق، بني؛ 20/15 سم، أوله: "سورة مريم"، آخره: "سورة المؤمنين"، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، خضع لعملية صيانة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 34 ورقة، (12 سطر): لون الحبر أسود، أحمر، أزرق، أصفر؛ 20/15 سم، أوله: "سورة آل عمران..."، آخره: "سورة النساء"، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، مبتور الأول، سورة آل عمران من الآية 1 إلى الآية 14 لا توجد، سورة النساء من الآية 146 إلى الآية 175 لا توجد، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 57 ورقة (11 سطر): لون الحبر أسود، أحمر، أزرق؛ 16/19 سم، أوله: "سورة الأعراف..."، آخره: "وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون"، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط جيدة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، بن الشيخ الخرشبي، [د.ت.]، 35 ورقة (16 سطر): لون الحبر أسود، أحمر، أخضر؛ 16/24 سم، أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد فنبذناه بالعراء وهو سقيم..."، آخره: "إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر سورة القمر"، نوع الخط مغربي، التجليد عادي، حالة المخطوط حسنة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 102 ورقة (8 أسطر): لون الحبر أسود، أحمر، أخضر، أصفر؛ 20/16 سم، أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أقمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق..."، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط جيدة، فيه تصحيحات على الحواشي، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 35 ورقة (16 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 24/16 سم، أوله: "سورة الفاتحة..."، آخره: "الآية 23 من سورة النساء"، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين سنة 1381هـ، مصدر المخطوط: مدرسة الحياة (قسنطينة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 250 ورقة (16 سطر): لون الحبر أسود، أحمر، أخضر، 22/29 سم، أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمان الرحيم ملك يوم الدين..." (الفاتحة)، "آخره: قل أعوذ برب الناس..." (سورة الناس). نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط جيدة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 30 ورقة (16 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 23/15 سم، أوله: "سورة الرحمان"، آخره: "سورة الناس". نوع الخط مغربي، التجليد عادي، حالة المخطوط حسنة، عليه تمليكات سيدي الصديق بن الشيخ سيدي الحسين، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 65 ورقة (11 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 20/15 سم، أوله: "الآية 92 من سورة التوبة..."، آخره: "الآية 17 من سورة الرعد". نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط جيدة، لون الإطار أزرق وأحمر، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 54 ورقة (12 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 20/16 سم، أوله: "سورة الأحقاف..." / "آخره: سورة الصف". نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط جيدة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 43 ورقة (12 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 21/16 سم، أوله: "الآية 46 من سورة العنكبوت..." / "آخره: سورة الصافات". نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط جيدة، فيه تصحيحات بالحواشي، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 36 ورقة (16 سطر)، لون الحبر أسود، أحمر؛ 23/16 سم، أوله: "سورة الأعراف..." / "آخره: سورة هود الآية 82". نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، تصحيحات في الحواشي، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 32 ورقة (16 سطر)، لون الحبر أسود، أحمر؛ 24/16 سم، أوله: "الآية 23 من سورة النساء..."، آخره: "سورة الأنعام". نوع الخط مغربي، التجليد عادي، حالة المخطوط حسنة، عليه حبس سنة 1370 هـ، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 71 ورقة (25 سطر): لون الحبر أسود؛ 17/17 سم، أوله: "سورة الفاتحة"، آخره: "سورة الناس". نوع الخط مغربي، التجليد عادي، حالة المخطوط جيدة، خضع للصيانة، أثرت عليه نوعا ما الرطوبة والأرضة، المخطوط مرقم، مصدر المخطوط: مكتبة الشيوخ. الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 190 ورقة (21 سطر): لون الحبر أسود، أصفر؛ 28/20 سم، أوله: "سورة الفاتحة"، آخره: "سورة الناس"، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط جيدة، عليه تملك سنة 1344 هـ، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 86 ورقة (8 أسطر): لون الحبر

أسود؛ 20/16 سم، أوله: "سورة ص..."/"آخره: "سورة الجاثية"، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، المصحف مشكول، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 123 ورقة (11 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 29/20 سم، أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد سورة الفاتحة الحمد لله رب العالمين الرحمان الرحيم..."/"آخره: "إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم (سورة الأنعام).. نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 35 ورقة (16 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 24/15 سم، أوله: "وإلى مدين أخاهم شعيبا..." سورة هود / آخره: "فانطلقا حتى إذا لقي غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا" سورة الكهف.. نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، بداية المخطوط في الورقة الثانية، نهاية المخطوط في الورقة 35، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف [نص مخطوط]: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، الأوراق مبعثرة (19 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 22/16 سم، نوع الخط مغربي، التجليد عادي، حالة المخطوط متوسطة، أوراقه مبعثرة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- مصحف الثلاثون جزء [نص مخطوط]: [د.م.]، الرحابي، محمد بن عياد بن علي، 1314هـ، 197 ورقة (20 سطر): لون الحبر أسود، أحمر، أصفر، أخضر؛ 23/17 سم. أوله: "بعد البسملة، سورة الفاتحة مدنية وهي سبع آيات..."/"آخره: "كمل المصحف المبارك بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه". نوع الخط نسخي مغربي، التجليد عادي، حالة المخطوط حسنة ومرومة، بعض الكلمات على الهامش، مصدر المخطوط: مكتبة الشيوخ. الأمير.

- مصحف ثلاثون جزء [نص مخطوط]: قسنطينة: محمد العربي بن محمد عياد الرحابي، 1334هـ، 200 ورقة (18 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 17/23 سم. أوله: "بعد البسملة سورة الفاتحة مكية ومدنية هي سبع آيات..."، آخره: "وكان الفراغ منه ضحى يوم الإثنين من شعبان الأكرم". نوع الخط نسخي مشرقى، التجليد عادي، حالة المخطوط جيدة، مصدر المخطوط: مكتبة الشيوخ. الأمير.

- مصحف عشرين جزء [نص مخطوط]: قسنطينة، [د.ن.]، 1323هـ، 48 ورقة (15 سطر): لون الحبر أسود، أحمر، أصفر، وأخضر؛ 34/24 سم، أوله: "بعد البسملة، سورة الكهف مكية ومدنية إحدى عشر آيات..."/"آخره: "تم الربع الثالث بتاريخ السابع والعشرين من جويلية الموافق للخامس والعشرين من جمادى الأول". نوع الخط نسخي، التجليد عادي، حالة المخطوط حسنة، مصدر المخطوط: مكتبة الشيوخ. الأمير.

ثانياً: مخطوطات في القراءات.

- إبراز المعاني من حرز الأماني: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان أبو القاسم شهاب الدين أبو شامة المقدسي 599-665هـ، 1202-1267م. القاسمية.
- إتحاق فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: الدمياطي، محمد البنا المتوفى سنة 1114هـ، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 334 ورقة (17 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 22/16 سم. أوله: "مبتور الأول /" آخره: "فيما يتعلق بختم القرآن". نوع الخط مشرقي، التجليد عادي، حالة المخطوط حسنة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.
- الاتفاق والاختلاف في الحذف: محمد بن علي بن جمعة الهبتي ت 963هـ، نسخت بتاريخ 1161هـ، بخط مغربي، أوراقها 15، بمكتبة الشيخ الموهوب.
- أرجوزة في القراءات: عبد القوي بن أحمد المجاصي، منسوخ بتاريخ 1010هـ، أوله: "الحمد لله هدانا بصفوة الإيمان ...". بمكتبة الوزارة.
- أرجوزة في القراءات: [د.م.]، مبتور مطلعها، لوحاتها 15، مقاس 16/24، أولها "وما بإظهار يعنّب حرج ...". بمكتبة الوزارة.
- البارغ في قراءة نافع: لعل المؤلف هو ابن جزي، كتبت بخط مغربي أسود وأحمر، أوراقها 6، أولها باب التعوذ والبسملة، بمكتبة الشيخ الموهوب.
- التبصرة في قراءة العشرة: محمد بن أبي القاسم البوجلبي القبائلي، أوله: "الحمد لله الذي من علينا بالإيمان والإسلام وأنعم علينا بإرسال أجل الخلق وأفضل النام المبعوث سيدنا ومولانا محمد المبعوث من المسجد الحرام ...". آخره: "... وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"، نوع الخط مغربي، الناسخ: عبد الله بن الطيب بن الشريف، تاريخ النسخ: ذو الحجة الحرام عام 1327هـ، عدد السطور: 20 سطرًا، عدد الصفحات: 76 صفحة، وهذا المخطوط موجود عند بلقاسم ضيف الخزنة رقم 16.¹
- تحرير أوجه الطيبة النشر في القراءات: المنصوري، علي، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، الأمير.
- تحصيل المنافع من كتاب الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع، علي بن شعبان، أوله: "الحمد لله الذي من علينا بهدايته واستنقذنا من ظلمة الجهل وعمايته، وفضلنا بكتابه فجعلنا من حملة وأهل تلاوته وشرفنا بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، آخره: ... انتهى الشرح المبارك بحمد الله وأحسن عونه على يد كاتبه الفقير الحقير الذليل الراجي العفو من مولاه على بن شعبان غفر الله له وللمسلمين آمين"، نوع الخط: مغربي، نسخه على بن شعبان وأئمة مسعود بن محمد بن الوناس الفرغناوي نسبًا، يوم السبت عند الظهر جمادي الأولى بعدما مضت منه إحدى عشر يوماً سنة 1269هـ، عدد السطور: 23

1- بلقاسم ضيف مهتم بالمخطوطات، ووضع فهرساً عليها وهو موجود على الشبكة العنكبوتية ومنه استقيت هذه المعلومات عن بعض مخطوطات التفسير وعلوم القرآن، وراجع الفهرس بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري، وأغلب هذه المخطوطات مصورة الكترونياً، وقد أفادني بذلك أحد الأصدقاء، زاره ببيته وعرف منه ذلك.

سطراً، عدد الصفحات: 138 صفحة. وهذا المخطوط موجود عند بلقاسم ضيف الخزنة رقم 15.

- التعريف بالطرق العشر: الداني، أبو عمر عثمان بن سعيد، [د.م]، [د.ن]، [د.ت].
توجد منه ثلاث نسخ بجامعة الأمير.

- تقريب النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، نسخت بتاريخ 1099هـ، عدد لوحاتها 119.

- تقييد شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع: عبد القوي بن أحمد المجاصي، منسوخ بتاريخ 1010هـ، ورقاته: 260، أوله: "الحمد لله فطر الخلق بقدرته وصرف أحوالهم بحكمته ...". بمكتبة الوزارة.

- تقييد في قراءة الإمام نافع المدني: ابن توننت التلمساني، أوله: "الحمد لله الذي أطلق ألسنتنا بلفظ القرآن ووقانا بحفظه وتلاوته ووعدنا عليه بجزيل الامتنان ... وآخره: ... انتهى بحمد الله، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين، آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين". نوع الخط: مغربي بالأحمر والأسود، الناسخ: محمد المنور بن جلول بن محمد بن المختار التلمساني، تاريخ النسخ: 1197هـ، عدد السطور: 21 سطراً، عدد الصفحات: 24 صفحة، وهو عند بلقاسم ضيف، وله منه نسختان.

- تقييد وقف القرآن: محمد بن أبي جمعة أبو عبد الله الهبتي الصُماتي 930هـ- 1524م، بمكتبة وزارة الشؤون الدينية، كما توجد منه نسخة أخرى بمكتبة الشيخ الموه، بخط مغربي أسود، أوراقها 29 ورقة، وتوجد نسخة أخرى بجامعة الأمير عنوانها أوقاف الهبتي، [د.م]، [د.ن]، [د.ت]. - 62 ورقة (12 سطر): لون الحبر أسود، أحمر: 15/11 سم. أوله: "مبتور الأول، الرسل، أعقبكم، شيئاً...". آخره: "مبتور الآخر، سورة الجن احدا، ولدا، شططا، كذبا، رهقا، احدا، وشهبا، رمدا، رشدا". نوع الخط مغربي، التجليد منزوع الغلاف، حالة المخطوط حسنة، منزوع الغلاف ومبتور الأول والآخر، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة)، الأمير.

- حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع: الشاطبي 590هـ بزاوية القاسمية.
- الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، لابن بري الغرناطي. بالمكتبة القاسمية، وتوجد منه نسخة أخرى بمكتبة الشيخ الموهوب ببجاية، نسخت بتاريخ 1182هـ، بخط مغربي أسود واحمر، وعدد ورقها 9. وتوجد نسخة أخرى، عدد أوراقها 100، متواجد بخزانة زاوية كنته أقبلي ومدينة أقبلي تابعة لدائرة أولف ولاية أدرار، ونسخة منها متواجدة بخزانة زاوية كنته أقبلي ومدينة أقبلي تابعة لدائرة أولف ولاية أدرار.¹ ونسخة أخرى عدد

1- مخطوطات ولاية أدرار، بشارقويد وحساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، ص 189.

أوراقها 400، متواجد بخزانة أنزقميز بولاية أدرار.¹

- رسالة في القراءات: تأليف مجهول، أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم الرابع الوقف والابتداء، وهو باب عظيم القدر لأنه لا تتأتى معرفة معاني القرآن إلا بمعرفته وقال في النشر..."، وآخره: "...ينتهي بمنظومة مطلعها: وبعد فأصغي إلى نظم لمشتبه جاء في الصحيحين ممن قد روى ودرى وعدد من سبي محمد بن إدريس الشافعي. رضي الله عنه والأصبهاني والرازي والشعراني والأنطاكي والصوري وأبو بكر الحافظ ... وصلى الله على سيدنا محمد"، نوع الخط: مشرقى، الناسخ: مجهول، دون تاريخ، عدد السطور: 26 سطرًا، عدد الصفحات: 10 صفحات، خ 19، عند بلقاسم ضيف.

- رسالة في القراءات: محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي القاضي أبو عبد الله المقرئ التلمساني 758هـ-1357م. بالمكتبة القاسمية.

- رسالة في تجويد القرآن: تأليف جزائري مجهول، أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، دروس التجويد، التجويد معناه لغة: التحسين واصطلاحاً..."، وآخره: "... يفخم اللام من اسم الله إذا كان بعد فتحة أو ضمة نحو: إن الله، عبد الله، ويرفق إذا كانا بعد كسرة نحو: بسم الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"، نوع الخط: مغربي، الناسخ: مجهول، حديثة النسخ، عدد السطور: 24 سطرًا، عدد الصفحات: 10 صفحات، خزانة 25. مخطوطات بلقاسم ضيف.

- رسالة في مخارج الحروف: لمؤلف مجهول، أوله باب مخارج الحروف، بمكتبة وزارة الشؤون الدينية.

- شرح الجزرية لأبي يحيى زكرياء الأنصاري، بزاوية كوسام بأدرار عدد أوراقه 100.²

- شرح الجعبري على الشاطبية: الجعبري، إبراهيم بن عمر بن إبراهيم، [دم.]، [دن.]، [دت.]، ج 2، جامعة الأمير.

- شرح الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المرضية: الجزري، أبو الخير محمد، [دم.]، إبراهيم بن أحمد بن الحاج محمد بن أحمد بن محمد الصولي، 1226هـ، 140 ورقة (21 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 22/16 سم، أوله: "قل الحمد لله الذي وحده علا ... ومجده وأسأل عونه وتوسلا. القصيدة من ثاني بحر الطويل والقافية لامية مجردة..."، آخره: "حامل هذه الأبيات إنه يقول إن أبيات هذه القصيدة". نوع الخط مغربي، التجليد عادي، حالة المخطوط جيدة، عليه تملك محمد الناصري، عليه تعليقات في الحواشي، سنة التأليف أوائل ربيع الأول 1226هـ، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). جامعة الأمير.

- شرح الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع: النويري، بن حجر، [دم.]، [دن.]، [دت.]،

1 - المرجع نفسه، ص 189.

2 - مخطوطات ولاية أدرار، بشارقويدرو حساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ

وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، ص 31

الأمير.

- شرح الدرر اللوامع: محمد بن شعيب المجاصي، كان حيا سنة 743هـ، الناسخ سامي ابن كحيل الظافري سنة 869هـ، بقفصة بتونس، في ورقتين. بمكتبة الشيخ الموهوب.

- شرح الزبيدي علي الدرّة المضية في قراءات الائمة الثلاثة المرضية لابن الجزري، نسخ بتاريخ 1086هـ، بمكتبة الوزارة.

- شرح الشاطبية: مؤلفه مجهول، مبتور أوله، عدد لوحاته 191، مقاس 18/26، بمكتبة الوزارة.

- شرح جموع على تفصيل الدرر لابن غازي: المغربي، مسعود جموع، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]. الأمير.

- الطريقة العشرية: لابن غازي المكناسي ت 919هـ، الناسخ مسعود بن علي إبراهيم سنة 1216هـ، بخط مغربي، عدد صفحاتها 15، بمكتبة الشيخ الموهوب، وتوجد منه نسختين.

- طيبة النشر في القراءات العشر: النويري، بن حجر، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، ج 1. الأمير.
- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد " نظم " : تأليف: أحمد الشاطبي، أوله: " قال الشيخ الإمام العالم المقرئ أبو القاسم الشاطبي رحمه الله: الحمد لله موصولا كما أصرا مباركا طيباً يستنزل الدررا"، آخره: "تضاحك الزهر مسروراً سرها معروفاً عرفها الأصال والبركا... تمت بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً"، نوع الخط: أندلسي مشكول، الناسخ: محمد بن أحمد بن محمد الطيب الأنصاري، دون تاريخ نسخ، عدد السطور: 13 سطرًا، عدد الصفحات: 27 صفحة، خزانة 22، عند بلقاسم ضيف.

- عنوان المخطوط: غير موجود، وهو متعلق بالشاطبية، تأليف: أحمد الشاطبي، أوله: " قال الشيخ الإمام العالم المقرئ المجود أبو القسم ابن فيرة بن أبي القاسم خلفي بن أحمد الشاطبي رحمه الله تعالى: بدأت ببسم الله في النظم أولاً تبارك رحمانا رحيماً وموثلاً"، وآخره: "وتبدى على أصحابه نفحاتها بغير تناه زرنياً وقرنفلاً، تمت بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً"، نوع الخط: أندلسي مشكول، الناسخ: محمد بن أحمد بن محمد الطيب الأنصاري، دون تاريخ نسخ، عدد السطور: 13 سطرًا، عدد الصفحات: 95 صفحة، خزانة 21. عند بلقاسم ضيف.

- العنوان في علم القرآن: ابن خلف النحوي، عدد لوحاته: 46، أوله: "الحمد لله الذي أنشأنا بقدرته ...". بمكتبة الوزارة.

- الغراء في ترتيب اختلاف وجوه القراء: لابن ثابت التلمساني، أوله: "الحمد لله الذي أرشدنا بكتابيه واصطفانا لخدمته وأهلنا لفهم خطابه وجعله لنا رحمة ووقاية من عذابه واختصنا بنبيه محمد وأعزنا به صلى الله عليه وسلم وعلى آله ..."، وآخره: "....ناقصه . بالحذف معناً وأيضاً ما حذف للانتماء الساكنين لا يرد لأن ..."، نوع الخط: مغربي، الناسخ:

مجهول، دون تاريخ نسخ، عدد السطور: 16 سطرًا، عدد الصفحات: 19 صفحة. مخطوطات بلقاسم ضيف.

- فتح المنان في شرح مورد الظمان. المؤلف: عبد الواحد بن أحمد بن علي، ابن عاشر، لوحاتها 201، مقاس 16/22. توجد منه نسختين بمكتبة الوزارة.

- الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع: عبد الرحمن بن أبي القاسم بن القاضي أبو زيد المكناسي الفاسي المالكي، 999-1082هـ/1590-1671م، بالمكتبة القاسمية، وتوجد منه نسخة أخرى بمكتبة وزارة الشؤون الدينية، عدد أوراقها 187، مقاس 21/30.

- قصائد في فضائل القرآن: مخطوط مصنف في القراءات، صاحبه: أبو بكر الوادي، أوله: "قال الشيخ الفقيه الإمام...". بمكتبة الوزارة.

- قرة الأعيان في أدب تلاوة القرآن: لعبد القادر بن قاري مصطفى مفتي ديار مستغانم، بلقاسم ضيف.

- كتاب في القراءات أوله: "مبتور الأول..."/ آخره: "والباقيون بضم الفاء مع الهمزة في الفلق شيء والناس خلق إلا ما تقدم ليس من الأصول في صدر الكتاب"، عدد الأوراق الخاصة به 98 ورقة. قرة العين أوله: "الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين فإن هذه رسالة سميتها قرة العين...". آخره: "والناس الجملة خمس كلمات ذكر بالبقرة هذا آخر الكتاب بعون الله الملك الوهاب"، عدد الأوراق الخاصة به 36 ورقة، نسخ في أواخر شهر ذي القعدة سنة سبعون ومائة وألف. باب وقف حمزة وهشام على الهمزة أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين باب وقف حمزة وهشام...". آخره: "مسألة قوله كفؤا مثل هزوا واذكر في البقرة لله الحمد من قبل ومن تقديم تمت الكتاب بعون الله الملك الوهاب"، عدد الأوراق الخاصة به 10 أوراق.. نظم الدرة في القراءات أوله: "قل الحمد لله الذي وحده علا ومجده واسأل عونه وتوسلا...". آخره: "ومن يجمع الشمل واغفر ذنوبنا وصلي على خير الأنام ومن تلا"، عدد الأوراق الخاصة به 10 أوراق، نسخ شهر ذي القعدة سنة سبعين ومائة وألف، نوع الخط مشرق، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- كتاب في علوم القرآن (القراءات): مجهول العنوان: الرواحي، أحمد بن عبد اللطيف بن الحاج إبراهيم، 59 ورقة (22 سطر)، لون الحبر أسود، أحمر: 21/15 سم، أوله: "مبتور يبدأ وجهها وهي مندرجة مع قالون فيما هم مقطوعة قوله تعالى في بطون أمهاتكم..."/ آخره: "وبين الناس والفتاحة من قوله من الجنة إلى قوله ملك يوم الدين ألف وجه ومائة وجه وأربعة أوجه غير الأوجه المندرجة". نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط متوسطة، مضمونه في أوجه القراءات، فرغ من تأليفه حادي عشر جمادى الأولى 893هـ، كان الفراغ من تحرير هذه النسخة يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخر 1040هـ، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). مكان المخطوط: الأمير.

- كنز المعاني في شرح حرز المعاني: الجعبري، ابراهيم بن عمر بن ابراهيم، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]. ج. 1، جامعة الأمير.

- اللآلي الفريدة في شرح القصيدة: بن روحان الفاسي، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن حسن، [د.م.]، [د.ن.]، 871هـ، 250 ورقة (31 سطر): لون الجبر أسود؛ 28/21 سم. أوله: "الحمد لله الذي أنزل على عبده وخيرة رسله الكتاب ووعد من تلاه، وعمل به جزيل الثواب..." / آخره: "قال الشيخ الإمام العالم العامل الصدر الكامل قوله هذا الشرح وهذا آخر ما [] أن اكتبه من شرح القصيدة". نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط متوسطة، يحتاج إلى صيان عاجلة نظرا لما أحدثته الأرضة من ثقب، كان الفراغ منه يوم الأربعاء السادس صفر عام 871هـ، في آخره زيادات، بهامشه تعليقات، مصدر المخطوط: مكتبة الشيخ نعيم النعيمي. الأمير.

- متن طيبة النشر لابن الجزري، منسوخ بتاريخ 1086هـ، لوحاته 33. بمكتبة الوزارة.
- مخطوط في التجويد، لأبي الحسن علي الزباني المعروف بابن بوب، عدد الأوراق 14، متواجد بخزانة زاوية كنته أقبلي ومدينة أقبلي تابعة لدائرة أولف ولاية أدرار.
- مخطوط في علوم القرآن لابن غازي الكتاني عمر بن قاسم بن محمد الأنصاري المقري، عدد أوراقه 150 بزاوية كوسام بأدرار.¹
- معونة الذكر في الطرق العشر: بن علي جموع، عبد الله مسعود، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]. الأمير.

- المقدمة الجزرية: محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الجزري، شمس الدين، ت 833هـ، بخط مغربي، عدد أوراقها 29، بكتبة الشيخ الموهوب، وتوجد منه نسخة أخرى بذات المكتبة، نسخها محمد بن تيجاني ناصري الأوراسي، وعدد أوراقها 7.
- مقدمة في القراءات: محمد بن أبي القاسم البوجلبي الزواوي الجزائري، المتوفى بعد 1300هـ/ 1882م. بزاوية الهامل، وتوجد نسخة منها بمكتبة الوزارة.
- المنح الفكرية على متن الجزرية: علي بن سلطان محمد نور الدين الملا الهروي القاري الحنفي، 1014هـ/ 1606م. زاوية الهامل.

- منظومة تحتوي على أبواب منها باب في التجويد، لمحمد بن الجزري الشافعي، عدد الأوراق 10، متواجد بخزانة زاوية كنته أقبلي ومدينة أقبلي تابعة لدائرة أولف ولاية أدرار.
- منظومة في القراءات: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الاندلسي القيسي، أبو محمد، ت 437هـ، الناسخ أحمد بن محمد مبارك، سنة 1221هـ، بخط مغربي مشكول، أوراقها 3، بمكتبة الشيخ الموهوب.

- منظومة مورد الضمان في رسم القرآن: تأليف أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي الخراز، أوله: "الحمد لله العظيم المنن / ومرسل الرسل بأهدى سنن ... وآخره: صلى

1 - مخطوطات ولاية أدرار، بشارقويدرو حساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، ص 31

عليه ربنا عز وجل / وآله نجم أو أفل ... انتهى بحمد الله كتاب مورد الضمآن على الرسم"،
نوع الخط: مغربي، النسخ: مجهول، دون تاريخ نسخ، عدد السطور: 454 بيتاً، عدد
الصفحات: 26 صفحة، خزانة 26، مخطوطات بلقاسم ضيف، وتوجد نسخة أخرى بمكتبة
الشيخ الموهوب ببجاية¹ بخط مغربي، وعدد أوراقها 16.

ثالثاً: مخطوطات علوم القرآن.

- أسباب النزول الناسخ والمنسوخ: الأجهوري، عطية، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]. جامعة
الأمير.

- إعراب القرآن: الجري، أبو الحسن، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]. جامعة الأمير.

- الأنوار السواطع على الدرر اللوامع: السملالي، في علم القراءات، وهو مخطوط عند
بلقاسم ضيف.

- أنوار القرآن وأسرار الفرقان: القاري، أبو الحسن بن سلطان محمد، [د.م.]، [د.ن.]،
[د.ت.]. ج. 2، الأمير.

- التبيان في إعراب القرآن: عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء محب الدين
العسكري البغدادي القادري الحنبلي 538-616هـ/1143-1219م. وهو موجود بالمكتبة القاسمية.

- التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي الكلبي الغرناطي 693-741هـ/1294-1340م. زاوية
الهامل، وتوجد نسخة منه بمكتبة مخطوطات وزارة الشؤون الدينية، عدد لوحاتها 532
لوحة.

- تقييد فضائل القرآن للوادي آشي: محمد بن عبد الله بن منصور، منسوخ بتاريخ
1099هـ، بخط مغربي، عدد أوراقه 5، أوله: "بعد البسملة والتصلة، وقع لي إنشاء الفقيه
القاضي الصادق أبي بكر الوادي آشي ..."، وآخره: "فالفضيلة ما ثبت عن النبي ...". بمكتبة
الشيخ الموهوب.

- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي 911هـ، بالمكتبة القاسمية.

- حسن التبيان في معنى مدلول القرآن: محمد بن محمد الطيب أبو عبد الله المغربي
التافلاتي الأزهرى الخلوتي، 1191هـ/1777م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين، أبو العباس أحمد، [د.م.]، [د.ن.]،
[د.ت.]. وهو في جزأين بالأمير، ونسخة أخرى بزاوية كوسام بأدرار فيه 300 صفحة.²

- رسالة في التفسير واصطلاحه: محيي الدين الكايحي، مطلعته: "الحمد لله الذي أنزل
القرآن رحمة للأنام ...". بمكتبة الوزارة.

- رسالة في علوم القرآن: تأليف مجهول، أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، المعلم إذا قال للصبي قل بسم الله

1- ينظر فهرس المخطوطات ص 120.

2 - مخطوطات ولاية أدرار، بشار قويدرو حساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ
وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، ص 31

الرحمن الرحيم "...، وآخره : ...سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، والحمد لله على التمام وكفى والسلام"، نوع الخط: أندلسي، الناسخ: مجهول، دون تاريخ نسخ، عدد السطور: 28 سطراً، عدد الصفحات: 64 صفحة، خ 20، عند بلقاسم ضيف.

- عجائب علوم القرآن: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي، [د.م]: مصطفى موسى طارش الكناني الشافعي، 1163هـ - 56 ورقة (15 سطر): لون الحبر أسود، أحمر: 20/15 سم، أوله: "الحمد لله الذي أكرمنا بالتوحيد ودين الإسلام وأنزل إلينا أشرف الكتب وأحسن الكلام وجعله معجزاً في المعنى واللفظ..."، آخره: "وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وفي يس وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه". نوع الخط نسخي مشرق، التجليد عادي، حالة المخطوط جيدة، في أوله فائدتان (ما يقال عند رؤية الهلال، حديث الرقية)، عليه تعليقات وحواشي. مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- علوم القرآن لعمر بن عبد الله الفاني، بزاوية كوسام بأدرار، ناسخه: علي بن محمد ابن علي أبو عناني، عدد أوراقه 600¹.

- فتح الرحمان بكشف ما يلتبس في القرآن: الأنصاري، أبو زكريا، [د.م]، [د.ن]، [د.ت]. جامعة الأمير.

- فضائل القرآن في كلام الرحمن: عبد الله الغرناطي، [د.م]، والمخطوط بزاوية الهامل.
- الفوائد المسجلة في شرح البسملة: محمد بن محمد البناني، عدد أوراقه 61، أوله: "الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مولانا محمد ...". بمكتبة الوزارة.

- كتاب في رسم القرآن: تأليف عبد القادر الغريسي، أوله: "الحمد لله المفتتح كلامه بحمده المجري الألسنة بلطف من عنده المستغرق فضائل الشكر في طوائف شكره وشرائف صلواته على نبيه وعبد الوافي بعهد ..."، وآخره: "... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"، نوع الخط: مغربي، الناسخ: عبد القادر بن المشرفي الغريسي، تاريخ النسخ: 1248هـ، عدد السطور: 20 سطراً، عدد الصفحات: 157 صفحة، خزانة 23، مخطوطات بلقاسم ضيف.

- كتاب في رسم القرآن: عمر بن قاسم بن محمد المصري الأنصاري، سراج الدين، أبو حفص، المعروف بالنيشارت 938هـ، بخط مغربي، عدد أوراقه 14، أوله: "بعد البسملة والتصلية، وبعد فإني لما من الله علينا بتجويد ...". بمكتبة الشيخ الموهوب.

- المرشد في الوقف والابتداء في القرآن: أبو محمد الحسن بن علي بن إسماعيل العماني، منسوخة بتاريخ 1033هـ، لوحاتها 317، مقاس 20/27، بمكتبة الوزارة.

- مشكل حذف القرآن: أحمد الجكني، الناسخ محمد الموهوب بن البشير بن لحبيب، في

1 - مخطوطات ولاية أدرار، بشار قويدر وحساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، ص32.

القرن 13هـ، بخط مغربي، عدد أوراقها 12. بمكتبة الشيخ الموهوب ببجاية، وتوجد منه نسختين.

- مفعمات الأقران في مبهمات القرآن: عبد الرحمن : جلال الدين السيوطي 911هـ، نسخة منه بمكتبة القاسمية.

- منظومة في رسم القرآن: أبو عبد الله محمد الشريشي الجزار، نسخت بتاريخ 1147هـ، مطلعها: "الحمد لله العظيم المتن ومرسل الرسل بأهدى السنن". بمكتبة الوزارة.

- منظومة في علوم القرآن: [د.م.]، بخط مغربي، أوراقها 16، أولها: وبعد قد سميت ذا السائل، ببطة إعانة للمتعلم "... وأخرها: "أكثر الناس لا يشكرون في البقرة وغافر فاحفظه يا ذا التبصرة ...". بمكتبة الشيخ الموهوب.

- منظومة في علم الإقراء: لمحمد التهامي بن الطيب، مؤلفها الظاهر أنه من الجزائر، مجموعة بلقاسم ضيف، ولم يضع وصفا لهذا المخطوط.

- نظم الدرر في تناسب الآتي والسور: البقاعي، ابن أبي بكر، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]. جامعة الأمير.

رابعا: مخطوطات كتب التفسير.

- مخطوط العنوان والمؤلف، بدايته ناقصة، يبدأ عند قوله: "يخادعون الله والدين بإظهار خلاف ما بطنوا من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامهم الدنيوية ...

- مخطوط مجهول العنوان والمؤلف، أوراقه مبعثرة، ولم تعرف بدايته ولا نهايته، الناسخ والتاريخ مجهولان، أوراقه: 172، الأسطر: 32، القياس: 22/28.5 سم، نسخة متوسطة مجلدة، كتبت بخط مغربي جميل مقروء، والآيات القرآنية كتبت بخط بارز متميز، مخطوطات الشيخ التهامي، صحراوي، بباتنة¹

- أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي): البيضاوي، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]. 101 ورقة (23 سطر): لون الحبر أسود، أحمر: 22/16 سم، أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم سورة الأعراف مكية..."/ آخره: "مبتور الآخر". نوع الخط مغربي، التجليد غير مجلد، حالة المخطوط سيئة، به ثقب كثيرة سببها الأرضة، المخطوط مرقم، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). جامعة الأمير ونسختين أخريين بمكتبة الوزارة مؤرختين 1163هـ و1217هـ.

- التأويل في معاني التنزيل، ابن عبد الحق الشطابي، عدد الأوراق 150، الجزء الأول منه في أخبار التأويل في معاني التنزيل، متواجد بخزانة زاوية كنته أقبلي ومدينة أقبلي تابعة لدائرة أولف ولاية أدرار.²

- التبيان في أدب حملة القرآن، محي الدين أبو زكرياء يحيى التواتي، عدد الأوراق 200،

1- عبد الكريم عوفي: فهرس مخطوطات الشيخ التهامي، صحراوي، بباتنة، الاوراس، ص 178

2 - مخطوطات ولاية أدرار، بشار قويدرو حساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، ص88.

متواجد بزاوية المغيلي قصر بوعلي.¹

- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله الغزاوي، عدد أوراقه 400، متواجد بخزانة أنزقمير بولاية أدرار.²

- التعاليق السنية فيما يتعلق بالبسملة والحمدلة: محمد بن عمر الغدامسي، الناسخ: عيسى بن بلقاسم العامري، سنة 1186هـ، خط مغربي، عدد صفحاته 14. بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب.³

- تعليق على سورة الفاتحة للبيضاوي: الكردي، منه، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]. الأمير.

- تفسير الجلالين: نسخة منه في المكتبة القاسمية بزاوية الهامل، وتوجد منه نسختين بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب، الأولى نسخها إبراهيم بن ناصر بن محمد الوكيليس سنة 1263هـ، وعدد أوراقها 1200 ورقة، أما الثانية بخط مشرقى وعدد أوراقها 353 ورقة.⁴ ونسخة أخرى الموجود بزاوية بوزيد.⁵

- تفسير القرآن الكريم: أحمد بن محمد بن أحمد البسلي، عدد أوراقها 428 ورقة، مقاس 19/27، [د.ت.]، بمكتبة الوزارة.

- تفسير القرآن: الشافعي، جلال الدين محمد بن أحمد، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 183 ورقة (28 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 28/19 سم، أوله: "بعد الحمد والصلاة على النبي، الحمد لله حمدا موافيا لنعمه مكافيا لمزيدة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله..."، آخره: "تفسير سورة الناس"، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط جيدة، تملكه عمار بن المرحوم الحاج أحمد بن زقوطة، البداية في الورقة الأولى والنهاية في الورقة الأخيرة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- تفسير القرآن، مجهول المؤلف، بزاوية كوسام بأدرار عدد أوراقه 200 غير كامل.⁶
- تفسير الكشاف: الزمخشري، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]. وهو في جزأين بالأمير، وتوجد نسخة منه في جزأين بمكتبة الوزارة. وعليه حاشية أيضا: كشف الكشاف لمؤلفها جمال الدين عمر عبد الرحمن.

- تفسير بعض الآيات الواردة في شأن الجنة، على مذهب الأشعري، مؤلفها مجهول، ناسخها محمد بن بلقاسم الشيبلي، سنة 1208هـ، بخط مغربي أسود، أوراقها 13. بمكتبة الشيخ الموهوب.

1 - المرجع نفسه، ص 198.

2 - المرجع نفسه، ص 189.

3- فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب الخاصة ببجاية، جمال الدين مشهد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2004م، ص 116.

4- ينظر فهرس مخطوطات الشيخ الموهوب: ص 118.

5 - عبد الكريم عوفي، معهد اللغة العربية وأدائها، جامعة باتنة، الجزائر، آفاق الثقافة والتراث، ص 72.

6 - مخطوطات ولاية أدرار، بشار قويدرو حسانى مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، ص 32.

- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، توجد منه نسختين بمكتبة الوزارة.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، عبد الرحمان، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، 209 ورقة (36 سطر): لون الحبر أسود، أحمر: 21/30 سم، أوله: "الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه السادات المكرمين..."، آخره: "وللقرآن أسرار يطلع الله عليها من يشاء من أوليائه جعلنا الله منهم بفضله". نوع الخط مغربي، التجليد عادي، حالة المخطوط متوسطة، بعض الأوراق أثرت عليها الأرضة والرطوبة، تفسير النصف الأول من القرآن الكريم، بذيله أوراق أدعية وأوراد في الأذكار والتصوف، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). جامعة الأمير، وتوجد منه نسخة في المكتبة القاسمية، كما توجد منه ثلاث نسخ منه بمكتبة مخطوطات الوزارة، الأولى نسخت بتاريخ 1036هـ وعدد أوراقها 216 ورقة، والثانية عدد أوراقها 414، مقاس 20/28، أما الثالثة فهي عتيقة عن الأولى بتاريخ 847هـ وأوراقها 342، ويوجد مختصر عليه بمكتبة الشيخ الموهوب ببجاية للمؤلف نفسه، في 7 صفحات.
- حاشية الجمل على الجلالين: [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، ج.3. ج.2. الأمير.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (المسماة: عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، المؤلف: أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، عدد أوراقها 496 ورقة مقاس 22/31. بمكتبة الوزارة.
- حاشية الشيخ زاده على أنوار التنزيل: محمد محيي الدين بن مصطفى مصلح الدين شيخ زاده المولى القوجوي الرومي الحنفي 865-951هـ/1460-1544م.
- حاشية على تفسير البيضاوي: الشيخ زاده، ثلاث نسخ منها، منسوخة بين 1163هـ و1168هـ، إحداهما عدد أوراقها 493 ورقة، مقاس 21/33. بمكتبة الوزارة.
- حاشية على تفسير البيضاوي، لمؤلف مجهول، نسخت بتاريخ 1164هـ، عدد أوراقها 410، مقاسها 20/33، أولها: "الحمد لله مكمل كل خير...".
- خواص سورة الفاتحة: أحمد بن جعفر أبو العباس الخزرجي السبتي المراكشي، 524-601هـ/1130-1204م. بالمكتبة القاسمية.
- خير الكلام على الحمدلة والبسملة: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي، زين الدين أبو يحيى، ت 926هـ، الناسخ عيسى بن بلقاسم العامري، سنة 1186هـ، خط مغربي، أوراقه 16. بمكتبة الشيخ الموهوب.
- الدر النثير في شرح التفسير: محمد بن عبد الواحد المالقي، ت 705هـ، الناسخ أحمد بن محمد مبارك، عدد أوراقه 3. بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات: الأرشداني، ابن الفرج، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، الأمير.
- درة التنزيل وغرة التأويل: ابن الخطيب الأسكافي، لوحاته 205، مقاس 16/22. بمكتبة الوزارة.

- رسالة في شرح البسملة: الحسين بن علي بن طلحة أبو عبد الله الرجرجي الشوشاوي السملالي 899هـ-1494م. بالمكتبة القاسمية.

- فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل لحاشية على تفسير البيضاوي: الأنصاري، زكريا ابن محمد توفي سنة 926 هـ [1520م]، [د.م]، [د.ن]، 276 ورقة (27 سطر): لون الحبر أسود؛ 16/27 سم، أوله: "الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب وجعله قيما وبين فيه لأولي الأبواب ما يحتاجونه مخصصا ومعمما ...". آخره: "أي يوسوس في صدور في نسخة في صدورهم الثقلين في نسخة القبلتين من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى موضوع والله أعلم". نوع الخط نسخي مشرق، التجليد عادي، حالة المخطوط حسنة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). الأمير.

- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين: الجمل، سليمان بن عمر العجيلي 1204هـ، [د.م]، [د.ن]، [د.ت]، ج.3.

- كتاب في تفسير القرآن: مجهول، [د.م]، [د.ن]، [د.ت]، 470 ورقة (25 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 22/16 سم، أوله: "مبتور الأول بعد إسماعيل بأربعة عشر سنة...". آخره: "مبتور الآخر"، نوع الخط مغربي، التجليد متزوع الغلاف، حالة المخطوط جيدة، مصدر المخطوط: مكتبة الشيخ نعيم النعيمي.

- اللباب (تفسير الشطبي): الشطبي، [د.م]، [د.ن]، [د.ت]، الأمير.

- لباب التأويل في معاني التنزيل: ابن الخازن البغدادي، علي بن محمد بن إبراهيم، [د.م]، [د.ن]، 1149هـ، ج.1، 170 ورقة (32 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 36/27 سم. أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم وعلى آله وسلم الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدرها تقديرا..."/ آخره: "واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه". نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، منسوخة ل: سيد علي بن المرحوم سيدي احمد عبود، حبس على جامع السيد حسن باي سنة 1158هـ، عليه تعليقات في الحواشي، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة). جامعة الأمير، كما توجد نسخة في زاوية القاسمية.

- لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، علي بن محمد البغدادي، [د.م]، [د.ن]، 1181هـ، 441 ورقة (23 سطر): لون الحبر أسود، أحمر؛ 22/17 سم، أوله: "مبتور الأول"، آخره: "تفسير سورة الناس"، نوع الخط مغربي، التجليد مزخرف، حالة المخطوط حسنة، مبتور الأول، والنهاية في الورقة الأخيرة، به ثقب سببها الأرضة، أوراقه غير مرتبة، مصدر المخطوط: زاوية الشيخ الحسين (ميلة)، جامعة الأمير، كما توجد نسخة أخرى بمكتبة وزارة الشؤون الدينية نسخت بتاريخ 1140هـ وعدد أوراقها 1605 ورقة، مقاس 15/21.

- مجمع البحرين ومطلع البدرين: في جزأين، وهو في التفسير، أوله: "الحمد لله الذي عجز الفصحاء ...".

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب: بن عطية، محمد، [د.م]، [د.ن]، [د.ت]، ج.1، الأمير.

بزاوية كوسام بأدراو عدد أوراوه 1.700¹

- مختصر السين، (هكذا دُون في الفهرس ولعله مختصر الدر المصون في علم الكتاب المكنون) الشيخ عبد الرحمن بن عمر التواتي التنيلاني، عدد الأوراق 600، متواجد بخرانة أنزقمر بولاية أدراو.²

- المسلك الوجيز في الكلام تحت بعض آية من الكتاب العزيز، عبد الرحمن بن مصطفى أبو المراحم وجيه الدين العيدروس الحسيني، 1135-1192هـ/1723-1778م.
- من سورة المائدة إلى سورة هود: حاشية الجمل على تفسير الجلالين، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، ج.1، جامعة الأمير.

- المنتخب على تفسير ما خلصت له في القرآن: النيسابوري، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، الأمير، الناسخ والتاريخ مجهولان، الإضافات في الحواشي قليلة، عدد أوراقه: 343، الأسطر: 26، القياس: 15/21.5، نسخته جيدة ومجلدة، كتبت بخط مغربي، والآيات القرآنية كتبت بخط أحمر. مخطوطات الشيخ التهامي³، وآخره: من الجنة والناس بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي.

- الوسيط في تفسير القرآن العظيم: الواحدي، أبو الحسن، [د.م.]، [د.ن.]، [د.ت.]، ج.3، الأمير.

الخاتمة

يجدر في خاتمة هذه الورقة أن نجد الدعوة مرة أخرى لتتبع هذه المخطوطات بعد بيان المطبوع منها، العمل على تحقيق ما بقي منها، خاصة ما خلفه علماء الجزائر في التفسير وعلوم القرآن، ولقد تبين من خلال هذا المسرد المختصر وجود 142 مخطوطا منها: 24 مصحفا مخطوطا، ومعظم هذه المصاحف موجود في مكتبة المخطوطات بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

52 مخطوطا في مختلف الفنون المتعلقة بالقراءات بين قراءة نافع كونها القراءة المنتشرة بكثرة في بلاد المغرب الإسلامي، وكذا باقي القراءات الأخرى.

25 مخطوطا في فنون علوم القرآن.

40 مخطوطا في التفسير، سواء تفسير القرآن الكريم كاملا أو أجزاء منه، أو فضائل بعض السور منه، وغير ذلك.

أخيرا؛ أرجو أن أكون قد ساهمت في فتح باب العناية بمخطوطات التفسير وعلوم القرآن ولعل بعض الباحثين يكمل العمل ويبين بتفصيل أكثر هذه المخطوطات، ويكتمل الجهد لو تتم رقمنة هذه الكنوز العلمية، والأمل في تفعيل المركز الوطني للمخطوطات، أسأل الله التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

1 - مخطوطات ولاية أدراو، بشار قويدرو حساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، ص.32.

2 - المرجع نفسه، ص.189.

3 - عبد الكريم عوفي: فهرس مخطوطات الشيخ التهامي، صحراوي، ببانة، الاوراس، ص.178.

الإمام أبو القاسم البسكري الهذلي وجهوده في خدمة القرآن وعلومه

د/ نبيل موفق

قسم الشريعة . معهد العلوم الإسلامية . جامعة الوادي

mouafeknabil@yahoo.com

ملخص البحث

يحاول الباحث في هذه المداخلة التعريف بواحد من أبرز علماء الجزائر الذين ولدوا فيها وصنعوا علماً وأدباً ونشأةً ومعرفةً وهمّةً وحفظاً بين جنبات هذا الوطن الحبيب، وهو العلامة أبو القاسم البسكري المعروف بالهذلي فقد عاش جزءاً من شبابه في مسقط رأسه ببسكرة، وظهرت عليه علامات النبوغ العلمي والذكاء الفطري فيه، بل ونى تلك المواهب والإمكانات الفطرية على يد مشايخ المنطقة وعلمائها، ولئن ظهرت ثمار جهده في غير هذا البلد فإنه بحكم تطوّر التدوين العلمي، وكثرة التّواصل بين علماء المشرق والمغرب، والعرب والعجم، وصلتنا أخباره وجهوده العلمية واجتهاداته وترجيحاته، فهذا يصدّق مقولة أن العلم لا حدود جغرافية له، ولا يعترف بالأعراق، ولا بغير ذلك من الفروق.

ولذلك نريد من خلال هذه الدراسة أن نسهم في فتح آفاق البحث العلمي لدى الباحثين المهتمين بالقرآن وعلومه، وأن يولوا الاهتمام اللائق بهذا الإمام وأمثاله ممّن سجّلوا آراءهم واختياراتهم العلمية في كتب ألفوها، أو نقلت عنهم عن طريق تلامذتهم.

كما تحاول هذه المداخلة بيان جانب من منهج الإمام أبي القاسم البسكري الهذلي في توجيهاته واختياراته وترجيحاته، والذي يعدّ بحق منهجاً وصل فيه إلى حدّ الاجتهاد لاسيما ما يتعلّق بقبول القراءات والزوايات والطّرق.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، سيّدنا ونبينا محمّد صلوات الله وسلامه عليه، وبعد:

فإنّ المتتبّع لتاريخ القرآن الكريم وعلومه ليجد أنّ همّة العلماء اتّجهت إلى خدمته تلاوةً وقراءةً وإقراءً وتفسيراً وفهماً، ومن بين أهمّ وأجلّ علوم القرآن ما يتعلّق بالقراءات روايةً ودرايةً، فأخذ العلماء يخرجون المؤلّفات والمصنّفات البديعة، بعد أن تلقّوا هذا العلم من المشايخ الأثبات وسهروا الليالي الطّوال، وقطعوا الفيافي والبحار، كلّ ذلك بنفس راضية وهمّة عالية.

وعلماء الجزائر قديماً وحديثاً قاموا بما يجب عليهم في هذا الباب، وخدموا القرآن الكريم

خدمةً بالغةً تذكر فتشكر، وتروى للأجيال عسى أن تجد أذاناً صاغيةً وقلوباً واعيةً وهمماً عالية، وأنفساً تواقّةً للمعالي فتسير على منوالها، وتقتفي أثرها، وتكمل مسيرتها، وتهتدي بهداها، وتشيد ببناءها، وترفع شأنها، وما أكثر هؤلاء من طلبة العلم وأهله في بلدنا.

ولقد كان من أولئك المجاهدين العلماء الذين أفنوا أعمارهم في تعلّم القراءات وخدمة القرآن وعلومه مفخرة الزّاب الصّغير كما كان يسعى قديماً في الجزائر مدينة بسكرة الواقعة في شرق البلاد "أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة البسكريّ الجزائريّ المشهور بالهندي(ت465هـ)، صاحب كتاب "الكامل في القراءات الخمسين".

ولقد فضّلت أن تكون مشاركتي بمدخلة علمية في الملتقى الوطني الخامس حول جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم الذي يقيمه معهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي تتعلّق بجهود الإمام أبي القاسم البسكري الهندي، وأحببت أن أسلّط الضّوء على جوانب مهمّة من تلك الجهود، فمن هو الإمام أبو القاسم البسكري الهندي؟ وما هي مكانته العلمية؟ وما هي أهمّ وأبرز جهوده التي خدم بها القرآن الكريم وعلومه؟

وللإجابة عن تلك الإشكالات جاءت هذه الدّراسة وهذا البحث في محورين أساسيين هما:
-المبحث الأول: الإمام أبو القاسم البسكري بين النّشأة والتّكوين.

-المبحث الثاني: بعض ترجيحات واختيارات وتوجهات الإمام أبي القاسم البسكري في مسائل القراءات.

ولعلّ من بين الأهداف التي يمكن أن يحققها هذا البحث ما يلي:

1-التّعريف بواحد من أبرز علماء الجزائر الذين ولدوا فيها وصنّعوا علماً وأديباً ونشأةً ومعرفةً وهمّةً وحفظاً بين جنبات هذا الوطن الحبيب، فقد عاش جزءاً من شبابه في مسقط رأسه ببسكرة، وظهرت عليه علامات النّبوغ العلمي والذكاء الفطري فيه، بل ونعى تلك المواهب والإمكانات الفطرية على يد مشايخ المنطقة وعلمائها، ولئن ظهرت ثمار جهده في غير هذا البلد فإنّه بحكم تطوّر التدوين العلمي، وكثرة التّواصل بين علماء المشرق والمغرب، والعرب والعجم، وصلتنا أخباره وجهوده العلمية واجتهاداته وترجيحاته، فهذا يصدّق مقولة أنّ العلم لا حدود جغرافية له، ولا يعترف بالأعراق، ولا يغير ذلك من الفروق.

2-نريد من خلال هذه الدّراسة أن نسهم في فتح آفاق البحث العلمي لدى الباحثين المهتمّين بالقرآن وعلومه، وأن يولوا الاهتمام اللاّئق بهذا الإمام وأمثاله ممّن سجّلوا آراءهم واختياراتهم العلمية في كتب ألفوها، أو نقلت عنهم عن طريق تلامذتهم.

3-محاولة بيان جانب من منهج الإمام أبي القاسم البسكري الهندي في توجهاته واختياراته وترجيحاته، والذي يعدّ بحق منهجاً وصل فيه إلى حدّ الاجتهاد لاسيما ما يتعلّق بقبول القراءات والزوايات والطّرق.

المبحث الأول: الإمام أبو القاسم البكري الهذلي بين النشأة والتكوين

-المطلب الأول: اسمه ومولده.

-الفرع الأول: اسمه ونسبه ولقبه.

هو يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سودة بن مكناس بن وربليس بن جمح بن حيان بن مستملح بن عكرمة بن خالد-وهو أبو ذؤيب الهذلي- ابن خويلد بن محرث ابن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وكنيته (أبو القاسم) عند جميع المترجمين له إلا ابن بشكوال فإنه كتّاه بـ: "أبي الحجاج"¹، وهو أمر تفرد به دون غيره، وكلّ من ترجم له غير ابن بشكوال ذكر كنيته هي (أبو القاسم).

وأما لقبه فقد اتفق الجميع أنه الهذلي نسبةً إلى قبيلة هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وهي قبيلة عربية حجازية، فيكون أصله عربياً من هذيل، قدم أجداده مع جيوش الفتح الإسلامي لإفريقية².

وله لقب آخر عرف به واشتهر به أيضاً وهو "البسكري" نسبة إلى مدينة "بسكرة" التي ولد بها ونشأ فيها الإمام أبو القاسم، من بلاد المغرب العربي في إقليم يعرف بالزّاب الصّغير في الشّرق الجزائري، قال ياقوت الحموي: "بسكرة وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمّامات، وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة، وبها جبل ملح يقطع منه كالصّخر الجليل، وتعرف ببسكرة التّخيل"³.

-الفرع الثاني: مولده.

أجمعت كتب التّراجم على أنّ الإمام البكري الهذلي ولد ببسكرة إلا أنّها اختلفت في تحديد تاريخ ولادته على أقوال منها: 390هـ، وهو ما رجّحه ابن الجزري⁴ و395هـ، وهو ما رجّحه ابن حجر⁵.

وأصوبها أنّ ولادته كانت في رمضان سنة 403هـ، الموافق لـ 1012م⁶.

1- ابن بشكوال، كتاب الصّلة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط11، 1374هـ، ج2/ص642، وعمر التّدري،

موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي، المركز العربي، بيروت، ط1، 1411هـ، ج230/5.

2- جلال الدّين السيوطي، لب اللّباب في تحرير الأنساب، تحقيق: محمّد وأشرف أبناء أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، ج2/ص327.

3- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995، ج1/ص422.

4- ابن الجزري، غاية النّهاية في طبقات القراء، ج2/ص398.

5- ابن حجر، لسان الميزان، ج6/ص325.

6- عبد الحفيظ بن محمد نور بن عمر الهندي، الإمام الهذلي ومنهجه في كتابه الكامل في القراءات الخمسين، رسالة دكتوراه، كلية الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة 2007م/2008م، ص32.

-المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم ورحلاته.

-الفرع الأول: نشأته وطلبه للعلم.

سعى الإمام أبو القاسم البسكري الهذلي منذ نعومة أظفاره إلى طلب العلم، فأتقن مبادئه في مسقط رأسه (بسكرة)، ولكن كما يقول بعض الباحثين أنّ مصادر ترجمته لن تسعفهم بأخبار عن بداية نشأته، وما يتّصل بها من حديث عن بداية تلقّيه للعلم ومبادئه، وللقرآن الكريم، وجلّ ما ذكر أنّه نشأ ببسكرة وأخذ العلم عن مشيخة بلده¹.

والذين ترجموا له لم يكشفوا اللّثام عن جوانب حياته، فلم يذكروا شيئاً عن ولادته ونشأته وأسرته وسيرته في صباه، وقد أرجع بعض الباحثين سبب ذلك أنّه لم يكن من أسرة معروفة ذات صولة وجولة، فلم تحفظ أخباره².

ويذكر أنّ الإمام أبي القاسم البسكري حينما بلغ الثانية والعشرين من عمره، عقد العزم على الرحلة في طلب العلم وتلقّيه من أفواه أصحابه وأهله، والتّهل من معينه الصّافي والاغتراف من منابعه العذبة، يقول: "رحلت من بخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً، فجملة من لقيته من المشايخ في القراءات 365 شيخاً قرأت عليهم ببلاد متعدّدة تزيد على الخمسين من المغرب إلى سمرقند"³.

ومّا يدادّلنا على بذله غاية الجهد في تحصيل علوم القرآن أنّه قال: "ولو علمت أحداً تقدّم عليّ في هذه الطّبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته"⁴.

ومن شدّة حرصه على طلب العلم نراه حتّى بعد أن بلغ ما بلغ من العمر والمنزلة في العلم كان يحرص على مواضع دروس العلم وحضور مجالس العلماء، ويقرأ عليهم ولم يمنعه مانع من ذلك، كحضوره لمجلس أبي القاسم القشيري المفسّر والأصولي المعروف فيقرأ عليه الأصول والفقه، وكان أبو القاسم القشيري يراجع في مسائل النّحو والقراءات ويستفيد منه، وكان حضوره لمجلس القشيري في سنة 458هـ أي قد جاوز الخامسة والخمسين من عمره⁵.

ويتعجّب الذّهبي من همّة أبي القاسم البسكري الهذلي وإصراره في سبيل تحصيل العلم وذلك بعد سرد شيوخه بقوله: "إنّما ذكرت شيوخه وإن كان أكثرهم مجهولين ليعلم كيف

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي (1830/1954) دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005م، ج1/ص398.

2- عبد الحفيظ، الإمام الهذلي ومنهجه في كتابه الكامل، ص34.

3- أبو القاسم البسكري الهذلي، الكامل في القراءات الخمسين، تحقيق: جمال بن السيّد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنّشر والتّوزيع، ط1، 1428هـ، 2007م، ص15.

4- المصدر السابق، ص15.

5- ابن الجزري، غاية النّهاية في طبقات الرّقاء، ج2/ص513.

كانت همّة الفضلاء في طلب العلم¹.

ويقوله: "أحد الجوّالين في الدّنيا في طلب القراءات، ولا أعلم أحداً رحل في طلب القراءات بل ولا الحديث أوسع من رحلته، فإنّه رحل من أقصى المغرب إلى أن انتهى إلى مدينة فرغانة وهي من بلاد التّرك"².

ويشهد على هذا ما ذكره الزّركشي وهو يتحدّث عن الهذلي وطلبه للعلم فقال: "لم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه ولا أكثر شيوعاً"³.

ويقول ابن الجزري -وهو يبيّن حرص الإمام البسكري الهذلي على طلب العلم وكثرة المشايخ الذين أخذ عنهم:- "فلا أعلم أحداً في هذه الأئمة رحل في القراءات رحلته ولا لقي من الشيوخ ما لقي... كذا ترى همم السّادات في الطّلب"⁴.

ومما تقدّم يتبيّن لنا حرص الإمام أبي القاسم البسكري الهذلي وشدة عنايته في الطّلب وبذله في سبيله الغالي والتّنفيس لاسيما ما تعلّق منه بالقرآن وعلومه.

-الفرع الثّاني: رحلاته وشيوخه.

أولاً: رحلاته.

نشأ الإمام أبو القاسم البسكري الهذلي -رحمه الله- في بلدته بسكرة، تعلّم فيها منذ طفولته المبادئ الأساسيّة للتّعليم، حتّى دخل مرحلة الشّباب كبرت همّته وزاد نهمه من العلم فقرّر الارتحال من بلدته بسكرة التي ولد فيها ونشأ فيها وبدأت رحلته العلميّة سنة 425هـ، فتوجّه إلى إفريقية (القيروان) ثمّ إلى مصر ثمّ إلى الحجاز ثمّ إلى الشّام كما صرح برحلته إلى دمشق سنة 426هـ، ثمّ إلى العراق سنة 427هـ ثمّ إلى كرمان سنة 430هـ، ثمّ إلى أصبهان إلى خراسان إلى بلاد ما وراء النّهر إلى إقليم التّرك حتّى انتهى به المطاف وحلّ رحاله واستقرّ به المقام في بيسابور سنة 458هـ⁵.

يقول ابن الجزري: "وفي هذا الحدود رحل من المغرب أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي إلى المشرق وطاف البلاد، وروى عن أئمة القراءة حتّى انتهى إلى ما وراء النّهر..."⁶.

وهذا يدلّنا على أنّ الإمام أبا القاسم البسكري الهذلي طوّف بكثير من المدن والبلدان

1- الدّهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، 1995م، ج30/ص513.

2- المصدر السابق.

3- بدر الدّين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1/ص324.

4- ابن الجزري، غاية النّهاية في طبقات القراء، ج2/ص398.

5- المصدر السابق.

6- ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، ج1/ص35.

وزار الحواضر العلمية الكبرى والمراكز الإسلامية مثل مصر والشَّام والعراق ونيسابور، وغيرها من أجل طلب العلم الشرعي عموماً وعلم القراءات على وجه الخصوص، والأخذ عن الشيوخ.

-ثانياً: شيوخه:

تلقَّى الإمام أبو القاسم البسكري الهذلي علومه -روايةً ودرايةً وإجازةً- في القراءات والحديث والنحو والتفسير والفقه والأصول على أشهر علماء عصره في العالم الإسلامي، حيث كان ينتقل من بلد إلى آخر، ومن حاضرة إلى أخرى بحثاً عن أئمة العلماء ليتلقَّى عنهم العلوم الإسلامية، ولاسيما علم القراءات على وجه الخصوص.

وقد بلغ عدد شيوخه الذين تلقَّى عنهم القرآن بالقراءات فقط 365 شيخاً، وهو ما صرح به في كتابه "الكامل"، حيث قال: "فجملة من لقيت في هذا العلم 365 شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً، وجبلاً ولو علمت أحداً تقدَّم عليَّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته"¹.

وفي الحقيقة يصعب علينا أن نحصر الشيوخ الذين أخذ عنهم الإمام البسكري لأنهم كانوا عالماً كثيراً، ومنهم من لا يعرف عند معاصريه أو المهتمين بالتراجم، كالذهبي وابن الجزري، قال الذهبي بعد أن سرد أسماء شيوخ البسكري: "إنما ذكرت شيوخه وإن كان أكثرهم مجهولين ليعلم كيف كانت همّة الفضلاء في طلب العلم"².

وقد ذكر الإمام أبو القاسم البسكري بعضهم في كتابه الكامل منهم:

-إبراهيم بن أحمد الأيلي المعروف بالحاجي شيخ، روى القراءة عن أحمد بن الحسن ابن المعدل، قرأ عليه أبو القاسم الهذلي.

-أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أبو نعيم الأصبهاني الإمام الحافظ صاحب التّصانيف، روى القراءات سماعاً عن سليمان بن أحمد الطبراني، وقد روى عنه الهذلي اختيار أبي عبيد القاسم بن سلام سماعاً بإصفهان، قال ابن ماكولا في ترجمة الهذلي: "حدّث عن أبي نعيم الأصبهاني وعن غيره من التّيسابوريّين"³.

-أحمد بن مسرور بن عبد الوهّاب بن مسرور بن أحمد أبو نصر البلدي الخبّاز البغدادي صاحب كتاب (المفيد في القراءات).

-الحسن بن محمّد بن إبراهيم أبو عمرو المالكي القصّار شيخ مقرئ روى القراءات عرضاً عن منصور بن محمّد بن السّندي.

1- أبو القاسم البسكري، الكامل في القراءات، ص 64-65.

2- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 30/ص 513.

3- ابن ماكولا، معجم الحفاظ، ج 2/ص 342.

-علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحدي النيسابوري المفسر، صاحب (الوجيز والوسيط والبسيط في التفسير وأسباب النزول).

كما أن للهندي سيوخ في علوم أخرى غير القراءات لا يحصون كثرة¹.

ثالثاً: تلاميذه.

ومما يبين جهود الإمام أبي القاسم البسكري في خدمة القرآن الكريم وعلومه أنه بث تلك العلوم التي حصلها وبلغها لتلامذته، وأصبح له مجلس يجلس فيه على كرسي التدريس والإقراء وإفادة الطلبة أولاً ببغداد في المدرسة النظامية².

ومن تلاميذه³:

-أبو بكر بن محمد بن أحمد بن زكريا النجار الأصبهاني المقرئ روى القراءة عن أبي القاسم الهندي وحدث بكتاب "الكامل".

-إسماعيل بن الفضل بن أحمد بن محمد بن علي بن الإخشيد أبو الفضل وأبو الفتح وأبو سعد السزاج الأصبهاني.

-عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري الخراساني المفسر الفقيه الأصولي المتكلم.

-عبد الواحد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن شيدة.

-عبد الله بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث بن السمرقندي الشيخ الإمام المحدث المتقن أبو محمد الدمشقي المولد البغدادي الدار اللغوي.

هذه ثلثة من تلامذة الإمام أبي القاسم البسكري، وأعلمهم صار إمام بلده في الإقراء والإسناد والعلم.

-المطلب الثالث: مكانة الإمام أبي القاسم البسكري العلمية ووفاته.

-الفرع الأول: مكانته العلمية.

تعرف جهود العالم من خلال ثناء العلماء عليه، ومحبة الناس له، وذكرهم لخصاله وفضائله، ولقد كان لأبي القاسم البسكري مكانة علمية مرموقة وبالأخص بعد خروجه من بسكرة طالباً للعلم وبعدما حلّ ببغداد ونيسابور بوائه مكانة بين أهل العلم، وإذا أردنا أن نظهر هذه المكانة يجدر بنا أن نبرز ملامحها وسماتها ولعلّ أبرز هذه السمات تتجلى في التالي: أولاً: نقل العلماء لكلامه:

فقد استفاد من الإمام أبي القاسم البسكري كثير من العلماء، ونقلوا لنا نصوصاً كثيرة

1- الذّهبي، تاريخ الإسلام، ج 30/ص 513.

2- ابن الجزري، الثّشرفي القراءات العشر، ج 1/ص 93.

3- ابن الجزري، غاية الثّهاية، ج 1/ص 184، والذهبي، لسان الميزان، ج 5/ص 144.

من كتابه "الكامل" ومن شواهد ذلك:

-قال عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت623هـ): "ذكر يوسف بن علي بن جبارة الهذلي أبو القاسم في كتابه المعروف بـ"الكامل" إنّ نافعاً إمام أهل المدينة في القراءة، لما قال: إنّ السّنة الجهر بالتسمية سلّم له مالك بن أنس على علوّ رتبته، ما قاله، وقال: كلّ علم يُسأل عنه أهله"¹.

-وقال ابن الوفاء الحنفي (ت775هـ): "وذكر أبو العلاء الهمداني عن أبي القاسم يوسف بن علي البسكري صاحب "الكامل" في علم القراءة مرض أبو يوسف، فقليل: إنّّه قضى، قال الإمام: لا قيل من أين علمت؟ قال: إنّّه خدم العلم، فلم يجتن ثماره، لا يموت، وكان كما قال، حتّى روي أنّه كان له يوم مات سبع مائة ركاب ذهبية"².

-وقال أبو شامة المقدسي: "ومن المصنّفين من حكى التكبير لجميع القراء في جميع سور القرآن ذكره أبو القاسم الهذلي في كتابه (الكامل)"³.

-وقال السيوطي: "قال الهذلي في كامله: أعلم أنّ قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد حتّى قال الزّعفراني: العدد ليس بعلم... قال: وليس كذلك ففيه من الفوائد معرفة الوقت، ولأنّ الإجماع انعقد على أنّ الصّلاة لا تصحّ بنصف آية"⁴.

بالإضافة إلى ما تقدّم فإنّ كتاب أبي القاسم البسكري "الكامل" يعتبر أحد بل أهمّ أصول الكتّابين "النّشر" و"غاية النّهاية" لابن الجزري، إن لم يكن المصدر الأوّل لهما، وهما عمدة كتب القراءات وتراجم القراء حتّى قال ابن الجزري: "قد قرأ بالكامل إمام زمانه حفظاً ونقلأ أبو العلاء الهمداني على أبي العزولزال يُقرئ به إلى آخر وقت"⁵.

ثانياً: ثناء العلماء عليه.

قال ابن ماكولا (ت475هـ): "كان يدرّس النّحو، ويفهم الكلام والفقه..."⁶.

وقال تقي الدّين الصّيرفي (ت641هـ): "الإمام المقرئ الضّبير من وجوه القراء ورؤوس الأفاضل، عالم بالقراءات، كثير الروايات"⁷.

1- عبد الكريم بن محمد الرافعي، التّدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج1/ص154.

2- أبو الوفاء الحنفي، طبقات الحنفيّة، ص487.

3- أبو شامة المقدسي، إبراز المعاني، ج2/ص735.

4- جلال الدّين السيوطي، إيتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، منشورات بيدار، ط2، 1411هـ، ج1/ص189.

5- ابن الجزري، غاية النّهاية، ج2/ص401.

6- الأمير بن ماكولا، الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكفى والألقاب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج1/ص458.

7- تقي الدّين الصّيرفي، المنتخب من كتاب السياق، ص539..

وقال ياقوت الحموي(ت626هـ):"المقرئ النَّحوي كان عالماً بالقراءات والعربية، قرأ على المشايخ بأصهبان، وطوّف البلاد في طلب القراءات وورد نيسابور فحضر دروس أبي القاسم القشيري في النَّحو، وقرّره نظام الملك في مدرسته بنيسابور مقرئاً سنة458هـ"¹.
وقال الزركلي:"متكلم عالم بالقراءات المشهورة والشاذة كان ضريراً"².
وحسبنا هذه النّقول التي تبين لنا منزلة هذا العالم ومكانته العلمية المعروفة لاسيما في علم القراءات القرآنية.

ثالثاً: مؤلفاته.

لاشكَّ أنَّ التّأليف من علامات الجهد المبذول في التّحصيل العلمي وفي خدمة العلم، ولم يكن الإمام أبي القاسم البسكري -رحمه الله-مكثراً في التّأليف فيما يبدو من مؤلفاته التي صحت نسبتها إليه وصرّح بتأليفها، ويمكن أن تكون له مؤلفات أخرى، ولم يشأ الله لها أن تزداد وتنتشر، ويتناقلها النَّاس، ولكن الاحتمال الأوّل لعلة أقوى النّسبين³.

فالمؤلفات التي صرّح بها وتألّفها وصحت نسبتها إليه هي:

1-الكامل في القراءات.

2-الوجيز في القراءات.

3-الهادي في القراءات.

4-درة الوقوف.

5-الجامع في الوقف والابتداء.

ولم تصلنا من مؤلفاته حتّى الآن إلّا الكتاب الأوّل"الكامل في القراءات الخمسين" وهو في القراءات العشر المتواترة والأربعين الرّائدة علمها كما قال ابن الجزري⁴.

وقد قال الإمام أبو القاسم البسكري في سبب تأليفه لكتابه الكامل:"وسئلت أن أختار اختياراً يوافق العربية والأثر والمعاني والأحكام فأجبتهم إلى ذلك"⁵.

-الفرع الثّاني: وفاة الإمام أبي القاسم البسكري.

لا خلاف بين العلماء في مكان وفاته، فقد أجمعوا على أنّه لبّي داعي ربّه بنيسابور من غير تعيين ليوم وفاته أو الشّهر إلّا أنّهم اختلفوا في تحديد سنة وفاته ورجّح بعض الباحثين أنّه توفي سنة 465هـ، بعد حياة دامت 63 سنة حافلة بالترحال في طلب العلم وخدمته القرآن

1- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ج5/ص649.

2- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، (د.ت)، ج2/ص215.

3- عبد الحفيظ، الإمام الهذلي ومنهجه في الكامل، ص125.

4- ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، ج1/ص91.

5- الهذلي، الكامل في القراءات الخمسين، ص26.

وإقراءه فجزاه الله خير الجزاء¹.

-المطلب الزابع: إطلالة مختصرة عن كتاب الكامل في القراءات للإمام أبي القاسم البسكري.

نحن إذا نظرنا في مؤلفات أيّ عالم يتبيّن لنا جهده المبذول ولذلك في هذا المطلب سوف نلقي نظرة مختصرة على كتاب الكامل للإمام أبي القاسم البسكري، وذلك في الفرعين التاليين:

-الفرع الأول: مكانة الكتاب وقيّمته.

وتتجلّى قيمة الكتاب في النّقاط التّالية:

1-اعتناء العلماء به، من أمثال الإمام المقرئ الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمداني العطار، فقد وضع حواشي على كتاب الكامل، وغيره من العلماء ذكره وأثنوا على ما فيه من اختيارات وترجيحات وعلم أثريّ وفير منهم: ابن بشكوال، وأبي شامة المقدسي، وابن الجزري، والسيوطي، والدّهبي، ومنهم أيضاً الزّرقاني فقد نقل منه كثيراً في كتابه "مناهل العرفان"².

2-أنّه ذكر في ثناياه علوماً شتّى تعتبر مساعدة لطالب علم القراءات مثل: فضائل القرآن، وفضائل المقرئين، ومسألة الأحرف السّبعة، وعدّ الآي والتّجويد، والوقوف³.

3-ترجيحه لكثير من المسائل وذكره لاختياره، وقد أشار الشيخ عمر بازمول إلى مكانة كتاب الكامل في القراءات بإيجاز فقال: "تتلخّص مكانة الكتاب في أمرين اثنين هما: - جمعه لهذا العدد من القراءات. - تضمّنه اختيار الهذلي من القراءة"⁴.

وقد أوضح ذلك الإمام أبو القاسم البسكري نفسه بجلاء في نهاية ذكره للأسانيد في القراءات، وذلك في قوله: "هذا ما انتهى إلينا من السّبعة ورجالها، والاختيارات التي اختار علماء الأمصار، ثمّ اتّبعنا أثرهم فاخترت اختياراً، وافقت فيه السّلف، بعد نظري في العربيّة، والفقه، والكلام، والقراءات، والتّفسير، والسّنن، والمعاني، أرجو أن ينفع بعون الله وتوفيقه...جميع الطّرق عن الأمصار خمسة ألف وأربعمائة وتسع وخمسين طريقاً"⁵.

-الفرع الثّاني: مشتملات كتاب الكامل.

قسّم الإمام أبو القاسم الهذلي كتابه "الكامل في القراءات" إلى أربعة عشر جزءاً تضمّن عدّة كتب وفصول، فقد استفتح الكتاب بذكر فضائل القرآن الكريم، وذكر تحته عدّة

1- محقق الكامل، ص12.

2- عبد الحفيظ، الإمام الهذلي ومنهجه في الكامل، ص258.

3- محمد عمر بازمول، القراءات وأثرها في التّفسير والأحكام، ج 1/ص292.

4- المرجع السّابق.

5- أبو القاسم الهذلي، الكامل، ص81.

فصول منها¹:

- فقد بدأ بفضائل القرآن على العموم ثم أتبعه بفصل في فضائل السّور، وفي نهاية هذا الفصل ذكر إسناده في فضائل ثواب القرآن.

- ثم عقد فصلاً في فضائل القارئ والمقرئ وحامل القرآن والعالم والمتعلّم وآدابهما ومعناهما.

- ثم ذكر فضائل المقرئين السبعة ومن تبعهم، ثم ذكر كتاب العدد، ثم كتاب الوقف، ثم كتاب الأسانيد، وذكر فيه قراء أهل المدينة، ثم قراء أهل مكة ثم قراء أهل الشام، ثم قراء أهل البصرة.

وفي هذا الكتاب ذكر بعض الأسانيد الخاصة به كإسناده في رواية مسعود بن صالح السمرقندي، وإسناده في اختيار يعقوب بن إسحاق الحضرمي، وذكر غير ذلك وهو كثير.

- ثم ذكر أصول القراءات في كتاب الإمالة، ثم كتاب الإدغام، فكتاب الهمزة، فكتاب المد والوقف لحمزة، ثم ذكر كتاب الياءات، ثم ذكر الهاءات وميمات الجمع، ثم ذكر كتاب التّعوذ والتسمية والتّهلّيل والتّكبير، ثم كتاب الفرش، وهو فرش كلّ سورة على حدة.

- ومن مشتملات هذا الكتاب أنّه خصّه أبو القاسم البسكري الهذلي ببعض المصطلحات التي تدلّ على انضباط ودقة البحث العلمي عنده، كما يدلّ على أنّه كان مدرسة قائمة بذاتها لها مصطلحاتها، وقد ذكر ذلك في مقدّمة كتابه حتّى يسهل للقارئ فهمه واستيعابه، فربّما قال: "فإن اجتمع أبو جعفر وشيبة، ونافع، والمسيبي، وورش، قلت: مدني، وإن وافقتم قلت: وهذا اختياري.

وإن اجتمع مجاهد، وابن كثير، وابن محييص، والأعرج، وسبل، وابن مقسّم قلت: مكّي، فإن اجتمع هؤلاء وأهل المدينة قلت: حرمي، أو حجازي.

وإذا اجتمع ورش في روايته، وسقلاب، وأبو دحية، وكردّم، وورش في اختياري قلت: مصري. وإذا اجتمع ابن عامر، وأبو بحرّة، وأبو حيوة وابن أبي عبلّة، وابن الحارث، قلت: شامي... ثم قال: وكلّها ألقاب للاختصار"².

المبحث الثّاني: بعض ترجيحات واختيارات وتوجيهات الإمام أبي القاسم البسكري الهذلي في مسائل القراءات

-المطلب الأوّل: مسألة المقصود بالأحرف السّبعة.

عنون الإمام أبي القاسم للكلام عن الحديث: "...إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافقروا ما تيسّر منه"³. بقوله: "فصل في الأخبار الواردة أنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف،

1- انظر هذه المحتويات في فهرس كتاب الكامل في القراءات الخمسين.

2- أبو القاسم البسكري، الكامل في القراءات الخمسين، ص 42.

3- أخرجه السيّد سوي ابن ماجه، وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن، وابن أبي شيبة في مصنفه، وأحمد في مسنده.

واختلاف النَّاس فيها على الاختصار"¹. وهو آخر فصل من فصول فضائل القرآن، الذي افتتح به كتابه "الكامل" وتضمن فضائل القرآن هذا عدّة فصول كان آخره هذا الفصل.

وقد قسّم الحديث فيه إلى ثلاثة أقسام:

-أولاً: ذكر الأحاديث الدّالة على إنزال القرآن على سبعة أحرف.

-ثانياً: بيان اختلاف العلماء في تفسير ذلك.

-ثالثاً: ترجيحه واختياره.

فيظهر أنّ الإمام الهذلي له اعتناء دقيق يجمع الروايات في المسألة التي يريد أن يناقشها أو أن يبحثها ممّا يدلّ على ثبّته وسعة اطلاعه واستقصائه للروايات والأدلة والأقوال.

فبعد ذكره للروايات في مسألة الأحرف السبعة كانت خمسة أحاديث، سرد أقوال أهل العلم في ذلك، وقسّمها إلى خمسة أقوال وهي²:

الأول: أنّها سبع لغات وهي: قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن.

الثاني: الاختلاف في المعاني دون اللّغات، ويبيّن مراده بذلك فقال: "كأبنية الحركات وبدل من الحرف كالباء والتاء أو من النّون وزيادة الألف في موضع الواو والياء ونقصانها"³.

الثالث: الاختلاف في الأحكام دون الألفاظ، كالحلال والحرام، ويبيّن أنّ السبعة في هذا القول يدخل فيها النَّاسخ والمنسوخ، والخاص والعام والمجمل والمفسّر.

الرّابع: أنّها قراءات الأنثمة السبعة كأبي عمرو، ونافع، وعاصم، والكسائي، وابن عامر...

الخامس: إنّ معنى هذا الحديث مجهول لا يُعرف، ولا يُدرى، وإنّا نقرأ كما علّمنا، إذ القراءة سنّة.

وقبل أن يرجّح الإمام أبو القاسم ما يراه راجحاً كان يعتمد التّمحيص والنّقد، كقوله: "كلّ هذا تكلف وإخراج الخبر عن موضعه"⁴ في نقده لبعض الأقوال السّابقة، أو يقول: "وهذا غير صحيح" ثمّ رجّح كون هذه الأحرف السبعة هي القراءات واللّغات بشرط عدم مخالفتها لرسم المصحف، وذلك ما صرّح به في قوله: "ما لم تخالف المصاحف التي اجتمعت عليها الصّحابة وأنفذها عثمان -رضي الله عنه- إلى البلدان الخمسة..."⁵.

وعن مسألة هل الأحرف السبعة موجودة الآن في القرآن أم لا؟ أشار البسكري إلى هذه المسألة بقوله: "قال بعضهم: هذا الاختلاف في حرف واحد، والسّنة لا يعلمها إلا رسول الله"، قال: "والعجب من العوام الذين قالوا: في حرف دون حرف هذه قراءة رسول الله، كما ذكروا في "ملك" وغيره"، قال: "والقراءات كلّها منسوبة إليه -صلّى الله عليه وسلّم- فكيف يختصّ

1- أبو القاسم البسكري، الكامل في القراءات الخمسين، ص 17.

2- المصدر السابق، ص 17.

3- المصدر السابق، ص 18.

4- المصدر السابق، ص 19.

5- المصدر السابق.

بواحدة دون أخرى"¹.

وبين الإمام أبو القاسم أن هذه القراءات لا تناقض فيما.

-المطلب الثاني: مسألة الوقف والابتداء.

بدأ الإمام أبو القاسم البسكري كلامه على الوقف ببيان أهميته فقال: "اعلم أن المقاطع والمبادئ علم مفتقر إليه، يعلم به الفرق بين المعنيين المختلفين، والقضيتين المتنافيتين، والآيتين المتضادتين، والحكمين المتقاربين، وبين النسخ والمنسوخ، والمجمل والمفسر، والمحكم والمتشابه، ويميز بين الحلال والحرام، وبين ما يقتضي الرحمة والعذاب"². وقال: "ولهذا روي عن الصحابة أنهم قالوا: يجب ألا يخلط القارئ آية رحمة بآية عذاب على ما يقتضيه حكم الله تعالى"³.

ثم بين بعض آدابه فيقول: "والوقف أدب القرآن، ويميز به بين الساكن والمتحرك، ألا ترى أنه لا يبتدأ بساكن، ولا يوقف على متحرك وإن جاء في الوقف الروم والإشمام وليس بحركة تامة"⁴.

ثم تحدّث عن بعض محظوراته فقال: "وتُجنّب الوقف على ما يوهّم، مثل (فبعث) وبيتدئ ب(الله غراباً)، و(قالت اليهود) وبيتدئ ب(عزير ابن الله)..."⁵.

وما نلاحظه في ما ذكره الإمام أبو القاسم البسكري في هذا المبحث أنه ناقش ونقد أقوال بعض شيوخه واختياراتهم كقوله: "قال العراقي-وهو أبو نصر منصور بن أحمد العراقي- "إلا" في جميع القرآن يُبتدأ بها، استثناءً كانت أو شرطاً لأنها عن معنى الشرط...وليس بصحيح فإنها ليست في معنى الشرط، وإنما الصحيح أن يُقال: "إلا" إذا كانت بمعنى الاستثناء المنقطع كقوله: (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا)، وقوله: (أن يقتل مؤمناً إلا)...فالوقف على هذه المواضع مستحب، والابتداء بـ "إلا" صحيح"⁶.

كما أطل شيناً ما بل أسهب إسهاباً ملحوظاً في بيان أثر الجانب النحوي في الوقت وذلك حينما أخذ يفصل الخلاف بين المدرستين الكوفية والبصرية في مسألة الوقف، وختم بمبحث الوقف بذكر أقسامه: التأم والحسن والكافي والسنة ووقف البيان، ووقف التمييز⁷.

-المطلب الثالث: مسألة اختيار وترجيح القراءات والروايات.

صرح الإمام أبو القاسم البسكري الهذلي أنه سيذكر له اختياراً قال -رحمه الله: "وسئلت

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق، ص38.

3- المصدر السابق، ص33.

4- المصدر السابق، ص34.

5- المصدر السابق ص35.

6- المصدر السابق، ص38.

7- عبد الحفيظ، الإمام الهذلي ومنهجه في الكامل، ص268.

أنَّ اختار اختياراً يوافق العربية والأثر والمعاني والأحكام فأجبتهم إلى ذلك"¹.
وقد جاءت معايير وشروط اختياره وترجيحه للقراءات والروايات مبنية على أسس منها:
أولاً: مراعاة شروط وشروط القراءة الصحيحة وهي:
أ- التواتر: ويعبّر عنه الإمام أبو القاسم البسكري بـ"الشهرة"، وتكثر عنده عبارة "وهو الاختيار للشهرة"².
ب- رسم المصحف: وهو من أعظم الوسائل عند الهذلي، ليس في هذا المبحث فحسب، بل في كلّ ما يتعلّق بالقراءة، تصحيحاً وتضعيفاً، ولهذا أيضاً كثرت عنده عبارة: "وهو الاختيار لموافقة المصحف أو الخط"³.
ج- موافقة الوجه النحوي: ويدخل هنا الوجه اللغوي أيضاً، فيقول: "أحسن اللّغتين... وأحسن في العربية وغير ذلك"⁴.
ثانياً: علم العدّ والمراد به هنا تعليقه الاختيار من أجل مراعاة عدّ الآي، وذلك نحو قوله: "وهو الاختيار لاتّفاق أو آخر الآي"⁵.
ثالثاً: التفسير ويقصد به ترجيح أحد الاختيارات، لموافقة لما جاء عن المفسرين فمثلاً يقول: "وهو الاختيار والتفسير يوافقه"⁶.
رابعاً: موافقة أهل الحرمين فكثيراً ما يقول: "وهو الاختيار لموافقة أهل الحرمين"⁷.
خامساً: كثرة الدّور في القرآن وهذا الاعتبار من المسائل التي اهتمّ بها القراء في بعض أحكام القراءة وتوجيهها، وقد بيّن ذلك الإمام ابن الجزري -رحمه الله- عندما قال: "ولعلّ أبا عمرو أراد بقوله: لقلّة حروفها أي لقلّة دورها في القرآن، فإنّ قلّة الدّور وكثرتة معتبرة"⁸.
وقال الهذلي: "وقد يُميلون كلمة لكثرة دورها في الكلام"⁹، إلى غير ذلك من نصوص أهل القراءات على اعتبار هذا، وقال: "وهو الاختيار لموافقة أكثر القراء ولا أخفّ وأجزل مع كثرة دوره في القرآن"¹⁰.
سادساً: اعتماده على الحديث النبوي، فيقول مثلاً: "وهو الاختيار لقوله -صلى الله عليه

1- أبو القاسم البسكري الهذلي، الكامل في القراءات الخمسين، ص53.

2- أبو القاسم البسكري، الكامل في القراءات الخمسين، ص115.

3- المصدر السابق: ص115.

4- المصدر السابق، ص152.

5- المصدر السابق، ص217.

6- المصدر السابق، ص219.

7- المصدر السابق، ص174.

8- ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، ج1/ص282.

9- أبو القاسم البسكري، الكامل في القراءات الخمسين، ص84.

10- المصدر السابق، ص166.

وسلم:- (لست بنبي الله ولكي نبي الله)¹.

سابعاً: الاختيار العقدي فقد يختار الإمام أبو القاسم البكري اختياراً ما لأجل مسألة متعلّقة بالعقيدة منها مسألة أفعال الله تعالى، قال -رحمه الله-: "ولأنّ إضافة الفعل إلى الله على الحقيقة، وإلى غيره مجاز عند أكثر أصحابنا، وعليه أكثر أهل السنّة وهكذا في كلّ موضع لم يسمّ فاعله إلّا في موضع يمنع إضافة الفعل فيها إلى الله مثل قوله: (فمن عفي له)، هذا يرجع إلى الولي وهكذا نظائره"².

وهذا منهج غالب عند الإمام أبي القاسم البكري في اختياراته وترجيحاته وهناك أمثلة كثيرة طوينا ذكرها طلباً للاختصار، ومما يلاحظ على ترجيحاته واختياراته ميله إلى القراءات السبعيّة والعشريّة، وليس له ميل إلى اختيار القراءات الشاذّة على نقله لها في كتابه³.

-المطلب الرابع: جهود الإمام البكري في توجيه القراءات.

والمراد بالتوجيه هنا الاحتجاج للقراءة، وهو مأخوذ من الحجّ وهو القصد، ومصدره احتجّ أي جاء بحجّة، وهي الدليل والبرهان، قال الأزهري: وسميت الحجّة بذلك لأنّها تحجّ أي: تقصد⁴.

والحجّة في الاصطلاح: ما دُلّ به على صحّة الدّعى⁵.

أمّا الاحتجاج للقراءات في الاصطلاح فهو: إثبات صحّة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب، بدليل نقلي صحّ سنده إلى عربيّ فصيح سليم السليقة⁶.

أو يقال: علم يبحث فيه عن معاني القراءات والكشف عن حجّتها في العربية أو: الذّهاب بالقراءة إلى الجهة التي يتبيّن فيها وجهها-أي وجه الاحتجاج بها-ومعناها⁷.

وإذا نظرنا إلى جهود الإمام أبي القاسم البكري في هذا الباب وجدناه يتلخّص في⁸:
أولاً: لم يقتصر على توجيه الفرش، بل زاد معه توجيه الأصول، وذلك نحو توجيه لقراءة: (التبيين) و(النّبوة) و(الأنبياء)، لأنّه من الرّفعة لا من الخبر، وغيرها.
ثانياً: اختلاف أنواع التّوجيه عنده، ومنها:

1- أخرجه أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي بسنده، وضعفه الذّهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج4/ص334.

2- أبو القاسم البكري، الكامل في القراءات الخمسين، ص118.

3- نصر سعيد، الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي منها، دار الصّحابة للتراث طنطا، مصر، 1427هـ، ص101.

4- ابن فارس معجم مقاييس اللّغة، ج2/ص29.

5- الجرجاني التّعريفات، ص112.

6- عبد العزيز الحربي، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية، طبعة ابن حزم، ط1، 1424هـ، ص65.

7- سعيد الأفغاني، في أصول التّحو، طبعة جامعة دمشق، ط3، 1964م، ص6.

8- عبد العزيز الحربي، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية، ص66.

أ-التَّوجِيه اللِّغوي: قال -رحمه الله- في قوله تعالى: (إذ تصعدون) بفتح التَّاء والعين، يقال: "صعد" إذا طلع العقبة و"أصعد" إذا نزل.

ب-التَّوجِيه العقدي: فقد قال في قوله تعالى: (كتب عليكم): "كتب بالنَّصب على أَنَّ الله كتب، وسبقني إليه من المتقدِّمين عُبيد بن عُمر وغيره، والباقون على ما لم يُسمَّ فاعله"¹.

ج-التَّوجِيه الفقهي: فقد وجَّه قراءة: (وأنتم عاكفون في المساجد) قال الاختيار بالألف (المساجد) لموافقة الأكثرية ولأنَّه أعم... واجتمعت الأمة أَنَّ الاعتكاف يصحَّ في غير المسجد الحرام كما يصحَّ فيه"².

فهذه بعض لمحات تبين جانباً من جهود الإمام أبي القاسم البكري الهذلي في خدمة القرآن وعلومه.

خاتمة

وبعد هذه الجولة القصيرة والمقتضبة مع سيرة الإمام أبي القاسم البكري الهذلي وجهوده في خدمة القرآن وعلومه يمكن لنا تسجيل بعض النتائج التي نزعم أنَّنا قد وصلنا إليها من خلال هذه الإطالة المختصرة، ومنها:

1-الإمام أبي القاسم البكري الهذلي إمام من أئمَّة القراءات، بل مدرسة كاملة ومتكاملة في القراءات وعلومها، وحافظ من حقَّاطها، وهو مع ذلك إمام مبرز في علوم شتى.

2-كتاب الكامل في القراءات لأبي القاسم البكري الهذلي أكبر وأوسع كتاب أُلِّف في القراءات، بل يعدُّ موسوعة في علم القراءات والزَّوايات والطُّرق، لأنَّ الهذلي جمع فيه ما يعرف بالقراءات الخمسين.

3-الإمام أبي القاسم البكري الهذلي له منهج خاص في التَّرجيح بين الزَّوايات والطُّرق والأوجه والاختيارات؛ يبدؤه بتوصيف المسألة ثمَّ بعرض أقوال العلماء فيها واختلافهم حولها ثمَّ يذكر الأدلَّة ويبداً بنقدها ثمَّ يرجِّح ما يراه راجحاً بالدليل.

4-اعتماد الإمام أبي القاسم البكري الهذلي في ترجيحاته على علوم أخرى كالتفسير والحديث والفقه واللُّغة والعقيدة، فكثيراً ما يوجَّه القراءات ويرجِّحها اعتباراً من منطلقات تلك العلوم.

وفي الأخير أوصي بزيادة الدِّراسة المعقَّفة لمنهج هذا الإمام في ترجيحاته واختياراته في علم القراءات، وإبراز جهوده في ذلك.

وأخردعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين...

1-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2/274.

2-أبو القاسم البكري الهذلي، الكامل في القراءات الخمسين، ص167.

الشيخ طاهر الجزائري وجهوده في تفسير القرآن الكريم وبياناه

أ/ علي خضرة

قسم أصول الدين . معهد العلوم الإسلامية . جامعة الوادي

Ali.khedourah@gmail.com

ملخص البحث

إن ممن اهتموا بكتاب الله تعالى دراسة وتفسيرا من العلماء الأجلاء، من علماء الجزائر الذين نذروا أعمارهم في خدمة كتاب الله تعالى: الشيخ الطاهر الجزائري نموذج المعلم المربي والداعية المصلح يهدي أي الذكر الحكيم، ذلك الرائد الكبير للنهضة الشاملة في بلاد الشام، هذا الرمز العلمي في بلاد الهجرة، الذي من حق أبناء أمته أن يتعرفوا على جهد هذا المفسر والمصلح والمهاجر إلى ربه، ويدرسوا أثره ومآثره الزاخرة الذي عد بحق خزانة علم متنقلة بما برع في أكثر من فن وحاز السبق في أكثر من مجال علمي .

تندمج هذه المحاولة: الشيخ طاهر الجزائري وجهوده في تفسير القرآن الكريم وبياناه، ضمن هذا الإطار محاولين من خلالها أن نسلط الضوء على علم من أعلام بلدنا العزيز الذين أثمرت جهود عطائهم في بلاد الشام الحبيب، بل تجاوزته إلى أرض الكنانة، بغية التعريف به وبتفسيره وجهوده في التعريب، وخدمة اللغة والبيان وغيره مما برع فيه الشيخ وأجاد . كما أرجو من الطلبة والباحثين أن يهتموا أكثر بهذه الفحول العلمية النادرة التي تحدث ظروف عصرها وأنتجت في تربة غير أصلها، لتقيم الحجة على الأجيال من بعدها .

تمهيد

إن الاهتمام البالغ الذي حضي به كتاب الله تعالى قراءة وإقراء قديما وحديثا من كل أبناء الأمة الإسلامية التي أنار الله بذلك قلوب بنها وناشئتها، لما ندبوا فيه أعمارهم وقضوا فيه جل أوقاتهم ليملي على من جاء بعدهم من طلبة العلم الشرعي ولاسيما الباحثين فيه، وبوجه أخص خدمة القرآن الكريم من حفظة ومدرسين ومجيزين ومقرئين وغيرهم .

هذا الجهد المشرف الذي قدمه أبناء بلدنا المفدى: الجزائر على مر تاريخه منذ بدأ التأليف في علوم القرآن، كان محل التقدير ومشد الأنظار لما اشتهر به هؤلاء المهرة من العلماء الأجلاء والباحثين الحذاق في خدمة كتاب الله تعالى في سائر العلوم الخادمة لهذا الفن الذي يعد أشرف العلوم لتعلقه واتصاله بكتاب الله العزيز العليم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

لقد أبدع العلماء المغاربة منذ القرنين الخامس والسادس الهجريين في التأليف في علوم التفسير والفقه والقراءات والرسم القرآني والمتون والمنظومات وعد الآي وضبط المصاحف

القرآنية وخاصة الرسم العثماني وقراءة الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني على وجه الخصوص، بالإضافة إلى العديد من الشروح والمختصرات والتفريعات التي تناقلها السادة العلماء المغاربة جيلا عن جيل والتي شكلت في مجملها تراثا ضخما ساهم في إثراء المكتبة الإسلامية وإفادة روادها ومعمريها من الباحثين وطلبة العلم، بل حتى بعض النقاد والمستشرقين ممن أم كثير منهم المكتبات الكبرى بغية البحث والتنقيب العلمي حتى وإن تعددت المقاصد والنوايا .

خدمة السادة المغاربة عموما والجزائريين خصوصا وجهودهم في تفسير الكتاب الحكيم وتوضيح مراده للسالكين طريق فهمه وسبيل معرفه مقاصده، شكلت مرجعا هاما للدارسين في فنون البحث المتنوعة والمتخصصة في علوم القرآن وتبيان أهم مسائله، كما جعلت من الحواضر العلمية والزوايا والمدارس القرآنية قبلة للباحثين ومقصدا للدارسين يؤمها الطلاب من فجاج الدنيا وأمصارها .

هذه الأشعاع العلمي في الحواضر العلمية الجزائرية كحاضنة بجاية مثلا والتي كانت معقلا ومقصدا لدراسة الشاطبية رحل إليها العلماء وتزاحمت عليها الركبان، كما انتشرت العديد من المنارات العلمية الأخرى كمدارس الزواوة وتلمسان ووهران وغليزان وبجاية وتيارت وورقلة ومليانة وغيرها ⁽¹⁾ .

هذه الحواضر العلمية المتعددة في سائر اقطار الوطن المترامي الأطراف والتي شيدها الزيانيون والمرينيون ومن جاء قبلهم وبعدهم والتي يصدق عليها وصف يحي ابن خلدون (عليه رحمة الله) بأنها "معاهد كريمة" ⁽²⁾ بما أنتجت من فحول العلم ومشايخ الزوايا وقراء تركوا أثارا طيبة في ربوع الوطن وذكرنا حميدا تناقله الأحفاد وتوارثوه .

كما لا يخفى على كل دارس للتاريخ الاسلامي في ديار المغرب الاسلامي برمته، أن هذه المحاضن العلمية العامرة أنتجت أجيالا علمية تواتر عطاؤها وتواصل مد الجسور العلمية في ما بينها، ومن العلماء الربانيين والأجلاء الفضلاء الذين نذروا أعمارهم في خدمة كتاب الله ونشر بيانه وتبسيط معانيه لأبناء أمة القرآن (نحسبهم كذلك ولا نزكهم على الله) ذلك العالم الفذ والرجل القرآني المصلح شيخ المجددين، وداعية الإصلاح في بلاد الشام، العلامة الجزائري المستوعب لفنون عصره، الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب، السمعوني، الوغليسي، الذي هبأه القدر أن يظهر في ظروف غير ظروف بلده الأصل ولكنه برع بما أوتي من علم شرعي منطلقا من صغار العلم ومبادئه قبل كباره، متعلما ومعلما ووصولاً إلى علم الخلاف بين الأئمة ليكون من أكابر مدرسي العلوم الشرعية والفقهية في بلاد الشام وفي المدرسة الظاهرية بالذات ثم الخالدية بأرض فلسطين وغيرهما .

هذا المصلح السني والمجاهد الرباني، رجل القدر والمهم الموهوب والملقب بالجزائري الوغليسي، السمعوني (رحمه الله تعالى عليه) الذي نذر نفسه وعمره وحياته دفاعا عن القرآن وأهله وسطرت أنامله وبنات أفكاره مجموعة من النظرات الثاقبة في علاج أمراض

الأمة وكيفية تطبيقها، ومن أهمها في زمانه أزمة التعريب، التي هددت فيها أهم ركائز الأمة وأوثق عراها لغة الضاد، لغة القرآن الكريم .

وانطلاقاً من الجهود العلمية للمصطلح الجزائري السمعوني الوغليسي المبذولة في خدمة كتاب الله تعالى ونشر معانيه القرآنية السامية موضوع البحث واستلهاً من الآثار المطبوعة والمخطوطة المستمدة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كان من البديهي أن نتعرف على الحياة الشخصية والعلمية لهذا الرمز العلمي في بلاد الشام من جهة، وعلى الجهود العلمية في التأليف والدرس التفسيري والهدي البياني من جهة أخرى

من هذا المنطلق جاءت هذه المحاولة لتسلط الضوء على علم عربي جزائري، بزغ نجمه في بقاع الشام والقدس ومن بعدها أرض الكنانة، محاولين في بسطتنا هذه أن نجلي ولو بشكل غير مفصل شيئاً من الغموض عن الجوانب العلمية النفيسة لهذه المكتبة العلمية الشرعية السيرة التي ضمت بين طياتها شخصية المفسر والمحدث والأصولي، بل والفقيه الفيلسوف والمربي الذي دأب على خطى أولي العزائم من المؤمنين على مر التاريخ في العلم ونشره، ومن سار على هديهم من أصحاب الأهداف الكبيرة لأجل الصالح العام ودفع المنكر بالمعروف عن علم وبصيرة .

وإن علمنا الذي نحن بصدد البحث في تراثه العلمي والعملية، الفكري والبدني لمن الصفة القلائل في الزمن المعاصر الذين جاهدوا بل جادوا بكل ما ملكهم الباري (جل في علاه) خدمة لدينهم وأمتهم ورسالتهم، وأكرم بها من وظيفة سخرتها العناية الربانية لهم، وحببتهم منة الباري (جل في علاه) ليكونوا أمناء رسالة الاسلام ومبلغها في زمانهم .

فمن هو الشيخ طاهر الجزائري؟ وما هو مساره العلمي؟ وما أهم آثاره العلمية ومواقفه الشاهدة على جهوده في خدمة القرآن الكريم ولغته الجميلة؟ وما الجانب المهم الذي فرض نفسه في حياة الشيخ العلمية وممارسته الدعوية المتعلقة بخدمة كتاب الله تعالى؟ كما أنه من الأهمية بمكان أن نستطلع أهم الآثار العلمية له وأهم الشهادات من أهم أقرانه ومعاصريه .

أولاً. الحياة الشخصية والعلمية للشيخ طاهر الجزائري

نسبه :

هو الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الوغليسي الجزائري، ثم الدمشقي (1268-1338هـ=1352-1920م) بحثة من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره.⁽³⁾ والده صالح بن أحمد الوغليسي، وقد كان عالماً من كبار العلماء .

قال عنه الزركلي في الأعلام بأنه : فاضل من الجزائر قدم إلى دمشق، ومن آثاره رسالة في غرائب الخلاف بين الأئمة .⁽⁴⁾

ينتهي نسب الشيخ طاهر إلى السيد عبد الله الكامل بن السيد الحسين المثنى بن السيد الحسن السبط بن الإمام علي (رضي الله عنه) تنحدر أسرة الشيخ طاهر الجزائري من صلب

إدريس بن عبد الله الكامل وقد هاجرت إلى بلاد الشام سنة 1285 هـ/1846 م، وقد لقب بالسمعوني نسبة إلى بني سمعون وهي القرى التي كانت تسكنها عائلة الشيخ طاهر الجزائري، وتقع بضواحي مدينة بجاية⁽⁵⁾ كما لقب بالدمشقي لمولده بدمشق وكبره فيها وانتمائه طيلة حياته إليها، مع سفره لأرض الكنانة وملاقة فطاحلة أهل العلم فيها حينها كالشيخ الخضري ومحمد عبده وغيرهم .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ طاهر الجزائري ليلة الأربعاء 20 ربيع الأول سنة 1268 هجري الموافق لـ 1851 م بمدينة دمشق، وبها تعلم على أيدي كبار العلماء في ذلك الزمان، يأتي في مقدمتهم والده الشيخ صالح السمعوني الذي بذل في تربيته وتعليمه جهدا كبيرا، ثم التحق بالمدرسة الجقمقية⁽⁶⁾ الابتدائية وفيها تتلمذ على يد علماء مثل الشيخ عبد الرحمان البستاني الذي أخذ عنه العربية والفارسية والتركية، ثم اتصل بالشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني وهو فقيه أصولي نظار، قال عنه المؤرخ محمد كرد علي بأنه كان: "على جانب عظيم من التقوى والورع، يمثل صورة من السلف الصالح، فطبع الشيخ طاهر بطبعه، وأنشأه على الأصول العلمية الدينية. وكانت دروسه صافية المشارب، يرمي فيها إلى الرجوع بالشرعية إلى أصولها والأخذ من آدابها بلباها، ومحاربة الخرافات وإنقاذ الدين من المبتدعين والوضاعين"⁽⁷⁾ وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ طاهر يتردد على الشيخ الميداني ويتعمق في دراسة علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية من فقه وأصول وتفسير وحديث وعقيدة، ونحو وصرف وبلاغة كان يتردد على مدرسة حكومية ثانوية يتعرف فيها على العلوم الطبيعية والتاريخ، والجغرافية، والآثار، وقد تعلم شيئا من الرياضيات والفيزياء على أيدي خريجي المدرسة الحربية في دمشق، وعكف على دراسة اللغات الشرقية فأتقن منها (فضلا عن التركية والفارسية التي كان ينظم بها كالعربية) اللغات السريانية، والعبرية والحبشية والقبائلية البربرية (لغة أهلها الأصلية)، واعتنى عناية خاصة بعلاقة اللغة العربية باللغات السامية، وتعلم فوق ذلك اللغة الفرنسية وتكلم بها، ولا شك أن معرفته باللغة الفرنسية أعانته على الاتصال بالثقافة الغربية.⁽⁸⁾

شخصيته:

اتسمت شخصية الشيخ طاهر الجزائري بسمات الشخصية القوية من : حدة ذكاء، وغزارة علم ورفاهة حس، وعلو همة، وقوامه بدن، ولا غرابة أن يكتب عنه من ترجموا له عن مواصفاته الخلقية بأنه كان حسن الطلعة، واسع الجبهة، معتدل القامة، أسود الشعر والعينين ن سريع الحركة، عصبي المزاج، عاش ومات دون أن يتزوج، وقد اعتبر مترجموه عدم ارتباطه بالأسرة هو الذي جعله يعطي عمره كله للعلم، الأمر الذي تفرغ له كليا.⁽⁹⁾

أما أهم جوانب شخصيته الأخلاقية فقد عرف بعفة النفس وحب العلم والزهد الذي تجلى في عدم مصاحبة الأغنياء وعدم الاهتمام بالشهرة، كما كان (رحمه الله) حريصا على

اغتنام أوقاته والانتفاع بها ون مظاهر حرصه على طلب العلم ونشره أنه كان يحمل بعض الكتب الصغيرة معه ليقرأ فيها حيث يتيسر له الوقت كي لا يضيع شيء من وقته، يقول عنه أحد تلامذته : " كان لا يذر مزاولة العلم في كل وقت وحين ما بين تصنيف وتنقيح، أو بحث وتنقيب، أو مذاكرة ومطالعة، وإذا استحسن كتابا يعاود مطالعته مرارا عديدة " (10) **آراؤه:**

لقد كان لمواصفاته شخصيته السابقة مع علمه الثر الأثر الكبير في مواقفه وآرائه والتي لخصت لنا تجربة الشيخ طاهر في ميادين الحياة كلها، فمثلا عن سر النجاح والإخفاق في الحياة، يقول : " إذا اردتم النجاح فلا تلقوا بأذانكم لم يقال فيكم من مدح وقدر، وسيروا على الهدف بخطى ثابتة تفلحوا، واتقوا إضاعة الوقت بالقليل والقال " وبخصوص شروط النجاح في الحياة يرى أن من أهمها مطابقة السر للعلانية، إذ يقول : " إياكم أن تخطوا في رسائلكم إلى إخوانكم ما لا تريدون أن تقولوه جهرة، فكل ما يكتب لا يؤمن نشره، يفتضح به صاحبه فيؤذيه ولا ينفعه " (11)

وعن أهمية العلم وحاجة الانسان إليه، يقول : " تعلموا ما تيسر لكم تعلمه ولو لغة مألطة، فقد يعي زمن تحتاجون إليها، وإياكم أن تقولوا إنها لا تدخل في اختصاصنا، فالعلم كله نافع والمرء يتعلم ما حسنت به الحياة... ثم يقول : تعلموا العلم لله ولفائدة العلم ولذته، وليكن لكل واحد منكم صناعة أو تجارة، أو زراعة تعيشون منها أحرارا حتى لا تحتاجوا إلى قرع أبواب الملوك والحكومات، فإذا احتاجوكم نادوكم، وإلا فانتم بما لكم من أسباب المعاش لا تحتاجونهم " (12) **مؤلفاته :**

لقد اعتبر الشيخ طاهر الجزائري موسوعة علمية مستقلة لما تركه من انتاج علمي غزير في فنون عديدة، ولعل ما يهمنا في موضوع دراستنا هو ما تعلق من مصنفاته بخدمة كتاب الله تعالى تفسيرا وبيانا ومن أهم هذه المصنفات (13) :

- تدريب اللسان عن تجويد البيان، بيروت 1325 هـ
- توجيه النظر إلى أصول علم النظر، رسالة في علم الحديث، مصر، مطبعة الجمالية، 1320 هـ

- الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية، دمشق، 1313 هـ
- فهرست رسالة (الحدود في الأصول) لأبي الوليد الباجي
- رسالة في الإفتاء وشروط المفتي.
- مسائل علمية وحكاية الانتصار لابن تيمية
- عقود اللآلي في الأسانيد العوالي
- شرح خطبة الكافي (بحث في أصول اللغة ونشاتها واشتقاقها) وهو معجم للشيخ لم

يكمل

- منية الأذكياء في قصص الانبياء (ترجمة عن التركية)، دمشق، 1299هـ
- شرح ديوان خطب ابن نباته وكتاب الفوز الأصغر لابن مسكويه
- شرح روضة العقلاء ونزهة الفضلاء
- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد لابن الأنصاري
- أمنية الأملعي ومنية المدعي، لابن الزبير الأسواني
- دفتريه ترجمة معروف الكرخي، والسري السقطي
- مقتطفات من كتاب (سلوة العارفين وأنس المشتاقين) لأبي بن خلف محمد بن عبد الملك الطبري
- التذكرة الظاهرية، المعجم العربي
- السيرة النبوية
- جلاء الطبع في معرفة مقاصد الشرع
- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن
- مختصر في قواعد التصوف وأصوله على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، لأبي العباس أحمد البرنسي الشهير بزروق
- فكره العلمي، وخصوصا في فنون الشريعة وعلوم اللغة ومباحث التزكية ومحطات التاريخ الاسلامي عامة .

ثانيا. جهوده في تفسير القرآن الكريم ونشر بيانه

لقد اعتنى الشيخ طاهر الجزائري بخدمة كتاب الله تعالى وتوضيح بيانه لطلابه ولجملة المهتمين بفهم مراد الله تعالى، وقدم للأمة جهدا لا ينكره إلا الجاحدون لتبيين معاني آيات الكتاب العزيز، هذا العمل هو ما سماه (تفسير القرآن الحكيم)، وهو عبارة عن حاشية على تفسير الإمام البيضاوي، حيث يبدأ المؤلف (رحمه الله تعالى) بإدراج صفحات مطبوعة من تفسير البيضاوي يعلق على هوامشها بخط يده ثم يبدأ في تفسير الآيات التي تناولها البيضاوي ويطلب في تفسيرها ويكثر من النقول، وأحيانا يدرج صفحات من كتب كما هي، كما ينقل كلام شيخ الإسلام وكلام غيره وهو تفسير من أربعة مجلدات بخط المؤلف منه نسخة محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق .

وقد ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غدة أن كتاب (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) قد وضعه الشيخ طاهر كمقدمة لهذا التفسير، إذ كتب له مقدمتان : كبرى وصغرى، والصغرى هي كتاب التبيان. « التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ».

يقول صاحب كتاب: الشيخ طاهر الجزائري، رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث عن تفسير الشيخ طاهر الجزائري، بأنه: "عبارة عن حواش على (تفسير البيضاوي) في أربعة مجلدات وقد عمد المرحوم إلى نسخة مطبوعة من البيضاوي فكتب على أطرافها هوامش وتعليقات، وأكثر ما كان يكتب هذه الهوامش والتعليقات في كرايس وقرطيس يدسها بين الصفحات المطبوعة، وقد أثبتت في مكانها خيوط متينة، لكن الهوامش والتعليقات المذكورة ليست مربوطة بمواضعها من الآيات بواسطة أرقام وعلامات، ولذلك تقع صعوبة في تجريدتها وجمعها، بشكل تفسير مستقل .. ومن تصفح تلك التعليقات والشروح التي كتبها على تفسير البيضاوي، أدرك لأول وهلة عظم فائدتها وحسن عائدتها"⁽¹⁴⁾

ثالثا. جهوده في إرساء اللغة العربية (التعريب)

لقد خص شيخنا الامام طاهر الجزائري موضوع التعريب بعناية خاصة في جهوده العلمية. وألف فيه جملة من المصنفات، يتصدرها كتابه النفيس التقريب لأصول التعريب، الذي طبع سنة 1919 م بالمطبعة السلفية بمصر، بين فيه أهم الألفاظ المعربة ومسلك أهل التعريب فيها ليكون الناظر فيه على بصيرة بهذه المعربات، كما أنه قد ضمنه كثيرا من المباحث اللغوية المتعلقة باللغة الفارسية التي استند عليها في حل المعربات .

هذا العمل الخاص بالتعريب ألفه الشيخ في أواخر حياته أثناء إقامته بالقاهرة، سنة 1918 م، وقد جعل فيه فصولا وتحت الفصول مطالب حسب ما تقتضيه سياقات البحث، تناول المؤلف في مؤلفه حقيقة التعريب وأنواع التغيير الذي وقع في المعربات وتعريب المحدثين للكلمات الاعجمية، كما لا يخفى على دارس لتلك المرحلة الحرجة التي مرت بها الأمة الاسلامية في تصادم أنصار التعريب وخصومه والمناقشات الطويلة التي خاضها أعضاء نادي العلوم، وفي تلك الظروف حمل لواء جواز التعريب الشيخ محمد الخضري (1872-1927م)، وتصدر لواء عدم جواز التعريب الشيخ أحمد الاسكندري (1875 - 1919م).⁽¹⁵⁾

كما دعا الشيخ طاهر إلى ضرورة تكوين مجمع لغوي تعهد إليه مهمة التعريب لكي لا يستبد أفراد بالوضع من تلقاء أنفسهم مما يقود الأمة إلى التنافر والتضاد، كما أكد على ضرورة أن يتقيد التعريب بأسماء الأجناس والأعلام وأن يقيد كل ما تم تعريبه في سجل خاص يحتفظ به المجمع .

وللتعريب معان عدة يستقر مفهوم أقومها عند الشيخ طاهر في نقل الكلمة مع عرفها الأعجمي ومحاولة إنزالها على صيغ العربية وأوزانها .⁽¹⁶⁾

بالإضافة إلى هذه الجهود العلمية والعيش في ظل المعارف الشرعية بحثا ونشرا كان هناك جانب مهم اهتم به الشيخ طاهر رغم قلة الوقت وكثرة الالتزامات إلا أنه وجد وقتا يناظر فيه أهل الاستشراق ويرد على مكابدهم، ولعل مما نستدل به على قولنا هذا هو تلك الشهادة التي

سجلها الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله تعالى) في كتابه دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين من أن المستشرق المجري أجناس جولد تسهر قد استطاع على بعض المشاهد التي توارثها أهل الشام عن أجدادهم من إقامة مجالس للذكر ولاسيما في مناسبات المولد النبوي الشريف ليالي الاثنين والجمعة، مما جعله يرسل خطابا إلى الشيخ طاهر الجزائري يسأله فيه عن هذه المسائل وما يتعلق بها بغية جمع أكبر قدر ممكن من الشبهات التي يستدل بها على أن الاسلام لا يزال يصنع وأنه ينمو على مر الأجيال بطريق الابتداء، عن طريق الجهد البشري كما بدأ كذلك كما يزعم هذا المستشرق المجري الكذوب ليسوق للناس أن الاسلام تكون على مر الأجيال من أفكار أرضية، ولم ينبع من أصول سماوية.

وقد كان رد الشيخ طاهر بحكمة وروية وعلم ولم يخالف في ذلك رأي العلماء الراسخين الذين يرون أن البدع إن كانت مختلفة الأصل فهي الضلالة بعينها، وإن كانت لها أصل شرعي ولكن دخلها الابتداء في طريقة الأداء فهي مستنكرة بقدر ما فيها من الصنعة والزيادة⁽¹⁷⁾. ولشدة هذه القضايا وخطرها على الحياة الاسلامية العامة، وإيمانه الشديد بأنها تمس المجتمع الإسلامي، وتفتنه في دينه أسس الشيخ طاهر الجزائري بالاشتراك مع العلامة علاء الدين عابدين جمعية من أجل مواجهة تحدي النشاط التعليمي للإرساليات التبشيرية الأجنبية والتصدي لمثل هذه الشبهات التي تحامل المستشرقون على بثها وزرعها في الأوساط التعليمية لأبناء المسلمين، وخصوصا في البلاد العربية المستعمرة.

رابعا. شهادات ومآثر أهل العلم عن مكانة الشيخ العلمية

وصفه المؤرخ محمد كرد علي⁽¹⁸⁾ فقال: "ندر جدا أن جاء في المتأخرين من علماء المسلمين أي عصور الانحطاط العلمي -رجل وعى صدره من العلم ما وعاه الشيخ طاهر الجزائري، فكان متضلعا في علوم الشريعة، وتاريخ الملل والنحل وما يتشعب عنها، منقطع النظير في تاريخ العرب، وتراجم رجالها، وسلاسل أعمالهم ومناقضاتهم ومناظراتهم، فهو في ذلك الحجة الثابت، ساعده في ذلك قوة حافظته التي لا تكاد تنسى ما تمر به مهما طال العهد، قرأ جميع الكتب العربية التي طبعت في الشرق والغرب أو ترجمت من اللغات الأوروبية، أما المخطوطات التي طالعها فتقرب من المطبوعات إن لم تكن أكثر، وقل أن يدانيه أحد في معرفة المظان، ولذلك كان يسهل عليه التأليف في أي موضوع أراد، وقد يؤلف الكتاب في بضعة أسابيع"⁽¹⁹⁾

كما كان يصفه دوما بقوله "معلمي الأول"

صحب الشيخ طاهر الجزائري مدة إقامته في مصر الشيخ محمد عبده (1849-1905م) وحرص على حضور مجالسه وندواته، ولا عجب فهو الذي يلتقي في عموم دعوته الاصلاحية مع الشيخ عبده.

يصفه صديقه أحمد زكي باشا شيخ العروبة (1860-1934م) فيقول: "إنه أستاذ الشام

على الإطلاق، فهو يضم بين طمريه العلم الجم والخلق الأشم ..كنت أرى فيه الأثر الباقي والمثال الحي لما كان عليه سلفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية والدراية في كل المعارف الإسلامية، وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق والتمحيص واستثارة خباياها وإبراز مفاخرها " (20).

وقد كان رحمه الله إماماً في علوم اللغة الأدب .. وهو هكذا في علوم الشريعة، لا سيما في التفسير والحديث والأصول .. إنه خزانة علم متنقلة بحق، وقل أن يوجد في عصره من علماء الشام خاصة والمسلمين عامة من لم يستفد من علمه، إن عن طريق الأخذ منه مباشرة أو عن طريق الوساطة .

الخاتمة

من خلال هذه البسطة المختصرة مع جانب خدمة كتاب الله تعالى في حياة الشيخ طاهر الجزائري والتي كانت جهادا متواصلا، منذ أن وعى دوره إلى أن اختاره الله تعالى إلى جواره، كما ان جهاده العلمي جاء متنوعا بتنوع الأحداث والظروف والحاجات، وهدفه الأول والأخير هو خدمة هذا الدين .

كما كان يسعى دوما وطول حياته لنشل المسلمين من سقطتهم، ونشر العلوم القديمة والحديثة بين أبنائهم، ولولا ما قام به من التذرع بجميع الذرائع لتأخرت نهضة المسلمين في الشام أكثر من نصف قرن أو يزيد، كما كان منهجه في الإصلاح أن يعلم المسلمين أصول دينهم والاحتفاظ بمقدساتهم .

عاش الشيخ طاهر الجزائري طول حياته وهو يؤكد أن الإسلام دائما على حق وأن أعداؤه دوما على باطل، محددًا أولوياته، عبر كل مرحلة من مراحل حياته، مراعيًا في إرشاده ووعظه الطريقة الأفضل لمواجهة الوضع القائم، لا يتذمر مما قدره الله عليه من امتحان، فقد مسه النفي عن مسكنه، ولكنه احتسب ذلك لوجه الله عز وجل، وأبلى بلاء حسنا في تبليغ رسالة دينه الحنيف موقنا أن هذه الدنيا فانية، متبعا لسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، في كل جهاده، محبا لكل أبناء أمة الإسلام ولا يحقد على من ظلمه منهم ولا يعاديهم، فهو يتمنى لمن ظلموه الخير كله، والهداية والرجوع إلى الطريق المستقيم فرحمة الله عليه في الأولين وفي الآخرين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين .

كما أتمنى من صميم القلب أن يكلل الملتقى بالنجاح، وأن يسهم في خدمة الدين والأمة والوطن .

الهوامش :

- 1 - الدكتور بوعبد الله غلام الله، القراء ومدارس الإقراء في الجزائر، مقال في مجلة رسالة المسجد، الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، السنة الحادية عشرة - العدد الثالث - شوال 1434 هـ ، سبتمبر 2013 م، ص 57 وما بعدها .

- 2 - الدكتور مهدي دهيم، جهود علماء الجزائر في خدمة القراءات القرآنية، محاضرة في الملتقى العلمي الثالث لطلاب الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص 3.
- 3 - خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي دمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار/ مايو 2002 م، الجزء 3، ص 221
- 4 - نفس المصدر ط: 5، (1980)، ج 6، ص 165.
- 5- انظر ترجمة الشيخ طاهر الجزائري، محمد الصالح الصديق، كتاب الجواهر الكلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص 11
- 6 - الجقمقية: نسبة إلى نائب دمشق سيف الدين جقمق
- 7- مقال من الانترنت بعنوان: الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد في بلاد الشام في العصر الحديث، ينظر موقع: www.islamweb.net، وهو ملخص كتاب: الشيخ طاهر الجزائري: رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث. المؤلف: حازم محي الدين، دار القلم، دمشق، ط: الأولى، 2001 م.
- 8 - المرجع نفسه، ص 2
- 9- مرزوق العمري، الشيخ طاهر الجزائري داعية الإصلاح في بلاد الشام، مجلة الثقافة الإسلامية، الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 04، التاريخ 1429هـ/ 2008م، ص 85
- 10 - انظر الترجمة التي وضعها عبد الفتاح أبو غدة في كتاب توجيه النظر إلى أصول الأثر، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب سوريا الجزء الأول، ص 16
- 11 - محمد الصالح الصديق، كتاب الجواهر الكلامية، مرجع سابق، ص 21
- 12 - المرجع نفسه، ص 21 و 22.
- 13 - حامد صادق قنبي، الشيخ طاهر الجزائري، أستاذ بلاد الشام 1268-1339هـ=1851-1920م، مقالة بمجلة "الصراط" للبحوث والدراسات الإسلامية، الصادرة عن كلية أصول الدين جامعة الجزائر، السنة الأولى، العدد الثاني، ذو الحجة 1420 هـ مارس 2000 م، ص 153
- 14- الشيخ طاهر الجزائري، رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، لحازم زكريا محي الدين، دار القلم، دمشق، 2001 م، ص 70
- 15 - حفي ناصف، مجموعة الخطب التي ألقيت في حفلة تادي العلوم، القاهرة، مطبعة الواعظ، 1908 م، ص 7 وما بعدها
- 16- حامد صادق قنبي، الشيخ طاهر الجزائري مرجع سابق، ص 167 وما بعدها
17. محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1999م، ص 164، هذا وقد أشار الشيخ محمد الغزالي في هامش الصفحة المذكورة إلى أن رسالة المستشرق المجري أجناس جولد تسهر إلى الشيخ طاهر الجزائري، قد نشرتها كاملة مجلة الأزهر في الجزء الثاني من المجلد الخامس والعشرين، سنة 1373 هجري
- 18- محمد علي كرد (1876-1953م) علامة دمشق، وأول رئيس للمجمع العلمي بدمشق، صاحب كتاب كنوز الأجداد وكتاب المعاصرون، ومن تلاميذ الشيخ طاهر الأوفياء
- 19_ جمال الدين الألوسي، محمد علي كرد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 2، 1976م، ص 30
- 20- محمد علي كرد، المعاصرون، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1970 م، ص 282.

التفسير الفقهي عند محمد بن عبد الكريم الجزائري "آية الربا نموذجاً"

د/ أحمد الزايدي

رئيس قسم العلوم الإسلامية - جامعة المسيلة

ahmed.zaidi13@yahoo.com

ملخص البحث

يتناول البحث بالدراسة الاتجاه التفسيري عند المرحوم الدكتور: محمد بن عبد الكريم الجزائري في تفسيره الموسوم ب: "توجهات القرآن العظيم" من خلال عرض رأيه الفقهي في مسألة فوائد البنوك ومدى مشروعيتها والتي تناولها عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة 275].

والهدف المتوخى من هذا البحث:

- إبراز القيمة والمكانة العلمية للشيخ محمد بن عبد الكريم وتفسيره.
 - بيان الاتجاه الفقهي الذي اعتمده المفسر في بيان آيات القرآن الكريم المتضمنة للأحكام الشرعية.
- وينطلق البحث من إشكالية هي: مدى حضور النزعة الفقهية في تفسير الشيخ محمد بن عبد الكريم؟

ولأجل ذلك قسمت البحث إلى مطلبين هما:

المطلب الأول: التعريف بالمفسر ومنهجه في التفسير.

المطلب الثاني: رأيه الفقهي في مسألة الفوائد المصرفية من خلال تفسيره.

المطلب الأول: التعريف بالمفسر ومنهجه في التفسير.

أولاً- التعريف بالمفسر¹: ولد الدكتور محمد بن عبد الكريم ببرج بوعرييج يوم 25 أفريل 1924م قضى بداية حياته في أحضان بلدة أجداده برج زمورة المشهورة بكثرة الكتاتيب ودور العلم، حيث حفظ القرآن على يد الشيخ العربي كشاط بمسجد ابن فرج.

كما بدأ دراسة العلوم بمسجد بوحيديوس، فأخذ العقيدة (متن الجوهرة) والنحو (متن

¹ - انظر مطوية: إحياء مآثر أعلام زمورة (ندوة فكرية للعلامة محمد بن عبد الكريم الزموري) بالمركز الثقافي يوم 20/04/2013، وانظر أيضا <http://www.elkhabar.com> بتاريخ 11/11/2012.

وانظر www.elmaouid.com بتاريخ 23/04/2013.

الآجرومية) على يد الشيخ علي بوبكر، وبعد بلوغه سن العشرين وزواجه لازم ولفترة طويلة شيخه العلامة عمر بوحفص، فأخذ عنه النحو(القطر، وشدور الذهب)، والفقه(الرسالة، ابن عاشر)، الفلك(السراج، السوسي)، القراءات(الجزرية).

في سنة 1952 سافر إلى تونس لإكمال دراسته بمعهد النزلة أحد فروع جامع الزيتونة ومكث هناك أقل من سنة، ومن الشيوخ الذين تلقى عنهم العلم: محمد العباد والشيخ قريسة والشيخ الفاضل بن عاشور.

ولكن سرعان ما قرر العودة إلى الجزائر حيث تنقل إلى أماكن عدة ودرس علوما شتى، فقصد زاوية البوعبدلي بأرزو فدرس بها النحو والفقه وأقام بها ستة أشهر، ليعود إلى برج زمورة مواصلا جهوده التعليمية فدرس بمسجد بلحسن ومقام بن الرقبط: ابن عاشر في الفقه والقطر في النحو.

وفي سنة 1956 توجه الشيخ إلى فرنسا وبعد ثلاث سنوات من الإقامة اعتقلته السلطات الفرنسية وزجت به في السجن مدة أربعة أشهر ونتيجة للأمراض التي أصابته نقل إلى مستشفى السجن وقضى به ثمانية عشر شهرا، ولما اشتد به المرض كتب رسالة إلى وزير الداخلية فأطلق سراحه بعد أسبوع.

عاد إلى الجزائر سنة 1963 حيث انخرط في سلك التعليم حيث درس في الطورين الابتدائي والثانوي.

وفي سنة 1968 توجه إلى تركيا من أجل تحضير دبلوم في علم الوثائق وفن المكتبات لم يستغرق ذلك مدة طويلة حيث مكث هناك أربعة أشهر فقط استغلها في تأليف كتابه: مخطوطات جزائرية في مكتبات اسطنبول.

وفي مارس 1978 توجه إلى ليبيا فألف كتابيه: "بدائع السلك" و"الغنية" ليُعرض عليه بعد ذلك منصب "داعية بفرنسا" من قبل جمعية الدعوة الإسلامية الليبية العالمية فاستجاب لذلك واستمر نشاطه الدعوي إحدى وثلاثين سنة وقد زار خلالها بلدانا كثيرة منها: بلجيكا وبريطانيا وسويسرا كما زار عدة بلدان إفريقية.

تحصل على دبلوم الدراسات العليا في التاريخ وكان موضوعه: تحقيق مخطوط: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" لابن ميمون، ثم الدكتوراه في الأدب العربي وكان موضوعها: "المقري وكتابه نفح الطيب"

وفضلا عن ذلك كان غزير الكتابة فألف أكثر من ستين مؤلفا في شتى المجالات.

شهد له بالبحث والتحقيق عديد من العلماء منهم الشيخ عبد الرحمان الجيلالي، والدكتور أبو القاسم سعد الله رحمهم الله جميعا.

من مؤلفاته:

- الطهارة في ميزان الإسلام.
- الصلاة في ميزان الإسلام.
- قبس من مولد محمد بن عبد الله وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام.
- استخراج العبر والأحكام من حياة محمد عليه الصلاة والسلام.
- الإسراء والمعراج.
- المقري وكتابه نفح الطيب.
- الثقافة و مآسي رجالها.
- لغة كل أمة روح ثقافتها.
- الدعوة الإسلامية والاستعمار والتبشير والصهيونية.
- كشف الستار(ديوان شعر).
- حياة حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته.
- مدينة وهران.
- مخطوطات جزائرية بمكتبات إسطنبول.
- عبد الرحمان الثعالبي وضيحه.
- واقع الإسلام والمسلمين بين الردة السياسية والرعاية الشرعية
- الإرهاب والأصولية بين الأصولة والابتداع.
- الديمقراطية والعلمانية في ميزان الإسلام.
- مساجد الضرار من جديد ودور المسجد في الإسلام
- الهجرة من الأقطار الإسلامية إلى الأقطار الإفرنجية في ميزان الإسلام.

فحياة الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري ثرية بمواقف التأسي واقتداء سواء في طلب العلم والصبر عليه و الترحال لأجله أخذا وعطاء أو في غزارة التأليف وتنوعه بما يخدم قضايا الأمة حاضرا ومستقبلا.

توفي يوم الجمعة 09 نوفمبر 2012 ودفن بمسقط رأسه "برج زمورة"، رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

ثانيا- منهجه في التفسير:طبع هذا التفسير بمطبعة مؤسسة المعالي للنشر والاعلام، الطبعة الأولى 1434هـ -2013م مما يدل على حداثة التفسير وجدته، وهو مكون من سبعة أجزاء، تناول في الجزء الأول المباحث المتعلقة بعلوم القرآن (المكي والمدني-أسباب النزول- الأحرف السبعة- القراءات- أنواع التفسير.... وختمها بإفاضة في حكم ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى) ولعل تقديم المؤلف بهذه المباحث لتفسيره لعلاقتها بالتفسير، وقد درج عليها كثير من المفسرين القدامى والمتأخرين كالطبري وابن عاشور.

اعتمد الشيخ في تفسيره مسلكا علميا أقرب إلى المنهجية المناسبة للتفسير المعاصر للقران الكريم والتي سلكها كثير من المفسرين المعاصرين¹، فيبدأ أولا بشرح الألفاظ التي يخفى معناها على عموم الناس، ثم يعطي بيانا مجملا للآية أو الآيات الكريمة بإيجاز، ليتناول بعد ذلك ما اشتملت عليه الآية أو الآيات من أحكام شرعية وتوجيهات عملية، فهو يقدم للآية بما يعين على فهم مقصودها" وهذا ترتيب منهجي سليم وطرح علمي ممنهج فلا يمكن أن تنتقل إلى الأحكام حتى نعرف سبب النزول ومعاني الكلمات، ثم يأتي بعد ذلك دور المسائل والفروع والأحكام"²

وقد اختار لذلك عنوان "التوجيهات" حتى لا يقتصر فيما يستنبطه من الآية على الأحكام الشرعية العملية، بل يشير إلى مختلف ما توجه إليه الآية الكريمة من أخلاق وعقائد وغيرها، وبذلك يجد قارئ هذا التفسير نفائس شتى من النكت اللغوية والفقهية والأصولية والعقدية وغيرها..

وقد مزج رحمه الله في تفسيره بين مدرستي التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، حيث اعتمد أقوال أئمة التفسير بالمأثور كالإمام الطبري والسيوطي وغيرهما، كما نجده يستشهد بأقوال أئمة التفسير الفقهي كالجصاص والقرطبي وابن العربي...

ويلاحظ المتأمل لتفسير الشيخ تعرضه لغالبية المسائل الفقهية التي تضمنتها آيات الأحكام سواء ما تعلق بالعبادات³ أو أحكام الأسرة⁴ وعقود المعاملات المالية⁵، وكذا مسائل الأطعمة والأشربة⁶ وغيرها، فيتناول بعض المسائل بالتفصيل ويتناول مسائل أخرى بإيجاز، ولا يكتفي الشيخ بذكر أقوال أئمة المذاهب المشهورة، بل يذكر أقوال الصحابة والسلف

¹ من بين أمثلة ذلك تفسير: روائع البيان للصابوني، وأيسر التفاسير للشيخ أبي بكر جابر الجزائري.

² نبيلة خالدي: دراسة تحليلية لآيات الطلاق من خلال كتاب توجيهات القرآن العظيم- مقال منشور بمجلة الجامعة (جامعة الأمير عبد القادر) عدد 35 ص 4

³ انظر على سبيل المثال لا الحصر: تفسيره للآية (115) من سورة البقرة "ولله المشرق والمغرب.." وتناوله لمسائل التوجه إلى القبلة في الصلاة عند مختلف المذاهب، وكذلك تفسيره للآية (06) من سورة المائدة وما استنبطه منها من مسائل الوضوء (463/3) فما بعدها، وانظر آيات الصيام (257/2-258)، وكذا الآية 196 من سورة البقرة حيث تعرض لمسائل الحج (274/2-275).

⁴ انظر تناوله لمسألة الولي في عقد الزواج في تفسيره للآية 232 من سورة البقرة (351/2) وكذلك تفصيله لمسألة الزواج بالكتابات عند تفسيره للآية 221 من سورة البقرة (303/2) فما بعدها) وكذا آيات العدة والطلاق (327/2) فما بعدها) وغيرها.

⁵ الآية موضوع البحث، وبالإضافة إلى ذلك تناول في نفس الآية موضوعين آخرين هما: الحكم الشرعي في المعاملة بالربا مع غير المسلمين بدار الحرب (453/2)، وكذا الحكم الشرعي في تبديل عملة بأخرى (465/2).

⁶ انظر تفسيره لآية الخمر من سورة البقرة (301/2-302)، وكذا تفسيره للآية الخامسة من سورة المائدة "اليوم أحل لكم الطيبات..." (454-453/3).

عموما كما يعرج على أقوال بعض الأئمة الآخرين كداود الظاهري وابن تيمية وابن القيم وغيرهم، مع إيراد أدلة كل قول.

وإذا كانت المسألة لها إسقاطاتها الواقعية في عصرنا وتناولتها أقلام المفكرين فإن الشيخ يبرزها بتفصيل ويورد أقوال المفسرين والعلماء المعاصرين، وهذا ما يظهر مثلا عند تناوله لموضوع الزواج بالكتايبات، وذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى: "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ" البقرة 221، وكذلك موضوع تعدد الزوجات عند تفسيره للآية: "فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً" النساء 03. فهو يذكر أقوال العلماء المعاصرين في هاتين المسألتين كالشيخ محمد عبده، والشيخ شلتوت والشيخ عبد الوهاب خلاف والشيخ الطاهر ابن عاشور وغيرهم.. ثم يبين الرأي المختار عنده مدعما ذلك بأدلته.

المطلب الثاني: رأيه الفقهي في الفوائد المصرفية وتقدير الباحث له

أولا- رأيه في الفوائد المصرفية: عند تناوله لتفسير آية الربا في قوله تعالى: "الذين يأكلون الربا... وبعد تناوله الشرح اللفظي لبعض المفردات وبيان مجمل معنى الآية الكريمة، شرع في استخراج التوجيهات الواردة فيها وعلى رأسها موضوع الربا، حيث عرفه وذكر أنواعه المشهورة باستفاضة¹، ليتعرض بعد ذلك إلى بعض المسائل المعاصرة المتعلقة بموضوع الربا والتي يكثر الحديث والسؤال حولها، ومنها: مسألة الحكم الشرعي في أخذ الفوائد الزائدة على رؤوس الأموال المودعة في المصارف وصناديق التوفير، وما شاكلها.

فقد اختار الرأي القائل بجواز ذلك واستدل بالأدلة الآتية²:

الدليل الأول: انتفاء علة تحريم الربا من الفوائد المصرفية، فهو يرى بأن علة التحريم هي الظلم والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل ونزعها منهم من غير طيب نفس، قال الله تعالى: (وَإِنْ تُبْتِغُوا فَالْكُمُ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) البقرة 279، أي: لا تظلمون بزيادة فيها غير شرعية، ولا تظلمون بنقص منها غير شرعي، وقال تعالى: (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوهَا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) النساء 161، فجملة (وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) معطوفة على لفظة الربا عطف تفسير، فهذه العلة قد جاءت صريحة في كتاب الله بالنسبة إلى (ربا النسيئة) المتعامل به في الجاهلية، وقد جاءت مستنبطة من السنة النبوية بالنسبة إلى ربا الفضل المحصور في الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح.

¹ - ذكر الشيخ نوعي الربا والفرق بينهما وحكمهما وأدلة ذلك بالتفصيل بداية من الصفحة 434 حتى الصفحة 452

² - انظر ص 452-458 من تفسيره.

ولإيضاح هذا الدليل أورد الشيخ قول صدر الدين محمد بن إسحاق القنوي وانتهى إلى أن الظلم ليس موجودا في الفوائد المصرفية، حتى يكون علة في جعلها ربا محرما على الناس أخذه، بل ذلك حلال طيب و مرغب فيه عند المصلحة و الحاجة.

الدليل الثاني: أن الفوائد المدفوعة من طرف المصرف إلى صاحب المال لم تكن في مقابل دين على المصرف، ولا في مقابل تأخير أجل الدين عند حلول أجل الدفع المنفق عليه، كما هو في ربا النسئنة، بل هذه الفوائد ما هي سوى جزء قليل من الأرباح الكثيرة التي قد دربها ذلك المال عند استثماره من طرف المصرف.

الدليل الثالث: أن نسبة الفائدة التي يدفعها المصرف إلى صاحب المال هي أقل من نسبة الخسارة التي تلحق ماله من جراء التضخم المالي فهو لم يوف رأس ماله من جراء التضخم المالي، كيف يكون مرابيا من لم يستكمل رأس ماله؟ بل قد أصبح مظلوما بصريح قوله تعالى: (وإن تبتم فلکم رءوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون).

الدليل الرابع: أن الاتفاق المبرم بين المصرف و صاحب المال قد تم عن تراض و طيب نفس من الطرفين، من أجل مصلحة كل منهما، وهذا أصل الأصول في البيوع و المعاملة التجارية، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [النساء:29].

الدليل الخامس: عدم مناقضة مقاصد الشريعة، فهو يرى بأن المصلحة المشتركة بين المصرف و بين صاحب المال لم تبطل المقاصد الشرعية ولم تمس بها، وكل مصلحة كانت كذلك جاز العمل بها زمانا ومكانا.

ودين الله يسروكل من يدرس البيوع في الشريعة الإسلامية ويمعن النظر لا يجد ضررا ولا ظلما في الفوائد المصرفية التي تدفع إلى صاحب المال في مقابل استثمار المصرف لذلك المال.

الدليل السادس: قياس الفوائد المصرفية على القراض والمضاربة والإجارة المتعامل بها في الشريعة الإسلامية، فإنها شبيهة بها في علة الحكم والشبيه بالشيء في علته يقاس عليه لا محالة، واستشهد على ذلك بقول كل من الشيخين محمد عبده وعبد الوهاب خلاف واستغرق طويلا في شرح كلامهما والدفاع عنه.

ثانيا- تقدير الباحث لرأي الشيخ في المسألة: يتبن لنا من خلال الأدلة التي أوردها الشيخ لترجيح مذهب إباحة أخذ فوائد المصارف والبنوك قدرته على توظيف مختلف الأدلة الشرعية سواء ما تعلق بنصوص الكتاب والسنة وتوجيهها للدلالة على موضع النزاع وكذا رده للضعيف من السنة بالاستدلال على ذلك بأقوال النقاد، هذا فضلا عن استعماله

للدألة التبعية كالتقياس والمصالح ومقاصد الشريعة.

والملاحظ كذلك أن الأدلة التي ساقها الشيخ لترجيح جواز أخذ الفوائد المصرفية يشترك فيها مع طائفة من علماء العصر منهم الشيخ محمد عبده¹ والشيخ شلتوت² والدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصري سابقاً³، والشيخ عبد الوهاب خلاف وبعض شيوخ الأزهر كالشيخ جاد الحق⁴ والشيخ محمد سيد طنطاوي⁵ وغيرهم، على أن بعضهم نسب إليه التردد في ذلك فأفتى بالحرمة ثم أباحه كما هو الشأن بالنسبة للشيخين جاد الحق وطنطاوي رحمهما الله تعالى.

أخيراً نقول أننا لسنا بصدد دراسة نقدية لأراء الشيخ- فهو أمر يطول جداً وسيكون محل بحوث أخرى بإذنه تعالى- وإنما ينصب بحثنا على عرض جهود وآراء الشيخ في تفسيره بغض النظر عما انتهى إليه اجتهاده صواباً أو غير ذلك.

وعموماً فإن القول بالإباحة في هذه المسألة يعتبر مرجوحاً، والأدلة التي ساقها المجيزون ومنهم الشيخ محمد بن عبد الكريم لا تصمد أمام أدلة المانعين.

" فقد أفتى بأنه (الفوائد البنكية) من الربا المحرم السادة العلماء المشتركون في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة سنة 1965، وكانوا يمثلون خمسا وثلاثين دولة إسلامية.

وأفتى بهذا أيضاً مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة بعد إحدى وعشرين سنة من مؤتمر القاهرة، وهذا المجمع يمثل العالم الإسلامي، كما يضم خبراء متخصصين، وكذلك مجمع الفقه لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

وبين المؤتمر الأول والمؤتمرين الأخيرين مؤتمرات كثيرة انتهت كلها إلى ما انتهت إليه المؤتمرات الثلاثة للمجامع من تحريم فوائد البنوك"⁶.

¹ - الإمام محمد عبده: تفسير القرآن الحكيم (المنار) ط2: دار المنار 1366/1947 (69/3)

² - الإمام محمود شلتوت: الفتاوى ط18: دار الشروق 1424/2004 ص306 فما بعدها.

³ - الدكتور عبد المنعم النمر: الاجتهاد ط1: دار الشروق-القاهرة-ص334 فما بعدها.

⁴ - انظر موقع: <http://www.masalarabia.com>

⁵ - عبد الناصر توفيق العطار: توحيد تقنيات الأزهر للشريعة الإسلامية، نشر المكتبة الأزهرية-بدون تاريخ- (735/1)، وانظر: عبد العال عطوة: نظرات في كتاب البنوك وأحكامها الشرعية للشيخ سيد طنطاوي، مقال منشور بمجلة الأزهر الجزء الأول، السنة الرابعة والستون 1412/1991 ص44 فما بعدها.

⁶ - علي أحمد السالوس: الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة، ط: دار الثقافة-الدوحة-مؤسسة الريان -بيروت-1418هـ/1998م، ص1043.

خاتمة ونتائج البحث:

بعد هذه الدراسة المتواضعة لجزئية من تفسير الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري يمكننا استخلاص النتائج التالية:

1- منة الله وفضله على بلدنا الجزائر بتوفيق أحد أبنائها لتفسير كتاب الله تفسيراً كاملاً.

2- تكوينه العلمي المبكر في علوم اللغة والفقه وغيرها من علوم الشريعة اكسبه قدرة هائلة على تحليل وتوجيه النصوص واستحضار الشواهد الشرعية والعقلية، وكذا أقوال الأئمة في مختلف المسائل.

3- اختياره لطريقة ومنهجية ثابتة لتفسيره من أول آية إلى آخر آية في كتاب الله وهي طريقة مفيدة جداً تناسب قراء التفسير في عصرنا.

4- يعد الشيخ استثناء في عصره، وذلك ببعده عن التعصب المذهبي والالتزام بالمذهب الفقهي السائد، وقد كان ذلك سمة أساسية لعلماء ومشايخ عصره، ويظهر ذلك في اختياره غير المذهب المالكي في بعض المسائل كطلاق الثلاث، والحلف بالطلاق¹...

5- استقصاؤه لأغلب الآراء في المسألة وبذل الجهد في الموازنة بينها وثقته في اختيار ما يذهب إليه.

6- تأثره في تناول القضايا المعاصرة بأراء أقطاب المدرسة العقلية كالشيخ محمد عبده، والشيخ شلتوت، ولعل مرد ذلك راجع إلى احتكاكه المباشر بالبيئة الغربية الأوروبية حيث احتدام الصراع الفكري حول بعض القضايا الشرعية المعاصرة التي انبرى لها هؤلاء الأعلام بالإضافة إلى كثرة ترحاله في بلاد كثير من العالم الإسلامي، فرأى بأن ذلك أنسب للمسلمين على اختلاف ظروفهم وأحوالهم .

1 - انظر: تفسيره الآية 230 من سورة البقرة (2/339-343).

المصنفات الجزائرية في علم القراءات تعريف وتوصيف

د/ هدى حراق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة

kafi_baker@hotmail.com

ملخص البحث

لقد أسهم الجزائريون في علوم الشريعة عموما وعلوم القرآن على وجه الخصوص، ومن العلوم التي أبدع فيها الجزائريون علوم القراءات بفنونها المختلفة، وكان لهم قصب السبق في المشاركة فيها، بمؤلفات كثيرة، انتشر صيتها وعم نفعها، وكانت محل عناية من العلماء بالشرح والدرس، فأردت أن أعرف ببعض هذه المصنفات، وأوثق نسبتها إلى أصحابها، واذكر أهم المعلومات حولها، وأصفها بما يعطى فكرة موجزة عليها.

مقدمة

لقد أسهم الجزائريون في علوم الشريعة عموما وعلوم القرآن على وجه الخصوص، ومن العلوم التي أبدع فيها الجزائريون علوم القراءات بفنونها المختلفة، وكان لهم قصب السبق في المشاركة فيها، بمؤلفات كثيرة، انتشر صيتها وعم نفعها، وكانت محل عناية من العلماء بالشرح والدرس، فأردت أن أعرف ببعض هذه المصنفات، وأوثق نسبتها إلى أصحابها، واذكر أهم المعلومات حولها، وأصفها بما يعطى فكرة موجزة عليها. ضمن الخطة الآتية:

المطلب الأول: المصنفات الجزائرية في القراءات السبع والعشر جمعا وإفرادا.

المطلب الثاني: المصنفات الجزائرية في علمي الرسم والضبط.

المطلب الثالث: المصنفات الجزائرية في قراءة النافع وطرقها.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

تمهيد

من الباحثين الأوائل الذين كتبوا في هذا الموضوع العلامة المؤرخ الشيخ المهدي البوعبدلي في بحثه "إسهام علماء الجزائر في علم القراءات في القديم والحديث"¹، وقد اقتصر فيه على نماذج فقط لهؤلاء العلماء دون استيعاب، ومما يميزه ذكره لبعض ما وقف عليه من تراث هؤلاء ونقل نصوص من ذلك.

وكما نجد العلامة المؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله -رحمه الله- قد أبرز في موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي "جوانب من جهد الجزائريين في هذا العلم في الفترة العثمانية والاستعمارية" بحكم أن الكتاب مخصص لهذا الفترة.

وللدكتور أبي بكر كافي مقالين في هذا الصدد أولهما: "جوانب من جهود علماء الجزائر في خدمة القراءات - من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجريين"². وقد تناول نماذج من

1 - البحث منشور ضمن الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي: 1/61-79

2 - نشر بمجلة المعيار لكلية أصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، عدد 2، سنة 2002م.

علماء القراءات في القرن الخامس والسادس والسابع الهجري فقط.
والثاني: "عناية الجزائريين برسم القرآن الكريم و ضبطه - تأليفا وتديسا وتطبيقا " وهو
يهتم بجهود علماء الجزائر بهذين العلمين من علوم القراءات تأليفا وتديسا¹.
وللدكتور مهدي دهيم بحث بعنوان "جهود علماء الجزائر في القراءات القرآنية - منطقة
زواوة أنموذجا"² تناول فيه عددا لا بأس به من علماء القراءات في منطقة زواوة مع
التعريف ببعض مؤلفاتهم المطبوعة والمخطوطة
ونظرا لكثرة هذه الجهود وتفرقها فسكتفي بذكر بعضها فقط، حسب القرون،
مستفيدين من تلكم البحوث والدراسات، مع بعض الإضافات الملتقطة من مصادر التراجم
العامة، وتراجم القراء، وكتب التاريخ والتراجم والأثبات والفهارس الجزائرية.
وقد عرف الجزائريون العناية بالقرآن الكريم منذ الفتح الإسلامي قراءة وحفظا
إذ كان الفاتحون حرصين أشد الحرص على تعليم السكان الأصليين القرآن الكريم، وقد
تولى ذلك عدد من الصحابة والتابعين³

وقد عرف المغاربة قراءة الإمام نافع المدني -رحمه الله- وذلك مع رحلات الحج، فتلقى
الكثير منهم عن أصحابه وأصحاب أصحابه، وسبب انتشار قراءة نافع بين المغاربة، هو ثناء
الإمام مالك بن أنس - الذي التزم معظم أهل المغرب العربي بمذهبه - فقد ثبت عنه أنه
قال: "قراءة أهل المدينة سنة، فقليل له: قراءة نافع؟ قال: نعم"⁴.

كما التزم المعلمون بهذه القراءة يعلمونها الصبيان ولم يمنعوا من تعليم غيرها من
القراءات الصحيحة كقراءة حمزة وأبي عمرو البصري وغيرها، فهذا محمد بن سحنون
يقول: "ويلزمه - يعني معلم الصبيان - أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة، وهو مقراً
نافع، ولا بأس إن أقراهم لغيره مالم يكن مستتبشعا"⁵.

ومن هنا تعرف أهل المغرب على القراءات القرآنية، وقد نشط بعض المغاربة للرحلة في
طلبها وتعلمها، كما رحل إلى الجزائر جماعة من العلماء ونزلوا في بعض مدنها وحواضرها
العلمية، كجاية، وتلمسان، ووهران، والعاصمة، وقسنطينة، وتوات، وغيرها، وكان لهم
إسهام في نشر هذا العلم بين أبناء الجزائريين، وكانت لهم بصماتهم فيه.

المطلب الأول: المصنفات الجزائرية في القراءات السبع أو العشر جمعا وإفرادا
فهؤلاء جماعة من العلماء الذين خدموا القراءات من الجزائريين بالتأليف والتصنيف
ممن ولدوا فيها أو نزلوها، أو كانوا من أصول جزائرية ثم رحلوا عنها، مرتباً لهم حسب

1- تمت المشاركة به في ملتقى "حفظ القرآن الكريم وترتيبه في الجزائر الواقع والآفاق" المنعقد بجامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة يومي 27/28 أفريل 2003 والبحث منشور.

2- نشر ضمن بحوث مؤتمر القراءات بالمغرب

3- ينظر القراءات بإفريقية من الفتح حتى منتصف القرن الخامس الهجري، لهند شلي، الدار العربية
للكتاب، ص 38.

4 - غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: 331/2-332.

5 - آداب المعلمين لمحمد بن سحنون، تونس 1972، ص 102.

القرون ليسهل تناولهم :

لا نعرف من ألف في القراءات من الجزائريين قبل القرن الخامس، وأقدم المصنفات التي وصلتنا هي في القرن الخامس

القرن الخامس:

ومن أشهر علماء الجزائر في القراءات في القرن الخامس الإمام أبو القاسم يوسف بن جبارة الهنلي البسكري (403-465هـ) الذي نشأ ببسكرة، ثم رحل منها إلى الآفاق في طلب القراءات¹، وقد صنف كتاب "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة" وهو من أمهات كتب الفن، وقد اعتمده ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر". وكتابه مطبوع ومتداول.

- عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس أبو محمد المالكي الزواوي: شيخ مشايخ الإقراء بدمشق، إمام بارع صالح محقق فقيه ثقة، ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة أو قبلها بباجة، وقد مصر وهو شاب، فقرأ بالإسكندرية على أبي القاسم بن عيسى بالروايات وبمصر بالعنوان والتبصرة على أبي العزم محمد بن عبد الخالق، ثم قدم دمشق سنة سبع عشرة وستمائة، فقرأ القراءات على شيخها أبي الحسن السخاوي، وبأشر مشيخة الإقراء الكبرى بالترية الصالحية بعد أبي الفتح مع وجود أبي شامة، فأنهت إليه رئاسة الإقراء بالشام، وهو أول من ولي قضاء المالكية بدمشق لما صارت القضاة أربعة على كره منه فباشره تسع سنين، فلما مات رفيقه القاضي الحنفي ابن عطاء عزل نفسه. قرأ عليه إبراهيم بن فلاح الأسكندري، والشيخ الحسين بن يوسف الكفري، والتقى أبو بكر الموصلي والشيخ محمد المصري، والشيخ أحمد الجزان، وأكثر عنه الشهاب أحمد بن النحاس الحنفي، والزين بياض المزي، ومحمد بن عبد العزيز البياني، وألف كتاباً في عدد الآي وكتاب التنبيهات على معرفة ما يخفي من الوقوفات² توفي في شهر رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة عن اثنتين وتسعين سنة أو أكثر³.

- أحمد بن أحمد بن أحمد بن عامر أبو جعفر السلي الأندلسي إمام مقري أديب، قرأ بمالقة علي أبي بكر بن الفخار وبغرناطة علي أبي جعفر الجزيري الكفيف، ونظم أرجوزة سماها زهر الغرر في عدد آيات السور وذكر الأعداد على حرف أبي جاد وقصيدة في ذكر توسط المنازل في الشهور بمعرفة وقت الفجر والسحور، مات ببجاية في حدود سنة سبع وأربعين وسبعمائة ذكره ابن الخطيب في الإحاطة⁴.

القرن التاسع:

وقد عرف أعلاماً في القراءات منهم: الشيخ العلامة المفسر أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ)⁵ له كتاب: "المختار من الجوامع في شرح الدرر

1 - تنظر ترجمته في غاية النهاية/1:222، وشذرات الذهب:3/324، ومعجم أعلام الجزائر:ص 147.

2 - حقق في رسالة ماجستير بليبيا

3 - غاية النهاية في طبقات القراء - (1/171)

4 - غاية النهاية في طبقات القراء - (1/15)

5 - ينظر: تعريف الخلف:1/68، ومعجم أعلام الجزائر:ص 91.

اللوامع"، وهو شرح لمنظومة ابن بري الدرر اللوامع في أصل مقراً نافع " وهو مطبوع.
القرن العاشر:

وممنهم الشيخ محمد بن محمد بن العباس التلمساني الشهير بأبي عبد الله (ت 920هـ) له شرح على المسائل المشكلات في مورد الظمئان¹.

القرن الحادي عشر: وقد عرف أعلاما في هذا الفن منهم:

العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الواحد السلجماسي الجزائري (ت 1057هـ) له شرح على الدرر اللوامع².

الشيخ العلامة عبد الكريم ابن الفكون القسنطيني (ت 1073هـ) له شرح على مخارج الحروف من الشاطبية³.

القرن الثاني عشر: وفيه نجد جملة من الأئمة والعلماء المعتنين بالقراءات منهم:

وممنهم العلامة إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة التلمساني الفاسي (ت 1137هـ) من كبار علماء القراءات في المغرب في عصره، وله العديد من التأليف والتقاييد في القراءات نظما ونثرا⁴ منها: المقدم في اختلاف القراء السبعة، وقد طبعت.

وكذا ولده العلامة عبد الرحمن بن إدريس المنجرة التلمساني (ت 1179هـ) مقرئ من كبار العلماء، نشأ بتلمسان وأخذ عن مشيختها، ثم انتقل إلى فاس بالمغرب، له مؤلفات مهمة في علم القراءات، منها: حاشيته على فتح المنان الموري بمورد الظمئان لابن عاشر، وحاشية على شرح الجعبري للشاطبية⁵.

القرن الثالث عشر: وقد عرف علماء في هذا الفن منهم:

وممنهم أيضا: العلامة المفتي محمد بن محمود بن حسين بن العنابي (ت 1267هـ)، وكان مشاركا في علوم عدة، وقد صنف كتابا في التجويد سماه "العزیز في علم التجويد"⁶.

القرن الرابع عشر: وقد ظهر فيه علماء كبار كان لهم اعتناء بالقراءات تدريسا وتأليفا ومن هؤلاء: الشيخ علي بن عبد الرحمن المعروف بابن الحفاف (ت 1307هـ) فقيه محدث مقرئ، له: "كتاب منة المتعال في تكميل الاستدلال"⁷ في القراءات السبع، وقف عليه الشيخ المهدي بوعبدلي وذكر أنه يقع في 467 صفحة.

المطلب الثاني: المصنفات الجزائرية في علمي الرسم والضبط

أقدم من وقفت عليه صنف في علمي الرسم والضبط من الجزائريين الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن خضر الصدي الشاطبي البجائي (ت 647هـ)⁸، وهو فقيه

1 - ينظر البستان: ص 259.

2 - تنظر ترجمته في: تعريف الخلف: 1/77-73.

3 - معجم أعلام الجزائر: ص 254.

4 - تنظر ترجمته في الاعلام: 1/280 و فهرس الفهارس: 8/2.

5 - معجم أعلام الجزائر، ص 70.

6 - معجم أعلام الجزائر: ص 245.

7 - ينظر: تعريف الخلف: 2/260 ومعجم أعلام الجزائر: ص 121.

8 - ترجمته في عنوان الدراية: ص 85-91.

مقرئ متقن مجود، لقي المشايخ ببجاية، وأجاز له العلماء بفاس والأندلس، قال عنه تلميذه الغبريني: "له رواية واسعة، ومعرفة بالقراءات، ما رأيت أتقن منه في القراءات، ولا أضبط منه في طريق الروايات، ألف كتابا في مرسوم الخط، وهو كتاب حسن كثير الفائدة".¹ وله مؤلفات أخرى وجهود في القراءات²، وهذا الكتاب الذي استحسنته الغبريني، ووصفه بكثرة الفوائد لا نعرف عنه اليوم شيئا، لا عنوانه ولا مكانه.

ومن العلماء الجزائريين الذين كانت لهم يد في التأليف في هذين العلمين، الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن العباس التلمساني (ت 920هـ).

وإن كان كتاب أبي العباس الصدي البجائي قد فقدناه ففقدنا بذلك كترا ثميناً، فإن العناية الإلهية قد حفظت لنا كتابا لإمام في هذا الفن من علماء الجزائر، كان ولا يزال إلى يومنا هذا معتمداً للكاتبين والضابطين لكتاب الله تعالى وهو كتاب "الطراز في شرح ضبط الخراز" للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله التنسي (ت 899هـ) ينسب إلى "تنس" المدينة الجزائرية المشهورة، لأنه ولد بها، وينسب إلى تلمسان لأنه نزل واستقر بها.

وهو من الأئمة الكبار الذين انتهت إليهم رئاسة الحديث وسائر الفنون في القرن التاسع، وكانت له عناية بعلم الضبط وصنف فيه كتابه الآنف الذكر.

وهو شرح لذيّل مورد الظمان في علم الضبط، وفيه إضافات وتتمات لم يذكرها الناظم، وأسلوبه مرسل مع جزالة الألفاظ وحسن الاختيار، وجودة التركيب، ليس فيه غموض أو تعقيد، وشرحه مفهوم وواضح، وهذا لسعة علمه ودقة فهمه، وتمكنه من هذا الفن، وكونه أديبا عالما مفسرا مقرئا، وشرحه متوسط، فليس طويلا مملا، ولا مختصرا مخلّا، فهو بهذا يمتاز عن سائر الشروح لضبط الخراز.

كما يمتاز بالتعليل والتوجيه لأغلب الحكم التي يذكرها، وذلك واضح جلي في شرحه، وله ترجيحات مهمة موافقة لما عليه أغلب علماء الفن.

كما اهتم بنقل كلام أئمة الفن الكبار، وخاصة الإمامين أبي عمرو الداني في كتابيه المحكم وذيل المقنع وأبي داود في التنزيل وذيله، وأعرض عن الآراء، والأقوال الواهية، وإن نقلها وبين ضعفها، وذكر الراجح والمختار منها.³

كما رد على كثير من المتأخرين في اعتراضاتهم على المتقدمين من علماء هذا الفن ومناقشتهم مناقشة علمية دقيقة تبين عن غزارة علم، وتمكن في الفن وطول باع.

أهميته وقيّمته العلمية :

نال نظم الخراز في الضبط اهتمام علماء الرسم والضبط، فكثرت عليه الشروح والحواشي والتعليقات والتعقيبات والاستدراكات، وعلى الرغم من كثرة هذه الشروح، فإن شرح الإمام التنسي قد حظي بالاعتناء البالغ، واحتل مكانة رفيعة بين شروح الضبط، ونال

1 المصدر السابق ص 86.

2 المصدر نفسه ، وانظر: المعيار عدد 2 ، جوانب من جهود علماء الجزائر ص 62.

3 انظر: مقدمة تحقيق كتاب الطراز ص 145-160.

إعجاب علماء الرسم والضبط، فمدحوه وأثنوا عليه، فمن ذلك ما قاله تلميذه أحمد بن داود الأندلسي: "وكتاب الطراز في شرح ضبط الخراز أجاد فيه وأفاد، وأحسن ما شاء وأراد". ومما يدل على قيمة هذا الشرح أن مخطوطاته بلغت عددا كبيرا جدا، يدل على شهرته وأهميته، وانتشاره، وعموم النفع به سائر الأقطار، وما ذلك إلا لعظم مكانته، وكثرة فوائده وحسن وضعه، فشرقت نسخه وغربت".

ومما يدل على أهميته أن تناول الضبط على قراءة نافع من راويه ورش وقالون، وبقيّة ضبط القراء العشرة في غالب حاله لا يخرج عن ضبط ورش وقالون، لأن الضبط قوانين وكميات لجميع القراءات.

ولذلك اعتمده نساخ المصاحف على جميع القراءات، واستفاد منه علماء الرسم والضبط، واقتبسوا منه واستشهدوا بأقواله وأرائه في مؤلفاتهم نظما ونثرا، نظرا لما يحويه شرحه من من آراء واختيارات شخصية لم يسبق إليها، فاستحق أن يكون عمدة المتقدمين والمتأخرين. ومن العلماء الذين اعتمدوا عليه: المحقق عبد الواحد بن عاشر الأندلسي، والعلامة إبراهيم المارغني، والشيخ رضوان المخللاتي، والشيخ علي الضباع، وكل هؤلاء من شيوخ القراءات والضبط والرسم. وجعلته كثير من لجان مراجعة المصاحف في العالم الإسلامي من مصادرها في مراجعة المصاحف وضبطها.¹

وقد حقق هذا الكتاب الدكتور أحمد شرشال الجزائري وهو أحد المتخصصين في هذا المجال، في رسالة ماجستير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وطبع بمجمع الملك فهد، ونحن ندعو إلى اعتماد هذا الكتاب في مقررات الدراسة في تخصص القراءات في مادة الضبط، لما له من الأهمية العلمية.

ومن العلماء الذين كانت لهم يد في تأليف هذين العلمين الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن العباس التلمساني² (كان حيا سنة 920هـ)، والمؤلف من تلامذة الإمام التنسي ذكرله صاحب البستان كتاب "شرح المسائل المشكلات في مورد الظمان"، ويستفاد منه أنه أجاب فيه على بعض المسائل العلمية المشككة في مورد الظمان للخراز، وللأسف الشديد هذا الكتاب مفقود ولا نعرف عنه شيئا.

ومن العلماء الذين كانت لهم مشاركة مهمة في التصنيف في هذين العلمين، الإمام أبو عبد الله محمد شقرون الوهراني (ت 929هـ)، وهو من كبار علماء وقته من تلامذة الإمام ابن غازي كان إماما متبحرا في الحديث والفقه والأصول والقراءات، له أيضا تقييد (تعليق) على مورد الظمان³ والكتاب لا يزال مخطوطا توجد نسخة منه في الرباط.⁴

1 انظر: المصحف برواية ورش وبرواية حفص وبرواية الدوري الصادرة عن مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف.

2 انظر ترجمته في البستان ص 259، ونيل الإبتهاج ص 334، وشجرة النور الزكية ص 276، ومعجم المؤلفين 227/11، ومعجم أعلام الجزائر ص 81.

3 انظر القراء والقراءات بالمغرب لسعيد اعراب ص 48 و 82-83.

4 تاريخ الجزائر الثقافي 22/2.

فهؤلاء نماذج من علماء الجزائر الذين أسهموا في التأليف في هذين العلمين، ولا شك أن هناك علماء آخرين ساهموا في هذا الميدان لا يسع المقام لاستيعابهم في مثل هذه العجالة.

المطلب الثالث: المصنفات الجزائرية في الطرق النافعية

لقد كان للجزائريين اعتناء خاص بقراءة نافع ورواياتها وطرقها العشرة، فنقلوها بالسند المتصل إلى أصحابها، وأقرأوها وعلموها، وصنفوا فيها كتباً ومنظومات وتقييد كثيرة ومهمة فمن هؤلاء:

الإمام أبو عبد الله محمد شقرون الوهراني (ت 929هـ)¹، تلميذ الإمام ابن غازي، له القصيدة اللامية المسماة بـ"تقريب المنافع في الطرق العشر لنافع" وقد نشرها الدكتور حميتو في كتابه "قراءة نافع عند المغاربة"، وله أيضاً تعليق على مورد الظلمات في رسم القرآن. والعلامة الشيخ محمد بن أبي القاسم البوجلي (ت 1314هـ) له كتاب التبصرة في قراءة العشرة، وقد حققه الشيخ حسين وعليلي وقد ترجم للمصنف وشيوخه وتلاميذه تراجم وافيه فجزاه الله خيراً².

ومن المصنفات في الطرق النافعية: قصيدة ابن أم رزق في الطرق العشر النافعية أما بخصوص عنوانها فقد اشتهرت باسم التبصرة قال ناظمها:

سميتها تبصرة المبتدئين *** لإخوتي ولجميع المومنين

كما ذكرها بهذا الاسم العلامة سيدي السعيد الزلاي إذ قال: "كما قال سيدي البشير في تبصرته" (...).

أما عدد أبياتها ففيه اختلاف يسير من زيادة ونقصان ففي النسخ التي بين أيدينا وردت في نسختين 187 بيت وفي نسخ 181 بيت ولعل سبب هذا الخلاف راجع إلى تهذيبها من مؤلفها أو إلى إسقاط وإثبات من نساخها أسأل الله التوفيق والسداد علي توثيق الزيادة والنقصان. أما تاريخ نظمها فلا ندري في أي تاريخ نظمت بالضبط إلا أننا نستطيع إثبات زمن ومرحلة تأليفها وهذا بالرجوع إلى الزمن الذي عاش فيه مؤلفها ومن عاصر من المشايخ كالعلامة الخريت عبد الله بن الخراط الذي قال فيه العلامة محمد بن أبي القاسم البوجلي في كتابه التبصرة أنه توفي عام 1275هـ وعليه أن سيدي محمد البشير من علماء القرن الثالث عشر للهجرة.

نظمه العلامة المتقن المحقق سيدي محمد البشير ابن أم رزق في بسط أوجه الخلاف وإبراز الوجه المقدم أداء في حروف خاصة جاءت عند الجمع للطرق العشر النافعية لا عند الأفراد.

أما مميزاتها فهذه القصيدة انفردت عن غيرها في ذكر أوجه الخلاف فقط مع ذكر الوجه المقدم أداء في مواضع خاصة وهو المعروف عند المحققين بعلم التحريرات فهذا بحر قل من يخوضه من العلماء فضلاً عن طلبة العلم فهذا الفن خاص بفئة خاصة من

1 - ينظر: معجم أعلام الجزائر: ص 189، وتاريخ الجزائر الثقافي: 2/22.

2 - أصل الكتاب رسالة ماجستير في كلية العلوم الإسلامية بقسم اللغة والحضارة- نوقشت عام 1428هـ، وقد طبعت أخيراً في دار ابن حزم ببيروت.

العلماء فهو دقيق في بسط أوجه الخلاف وذكر الوجه المصدر والمقدم في الأداء رواية عن أهل العلم. فقد قال في مقدمتها :

في الطرق العشرة المنسوبة *** لابن أبي رؤيم ذي الدعابة
لقد لقيت هذه القصيدة عناية لدى علماء زواوة فأقبلوا على الاستدلال بها لسهولة ألفاظها وكثرة فوائدها، فهم بحاجة إليها للقراءة والإقراء لأنها وضعت لجمع القراءات ولتجنب التلفيق والخلط في الطرق فكانت حصنا منيعا يتحصن به القارئ والمقرئ للحفاظ على سنن التلاوة الصحيحة. ولذلك كانت هذه القصيدة ظاهرة في تأليف البوجليلي وفي حواشي العلماء كالعلامة محمد القاضي بن الشيخ القاضي والعلامة سيدي السعيد الزلالي¹.

- ومن الكتب والمنظومات والتقائيد في الطرق العشرية:
- تقييد العلامة المقرئ سيدي العربي الأخداشي الموضوع العشر النافعية
 - تقييد العلامة المقرئ سيدي ابن عنتر البتروني أفراد ورش وقالون
 - تقييد العلامة المقرئ سيدي ابن أم رزق الموضوع للعشر النافعية
 - منظومة العلامة المقرئ سيدي ابن أم رزق الموضوع العشر النافعية
 - تقييد العلامة المقرئ سيدي ابن تريفغ اليعلاوي الموضوع العشر النافعية
 - تقييد تقييد بعض طلبة سيدي العربي البتروني عن ابن القاضي الفاسي الموضوع العشر النافعية
 - تقييد العلامة المقرئ سيدي ابن أم رزق الموضوع تقييد أوجه عادا الأولى:
 - تقييد للعلامة المقرئ سيدي الحسن بن قري
 - تقييد العلامة المقرئ سيدي قدور الدرعي الجزائري الموضوع العشر النافعية
 - تقييد العلامة المقرئ سيدي محمد العربي الحرزوني البتروني الموضوع العشر النافعية
 - تقييد العلامة المقرئ سيدي عمر بن النجار الموضوع العشر النافعية
 - تقييد العلامة المقرئ سيدي ابن سعيدان الموضوع العشر النافعية.
 - منظومة درة المنافع العشر النافعية.
 - تقييد لرواية قالون للقرومي (قرومة البويرة)².

الخاتمة

- هذه نماذج يسيرة، وغيض من فيض، مما يناسب هذا المقام، وسنفصل في هذا الموضوع أكثر في مناسبة أخرى بحول الله تعالى. ونخلص من هذه الجولة السريعة إلى الآتي:
- المساهمة الكبيرة لعلماء الجزائر في التصنيف في القراءات بمختلف علومها من رواية ودراسة وسبع وعشر ورسم وضبط وعد الآي وتجويد وغيرها.
 - ضرورة العناية بالمصنفات الجزائرية : تكتشيفا وتعريف.
 - ضرورة إنشاء مخابر بحث متخصصة في التراث الجزائري بمختلف فنونه.
 - القيام على تحقيق هذا التراث العلمي القيم في الرسائل الجامعية، وفرق بحث متخصصة.

1. أفاده محققها عدلان بن أحمد رفار السحاولة

2. أفاده عدلان بن أحمد رفار السحاولة في تحقيقه منظومة ابن أم رزق.

الفهرس الوصفي لمؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه المخطوطة والمطبوعة والمفقودة - دراسة وصفية إحصائية -

د / فؤاد عطاء الله

أستاذ مساعد متعاقد ومعهد العلوم الإسلامية . جامعة الوادي
fouadataallah1982@gmail.com

ملخص البحث

أسهم علماء الجزائر بجهد بارز ومشكور في خدمة القرآن الكريم وعلومه، إلا أن أعمالهم ومخطوطاتهم لم تجمع في مصنف واحد، ولم تحظ بدراسة إحصائية تحليلية توضع بين أيدي طلاب العلم، كما لم تحظ تلك المؤلفات بتصنيف دقيق يميز بين مطبوعها، ومخطوطها، ومفقودها.

وقد رام الباحث في هذا الفهرس التعريف بجهد علماء الجزائر رحمهم الله في التأليف في القرآن الكريم وعلومه، وإبراز خدمتهم للعلوم الشرعية والإسلامية. كما حرص على تصنيف مؤلفاتهم في علوم القرآن إلى مطبوعة ومخطوطة ومفقودة؛ فأحصى في هذا البحث ما يربو على ثمانين مصنفًا جزائريًا في القرآن الكريم وعلومه، ووضع بين أيدي الباحثين فهرسًا للعلماء الجزائريين الذين تركوا مؤلفات وأعمالًا في القرآن الكريم وعلومه.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين، وبعد:

أسهم علماء الجزائر بجهد بارز ومشكور في خدمة القرآن الكريم وعلومه، إلا أن أعمالهم ومخطوطاتهم لم تجمع في مصنف واحد، ولم تحظ بدراسة إحصائية تحليلية توضع بين أيدي طلاب العلم، كما لم تحظ تلك المؤلفات بتصنيف دقيق يميز بين مطبوعها، ومخطوطها، ومفقودها.

وقد اهتبلت فرصة انعقاد هذا الملتقى الوطني الهادف (جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه)، والذي ينظمه -مشكورا مأجورا- معهد العلوم الإسلامية بجامعة الشهيد حمّـة لخضر رحمه الله تعالى، وما ذلك إلا إدراك منه للواجب المحتّم تجاه علماء الجزائر وتراثهم الشرعيّ والقرآنيّ، فرأيت أن يكون موضوع بحثي بعنوان:

الفهرس الوصفي لمؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه المخطوطة والمطبوعة والمفقودة -دراسة وصفية إحصائية-

وهو فهرس وصفيّ جامع-بمشيئة الله تعالى- لمؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم

وعلموه، قصدت منه الإحصاء والتعريف، فأسأل الله التوفيق والسداد.

ويمكن أن أعرف بهذا البحث من خلال العناصر الآتية:

أهمية البحث:

يكتسي الحديث عن مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلموه أهمية كبيرة؛ يمكن توضيحها من خلال النقاط الآتية:

- الحديث عن مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلموه هو جزء من الحديث عن تراث الجزائر، وعقيدتها، وتاريخها، وهويتها، وانتمائها الحضاري، ولا شك أن هذا الأمر من المواضيع التي تحتاج إلى دراسة وبحث وتأصيل.
- يسعى هذا البحث إلى التعريف بإسهامات علماء الجزائر رحمهم الله في التأليف في القرآن الكريم وعلموه، ومن ثم إبراز جهود علماء الجزائر في خدمة العلوم الشرعية والإسلامية.
- يصنف هذا البحث مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلموه إلى مطبوعة ومخطوطة ومفقودة.

- أحصيت في هذا البحث ما يربو على ثمانين مصنفًا جزائريًا في القرآن الكريم وعلموه.
- يضع هذا البحث بين أيدي الباحثين فهرسًا لجميع العلماء الجزائريين الذين تركوا مؤلفات في القرآن الكريم وعلموه.
- يعتبر هذا البحث جزءًا من مشروع علمي أعكف منذ مدة على إنجازه، وهو موسوعة مؤلفات علماء الجزائر في العلوم الشرعية واللغوية، وهو ما أنطلع إلى التمهيد به وتتميمه: إذ أنني -بتوفيق الله تعالى-:

- ✓ قد حزت على الجائزة الأولى لأحسن كتاب جامع لمؤلفات المالكية عبر العصور -جرد وترتيب-، وكان ذلك ضمن فعاليات الملتقى الوطني حول مناهج التأليف الفقهي في المذهب المالكي، والذي عقد في مدينة غرداية في الجزائر شهر فيفري 2015م.
- ✓ وشاركت في المؤتمر الدولي حول (المخطوطات الجزائرية في عيون العرب والمستشرقين)، والذي عقد في جامعة أدرار، في شهر مارس 2015م برعاية مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، وكان عنوان مداخلتي: (الفهرس الوصفي الشامل لمؤلفات علماء الجزائر في الفقه الإسلامي وعلموه -المخطوطة والمطبوعة والمفقودة).
- ✓ كما شاركت في الملتقى الوطني حول (مساهمة الجزائريين في الأدب العربي القديم)، ببحث عنوانه: (الفهرس الوصفي الشامل لتراث الأدب الجزائري القديم -المخطوط والمطبوع والمفقود-)، بجامعة مدينة تلمسان في الجزائر شهر نوفمبر 2012هـ.
- ✓ وشاركت في الملتقى الدولي حول: (التراث العربي المخطوط في الجزائر وفي العالم العربي والإسلامي)، المنعقد في جامعة محمد خيضر ببسكرة- الجزائر، ببحث عنوانه: (الفهرس الوصفي لمؤلفات علماء الجزائر في اللغة العربية وعلموها المخطوطة والمطبوعة

والمفقودة -دراسة وصفية إحصائية-).

✓ وشاركت في الملتقى الوطني الأول حول: (الدّرس النّحوي لدى علماء الجزائر). المنعقد بجامعة الجزائر2 (أبو القاسم سعد الله) بالجزائر العاصمة، بمدخله عنوانها: (الفهرس الوصفيّ لمؤلّفات علماء الجزائر في النّحو العربيّ المطبوعة والمخطوطة والمفقودة -دراسة وصفية إحصائية-).

✓ كما أنني اعتنيت بتحقيق ونشر عدد من المخطوطات في القرآن الكريم وعلومه، وهي:
○ (شرح منظومة منحة ذي العرش فيما يتعلق برواية ورش) للكّيالي رحمه الله (ت:1172هـ) دراسة وتحقيق.

○ (المسألة في البسملة) للملّا علي القاري رحمه الله (ت:1014هـ) دراسة وتحقيق.
○ (تجويد الفاتحة) لسراج الدين النّسّار: (ت:938هـ) دراسة وتحقيق.
○ (الوقوف على حقيقة الحروف) لأبي إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبريّ (732هـ) دراسة وتحقيق.

مشكلة البحث:

يجيب هذا البحث عن جملة من التساؤلات المتعلّقة بمؤلّفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه، والتي يمكن عرضها على النّحو الآتي:
• ما هي مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه؟
• من هم العلماء الجزائريون الذين صنفوا في القرآن الكريم وعلومه؟
• هل طبعت جميع مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه؟ أم لا يزال جزء منها في خزائن المخطوطات؟
• ما الآمال والطموحات التي تتطلّع لها جامعاتنا تجاه المؤلفات المخطوطة التي صنفها علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه؟ وما أفضل السّبل لدراستها وتحقيقها والاستفادة منها؟

منهج البحث :

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مناهج متعدّدة:
المنهج التاريخي: استخدمته في عرض تاريخ المؤلفات الجزائرية في القرآن الكريم وعلومه.
المنهج الوصفي: استخدمته في وصف المؤلفات الجزائرية في القرآن الكريم وعلومه.
المنهج الإحصائي: استخدمته في دراسة وإحصاء المؤلفات الجزائرية في القرآن الكريم وعلومه.
وقد اتّبع في إنجاز البحث جملة من الخطوات المنهجية منها:
الأولى: جمعت المادة العلميّة من كتب ومصنّفات مختلفة، منها:
✓ كتب الفهارس مثل "هديّة العارفين".
✓ التراجم العامة مثل: (الأعلام) للزّركلي، وكذا الخاصة بأعلام الجزائر، مثل: (تعريف الخلف برجال السلف) للحفناوي، و(معجم أعلام الجزائر) لعادل نويمهض.

- ✓ فهارس خزائن المخطوطات في الجزائر وفي عدد من دول العالم.
- ✓ فهارس الرسائل الجامعية في عدد من الجامعات في العالم العربي والإسلامي.
- ✓ البرامج الإلكترونية الحديثة مثل: (قاعدة بيانات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي)، و(قاعدة بيانات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض)، و(قاعدة بيانات برنامج الموسوعة الشعرية).
- الثانية: أحصيت ما يربو على ثمانين مؤلفاً صنّفه علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه.
- الثالثة: رتّبت تلك المؤلفات زمنياً حسب سنة وفاة المؤلف.
- الرابعة: صنفت تلك المؤلفات إلى مطبوعة، ومخطوطة، ومفقودة:
- أما المطبوعة: فقد ذكرت أماكن حفظها، وبينت المعلومات المتعلقة بنشرها وطبعها.
- وأما المخطوطة: فقد ذكرت خزائن حفظها، مع أرقام الحفظ، ونحو ذلك من المعلومات المتعلقة بالنسخ الخطية.
- وأما المفقودة: وهي التي ليست ضمن المطبوعات؛ ولا يعرف لها وجود في خزائن المخطوطات، فقد اكتفيت بالإشارة إلى موضوعها، مع نسبتها إلى مؤلفها.
- وأشير هنا إلى أن تصنيف هذه الأعمال إلى مطبوع ومفقود ومخطوط قد يعتريه شيء من الوهم أحياناً، وذلك أن حركة البحث العلمي في خدمة التراث مستمرة في أكثر الجامعات العربية وغير العربية، وعليه فقد تحسب كتاباً ما من المفقودات بيد أنه محفوظ في خزانة تراثية ما، وقد تحسب كتاباً ما من المخطوطات بيد أنه حقّق في مكان ما.
- الخامسة: عرضت عناوين تلك المؤلفات وأسماء مؤلفيها وفق منهجية مطردة، يمكن شرحها كما يأتي:
- أثبت رقماً تسلسلياً أمام عنوان كل مؤلف.
- وضعت العنوان المشهور لكل مؤلف بين قوسين (...).
- أتبع كل عنوان بمعقوفتين [...] كتبت داخلها كلمة: [مخطوط]، أو [مطبوع]، أو [مفقود]، وهو تصنيف يشير إلى حالة الكتاب، ثم أثبت في الحاشية السفلية للمعقوفتين معلومات المؤلف في كل حالة.
- ذكرت اسم مؤلف الكتاب بعد العنوان: فبينت كنيته، ولقبه، واسمه الثلاثي أو الرباعي إن وجد، ونسبته، وحددت في آخر كل اسم الحاضرة العلمية التي ينتمي إليها داخل القطر الجزائري، ووضعت سنة وفاته بين قوسين (ت:....هـ).
- أشرت إلى مواطن ترجمة كل مؤلف، وأثبت ذلك في الحاشية السفلية.
- السادسة: صوّبت عدداً من التحريفات والتصحيحات الواقعة في أسماء المؤلفين وعناوين مؤلفاتهم.
- السابعة: استدركت أسماء عدد من العلماء الجزائريين الذي أسهموا في خدمة القرآن الكريم وعلومه، والذين غفل أصحاب التراجم عن الترجمة لهم.

الثامنة: استدركت عناوين عدد من المؤلفات التي غفل أصحاب التراجم عن نسبتها إلى مؤلفيها.
 التاسعة: أخضعت تلك المؤلفات إلى دراسة إحصائية يمكن إجمالها كالآتي:
 ❖ قارنت بين المؤلفات المخطوطة، والمطبوعة، والمفقودة، ومثلتها في دائرة نسبية، وذلك لمعرفة مدى نشاط الحركة العلمية في خدمة التراث الجزائري.
 ❖ قارنت بين عدد المؤلفات المصنّفة في كل قرن من القرون الهجرية، ومثلتها في منحنى بياني، وذلك لمعرفة فترات النشاط والفتور في حركة التأليف في علوم القرآن في الجزائر، وهو أمر يساهم في معرفة أطوار نشأة وتطور الحركة العلمية في الجزائر.
 ❖ قارنت بين عدد المؤلفات المصنّفة في كل حاضرة من الحواضر العلمية الجزائرية مثل: تلمسان، الجزائر، بجاية، قسنطينة، المسيلة، بونة، توات، وادي ميزاب، وادي سوف... الخ، ومثلتها في أعمدة بيانية، وذلك لمعرفة مدى نشاط الحركة العلمية داخل كل حاضرة، وهو أمر يساهم في المقارنة بين المدارس العلميّة الجزائرية، من حيث غزارة الإنتاج العلمي.
 وغير ذلك من المقارنات الإحصائية المتداخلة التي تهدف إلى الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الملاحظات والنتائج.

العاشرة: ذيلت البحث بعدد من النتائج العلميّة وجملة الملاحظات التاريخية.

خطة البحث:

- يشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:
- مقدمة: وفيها تعريف بالبحث، وبيان لأهميّته، وغير ذلك مما يذكر في مقدمات البحوث العلمية عادة.
- المبحث الأول: العلماء الجزائريون المشاركون في خدمة القرآن الكريم وعلومه ولم يؤلّفوا فيه.
- المبحث الثاني: مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه.
- المبحث الثالث: دراسة إحصائية لمؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه.
- خاتمة: وفيها إبراز لأهمّ نتائج البحث.

المبحث الأول

العلماء الجزائريون المشاركون في خدمة القرآن الكريم وعلومه ولم يؤلّفوا فيه
 شارك كثير من علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه؛ إلا أنهم لم يؤلّفوا فيه، ومنهم:

1. البوني، مروان بن علي الاسدي القطان، أبو عبد الملك البوني، العنّابي (؟-439هـ)، مفسّر¹.

1 انظر ترجمته في: "ترتيب المدارك" للفاضل عياض: (259/7)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي: (602/9)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي: (174/7)، و"معجم المؤلفين" لكحالة (221/12)، و"شجرة النور الزكية": (170/1)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويّض: (ص:52).

2. ابن الأثيري، حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب، أبو علي، ويعرف بابن الأثيري، التلمساني (...-؟ بعد 569هـ)، عارف بالقراءات.¹
 3. التلمساني، فتح بن عبد الله، أبو نصر المرادي، التلمساني (أوائل القرن السابع الهجري)²، من جلة المقرئين في المغرب في عصره، وقرأ على ابن هُذيل (ت: 564هـ).
 4. ابن الخضار، علي بن محمد، أبو الحسن، الضَّير، الكتامي، يعرف بابن الخضار، التلمساني (...-؟ 677هـ)، إمام مقرئ، معروف بإحكام القراءات وحفظها.³
 5. ابن الإمام، أحمد بن عبد الله بن عمر عبد المعطي الجزائري، أبو العباس، عرف بابن الإمام، ونعت بالشرف، (610- حيا 683هـ)، رحل إلى المشرق، وأخذ عن الإمام الكبير علي بن هبة الله بن سلامة المعروف بابن الجميزي أعلى أهل زمانه اسنادا في القراءات.⁴
 6. الملي، يحيى بن موسى بن سعيد بن أحمد، أبو زكريا الغماري، المعروف بالملي، البجائي (...-؟ 760هـ)⁵، مقرئ بجاية في وقته.
 7. البسكري، عبد الله بن إبراهيم البسكري (...-؟ 829هـ)، من كبار المقرئين في وقته، رحل إلى المشرق ونزل بيت المقدس بفلسطين، وأقرأ القرآن بالمدرسة السَّلامية.⁶
 8. ابن سرور، سرور بن عبد الله بن سرور، أبو الوليد، ويقال أبو الفرج، القسنطيني (791-845هـ)⁷، عارف بالقراءات.
 9. المصعصع البجائي، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن سليمان الصدقاوي، الزواوي الأصل، ثم البجائي، ويعرف بالمصعصع، البجائي (816-882هـ)، له إمام بالتفسير.⁸
 10. ابن فاكهة، أحمد بن محمد بن علي بن أحمد اللياني البسكري، ويعرف بابن فاكهة.
-
- 1 انظر ترجمته في: "تاريخ الإسلام" للذهبي: (407/12)، و"معجم المؤلفين" لكحالة: (238/3)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويض: (ص: 16).
 - 2 انظر ترجمته في: "غاية النهاية في طبقات القراء" لابن الجزري: (6/2)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويض: (ص: 74).
 - 3 انظر ترجمته في: "غاية النهاية في طبقات القراء" لابن الجزري: (579/1)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويض: (ص: 73).
 - 4 انظر ترجمته في: "الإحاطة في أخبار غرناطة": (312/2)، و"بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة": (318/1)، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويض: (ص: 97).
 - 5 انظر ترجمته في: "غاية النهاية في طبقات القراء" لابن الجزري: (379/2)، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويض: (ص: 331).
 - 6 انظر ترجمته في: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسَّخاوي: (4/5)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويض: (ص: 42).
 - 7 انظر ترجمته في: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسَّخاوي: (245/3)، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويض: (ص: 366).
 - 8 انظر ترجمته في: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسَّخاوي: (149/1)، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويض: (ص: 32).

- البسكري (846- بعد 890هـ)، له مشاركة في علوم القرآن¹.
11. السلكسيني، علي بن يحيى السلكسيني الجاديري، أبو الحسن، التلمساني (...؟-972هـ)، عارف بالتفسير².
12. الراشدي، علي بن عيسى الراشدي التلمساني (...؟-980هـ)، أستاذ القراءات، استوطن مدينة فاس واستهلّ عمله فيها بتدريس الكرايس، وهي المنظومات الأوليّة المتعلقة بضبط القرآن ورسمه وتجويده، ثم أسند إليه كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء، فدرسها زمنا طويلا وختمها مرات³.
13. ابن الوقّاد، محمد بن أحمد بن محمد، المعروف بابن الوقّاد، التلمساني (...؟-1001هـ)⁴، كان عالما بالتفسير.
14. ابن مقداش، أحمد بن مقداش، أبو العباس، الجزائري (...؟-1247هـ)، مقرئ كبير، كان آية زمانه في علم القراءات بالروايات السبع⁵.
15. عباس بن حمّانة (...-1332هـ)⁶، أنشأ في تبسة (1913م)، فلم يرق ذلك للاستعمار، وأغلقوا المدرسة بعد ستة أشهر من تأسيسها.
16. ابن بكير، محمد بن بكير التاجر، الميزابي (...؟- نحو 1358هـ)، أنشأ مدرسة قرآنية في ورجلان⁷.

المبحث الثاني

مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه

ألف علماء الجزائر عددا كبيرا من الكتب والمصنفات في القرآن الكريم وعلومه، هذا ما ييسّر الله تعالى الوقوف عليه:

القرن الثاني الهجري

1. (تفسير القرآن) [مفقود].

المؤلف: عبد الرحمن بن رستم بن بهرام، الإباضي، التيمرتي (...؟-171هـ).

القرن الثالث الهجري

2. (تفسير القرآن الكريم) [مخطوط]⁸.

1 انظر ترجمته في: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسّخاوي: (145/2)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:19).

2 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:73).

3 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:72).

4 انظر ترجمته في: "معجم المفسرين"، (795/2)، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:343).

5 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:309).

6 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:123).

7 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:44).

8 منه نسخ مخطوطة بالعطوف.

المؤلف: هود بن محكم الاوراسي الهواري، الإباضي، التمهاتي (...-250هـ).

القرن الخامس الهجري

3. (أحكام القرآن) [مطبوع]¹.

المؤلف: الباغائي، أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو العباس الربيعي الباغائي، الأوراسي (345-401هـ)².

4. (الكامل في القراءات) [مطبوع]³.

5. (الوجيز) [مفقود].

6. (الهادي) [مفقود].

المؤلف: الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد أبو القاسم، الهذلي، البسكري (403-465هـ)، مقرئ، كان كثير الترحال في طلب القراءات المشهورة والشاذة، عيّنه نظام الملك مقرئاً في مدرسته بنيسابور سنة 458هـ، فمكث فيها ناشراً علمه بها إلى أن توفي⁴.

القرن السادس الهجري

7. (تفسير القرآن الكريم) [مفقود].

المؤلف: الورجلاني، يوسف بن ابراهيم بن مياذ السدراتي، أبو يعقوب، الإباضي، الورجلاني (500-570هـ)⁵.

القرن السابع الهجري

8. (تفسير القرآن الكريم) [مفقود].

المؤلف: الوهراني، علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك، أبو بكر، ويقال: أبو الحسن، الوهراني (...-615هـ)⁶.

9. (فرقان الفرقان وميزان القرآن) [مفقود].

المؤلف: التلمساني، محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري، التلمساني (526-625هـ)⁷، مقرئ.

1 يوجد منه نسخة في (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية)، الرياض- السعودية، رقم الحفظ: (1292- ف).

وقد طبع جزء منه يتضمن تفسير سورتي "الفاتحة" و"البقرة" بتحقيق: سليمان بن عبد العزيز السليمان، برعاية جامعة الملك سعود.

2 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:362).

3 طبع بتحقيق: جمال بن السيد رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر، مصر، 2008م.

4 انظر ترجمته في: "تاريخ دمشق" لابن عساكر: (247/74)، "تاريخ الإسلام" للذهبي: (135/10)، و"معرفة القراء الكبار" للذهبي: (ص:239)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:43).

5 انظر ترجمته في: "معجم المفسرين" لنويمض: (808/2)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:342).

6 انظر ترجمته في: "تاريخ الإسلام" للذهبي: (461/13)، و"ديوان الإسلام" لابن الغزي: (218/2)، و"الأعلام" و"الأعلام" للزركلي: (304/4)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:349).

7 انظر ترجمته في: "تاريخ الإسلام" للذهبي: (751/13)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:77).

10. (منظومة في القراءات) [مفقود].
 المؤلف: الزّواوي، يحيى بن عبد المعطي بن عبد النّور الزّواوي، أبو الحسين، زين الدّين، البجائي (564-628هـ).
 11. (تفسير القرآن الكريم) [مفقود].
 المؤلف: التلمساني، يحيى بن محمد بن موسى التجيبي، أبو زكريا، التلمساني (...-652هـ)¹، مُفسّر.
 12. (جلاء الأبصار في القراءات) [مفقود].
 المؤلف: ابن القلال، علي بن عبد الله بن أبي بكر الطيب، زين الدين، أبو الحسن بن القلال، الجزائري (...-؟- حيا 668هـ)²، من كبار المقرئين في وقته.
 13. (عدد الآي) [مفقود].
 14. (التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات) [مفقود].
 المؤلف: الزواوي، عبد السلام بن علي بن عمر بن سيّد النَّاس، أبو محمد الزّواوي، البجائي (589-681هـ)³، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق، قرأ بالاسكندرية على أبي القاسم بن عيسى، وبالقاهرة على أبي العزم محمد بن عبد الخالق، ثم انتقل الى دمشق سنة 617هـ، فقرأ على شيخها أبي الحسن السخاوي، وياشر مشيخة الإقراء الكبرى بالترية الصالحية، فانهت اليه رئاسة الإقراء بالشّام.
 15. (مختصر كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني) [مفقود].

المؤلف: المعافري، أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري، أبو العباس، المسيلي (القرن 7هـ)⁴.

القرن الثامن الهجري

16. (فهرست مقروءاته ومروياته)، في مجلّد [مفقود].
 المؤلف: أحمد بن محمد بن علي، أبو العباس، الزواوي، القسنطيني (...-750هـ)⁵، شيخ القراء بالمغرب في وقته، قرأ بالمغرب علي مقرر فاس، علي بن سليمان القرطبي، ومالك ابن المرحل إمام وقته بالقراءات، وروى عن أبي جعفر ابن الزبير وغيره. روى القراءة عنه أحمد بن مسعود بن الحجة التونسي، لقيه سنة 748هـ بقسنطينة، قال ابن خلدون: "كان إماما

1 انظر ترجمته في: "تاريخ الإسلام" للذهبي: (737/14)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:83).
 2 انظر ترجمته في: "معرفة القراء الكبار" للذهبي: (ص:356)، و"معجم أعلام الجزائر" لنويمض: (ص:265).
 3 انظر ترجمته في: "تاريخ الإسلام" للذهبي: (451/15)، و"معجم المؤلفين" لكحالة: (228/5)، "معجم أعلام أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:162).
 4 انظر ترجمته في: "معجم المؤلفين" لكحالة: (124/2)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:306).
 5 انظر ترجمته في: "غاية النهاية في طبقات القراء" لابن جزري: (125/1)، و"الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" لابن حجر: (342/1)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:161).

- في القراءات لا يجارى، وله صوت من مزامير داود".
17. (تقييد في التفسير) [مفقود].
- المؤلف: المسيلي، أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي (...؟- بعد 780هـ)¹.
18. (تفسير القرآن) [مفقود].
- المؤلف: محمد بن علي الخروبي الطابلسي أو السفاسقي، أبو عبد الله، الجزائري (710-789هـ)².
- القرن التاسع الهجري
19. (تفسير سورتي الأنعام والفتح) [مفقود].
- المؤلف: التلمساني، سعيد بن محمد بن محمد بن محمد التجيبي، العقباني، التلمساني (720-811هـ)³.
20. (تفسير سورة الفتح) [مفقود].
- المؤلف: التلمساني، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الحسني، أبو يحيى، التلمساني (757-826هـ)، عالم بالتفسير⁴.
21. (اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة) [مفقود]، في الفقه والتفسير.
22. (أرجوزة الفية في محاذاة الشاطبية) [مفقود].
23. (تفسير سورة الإخلاص) [مفقود].
- المؤلف: ابن مرزوق الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، العجيسي التلمساني، أبو عبد الله، المعروف بالحفيد (766-842هـ)⁵.
24. (أبحاث في التفسير) [مفقود]، تكلم فيها مع الإمام المقرئ في مسائله التفسيرية.
- المؤلف: ابن الإمام، محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، ابن الإمام، أبو الفضل، التلمساني (...؟-845هـ)⁶.
25. (تفسير الفاتحة) [مفقود].
26. (مقدمة في التفسير) [مفقود].
- المؤلف: ابن زاغو، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، الشهير بابن زاغو، المغراوي، التلمساني (782-845هـ)⁷.

1 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:299).

2 انظر ترجمته في: "الأعلام" للزركلي: (292/6)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:132).

3 انظر ترجمته في: "طبقات المفسرين" للدودي: (189/1)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:236).

4 انظر ترجمته في: "معجم المفسرين" لعادل نويمض: (275/1)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:70).

5 انظر ترجمته في: "شجرة النور الزكية" لمحمد مخلوف: (326/1)، "الأعلام" للزركلي: (331/5)، و"معجم المؤلفين" لكحالة: (317/8)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:291).

6 انظر ترجمته في: "شجرة النور الزكية" لمحمد مخلوف: (366/1)، "الأعلام" للزركلي: (330/3)، "معجم المفسرين" لعادل نويمض: (793/2)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:74).

7 انظر ترجمته في: "الأعلام" للزركلي: (227/1)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:157).

27. (تفسير القرآن) [مفقود].
- المؤلف: الزواوي، إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد، أبو إسحاق، الزواوي، القسنطيني (796-857هـ).¹
28. (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) [مطبوع]، في أربعة أجزاء مذيلاً بمعجم لغوي لشرح غريبه.
29. (الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز) [مفقود].
30. (تحفة الاخوان في إعراب بعض أي من القرآن) [مفقود].
31. (الدرر اللوامع في قراءة نافع) [مفقود].
32. (المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع) [مطبوع]²، في القراءات.
33. (نفائس المرجان في قصص القرآن) [مخطوط]³.
34. (معجم مختصر في شرح ما وقع في كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن من الألفاظ الغريبة) [مخطوط]⁴.
- المؤلف: الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، الجزائري (786-875هـ)⁵، من كبار المفسرين.
35. (تفسير سورة ص وما بعدها من السور) [مفقود].
36. (مختصر في القراءات السبع) [مفقود].
37. (شرح الشاطبية الكبرى) [مفقود]، لم يكمله.
38. (تفسير القرآن إلى قوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}) [مفقود].
- المؤلف: التلمساني، محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي الحسني، التلمساني (832-890هـ)⁶، عالم في التفسير.
- القرن العاشر الهجري**
39. (البدر المنير في علوم التفسير) [مفقود].
- المؤلف: المغيلي، محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، أبو عبد الله (...؟-909هـ).⁷

1 انظر ترجمته في: "نيل الابتهاج": (ص:52)، "تعريف الخلف": (5/2)، "الأعلام": (57/1)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:160).

2 طبع بتحقيق: محفوظ بوكراع وعمار بسطة، عالم المعرفة- الجزائر، 2016م.

3 محفوظ في: المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة، رقم الحفظ: (127/1، 128)، ورقم الحفظ: (376.377).

4 محفوظ في: الخزانة العامة في الرباط في المغرب، رقم الحفظ: (D 892).

5 انظر ترجمته في: "نيل الابتهاج": (ص:173)، "شجرة النور": (67/1)، "تعريف الخلف": (67/1)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:91).

6 انظر ترجمته في: انظر ترجمته في: "البستان": (ص:237)، "تعريف الخلف": (176/1)، "شجرة النور": (266/1)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:181).

7 انظر ترجمته في: "نيل الابتهاج": (ص:330)، "تعريف الخلف": (166/1)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:308).

40. (تفسير القرآن الكريم) [مفقود].
- المؤلف: ابن أبي العيش، محمد بن عبد الرحمن بن أبي العيش الخزرجي، أبو عبد الله، التلمساني (...-؟911هـ)¹.
41. (تقييد على مورد الظمان) [مخطوط]².
- المؤلف: شقرون، محمد شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي، أبو عبد الله، المعروف بشقرون، الوهراني (...-؟929هـ)³.
- القرن الحادي عشر الهجري
42. (الحاكمة حاشية على تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية) [مفقود].
- المؤلف: الملياني، يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى، أبو زكريا، الشاوي، الملياني (1030-1096هـ)⁴.
- القرن الثاني عشر الهجري
43. (إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن) [مفقود].
44. (تحفة الأريب بأشرف غريب)، اختصر فيه غريب العززي للقرآن [مفقود].
- المؤلف: البوني، أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي، أبو العباس، البوني، العنابي (1063-1139هـ)⁵.
45. (تفسير القرآن الكريم) [مفقود].
- المؤلف: ابن العنابي، حسين بن محمد، المعروف بابن العنابي (...-؟1150هـ)⁶.
46. (حاشية على فتح المنان بشرح موارد الظمان) [مفقود]⁷.
47. (المقاصد النامية في شرح الدالية) [مخطوط]⁸.
48. (تخفيف الهمزة في الوقف) [مخطوط]⁹.
49. (حاشية على تقريب الكلام في تخفيف حمزه وهشام) [مخطوط]¹⁰.
50. (حاشية على كنز المعاني في شرح حرز الأمان) [مخطوط]¹.

- 1 انظر ترجمته في: "تعريف الخلف": (233/2)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:246).
- 2 مخطوط في جزء واحد ضمن كتاب "اللآلئ الفريدة" رقمه في الخزانة التيمورية: (213).
- 3 انظر ترجمته في: "نيل الابتهاج": (ص:340)، "شجرة النور": (ص:285)، "تعريف الخلف": (491/2)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:189).
- 4 انظر ترجمته في: "شجرة النور": (ص:216)، "تعريف الخلف": (187/2)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:186).
- 5 انظر ترجمته في: "شجرة النور": (ص:329)، "الأعلام": (199/1)، "تعريف الخلف": (515/2)، "معجم المؤلفين": (49/2)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:49).
- 6 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:244).
- 7 يوجد منه نسخة محفوظة في: الخزانة العامة في الرباط بالمغرب، رقم الحفظ: (D 938).
- 8 يوجد منه نسخة محفوظة في: الخزانة العامة في الرباط بالمغرب، رقم الحفظ: (D 1649).
- 9 يوجد منه نسخة محفوظة في: الخزانة الملكية في الرباط بالمغرب، رقم الحفظ: (مجموع (2) 12259 ز).
- 10 يوجد منه نسخة محفوظة في: الخزانة الملكية في الرباط بالمغرب، رقم الحفظ: (مجموع (2) 10416).

51. (حاشية على شرح التنسي لذليل مورد الظمان) [مخطوط].²
52. (فتح الباري على بعض مشكلات أبي اسحاق الجعبري) [مخطوط].
53. (القول الشهير في تحقيق الإدغام الكبير) [مخطوط].³
54. (الأجوبة الشريفة في المباحث اللطيفة بالأدلة الكثيفة) [مخطوط].⁴
55. (الفتح الرباني على بعض ألفاظ النظم وابن غازي والمرادي) [مخطوط].⁵
- المؤلف: المنجرة، عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني، ثم الفاسي، أبوزيد، المعروف بالمنجرة، التلمساني (...-1179هـ)، مقرئ، له مشاركة في علوم التفسير.⁶
56. (منافع القرآن) [مفقود].
- المؤلف: البوني، عبد الرحيم بن علي بن إسحاق بن مروان القرشي، محي الدين، البوني (...-؟) ⁷.

القرن الثالث عشر الهجري

57. (حاشية على البيضاوي) [مفقود]، في التفسير.
- المؤلف: يوسف بن عدّون بن الشيخ حمّو والحاج اليزقني، أبو يعقوب، الميزابي (1158-1223هـ)، مفسّر.⁸
58. (تفسير القرآن) [مفقود].
- المؤلف: أبوراس، محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي الجليلي المعسكري، المعروف بأبي راس (1150-1238هـ).⁹
59. (إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن) [مفقود].
60. (نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن) [مفقود].
61. (إزاحة الأكثّة في العمل بالكتاب والسنة) [مفقود].
62. (شرح البسملة) [مفقود].
63. (لوامح الخذلان على من لا يعمل بالقرآن) [مفقود].
64. المؤلف: الإدريسي، محمد بن علي السنوسي، الخطابي، الحسني، الإدريسي، أبو عبد الله، المستغانمي (1202-1276هـ).¹⁰

- 1 يوجد منه نسخة محفوظة في: الخزنة الملكية في الرباط بالمغرب، رقم الحفظ: (6468).
- 2 يوجد منه نسخة محفوظة في: الخزنة العامة في الرباط بالمغرب، رقم الحفظ: (D 1532).
- 3 يوجد منه نسخة محفوظة في: خزنة تطوان بالمغرب، رقم الحفظ: (881 م).
- 4 يوجد منه نسخة محفوظة في: خزنة تطوان بالمغرب، رقم الحفظ: (861 م، 586 م).
- 5 يوجد منه نسخة محفوظة في: خزنة ابن يوسف بالمغرب، رقم الحفظ: (54/ ن).
- 6 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص: 69).
- 7 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص: 51).
- 8 انظر ترجمته في: "الأعلام" للزركلي: (241/8)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص: 230).
- 9 انظر ترجمته في: "تعريف الخلف": (232/2)، "معجم أعلام الجزائر": (ص: 307).
- 10 انظر ترجمته في: "شجرة النور": (ص: 399)، "الأعلام" للزركلي: (299/6)، "معجم أعلام الجزائر": (ص: 180).

65. (كتاب إعراب القرآن) [مفقود].
- المؤلف: ابن أبي العيش، أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش، أبو العباس، المقرئ التلمساني (...-1247هـ)¹.
66. (تحفة الاحباب" في تفسير قوله تعالى "ثم أورثنا الكتاب) [مفقود].
- المؤلف: علي بن محمد الجمالي، الميلي (...-1248هـ)².
67. (التفسير الكبير للقرآن الكريم) [مفقود].
68. (التفسير الصغير للقرآن الكريم) [مفقود].
- المؤلف: المستغاني، عثمان بن سعيد المالقي، أبو سعيد، المستغاني (القرن 13 هـ)³.
- القرن الرابع عشر الهجري
69. (منّة المتعال في تكملة الاستدلال) [مفقود]، في القراءات السبع.
70. (الدقائق المفصلة في تحديد آية البسملة) [مفقود].
- المؤلف: ابن الحفاف، علي بن عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن الحفاف، الجزائري (...-1307هـ)⁴.
71. (هميان الزاد ليوم المعاد) في التفسير ستة أجزاء [مطبوع].
72. (التيسير) في التفسير سبعة أجزاء [مطبوع].
73. (داعي العمل ليوم الأمل) في التفسير، في أربعة أجزاء، فسّر فيه القرآن من سورة الرحمن إلى سورة الناس [مخطوط]⁵.
74. (أرجوزة في القراءات) [مخطوط]⁶.
- المؤلف: أطفيش، محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش، الميزابي (...-؟) نحو 1310هـ)⁷.
75. (الثريا لمن كان بعجائب القرآن حفيّا) [مطبوع]⁸، رسالة في التفسير.
76. (الماس في احتباك يعجز الجنة والناس) [مطبوع]⁹، تفسير قوله تعالى: {وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.
- المؤلف: الجزائري، محمد بن عيسى الجزائري (1243 - 1310هـ)¹⁰، عارف بالتفسير.

1 انظر ترجمته في: "تعريف الخلف": (44/1)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:311).

2 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:324).

3 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:297).

4 انظر ترجمته في: "تعريف الخلف": (260/2)، "معجم أعلام الجزائر": (ص:121).

5 يوجد منه نسخ محفوظة خزان وادي ميزاب بمدينة غرداية في الجزائر.

6 يوجد منه نسخ محفوظة خزان وادي ميزاب بمدينة غرداية في الجزائر.

7 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:42).

8 طبعت بتونس عام 1307هـ.

9 طبعت بتونس عام 1306هـ.

10 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويمض: (ص:112).

77. (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) [مفقود].
78. (تفسير القرآن) [مفقود]، في أربع مجلدات.
- المؤلف: طاهر الجزائري، طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب، السّمعونى الجزائري (1228-1338هـ)¹.
79. (مجالس التذكير) في التفسير، اشتغل به تدرّيساً زهاء أربعة عشر عاماً [مطبوع].
- المؤلف: ابن باديس، عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس، القسنطيني (1308-1359هـ)².
80. (نشر "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" لعبد الرحمن الثعالبي) [مطبوع]، بعد مقابلته على سبع نسخ مخطوطة.
- المؤلف: الشيخ الكمال، محمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن الخوجة، الملقب بالمضربة، والمشهور بالشيخ الكمال، الجزائري (1281-1333هـ)³.
81. (القول الوجيز في كلام الله العزيز) [مخطوط]⁴، في التفسير، لم يكمله.
- المؤلف: صالح بن عمر بن داود بن صالح بن يحمّد الأعلى الإباضي، الميزابي (1287-1347هـ)⁵.
82. (تفسير سورة والعصر) [مفقود].
- المؤلف: ابن عليوة، أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد، المستغانمي، أبو العباس، الشهير بالعلوي. وبابن عليوة (1291-1353هـ)⁶.
83. (تفسير القرآن الكريم) [مفقود].
- المؤلف: عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمّد البجائي (1300-1379هـ)⁷.

المبحث الثالث

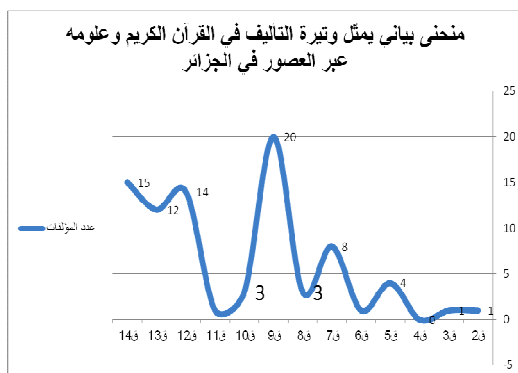
دراسة إحصائية لمؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه

بعد إمعان النظر في مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه، والتي مضى عرضها في المباحث السابقة يمكن تقديم النتائج الآتية:

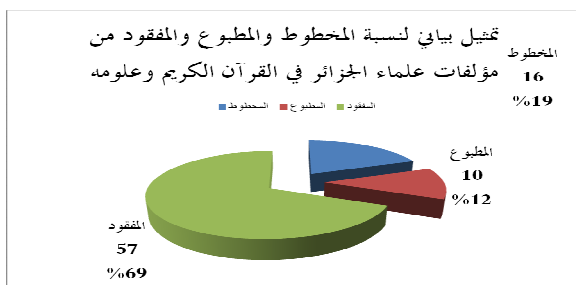
النتيجة الأولى: تنوعت مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وشملت أغلب العلوم

-
- 1 انظر ترجمته في: "الأعلام" للزركلي: (221/3)، "معجم المؤلفين": (35/5)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض: (ص:112).
 - 2 انظر ترجمته في: "الأعلام" للزركلي: (289/3)، "معجم المؤلفين": (105/5)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض: (ص:28).
 - 3 انظر ترجمته في: "معجم المؤلفين": (28/12)، "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض: (ص:138).
 - 4 يوجد منه نسخ محفوظة خزائن وادي ميزاب بمدينة غرداية في الجزائر.
 - 5 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض: (ص:194).
 - 6 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض: (ص:367).
 - 7 انظر ترجمته في: "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض: (ص:243).

القرآنية كالتفسير، وآيات الأحكام، والقراءات، وإعراب القرآن، والرسم القرآني، ونحو ذلك. النتيجة الثانية: بدأ التأليف في القرآن الكريم وعلومه في الجزائر في القرن الهجري الثاني، وهي بداية مبكرة تدلّ على شدة تعلق الأمة الجزائرية بالقرآن الكريم. النتيجة الثالثة: وأما عن وتيرة العطاء العلمي في خدمة القرآن الكريم وعلومه في الجزائر فقد أخذت في الانتعاش منذ القرن السابع الهجري إلى أن بلغ العطاء ذروته في القرن التاسع الهجري، ثم أخذ يتراجع تدريجياً، ووصل إلى مستوى متوسط في القرون الهجرية المتأخرة. ويمكن أن يعزى هذا التذبذب في حجم العطاء العلمي لعلماء القطر الجزائري إلى الحالات السياسية والعلمية والثقافية والفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في كل قرن من القرون الهجرية.

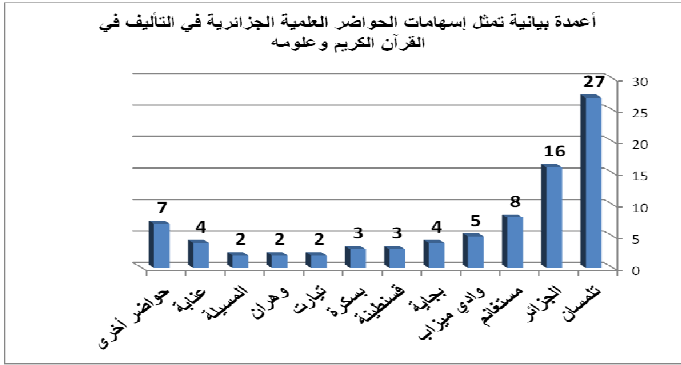


النتيجة الرابعة: تمثل المصنفات المفقودة نسبة عالية في تراث علماء الجزائر في علوم القرآن، حيث بلغت بنسبتها (57%). وهي بلا شك خسارة كبيرة من عطاء الأمة وتراثها. بينما يمثل التراث المخطوط نسبة (19%) من العدد الإجمالي للمصنفات، وأما المطبوع فنسبته (12%). وهي أرقام تشير إلى تواضع العناية بالتراث وخدمة المخطوطات.



النتيجة الخامسة:

أسهم علماء الحواضر العلمية الجزائرية بنسب متفاوتة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، حيث كان لعلماء مدينة تلمسان النصيب الأكبر من المؤلفات القرآنية، ثم مدينة الجزائر



النتيجة السادسة:

مؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم مبعثرة في خزائن حفظ المخطوطات في أنحاء مختلفة من العالم، في القرويين وخزانة الرباط في المغرب، وفي المكتبة الوطنية في تونس، وفي الأزهرية ودار الكتب في مصر، وفي مركز جمعة الماجد في الإمارات، وفي مكتبي الحرمين الشريفين في السعودية، وفي السليمانية في تركيا، وفي الإسكوريال في إسبانيا، وغير ذلك.

الخاتمة

وفي الختام، أستعرض أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وأوصي ببعض التوصيات.

النتائج:

- 1- أحصيت ما يربو على ثمانين مصنفا في خدمة القرآن الكريم وعلومه خطت بمحابر علماء الجزائر.
- 5- وضعت بين أيدي طلبة العلم دليلا ببلوغرافيا يرشدهم إلى مواطن المخطوطات، ويعينهم على التمييز بين المخطوط والمطبوع والمفقود.
- 6- قمت بدراسة إحصائية متأنية توصلت من خلالها إلى عدد من النتائج العلمية والتاريخية.
- 7- تتميز مؤلفات علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه بالتنوع، فهي موزعة على جميع فنون علوم القرآن.
- 8- يعتبر القرن التاسع الهجري الفترة الذهبية في العطاء العلمي لعلماء القطر الجزائري في خدمة القرآن الكريم وعلومه.
- 9- خسرت الأمة جزءا كبيرا من مؤلفات علماء الجزائر في علوم القرآن بفقدان المؤلفات وضياعها.
- 10- أسهمت تلمسان والجزائر العاصمة بالقسط الأكبر من التأليف في علوم القرآن في

القطر الجزائري.

التوصيات:

وبناء على النتائج الآتية الذكر أحببت أن أقدم التوصيات الآتية:

1- الحرص على توجيه أنظار طلبة الدراسات العليا في العلوم الإسلامية إلى العناية بالتراث وخدمة المخطوطات.

2- أقترح الاستمرار في عقد مثل هذه الملتقيات والتدورات التي تهتم بدراسة جهود علماء الجزائر في خدمة العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية.

وفي الختام:

أمل أن ينجح هذا الملتقى الوطني المبارك (ملتقى جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه) في التعريف بعلماء الجزائر، وإبراز جهودهم وإسهاماتهم في خدمة العلم. وأسأل الله تبارك وتعالى أن يحظى هذا البحث بالقبول، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

1. الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، مصر: (1973م).
2. الأعلام، لخبر الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط: 5 (1980م).
3. أعلام الإصلاح في الجزائر، لمحمد علي ديبوز، قسنطينة: (1974).
4. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لفنديك، مصر: (1896م).
5. إيضاح المكنون، لإسماعيل باشا البغدادي، تركيا: (1945م).
6. البستان، لابن مريم التلمساني، الجزائر: (1908م).
7. تاريخ الجزائر العام، لعبد الرحمن الجيلالي، بيروت: (1965).
8. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، لمبارك الميلي، قسنطينة.
9. تعريف الخلف برجال السلف، للحفناوي، الجزائر: (1906م).
10. الرحلة الورتيلانية، للحسن الورتيلاني، الجزائر: (1908).
11. شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، مصر: (1349هـ).
12. شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، مصر: (1949م).
13. معجم أعلام الجزائر، لعادل نويمض، بيروت: مؤسسة نويمض، ط: 2 (1980م).
14. معجم المطبوعات، لسركيس، (1928م).
15. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، دت.
16. نفع الطيب، للمقري، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: (1968هـ).
17. نيل الابتهاج، للتنبكي، مصر (1329هـ).
18. هدية العارفين، للبغدادي، تركيا: (1955هـ).
19. قاعدة بيانات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض - السعودية.
20. قاعدة بيانات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. دبي - الإمارات.

جهود الشيخ أحمد رحمانى - رحمه الله - في نشر علوم القرآن والقراءات - رسالة درة المتون في قراءة الإمام نافع برواية الإمامين ورش وقالون أنموذجا -

أ/ محمد الصغير مزقو

أستاذ متقاعد مجاز في الشريعة وفي القراءات - البليلة
nimo1989@gmail.com

ملخص البحث

دفعتنا المحبة والرغبة في نشر الجهود الكبيرة والقيمة خدمة للقرآن الكريم وعلومه وتعريف قرائنا وشبابنا بترائنا المجيد الذي لا ينضب معينه كل ما احتجنا إلى السقيا لنبلل الصدى ولو بقطرات الندى، وتوجيه المقرئين عامة والطلبة خاصة لدراسة كتاب درة المتون في قراءة الإمام نافع بروايته ورش وقالون فهو كتاب قيم في بابه، استوفى شرح درر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع بالروايتين المذكورتين، محرراً كثيراً من الوجوه، ومرتباً أبواب الأصول والفرش وفق منظومة ابن بري، بحيث لا يشوش ذهن القارئ، فهو يتدرج معه وفق المنهج التربوي ليثبت الأحكام وفق الرواية.

ويسعى هذا البحث إلى توجيه همة الباحثين إلى العناية لتحقيق كتب و مخطوطات التراث الجزائري النفيس الذي لا يزال رهن البحث أو حبيس الخزائن والمكتبات، وكذا التعريف برجال وعلماء الجزائر، وإبراز جهودهم في القراءة والإقراء والتأليف ومدى اهتمامهم بالقرآن الكريم.

وكتاب: "درة المتون" يعرف المختصين في علم القراءات خاصة الذين نقلوا إلينا القرآن برواية ورش التي هي من مرجعياتنا، ورواية قالون التي يقرأ بها بعضاً من قرائنا. حيث يسعى البحث إلى تحديد معالم المدرسة الإقرائية عند الأستاذ الشيخ أحمد رحمانى، وحث معلمي القرآن على تدريس هذا الكتاب وفق ما أعده الأستاذ في مذكرته، والاهتمام بتراث الشيخ والإفادة به.

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أولئك الذين نقلوا لنا السنة وكتاب الله تجويداً وترتيلاً.
جزى الله بالخيرات عنا أئمة
لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلاً¹
فأما الكريم السر في الطيب نافع
فذلك الذي اختار المدينة منزلاً

1 - البيت 20 من متن حرز الأمانى ووجه التهاني للإمام الشاطبي و الموسوم بالشاطبية.

وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم

بصحبتة المجد الرفيع تأثلا¹

لقد اشتهرت الجزائر حرسها الله بكبية البلدان العربية والإسلامية بالقرآن الكريم تعليما وتدريسا وتأليفا، وظهرت بها حركة علمية نشطة ظاهرة بحكم وجودها بين مركزين إشعاعيين هامين مشهورين: جامعة الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب .

وكان للرحلات العلمية إلى المشرق والمغرب دورها البارز في حواضر علمية، ذكر بعضها منها الأستاذ نسيب: "زوايا العلم والقرآن بالجزائر، 81 مركزا للإقراء والتعليم قائلا: الزوايا التي كانت معاقل للأحرار ورباط جنود الله الذين نذروا حياتهم للعلم والدين فلولا عناية الله ثم هؤلاء المرابطين في سبيل الله ما بقي الإسلام في الجزائر ولا لغة القرآن و الدين ولا بقيت الأمة بكيانها و شخصياتها القوية"²

وكان من بين هؤلاء المرابطين في سبيل خدمة كتاب الله قراءة وإقراء وتأليفا الشيخ المجاهد أحمد رحمانى الجزائري من بلدة الطيبات رحمه الله وأسكنه الجنة مع إخوانه العلماء والأنبياء والصالحين والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

وفي هذا المجال العلمي دفعتنا المحبة والرغبة في نشر هذه الجهود الكبيرة والقيمة خدمة للقرآن الكريم وعلموه وتعريف قرائنا وشبابنا بثرائنا المجيد الذي لا ينضب معينه كل ما احتجنا إلى السقيا لنبلل الصدى ولو بقطرات الندى، وتوجيه المقرئين عامة والطلبة خاصة لدراسة كتاب.

إشكالية الموضوع :

إن كتاب درة المتون في قراءة الإمام نافع بروايي ورش وقالون كتاب قيم في بابه، استوفى شرح درر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع بالروايين المذكورتين، محررا كثيرا من الوجوه، ومرتبيا أبواب الأصول والفرش وفق منظومة ابن بري، بحيث لا يشوش ذهن القارئ ، فهو يتدرج معه وفق المنهج التربوي ليثبت الأحكام وفق الرواية .

و إشكالية هذا الموضوع الذي بين أيدينا تتلخص في المسألة التالية:

درة المتون لأنه يتناول قراءة نافع³ بروايي ورش¹ وقالون² رحم الله الجميع.

1- البيتين 25 و 26 من متن الشاطبية ، التأثر بمعنى الارتقاء.

2 - دار الفكر الجزائر.

3 - هو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي مولاهم أبو رويم المقرئ المدني أحد الأعلام وقيل يكنى أبا الحسن وقيل أبا عبد الرحمن وقيل أبو عبدالله وقيل أبو نعيم وأشهرها أبو رويم قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة، وكان أسود اللون حالكا وأصله من أصبهان، قال أبو قرّة موسى بن طارق سمعته يقول: قرأت على سبعين من التابعين. قال أبو عمرو الداني قرأ على الأعرج وأبي جعفر القارئ وشيبة بن نصاح ومسلم بن جندب ويزيد بن رومان وصالح بن خوات ، وقرأ عليه من القدماء مالك وإسماعيل بن جعفر وعيسى بن وردان الحذاء وسليمان بن مسلم بن جمار ومن بعدهم إسحاق المسيبي والواقدي ويعقوب بن إبراهيم بن سعد وقالون وورش وإسماعيل بن أبي أويس وهو آخر من قرأ عليه موتا . وروى=

1. أثر قراءة المشاركة و المغاربة على تحريرات درة المتون تأليفا و تعليما.

أهداف البحث :

- يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف إن شاء الله :
1. توجيه همة الباحثين إلى العناية لتحقيق كتب ومخطوطات التراث الجزائري النفيس الذي لايزال رهن البحث أو حبيس الخزائن والمكتبات .
2. التعريف برجال وعلماء الجزائر الذين لايقبلون أهمية عن المشاهير .
3. إبراز جهود علماء الجزائر في القراءة الإقراء والتأليف ومدى اهتمامهم بالقرآن الكريم.
4. هذا المؤلف: "درة المتون" يعرف المختصين في علم القراءات خاصة الذين نقلوا إلينا القرآن برواية ورش التي هي من مرجعياتنا، ورواية قالون التي يقرأ بها بعضا من قرائنا .
5. تحديد المدرسة الإقرائية عند الأستاذ رحمانى بين المدارس الإقرائية .
6. حث معلمي القرآن على تدريس درة المتون وفق ما أعده الأستاذ في مذكرته³.
7. سداد جزء من الدين الذي علي من قبل أسرة الشيخ رحمه الله والتي سلمتني رسالة تقييد الوقف الهبطي بتحقيق الشيخ لدراسته و مقارنته بأوقاف المدينة النبوية وهو لم

=عنه الليث بن سعد وخارجه بن مصعب وابن وهب وأشهب وخالد بن مخلد وسعيد بن أبي مريم والقعني، وقال عبيد بن ميمون التبان قال لي هارون بن المسيب قراءة من تقرئ؟ قلت قراءة نافع، قال فعلى من قرأ نافع؟ قال على الأعرج، وقال الأعرج : قرأت على أبي هريرة رضي الله عنه . وقال عثمان بن خرزاد حدثنا عبد الله بن ذكوان حدثنا إسحاق بن محمد المسيبي عن نافع أخبره أنه أدرك أئمة يقتدى بهم في القراءة منهم الأعرج وأبو جعفر وشيبة ومسلم بن جندب وغيرهم. وروي أن نافعا كان صاحب دعاية وطيب أخلاق. وثقه يحيى بن معين، ولينه أحمد بن حنبل، وقال النسائي ليس به بأس، وقال أبو حاتم صدوق. و لم يخرجوا له شيئا في الكتب الستة. مات سنة تسع وستين ومئة. رحمه الله تعالى.

- 1 - عثمان بن سعيد ورش أبو سعيد المصري المقرئ وقيل أصله من إفريقية ويقال له الرواس ولد سنة عشر ومئة قرأ القرآن وجوده على نافع عدة ختمات في حدود سنة خمس وخمسين ومئة ونافع هو الذي لقبه بورش لشدة بياضه والورش شيء يصنع من اللبن ويقال لقبه بالورشان وهو طائر معروف فكان يقول إقرأ يا ورشان وهات يا ورشان ثم خفف وقيل وكان أشقر أزرق سميना مربوعا يلبس مع ذلك ثيابا مقدرة واليه انتهت رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه فقرأ عليه أحمد بن صالح الحافظ وداود بن أبي طيبة وأبو يعقوب الأزرق وعبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم ويونس بن عبد الأعلى وعامر بن سعيد الجرسى وكان ثقة حجة في القراءة قال إسماعيل النحاس قال لي أبو يعقوب الأزرق إن ورشا لما تعمق في النحو وأحكمه اتخذ لنفسه مقراً يسمى مقراً ورش توفي ورش بمصر سنة سبع وتسعين ومئة.
- 2 - قالون أبو موسى عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الزرقى مولى بني زهرة قارئ أهل المدينة في زمانه ونحوهم قيل انه كان ربيب نافع وهو الذي لقبه قالون لجودة قراءته وهي لفظة رومية معناها جيد لم يزل يقرأ على نافع حتى مهر وحذق وروى الحديث عن شيخه وعن محمد بن جعفر بن أبي كثير وعبد الرحمن بن أبي الزناد وعرض القرآن أيضا على عيسى بن وردان الحذاء وتبذل لإقراء القرآن والعربية وطال عمره وبعد صيته قرأ عليه بشر كثير منهم ولداه أحمد وإبراهيم وأحمد بن يزيد الحلواني ومحمد بن هارون أبو نشيط وأحمد بن صالح المصري وسمع منه إسماعيل القاضي وموسى بن إسحاق الأنصاري القاضي وأبو زرعة الرازي توفي سنة عشرين ومئتين وله نيف وثمانون سنة رحمه الله.
- 3- هي مذكرة تمارين حول كتاب درة المتون وهو سجل مخطوط ينتظر من يخرج به إلى الحياة.

يدرس بعد .

8 . نهيب بالجامعة أن تتكرم بالتكفل بهذا التراث العلمي بدراسته ضمن البحوث الأكاديمية في الجامعة .

هذا ويسير البحث وفق الخطة المنهجية الآتية:

المبحث الأول: ترجمة مختصرة عن المؤلف وفيه:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده

- هو أحمد بن أحمد بن الأكل بن الدبيلي بن عبد الرحمن رحماني، أما والدته فهي فاطمة بنت محمد بن محمد بن السائح بن عبد الرحمن رحماني وخاله هو الشيخ الشاعر محمد اللقاني¹ بن السائح رحماني أحد شيوخ جامع الزيتونة بتونس . ويرجع نسب الشيخ الفاضل أحمد رحماني إلى عرش أولاد عبد القادر بمنطقة الطيبات. ولد الشيخ أحمد رحماني سنة 1931 بمنطقة الطيبات، وهي دائرة تابعة لولاية ورقلة، يمر عليها الطريق الوطني رقم "16" الرابط بين مدينتي تقرت والوادي، وهي تقع في الجنوب الشرقي الجزائري.

المطلب الثاني: نشأته وتعلمه

نشأ الشيخ أحمد رحماني في كنف أسرة عريقة النسب، متوسطة الحالة وكان مصدر عيشها بين وتربية المواشي وفلاحة النخيل، وهذه الأخيرة كانت قائمة على الحل والترحال من أجل الرعي، وقد عرفت هذه الأسرة بالتربية الدينية القويمة من خلال اهتمامها بحفظ وتحفيظ كتاب الله فقد قام والده أحمد بتأسيس مدرسة قرآنية متنقلة ترتحل مع العائلة، وخصص لها معلما قائما عليها من منطقة العلية²، هو الشيخ محمد الصغير بن عبيد الله³، لتحفيظ أفراد العائلة القرآن الكريم، ثم خلفه في التدريس بالمدرسة القرآنية المتنقلة، الشيخ محمد بن أحمد رحماني . المدعو الطالب محمد⁴ . أخو الشيخ أحمد الأكبر الذي كان حافظا لكتاب الله، وفي هذا الجو القرآني نشأ الشيخ أحمد الذي بدأ حفظ القرآن دون سن التمييز، فكان سريع الحفظ لكتاب الله، فوجهه والده لحفظ القرآن، ومنعه من أي نشاط آخر بعكس سائر إخوته حيث بدأ بحفظ كتاب الله على يد الشيخ محمد الصغير بن عبيد الله ثم أتمه على يد أخيه الأكبر الشيخ محمد بن أحمد رحماني، إلى أن ختمه في سن

1- محمد اللقاني بن محمد بن السايح بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن مسعود بن شحشع ويلقب بابن السايح، واسم والدته مباركة بنت الحيري . يرجع نسبه إلى عرش أولاد عبد القادر بالطيبات، ولد الشيخ اللقاني سنة 1886م، حيث اشتهر الشيخ بشعره التحرري والمناهض للمستعمر الفرنسي، بالإضافة لمكانته المعروفة في مسجد الزيتونة .

2- العلية بلدية تتبع دائرة الحجيرة والتي تتبع ولاية ورقلة وتقع على الطريق الرابط بين تقرت والقرارة

3- لم أقف له على ترجمة

4 . وكلمة الطالب حسب عرف سكان الجنوب تطلق على كل من حفظ القرآن الكريم وعلمه ، فهذا اللقب ينطبق على كل من درس الشيخ أحمد رحماني . رحمه الله . قبل ذهابه لتونس .

السابعة عشر، وبعدها سافر إلى قرية ورماس¹ بوادي سوف ليثبت حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ عمارة مرابط، حيث مكث عنده بضعة أشهر أثقن فيها حفظ القرآن الكريم كاملاً وعاد بعدها إلى قرية الطيبات سنة 1948م.

المطلب الثالث: رحلته في طلب العلم

بعد العودة من مدينة ورماس، تجهز الشيخ أحمد للسفر إلى تونس قاصدا جامع الزيتونة، ليوصل مسيرته العلمية، حيث توجه سنة 1948 إلى تونس العاصمة بعد رحلة شاقة، وعند وصوله إلى تونس العاصمة مكث عند خاله محمد اللقاني ليلتحق الشيخ بالتعليم الزيتوني المستوى المتوسط، وذلك بجامع صاحب الطابع²، حيث سجل في السنة الأولى لموسم 1948-1949، وبعد نجاحه انتقل الشيخ إلى السنة الثانية من التعليم المتوسط والتي درسها بمسجد الهواء³، وبعدها انتقل الشيخ إلى السنة الثالثة من التعليم المتوسط والتي درسها بزاوية بن عروس⁴، ومنها انتقل إلى المدرسة الخلدونية⁵ التي اختتم بها التعليم الزيتوني المتوسط ليتحصل على الشهادة الأهلية.

بعد النجاح ونيل الأهلية، انتقل الشيخ أحمد إلى جامع الزيتونة لدراسة المرحلة الثانوية من التعليم الزيتوني حيث درس به لمدة ثلاث سنوات، اختتمت بنيله لشهادة التحصيل⁶.

وإلى جانب التعليم النظامي درس الشيخ أحمد القراءات بجامع الزيتونة⁷ حيث كان هذا التعليم اختياريا، فدرس كلا من روايتي ورش وقالون، و القراءات السبع برواتهم، على يد عدد من المقرئين، نذكر كل واحد منهم عند ذكر شيوخه.

- 1- حاليا بلدية تقع في الشمال الشرقي لمدينة الوادي وتبعد عنها حوالي 10 كلم وهي تابعة لدائرة قمار.
- 2- جامع صاحب الطابع أو جامع يوسف صاحب الطابع هو آخر جامع عثمانى مبني في تونس ويسمى أيضا بالجامع الجفني وهو الجامع الوحيد الذي لم يبنه باي أو داي بل بناه وزير مملوك. بني سنة 1808م، وأقيمت أول صلاة فيه يوم 14 مارس 1814م
- 3- جامع الهواء: هو جامع أمرت ببنائه الأميرة عطف، زوجة السلطان الحفصي أبو زكريا الأول، في عهد ابنها السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر في أواسط القرن 7هـ-13م، وكان يسمى في العهد الحفصي باسم جامع التوفيق، وهو يوجد حاليا ببنج جامع الهواء، بالمدينة العتيقة- تونس العاصمة.
- 4- زاوية سيدي أحمد بن عروس: زاوية أمر ببنائها السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان في القرن التاسع الهجري / 15م للشيخ أحمد بن عروس.
- 5- المدرسة الخلدونية هي أول مدرسة ذات طابع تجديدي، تم إنشاؤها في تونس سنة 1896م. وكانت تقع في تونس العاصمة. تم إنشاؤها من قبل حركة الشباب التونسي بقيادة بشير صقر، كان الهدف منها إعطاء ثقافة علمية في وسط المجتمع الثقافي العلمي، و خصوصا خريجي جامع الزيتونة، ذلك لأن تعليمهم ديني فقط، كان يدرس فيها علوم الجغرافيا و الرياضيات و الحقوق و كانت تدرس فيها اللغة الفرنسية والعربية، كان يتم تمويلها من خلال هبات وتبرعات من قبل أعضاء حركة الشباب التونسي.
6. والتي تعادل حاليا شهادة البكالوريا
- 7- جامع الزيتونة هو المسجد الجامع الرئيسي في مدينة تونس العتيقة وأكبرها وأقدمها. تأسس سنة 79هـ/698م بأمر من حسان بن النعمان وأتمه عبيد الله بن الحبحاب في 723م، و يعتبر ثاني أقدم مسجد في تونس بعد جامع عقبة بن نافع.

إضافة إلى هذا فقد تأثر الشيخ أحمد رحمه الله بالحركة الإصلاحية التي قادها الشيخ ابن عاشور¹ والشيخ النخلي القيرواني² وغيرهم من العلماء الإصلاحيين الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل إحياء الأمة من سيئاتها وإزالة رواسب الجبل والخرافات و البدع عنها ، كما تأثر رحمه الله بالنشاط الإصلاحي في الجزائر، الذي كانت تخوضه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الأمر الذي جعل الشيخ أحمد يتشبع بالمشروع الإصلاحي لهذه الأمة، ويهيئه لخوض ميادين الجهاد وهذا ما سنتحدث عنه لاحقا.

المطلب الرابع: شيوخه

أخذ الشيخ أحمد رحمانى العلم عن أعيان مدينة الطيبات، و شيوخ جامع الزيتونة، ومنهم:

1- الشيخ محمد الصغير بن عبيد الله: معلمه الأول للقرءان الكريم، الذي كلفه والده بتحفيظ أطفال العائلة القرآن .

2- الشيخ محمد بن أحمد رحمانى: هو أخو الشيخ أحمد الأكبر، كان حافظا لكتاب الله، ومعلما له. فكان حظ الشيخ أحمد أن ختم على يديه.

3- الشيخ محمد اللقاني بن محمد بن السائح رحمانى : هو خال الشيخ أحمد، ولد سنة 1886م وتوفي في 15 ذي الحجة 1389هـ الموافق لـ 21 فبراير 1970، و دفن بمقبرة "سيدي يحيى" المشهورة بتونس.

4- الشيخ عمارة مرابط : أتقن الشيخ على يديه حفظ القرآن الكريم، و كان ذلك بمدينة ورماس بوادي سوف.

5- الشيخ علي بن محمد بن محمد الطيب النيفر⁵: هو من علماء جامع الزيتونة ، ولد سنة (1319هـ -1901) وتوفي سنة (1406هـ -1985).

6- الشيخ عبد الحفيظ العكرمي⁶

1- هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ولد سنة 1296هـ/1879م وتوفي يوم الأحد 13 رجب 1394هـ الموافق لـ 12 أغسطس 1973م و دفن بمقبرة الزلاچ.

2- هو محمد بن محمد بن حمودة النخلي القصاروي القيرواني، ولد سنة 1869م و توفي سنة 1924م

3- سبقت ترجمته

4- لم أقف له على ترجمة

5- ولد سنة 1901، عين نائبا لشيخ الجامع الأعظم "جامع الزيتونة" وفروعه في 19 سبتمبر 1942 وتولى الخطابة بجامع سيدي يحيى المعروف بجامع البرج في 21 ديسمبر 1939 وسي نائبا أولا لشيخ الجامع الأعظم وفروعه في 19 سبتمبر 1948. وعين مدرسا بجامع صاحب الطابع وراويا لصحيح البخاري بالمدرسة المرجانية وكلف بإدارة الجامع الأعظم سنة 1951 وولي التدريس ضمن مدرسي الطبقة الأولى سنة 1953 وانتخب عضوا بمجلس المدارس وانتخب عضوا بلجنة وضع مجلة الأحوال الشخصية وأحيل على المعاش في شهر أكتوبر 1960. توفي سنة 1985.

6- لم أقف على ترجمته

- 7- الشيخ محمد غدير¹
- 8- الشيخ العروسي المطوي²: هو محمد العروسي المطوي، أديب وسياسي تونسي الشيخ
الصادق الصداقوي الجزائري³
- 10- الشيخ محمد التقرتي الجزائري⁴
- 11- الشيخ عبد الحميد رفيقة⁵
- 12- الشيخ عبد العزيز الخبثاني⁶
- 13- الشيخ محمود قريع⁷

المطلب الخامس: تلامذته

و في مسيرة الشيخ رحمه الله الحافلة بالعطاء خدمة للقرآن الكريم فقد خلف الشيخ عددا من الطلبة الذين ساروا على الدرب في ميدان القراءات نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- 1- سفيان جغلول: وهو الآن مجاز بالعشر الصغرى من الديار الشامية، قرأ على كبار قراء الشام ويشغل الآن عضوا في هيئة المقرئين بمدرسة ابن جلول بالبلدية التابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- 2- سفيان ولد وانوغي: يعمل على تحقيق عدة مخطوطات في علوم القرآن والحديث والتاريخ كما يشرف على تنظيم عدة دورات وملتقيات علمية.
- 3- بناصر فؤاد: مقرئ لعدة قراءات وروايات منها العشر النافعية ويشغل الآن كمصحح لمصحف الحاذق الصغير. ومعلم للقرآن الكريم، وهؤلاء هم التلاميذ الذين أمكننا التواصل معهم ولعذرنا الكثير من تلامذته والذين لم ندرجهم في هذه العجالة.

1- لم أقف له على ترجمة

2- هو محمد العروسي المطوي ولد بمدينة المطوية بالجنوب التونسي في 19 جانفي 1920 ، وتوفي في 25 جويلية 2005 ، زاول محمد العروسي المطوي تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، حيث دخل الكتاب أزلا، ثم انتقل إلى المدرسة الفرنسية العربية بالمطوية. وسافر بعد ذلك إلى تونس العاصمة، حيث أحرز على الشهادة الابتدائية عام [2] 1935 ثم التحق بالتعليم الزيتونة، وقد أحرز على مختلف الشهادات الزيتونية: وأولها شهادة الأهلية عام 1940، ثم التحصيل عام 1943 وهي ما يوازي شهادة ختم التعليم الثانوي، وأخيرا شهادة العالمية في عام 1946. وبالإضافة إلى ذلك تابع محمد العروسي المطوي دروس الحقوق التونسية ليحصل على شهادتها في عام 1946، كما أحرز على على الإجازة في البحوث الإسلامية عام 1947 من المعهد الخلدوني.

- 3- لم أقف على ترجمته، هو من أصل جزائري كان يدرس العلوم الطبيعية بجامع الزيتونة .
- 4- لم أقف على ترجمته ، هو من أصل جزائري كان يدرس العلوم الطبيعية بجامع الزيتونة كذلك
- 5- لم أقف على ترجمته
- 6- لم أقف على ترجمته
- 7- لم أقف على ترجمته

المطلب السادس: جهاده

لقد أكرم الله تعالى الشيخ أحمد بعد تخرجه من جامع الزيتونة سنة 1956م بالتحاقه بصفوف جيش التحرير الوطني، وذلك في النصف الأول من سنة 1956، حيث جند بمنطقة الرديف¹ بالجنوب الغربي التونسي وتقرر إرساله إلى القاعدة الشرقية لجيش التحرير بمنطقة غار الدماء² على الحدود الغربية التونسية المتاخمة لسوق أهراس³، وهناك كلف بنقل السلاح إلى الولاية الثالثة. خلال الثلاث سنوات التي قضاها بكل إخلاص وإتقان - بإذن الله- رفقة نخبة من أبرز قادة الجيش وعلى رأسهم عميروش⁴، وفي خضم الثورة كان من القرارات التي اتخذتها قيادة الجبهة، ابتعاث الطلبة أصحاب الشهادات الزيتونيين والأزهريين إلى مختلف الدول العربية والأجنبية لمواصلة الدراسات، و ذلك لتكوين نخبة وطنية تدعم الثورة بخبراتها، وتمسك زمام الأمور بعد الاستقلال، فكان أن تقرر إرسال الشيخ أحمد إلى الكلية الحربية بالقاهرة، حيث سافر الشيخ إلى مصر سنة 1959م وقضى سنتين بالكلية الحربية ليتخرج سنة 1961 من الكلية الحربية في اختصاص محافظ للشرطة، هذه الزيارة مكنته رحمه الله من الاطلاع على حال الأمة العربية والإسلامية وخاصة مصر قلب العالم الإسلامي آنذاك.

عاد رحمه الله إلى تونس سنة 1961 حيث استقر بهيئة قيادة الأركان الشرقية لجيش التحرير بمنطقة "غار الدماء". تحت إمرة القائد الطالب العربي رحمه الله . حيث واصل جهاده إلى أن أتم الله نعمته على الشعب الجزائري وتحرر من الإستعمار الفرنسي الغاشم، وذلك في صفر 1382 الموافق لـ 05 يوليو 1962.

المطلب السابع: وظائفه

شغل الشيخ أحمد -رحمه الله- عدة مناصب خلال حياته أهمها:

- عمل مديرا للأمن العسكري في الولاية السادسة ببسكرة
- عمل مديرا للأمن العسكري في الناحية العسكرية الرابعة ببسكرة
- شغل منصب محافظ للشرطة بالقبة بالجزائر العاصمة
- شغل منصب محافظ للشرطة بالمرادية - الجزائر العاصمة
- مدير التدريب بمدرسة الشرطة بسيدي بلعباس

1 - الرَدَيْف مدينة تقع بغرب ولاية قفصة من الجنوب الغربي التونسي. مدينة جميلة اشتهرت بالفسفاط وجبالها الخلابة.

2- وتدعى غارديماو بالعامة هي مدينة تقع في أقصى شمال غرب تونس، بالقرب من الحدود الجزائرية، وهي تتبع إداريا ولاية جندوبة.

3- تقع المدينة في الشرق الجزائري على الحدود التونسية، وهي حاليا ولاية من ولايات الجزائر، وتلقب بسوق الأسود لأنها كانت تحوي سقا لببيع الأسود.

4- هو عميروش آيت حمودة، ولد يوم 31 أكتوبر 1926 بقرية تاسافت أوقمون بجبال جرجرة، استشهد يوم 26 مارس 1959 ببوسعادة.

- شغل منصب محافظ للشرطة بالمرادية - الجزائر العاصمة
- شغل منصب محافظ للشرطة بالبليدة
- أستاذ الأدب العربي بمدرسة أشبال الثورة بمدينة القليعة - ولاية تيارازة
- أستاذ الأدب العربي والتربية الإسلامية بثانوية الأمير عبد القادر بمدينة تقرت / ولاية ورقلة
- أستاذ الأدب العربي والتربية الإسلامية بثانوية ابن رشد / البليدة - إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1991 .
- شغل منصب الإمامة في كل من مسجد البدر بالبليدة ومسجد الشيخ ابن جلول .

المطلب الثامن: جهوده في خدمة القراءات القرآنية وأهم مؤلفاته.

يعكس العديد من الموظفين الذين تنتهي مسيرة العطاء في حياتهم بمجرد تقاعدهم عن العمل، كان التقاعد من الوظيفة البداية الحقيقية للشيخ أحمد رحمان، حيث تفرغ للتأليف والدروس والخطابة، حيث قام بتدريس علوم التجويد والقراءات والنحو بمسجد البدر بوسط مدينة البليدة حيث افتتح دروسه في جويلية 1997 مبتدئا بشرح المقدمة الجزرية وبعدها انتقل إلى شرح منظومة الدرر اللوامع لابن بري إضافة إلى تدريس قواعد النحو من كتاب "هداية السالك شرح ألفية بن مالك لابن هشام و متن قطر الندى إلا أنه ونظرا لظروف معينة لم يتمكن من مواصلة التدريس بالمسجد فاختر نخبة من أنجب طلابه وقام بمواصلة تدريسهم في بيته، بالإضافة إلى التدريس بالمسجد، كما كان -رحمه الله- متفرغا للتأليف حيث كان يتردد على كبرى المكتبات من أجل اقتناء الكتب، ومطالعة المخطوطات والكتب المتخصصة في علوم التجويد والقراءات، فوفق إلى تأليف عدة عناوين خاصة في علون التجويد والقراءات، هذا وقد تولى رحمه الله الخطابة والإمامة بمسجد ابن جلول بمدينة البليدة حيث كانت له خطب توجيحية ودروس توعية في مختلف الجوانب التي تهم المسلم، إضافة على هذا كله فقد كانت له مقالات بعضها نشر في الجرائد وبعضها لا يزال مخطوطا في مواضيع شتى أهمها علم القراءات، وبعض الردود العلمية والتوجيهات. ولقد ترك الشيخ رحمه الله مجموعة من الكتب المطبوعة والمخطوطة نذكر منها:

- " التقييد لفوائد الجزرية في أحكام التجويد " وهو شرح لمنظومة العلامة ابن الجزري في أحكام التجويد، ابتداء تأليفه سنة 1990م، وطبع بمطبعة قصر الكتاب بالبليدة.
- " درة المتون في قراءة الإمامين ورش وقالون " : وهو شرح لمنظومة العلامة المقرئ ابن بري المسماة بالدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، حيث فرغ من تأليفه سنة 1996م، وطبع بدار الإمام مالك في البليدة في طبعتين.
- " تقييد وقف القرآن الكريم " : وهو عبارة عن مخطوط للإمام أبي جمعة الهبطي، الذي توجد منه أربع نسخ بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة وهي مرقمة كالتالي: 402، 403، 404، 410، 411. انتهى من تحقيق هذا التقييد يوم 19 جانفي 2000، إلا أنه لم يطبع إلى الآن.
- " بغية المتنقين في إحياء علوم الدين " : حيث قام بتحقيق والتعليق عليه وقد انتهى منه يوم

الجمعة 2 محرم 1418هـ الموافق لـ 09 ماي 1997، علما أن الكتاب لم يطبع إلى حد الآن.

- "أجوبة مدعمة بالنصوص لأسئلة حيرت بعض النفوس": وهو كتاب جمع فيه الشيخ أكثر من 600 جواب لأسئلة عامة سئل عنها رحمه الله في شتى نواحي حياة المسلم، وقد رتبها رحمه الله وفق الأبواب، و الكتاب لا يزال مخطوطا.

- شرح "متن قطر الندى" لابن هشام الأنصاري: وهو لا يزال مخطوطا
- محاضرات حول القرآن الكريم وهو لا يزال مخطوطا
- "العديد من المقالات والمحاضرات والخطب والدروس": كتبها رحمه الله وقام بنشر بعضها في الجرائد من أبرزها مقال على شكل سلسلة حول القضاء في الإسلام و سلسلة مقالات حول القراءات، ومنها سلسلة مقالات عبارة عن تعقيبات لبعض المسائل الفقهية.

المطلب التاسع: وفاته

بعد مسيرة حافلة، أصاب الشيخ أحمد رحمانى في آخر حياته مرض عضال، ورغم ذلك بقي مستمرا في الكتابة والتأليف إلى غاية شهر نوفمبر 2004، أين اشتد به المرض وألزمه الفراش، ومما يذكر عنه رحمه الله أنه في إحدى المرات وحين اشتداد المرض عليه كان يردد هذه الآية الكريمة: ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقُوْرُ الْعَظِيمُ ۝ لِيُثْلَ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾¹، انتقل الشيخ إلى رحمة الله يوم الجمعة 26 نوفمبر 2004 في وقت المغرب فرحمه الله رحمة واسعة.

المبحث الثاني: مسلك الشروحات لمنظومة ابن بري

المطلب الأول: ذكر بعض شروحات أرجوزة ابن بري

لم يحظ أي مؤلف أو نظم في الشرح والتعليقات مثلما حظي به درر ابن بري في أصل مقرا الإمام نافع برواية ورش و قالون حيث تجاوزت عدد الشروحات في موسوعة (قراءة نافع عند المغاربة برواية ورش) للدكتور عبد الهادي حميتو في الجزء الثالث أكثر من خمسين شرحا وسنقل هنا بعضا من أسماء هذه الشروحات القيمة والتي هي من كنوز الموسوعة المذكورة:

1- القصد النافع، لبغية الناشئ والبارع في شرح الدرر اللوامع لأبي عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز الشريشي (ت سنة 718هـ). وقد أجمعوا على أنه أول شارح لأرجوزة ابن بري،

2- شرح أبي عبد الله بن شعيب المجاصي التازي:

3- شرح الدرر اللوامع لأبي عثمان بن آباطا.

4- الوجيز النافع في شرح الدرر اللوامع لأبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن

مسلم القصري القاضي نزيل سبتة (ت 773).

1 . الصفات: 61-58

- 5- إيضاح الأسرار والبدائع، وتهذيب الغرر والمنافع، في شرح الدرر اللوامع لأبي الفضل محمد بن محمد بن محمد بن عمران السلاوي الشهير بالمجراد وبابن المجراد.
- 6- شرح الدرر اللوامع لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عطية المديوني الشهير بالجادري.
- 7- شرح أبي عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي الغرناطي الشهير بالمنتوري (ت 834).
- 8- المختار من الجوامع، في محاذاة الدرر اللوامع لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت 875) وقيل (876).
- 9- شرح الدرر اللوامع لأبي الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي: بفتح القاف واللام معاً، نزيل غرناطة .
- 10- الأنوار السواطع على الدرر اللوامع شرح الفقيه حسين ابن علي بن طلحة الرجاعي، الشوشاوي لقبا (ت. 899 هـ).
- 11- تحصيل المنافع من كتاب الدرر اللوامع، في ظل مقرا الإمام نافع لأبي زكريا يحيى بن سعيد بن داود بن سليمان الجزولي السملالي الكرامي (ت في حدود 900 هـ).
- 12- الفجر الساطع، والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع لأبي زيد عبد الرحمن بن القاسم المكناسي ثم الفاسي المعروف بابن القاضي شيخ الجماعة بفاس (ت 1082).
- 13- شرح الدرر اللوامع للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن مسعود بن عبد الواحد الزناتي الشهير بالحصار
- 14- الروض الجامع في شرح الدرر اللوامع لأبي سرحان مسعود بن محمد جموع السجلماسي (ت 1119 هـ)
- 15- شرح الدرر اللوامع لأبي عبد الله محمد بن الحاج التلمساني نزيل تازة
- 16- شرح الدرر اللوامع للأستاذ أبي عبد الله محمد بن علي بن سعيد الأنصاري.
- 17- شرح الدرر اللوامع للعالم العلامة الأستاذ الأديب علي بن عبد الواحد الأنصاري.
- 28- شرح الدرر اللوامع أو "النجوم الطوالع في شرح الدرر اللوامع" لإبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المفتي، المالكي بالديار التونسية وشيخ القراء والمقرئين بالجامع الأعظم (الزيتونة) (ت 1349 هـ) وشرحه مشهور متداول عظيم الفائدة لا يستغنى عنه. و ممن شرحها من الجزائريين في عصرنا، الذين اطلعت على شرحهم:
- الشيخ الأستاذ أحمد رحمانى، وسعى شرحه درة المتون في قراءة الإمام نافع و برواية الإمامين ورش وقالون.
- الشيخ الأستاذ مصطفى أكرور، وسعى شرحه الجامع لأحكام روايتي ورش وقالون عن الإمام نافع.

المطلب الثاني: مسلك الشراح في منظومة ابن بري

- واقصر على شرح الدرر اللوامع لأبي عبد الله القيسي الشهير بالمنتوري ت/884 هـ والنجوم الطوالع على الدرر اللوامع لإبراهيم المارغني التونسي ت/1349 هـ
- 1- يقول العلامة الشيخ المنتوري: "واعلم أن كل ما أذكره في هذا الشرح من قول: [أو]

بذلك قرأت] وسواء سميت من قرأت عليه أو لم أسمه، فإنما أعني بذلك طريق الداني خاصة، وقد يكون غيره من الطرق التي قرأت بها موافقا له أو مخالفا. وكذلك كل ما أذكره أني أخذته فإنما أعني من طريق ادني خاصة وقد أخذ من طريق غيره¹
 صرح المنتوري في شرح الدرر اللوامع بقوله (و بذلك قرأت) وبقوله (أنى أخذته) أنه من طريق أبي عمرو الداني وقد يأخذ من غيره سواء وافقه أم خالفه ولم يعين الطريق الآخر الذي قرأ به سواء وافق الداني أم لم يوافقه. وله سلف في ذلك هو مسلك ابن بري في أرجوزته فإنه يبين مسلكه حيث أنه يسند طريق قراءته إلى شيخه ابن حمدون أبي الربيع:

سلكت في ذاك طريق الداني إذ كان ذا حفظ وذا إتقان
 حسبما قرأت بالجميع عن ابن حمدون أبي الربيع
 المقرئ المحقق الفصيح ذي السند المقدم الصحيح²

تلكم هي مدرسة المغربية في شرح أرجوزة درر ابن بري في أصل مقرا الإمام نافع بروايي ورش و قالون وهي المدرسة الأثرية الاتباعية تعتمد أساسا على مدرسة الإمام أبي عمرو الداني ذات الشيوخ الكبار والأقطاب الذين كان لكثير منهم مدارس تستقر عندهم القراءة بخصائصها ومعالمها واختياراتها، وقطب رحاها مدرسة الإمام الداني رحمه الله، كمدرسة ابن بري ومدرسة ابن غازي صاحب تفصيل عقد درر ابن بري، ومدرسة ابن القاضي صاحب الفجر الساطع، ومدرسة مسعود جموع صاحب كفاية التحصيل، ومدرسة البوجلبي في الجزائر صاحب التبصرة في القراءة العشرية لنافع³، ومدرسة الشيخ إبراهيم المارغني صاحب النجوم الطوالع، ومدرسة الشيخ السعيد أبو خليل صاحب الجرجية، ومدرسة الشيخ أحمد رحمانى التي تنتظر دراستها ونشرها بالقراءة والإقراء.

2- وأما شيخ المقارئ التونسية شارح الدرر اللوامع في كتابه (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع)⁴ حيث يقول: "شرحت الأرجوزة لا مطولا مملا ولا مختصرا مخلا، محررا لمسائل لم أر من تعرض لتحريرها رادا لما ذكروه في بعضها مما هو مخالف لما حررته)

و إن المتتبع لتحريرات الشيخ المارغني رحمه الله نجده كما اشترط على نفسه بأنه لم يلتزم باختيار ابن بري و إن معظمها من تحريرات الإمام الشاطبي صاحب أرجوزة (حرز الأمانى ووجه التهاني) وبعضها من تحريرات ابن الجزري والعهدة على ما اشترطه المارغني على شرح الدرر.

ولا شك أن المتأخرين من المؤلفين والشرح لمنظومة ابن بري سلكوا مسلك المشاركة في التحريرات، وهذا الصنيع ليس وليد اليوم وإنما تزامنت بداية التحريرات عند المغاربة مع

1- من كتاب شرح الدرر اللوامع للمنتوري

2- البيت 28 من منظومة الدرر اللوامع لابن بري

3- حققه الأستاذ حسين وعلي

4- كتاب نفيس في شرح الدرر اللوامع لمؤلفه الشيخ إبراهيم المارغني التونسي

دخول كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري رحمه الله. إلا أنه لم إلى المغرب إلا بعد ابن القاضي صاحب الفجر الساطع ت سنة 1082هـ، ويعتبر هو آخر المدرسة المغربية من حيث التأصيل، ثم انتشرت الطريقة المشرقية على يد النوري الصفاقسي التونسي صاحب (غيث النفع في القراءات السبع)¹ الذي صار معتمد الإقراء في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

ومن بين الذين حرروا قراءة نافع على الطريقة المشرقية ابن توننت العباد² صاحب (التقييد على قراءة الإمام نافع المدني من روايتي عيسى قالون و عثمان ورش) توفي سنة 1118 هـ، وريث الطريقة المشرقية، قال في مقدمته ص28: "فهذا إن شاء الله، تقييد يشتمل على كيفية جمع الطرق و تحرير نسبتها بقدر الاستطاعة على قراءة الإمام نافع المدني من روايتي عيسى قالون و عثمان ورش رضي الله تعالى عن الجميع حسبما قرأت بجميع ذلك على شيخنا الأستاذ المقرئ أبي عبد الله سيد بن محمد بن علي العبادي المعروف بابن العطار إلى أن أوصل سنده متصلا إلى سلطان ابن أحمد المزاحي المصري ت/1075هـ. وهكذا نجد مزج الطريقتين المغربية و المشرقية معا لدى المغاربة وفاء و عرفانا لجهود الأسلاف.

والجدير بالذكر في هذا المقام أنه في الآونة الأخيرة نشر كتاب [إبراز المنافع في تحرير نظم الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع لابن بري] من تأليف الأستاذ المقرئ محمد يحي شريف الجزائري حفظه الله لكن هذا التحرير لأرجوزة ابن بري ليس كتحرير المارغني أو تحرير أحمد رحمانى وإنما يقصد به كما يقول : "قرأيت من خلال الدروس التي كنت ألقها فائدة عظيمة في تحرير هذه المنظومة المباركة ببيان ما يترتب على ذلك من أوجه، لاسيما لم أقف على من حررها على طريقة المحررين"³. قال الأستاذ محمد يحي شريف الجزائري حفظه الله: "لأن المغاربة اعتنوا بها حفظا و شرحا رواية و دراية، فلم يبق إلا الاعتناء بها من جهة تحرير طرقها و عزو كل وجه إلى مصدره"⁴ إلا أنه عورض بنقدين لهما من الأهمية في هذا الشأن.

• الاعتراض الأول: قول بعضهم: إن الناظم سلك في نظمه طريق الداني حسبما قرأ على شيخه ابن حمدون⁵ فقد قال:

حسبما قرأت بالجميع على ابن حمدون أبي الربيع

1 - هو علي بن سالم بن محمد بن سالم بن أحمد بن سعيد النوري الصفاقسي، أبو الحسن ولد الشيخ علي النوري بمدينة صفاقس الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، جهة الوسط الشرقي للبلاد التونسية، وذلك سنة (1053هـ). وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل والصلاح والتقوى، توفي الشيخ علي النوري يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة (1118هـ)، ودفن بمقبرة بلده صفاقس، وأوصى أن يدفن تلاميذه بجانبه. رحمهم الله رحمة واسعة، ونفعنا بعلومهم .

2- هو محمد بن علي بن محمد الموفق و المشهور بابن توننت العبادي التلمساني عاش أثناء الحكم التركي بالجزائر ما بين (1515- 1830)، توفي في معركة ضد الغزاة الأسبان عند الحاسي الاحرش سنة 1118هـ ودفن خارج باب الجياد بقرب الشيخ السنوسي.

3- من كتاب إبراز المنافع، تأليف محمد يحي شريف الجزائري.

4 - نفس المصدر ص 12.

5 - أبو الربيع سليمان بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي المتوفى بتازة سنة 709 هـ

وبالتالي فليس لنا أن نلزم الناظم بالطرق الخمسة¹

• الاعتراض الثاني: قول بعضهم: أخي الكريم مرادي من هذه الرسالة التنبيه على مسألة تتعلق بالتحريات وعزو الأوجه إلى أصحابها. فمنهج قراء المغرب وكيفية رؤيتهم للتحريات مختلفة ومغايرة تماما للمدرسة المشرقية. فأخي الفاضل كن حذرا في تناول الموضوع لاسيما أنك تتبع كيفية تحرير "البرية" على الطريقة المشرقية فربما كلفك هذا النهج التناقض من جهة بناء الفروع على الأصول —والله أعلم—

• إنه مما يأنس له الباحث في هذا الموضوع ويستبشر خيرا أن رسالة الشيخ الفاضل يحي شريف الجزائري أثارت همما ظاهرة عند القراء والباحثين للعكوف على مقرا الإمام نافع عامة وشروحات البرية خاصة وتلكم هي ثمرة هذا الجهد وإن لم تكن إلا هذه الحسنة فهي كافية شافية والله الحمد. ثم إنه لا بد من معرفة مذهب المدرستين المغربية والمشرقية في الأحرف السبع، قال الداني: "وأما هذه السبعة فإنها ليست متفرقة في القرآن كلها، ولا موجودة فيه في ختمة واحدة بل بعضها، فإذا قرأ القارئ بقراءة من قراءات الأئمة، أو برواية من الروايات فإنما قرأ ببعضها لا بأكملها، وكلها صواب"². أما ابن الجزري فذهب إلى أنها متفرقة في القرآن، بل في كل رواية وقراءة، باعتبار ما قرره في وجه كونها سبعة أحرف.

المطلب الثالث: جواز اختلاف المحررين لأرجوزة ابن بري

وفق ما قرأوا على مشايخهم قراءة وسندا

فإنه مما يلفت الانتباه: الاختلاف في عصرنا بين القراء الآخذين عن مشايخهم قراءة مسندة في بعض التحريات في الرواية الواحدة وفي الطريق الواحد، وبين الذين أخذوا القراءة والتحري من طريق مخالف. فتجد أن هذا يعترض على الآخر وينكر قراءته. غير أن هذا الاختلاف ليس وليد اليوم، بل قديم قدم أسانيد المشايخ المتصدرين للإقراء والتأليف.

1- اعلم رحمك الله أن الرواة والمقرئين اختلفوا في باب البسملة بين السورتين، فمنهم من جوز الأوجه الثلاثة لورش وليس له من طريق ابن خاقان إلا السكت، وهو الذي ارتضاه الداني في التيسير، أما ابن بري فقد خالف التيسير بطريقة ذكية، فلم ينف البسملة عن ورش ولم يجزم بها حيث قال: وورش الوجهان عنه نقلا³ (فاختلف شراح البرية في ذلك). أما الشيخ رحمان رحمة الله فقد اتخذ موقفا وسطا فقال عند شرحه للبيت السابق: "البسملة، وهي طريق الأصهباني وبعض الطرق عن الأزرق، وعدم البسملة، ويتفرع عنه 1- السكت، 2- الوصل"، فاستوفي بذلك العموم الحاصل في البيت.

2- عند قراءتنا قراءة نافع بسند الشيخ سعيد العبد الله الحموي —رحمه الله— نزيل مكة

1 - قال الأستاذ يحي شريف في إبراز المنافع ص18: "إن الداني أسند رواية الأزرق عن ابن خاقان، وأبي الفتح فارس ابن أحمد، وأبي الحسن ابن غلبون، وأسند رواية أبي نشيط عن أبي الفتح فارس ابن أحمد، وأبي الحسن ابن غلبون."

2 - الأحرف السبع للقرآن، للإمام الداني المتوفى 444هـ

3 - البيت 37 من الدرر اللوامع

و مقرئها بطريق الشاطبية، اعترض علينا بعد إخواننا المقرئين في بعض الأحرف التي لم تكن في قراءتهم منها:

-كلمة أئمة: فقد قرأناها بوجهي التسهيل والإبدال -وكما هو معلوم فالإبدال من طريق الطبية¹ وأما التسهيل فمن الشاطبية² - وقد راجعت بعضا من الذين يسند الشيخ سعيد فوجدتهم قرأوا مثل قراءتي، وعند البحث في المسألة تبين لي مايلي:

قال الحصري في رائيته

ولا بد من إبدالها في أئمة فصحوك إن الجاهلين لفي سكر³

وقال المنتوري في شرح الدرر: "وكان شيخنا القيجاطي يأخذ من طريق الداني في أئمة لنافع بياء خالصة وبذلك قرأت عليه وبه أخذ" ثم قال "فلما سألته عن ذلك قال، نصوص المتقدمين من القراء في أئمة محتملة"

المبحث الثالث: مسلك أحمد رحمانى في شرح درر ابن بري

المطلب الأول: أثر جامع الزيتونة في الشيخ أحمد رحمانى وتمكنه في القراءة والإقراء تفرق أصحاب ابن بري في مختلف الأقطار وتصدروا لنشر روايتي ورش وقالون في المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا والأندلس والإسكندرية، وانتشر قراؤها في أقطار المغرب العربي انتشارا واسعا، فقرأها الناس وأقرأوها بفاس، فتأسست بها مدرسة ابن غازي المكناسي⁴

1 - قال ابن الجزري في الحز:

و أئمة سهل أو ابدل حط غنا حرم

2 - قال الشاطبي في حرز الأمانى :

و أئمة و سهل سما وصفا وفي النحو أبدا

و في البهجة المرضية في شرح الدرة المضية للشيخ الضباع قال: فائدة: قال العلامة المتولي في الوجوه المسفرة: وقرأنا في أئمة لأبي جعفر بالتسهيل مع الإدخال والإبدال باء من غير إدخال، وروى بالتسهيل والإبدال، إلا أنه لم ينص على الإبدال لهما في الدرة، ونص عليه في الطبية اهـ

3- بيت من رائية أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري في روايتي ورش وقالون، قد ذكر الدكتور محمد محمود أحمد الجكني فائدة في كتاب أصول قراءة نافع بين الشاطبي وابن بري فقال: "وتظهر قيمة هذه المنظومة و أهميتها عندما نعرف أن المغاربة كانوا قبلها يعتمدون في قراءة نافع على "الحصرية" إلا أنهم إذا وصلوا إلى باب الرءات يأخذون بما في "الشاطبية"، نظرا لقصور الحصرية فجاءت هذه المنظومة لتسد هذه الفجوة الكبيرة في المنهج التعليمي". ويعني بها منظومة الدرر اللوامع.

4 - محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي، المكناسي ثم الفاسي مواليد 841 هـ،

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%B A%D8%A7%D8%B2%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9 %83%D9%86%D8%A7%D8%B3%D9%8A - cite note-1

توفي 910هـ، بفاس من أعلام المغرب، تفنن في عدد من ضروب العلم والمعرفة، كالقراءات، والتفسير، والحديث، والحساب، والنحو، واللغة، والتاريخ، لكنه اشتهر بالفقه والفتوى، وله مؤلفات كثيرة. ولم يقتصر ابن غازي على التعليم والتأليف؛ بل انضم لصفوف المجاهدين لحماية الثغور المغربية من الغزاة الأوروبيين. أشهر مؤلفاته في القراءات -نظم تفصيل عقد درر ابن بري، والتعلل في رسوم الإسناد.

صاحب تفصيل عقد الدرر في عشرية نافع¹، وتصدر لإقراءها في تونس الشيخ إبراهيم المارغني صاحب النجوم الطوالع على الدرر اللوامع، وأما في الجزائر فكان بها العلامة عبد الرحمن الثعالبي صاحب كتاب المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ومن المعاصرين أستاذنا مصطفى أكرور صاحب كتاب الجامع لأحكام روايتي ورش وقالون عن الإمام نافع، و الأستاذ أحمد رحمانى صاحب درة المتون في مقرا الإمام نافع بروايته ورش وقالون، فما هي منهجيته -أحمد رحمانى- في هذا الكتاب؟

قال رحمه الله تعالى في مقدمة الكتاب: "اعتمدت كثيرا على شرح منظومة الدرر اللوامع المسمى -النجوم الطوالع على الدرر اللوامع للشيخ إبراهيم المارغني-، واستعنت في أغلب الأحيان بكتاب -النشر في القراءات العشر للحافظ ابن الجزري-، وكذلك كتاب غيث النفع في القراءات السبع للشيخ علي النوري الصفاقسي-، و-شرح الشاطبية لابن القاصح-". وقال رحمه الله: "...جعلت عليها شرحا مبسطا لعل القارئ يستفيد منه و ينجذب إلى هذا العلم الوفير باتصال قراءته من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عهدنا و إلى عهد أبنائنا وعهود من يأتوا بعدنا و إلى يوم الدين إن شاء الله تعالى"، والقارئ لشرحه هذا على نظم البرية يجده فعلا شرحا مبسطا ومختصرا للآيات دون الغوص في التفصيلات والمطولات التي ينسي آخره أوله، إلا إذا لزم الأمر ذلك. فقد استمد شرحه من صميم عبارات الناظم محررا الأوجه ومقربا للمعاني بأسلوب جذاب مستعملا في ذلك عبارات سهلة ممتعة في متناول كل قارئ دون تفصيل ممل للفروع، فهو يتعرض لجزيئات المسائل بترتيب بديع مقتفيا ترتيب الأرجوزة وفق ما أراده صاحبها ابن بري في نظمه الرصين، فلا غموض ولا التباس يعتري هذا الشرح ولله الحمد والمنة.

ولكن لم يكن الشيخ رحمانى رحمه الله جامعا للأقوال من ذا الكتاب و ذا الكتاب، ولم يكن حاطب ليل، يجمع ويؤلف، بل كان تأليفه من فيض ما درسه في جامع الزيتونة، فكل الكتب التي اعتمدها في شرحه إنما كانت جزءا من البرنامج الذي تلقاه في الزيتونة كما ذكر ذلك في إحدى محاضراته فقال:

"وقد كان للقراءات تعليم تحضيري يشمل معرفة مخارج الحروف وصفاتها، ومعرفة الإدغام والمد والوقف والابتداء وغير ذلك من المبادئ العامة للقراءة. هذه المعلومات كانت مادة إجبارية مقررة على جميع طلبة التعليم الزيتوني بشتى فروعه، يمتحنون فيها مثل بقية

1 - قال محقق كتاب القصد النافع الأستاذ التلميذي محمد محمود: "و الطرق إلى نافع كثيرة جدا، أنهاها بعضهم إلى مائتين وخمسين طريقا، منها ثمان وستون لورش، وست وسبعون لقالون، والمشهور = منها عشروهي التي اقتصر عليها ابن غازي في أرجوزته :

دونك عشر طرق لنافع تنشرطى الدرر اللوامع
طريق الأزرق وعبد الصمد عن ورشهم والأسدي بسند
و المروزي وأحمد الحلواني والقاضي عن قالون ذي الإتقان
ثم عن إسحاق طريق ابنه ونجل سعدان إمام فنه
وسند ابن فرح المفسر ونجل عبدوس عن ابن جعفر
بينهما وبينه الدوري ومن سوى ورشهم حرمة

المواد. وكان الكتاب المقرر لهذه المادة هو كتاب "المقدمة" لابن الجزري، وهو منظومة بمائة وسبعة أبيات في قواعد التجويد ومبادئ القراءات بشرح الشيخ محمد بن علي بالوشة شيخ الإقراء بجامع الزيتونة بتونس في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. توفي رحمه الله سنة 1314هـ أي حوالي 1898 ميلادي.

ثم يتابع من أراد التخصص في علم القراءات دراسة أخرى تتجاوز المبادئ العامة إلى دراسات متخصصة تبدأ بقراءة الإمام نافع وبرواية تلميذه: قالون وورش المشهورة قراءتهما في الشمال الإفريقي مع قراءة القرآن كله برواية ورش، وقراءة القرآن كله برواية قالون على الشيخ المشرف على تدريس القراءات. والكتاب المقرر في هذا الشأن هو كتاب "النجوم الطوالع" في قراءة الإمام نافع للشيخ إبراهيم المارغني شيخ الإقراء التونسي بعد شيخه وأستاذه محمد بن علي بالوشة رحمهما الله. توفي الشيخ إبراهيم المارغني عام 1349 هجري، وهي السنة التي توافق 1930 بالتاريخ الميلادي.

في مرحلة ثالثة يدرس الطالب القراءات السبع وله في ذلك مرجعان:

أ- كتاب "غيث النفع في القراءات السبع" للشيخ أبي الحسن علي النوري، التونسي الصفاقسي المولود عام 1053هـ والمتوفي سنة 1118هـ.

ب- شرح ابن القاصح على متن الشاطبية المولود سنة 538 بشاطبة بالأندلس، والمتوفي عام 590هـ بمصر. وفي نفس المدة التي يدرس فيها الطالب أحكام القراءات السبع، يواصل القراءة بها جمعا بين يدي الشيخ. والطريقة المتبعة في تونس هي أن يبدأ القارئ برواية الراوي -الأول- لنافع وهو قالون، ويتمادى إلى أن قف في موضع يصوغ الوقف عليه، فمن اندرج معه فلا يعيده ومن خالف فإنه يأتي به. ويقدم أقرب القراء خلفا إلى ما وقف عليه، فإن تراحموا على هذا الوقف يقدم الأسبق رتبة فالأسبق وينتهي إلى الوقف السائق مع كل راو، وهكذا إلى أن يكمل القرآن كله بالقراءات السبع ويتقنها دراية وأداء. ثم يجتاز بعد ذلك امتحانا يتحصل فيه على شهادة التحصيل في القراءات وهي تساوي شهادة البكالوريا عندنا الآن. وبعدها يشرع في دراسة تؤهله لأخذ شهادة جامعية في القراءات هي شهادة "العالمية" وهي شهادة توازي شهادة "الليسانس".

أما الكتاب المقرر في الدراسات العليا في القراءات هو كتاب "النشر في القراءات العشر" لعالم القراءات الشهير المحقق فيها، الإمام أبو الخير محمد بن الجزري، المولود في دمشق سنة 751هـ والمتوفي بشيراز ببلاد فارس 833هـ رحمه الله رحمة واسعة. والعبرة في هذه المرحلة كما في المرحلة السابقة عنها بالأداء أمام الشيخ المشرف. وكتاب النشر يتكون من جزئين متوسطي الحجم يشملان كل مراحل القراءات من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد الإمام ابن الجزري في القرن التاسع الهجري الذي تحدت بعده القراءات وطرق الإقراء في الكتاب إلى عصرنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. هكذا كانت القراءات

وهكذا كانت العناية بها حتى في عهد الاستعمار الصليبي¹.

المطلب الثاني: ملخص شرحه لدرة المتون و نماذج منه

استهل الشارح رحمه الله الكتاب بمقدمة ثم ترجم لصاحب الأرجوزة و هو العلامة ابن بري ترجمة مختصرة، وبعدها لخص مقدمة الراجز التي فتحها بالحمدلة وفضل الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وفضل القرآن و أهله. وأن قراءة نافع سنة أهل المدينة² ثم بين منيح ابن بري وأنه سلك طريق الإمام الداني و ترجم للراويين على الهامش و ترجم لشيخهم الإمام نافع في الشرح، ثم انتقل رحمه الله إلى شرح أبواب الكتاب ملخصا ما جاء في كل باب ذاكرة خلاف الراويين واتفقهما منبها على كثير من جزئيات المسائل التي هي لب قراءة ورش وقالون. فتارة يميل إلى قول المشاركة وتارة إلى قول المغاربة وتارة يرجح المسألة و يستقل برأيه موافقا أو مخالفا لما قرأ به في جامع الزيتونة. مثلما فعل في المد العارض للسكون كخبير وبصير حيث قال والمختار الوقف بالتوسط على ما عليه الأكثرون، وترجيحه للمد في كلمة اللائي عند الوقف في رواية ورش حيث قال: "والمد أرجح عند غير واحد كالشاطبي، وأحيانا يرجح مذهب المغاربة في مثل الوقف على ما أخره في الوصل تاء قبلها ألف نحو الصلاة، الزكاة، الحياة فقال: "لا يجوز في ذلك توسط ولا قصور ولم يلتفت إلى كلام أيمن رشدي ولم يأخذ به حيث ذكر رأيه في الهامش قائلا: "ولهذا نقول أن هذا المد من قبيل المد العارض للسكون" فوافق المغاربة في توسط العارض.

وأهم ما استعمله الشيخ في شرحه على الدرر هي عناصر المعالجة إذ وضع رحمه الله خبرته الزيتونية والجامعية وكذا التعليمية ورصيده اللغوي والبلاغي وعلوم الدراية والرواية في الإقراء في تأليف هذا الكتاب الذي لا يستغني عنه العالم و المتعلم على السواء فكان بحق للمبتدئين تبصرة وللشيوخ المقرئين تذكرة³. وإليك عناصر المعالجة التي اعتمدها الشيخ رحمه الله في تأليفه عموما ودرة المتون خصوصا.

1- عنصر التحليل⁴: عند تصفحنا لأي باب من أبواب الأرجوزة، كباب البسملة بين السور في الأربع الزهر فنجد الأبيات متضمنة لعدة أحكام يربطها موضوع واحد⁵، ويأتي

1 - مجموعة محاضرات و دراسات قرآنية - فصل علم القراءات فرض كفاية يوشك أن نفرط فيه، و هو مخطوط .

2 - مما نقل في ذلك قول الإمام مالك: "قراءة أهل المدينة سنة" ف قيل له قراءة نافع؟ قال نعم ، قال اسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سألت أبا عبد الله أيهما أعجب إليك من القراءات، قال قراءة نافع"

3 - مقتبس من قول ابن بري عن نظمه في البيت 18:

يكون للمبتدئين تبصرة و لليوخ المقرئين تذكرة

4- التحليل هو البسط و الإيضاح بأسلوب فصيح مفهوم .

5 - مثاله قول ابن بري رحمه الله:

و بعضهم بسمل عن ضرورة	في الأربع المعلومة المشهورة
للفصل بين النفي والإثبات	والصبر واسم الله والويلات
والسكت أولى عند كل ذي نظر	لأن وصفه الرحيم معتبر

الشارح رحمه الله فيبسطها ويحللها بأسلوب فصيح بعيد عن التعقيد والالتباس.

2- عنصر التمثيل: و خلال تحليله للباب يمثل الشارح رحمه الله بالنصوص القرآنية لغرض لإيضاح المعلومات وبسطها فيتمثل رحمه بآيات سورة المدثر مع القيامة والبيئة مع البلد و الإنفطار مع المطففين والعصر مع الهمة ليبين النفي والإثبات في السور المعروفة بالأربع الزهر¹ ووصف الزهر كناية عن شهرتها ووضوحها ولذلك لم يحتج لتعيينها.

قال الشيخ رحمانى رحمه الله: "فإنهم استقبحوا أن يجمعوا بين النفي والإثبات في قوله تعالى: "و أهل المغفرة"، "لا أقسم بيوم القيامة"، فالمغفرة ثابتة لله ولا نافية وكذلك: "وادخلي جنتي"، "لا أقسم بهذا البلد" فكان القارئ نفى الجنة الثابتة بلا التي وصلت بها وهذا قبيح. ومثله في القبح أن يجمع بين اسمه تعالى في: "يومئذ لله" و بين الويل في "ويل للمطففين"، وأن يجمع بين الصبر الذي هو محمود في قوله تعالى: "وتواصوا بالصبر" بالويل في "ويل لكل همزة لمزة"

فاستحسن هؤلاء الشيخ الفصل بالبسملة في هذه السور الأربعة.

ثم قال رحمه الله بعد أن ذكر هذا الاستحسان و الاختيار من الشيوخ الناقلين كابن غلبون رحمه الله: (إلا أن المؤلف يرى خلاف هذا ويقول، إن القبح الذي فر منه من بسمل في هذه السور وقع فيه مع البسملة، لأن وصف الله -الرحيم- من بسم الله الرحمن الرحيم معتبر فيه هذا القبح، فوصلنا الرحيم بلا النافية، والرحيم ب ويل فيه قبح ظاهر).

فبعد أن بين رأي الشيوخ الذين فروا من القبح الذي بين الإثبات والنفي في الأربع الزهر و اختيارهم للبسملة في الفصل بين السورتين هروبا من الوقوع في القبح الموصوف، انتقل إلى رأي ابن بري في المسألة والذي اختار فيها السكت ما بين السورتين² في السور الأربع المذكورة وهو أحد وجهي ترك البسملة لورش.

ولكن ما هو الدليل على هذا النقد للشيوخ؟

3- عنصر الدليل أو التدليل: والدليل أو التدليل هنا يبين صحة هذه المسألة رواية ودراية حتى لا يقع القارئ في الخلط بين ما له دليل في المسألة المذكورة وبين ما جاء بطريق الاستحسان والاختيار من الشيوخ، قال رحمه الله: (ورأي المؤلف في المسألة يتدعم بنقاط:

1- إن استثناء هذه السور بالبسملة ليس فيها أثر عن ورش، قال الداني في كتاب التيسير: "ليس في ذلك أثر يروى عنهم وإنما هو استحباب من الشيوخ" وقال صاحب النجوم الطوالع: "إن اللجوء إلى السكت مع هذه السور أولى لأن السكت منقول عن ورش، وتخصيص الأربع بالبسملة غير منقول عنه". وقال أيضا: "إن ما ذكره من القبح غير مسلم إذ وقع في القرآن كثير من ذلك، في قوله تعالى: "القيوم* لا تأخذه"، "العظيم* لا إكراه"، "المحسنين* ويل يومئذ"، وليس ذلك قبح إذا استوفى القارئ الكلام الثاني وتممه"³.

عنصر التوجيه

1 - و الزهر جمع الزهراء تأنيث الأزهر وهو المنبر المشرق. (الوافي ص 39)

2- قال ابن بري: و السكت أولى عند ذي نظر لأن وصفه الرحيم معتبر

3- درة المتون ص 17

مع العلم أن التوجيه في القراءات القرآنية هو فرع ثبوت للقراءة بالرواية المنقولة خلفا عن سلف، وليست أصلا لإيجادها أو ثبوتها. ومن هنا كانت قراءة القرآن سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول كما قال ابن مجاهد. رحمه الله.

والتوجيه يكون غالبا من المقرئين المسندين قراءاتهم إلى مشايخهم الناقلين للرواية والاختيارات من الأوجه المعتمدة واللغات المشتهرة. وينقل الشيخ رحمانى توجيه قراءته التي قرأ بها في جامع الزيتونة فيقول: "والذي عليه العمل عند علماء المغرب اعتبار القبح في السورة ولكن هذا القبح لا يعالج عندهم بالبسملة بل بالسكت الذي هو أحد وجهي ترك البسملة كما تقدم والأداء يكون بالتفصيل الآتي:

- السكت يجري على أصله

- والواصل له السكت فقط

- أما المبسمل فيسقط له من أوجه البسملة وصلها بأول السورة فيقف على آخر السورة وآخر البسملة وهو الوجه الثاني من أوجه البسملة الجائزة في القرآن الكريم.

أقول: ويتلخص هذا التوجيه بتعيين المقرئ لطلابه الوجه الذي يقرؤون به. إلا أن المغاربة في جمعهم للقراءات يبدوون "للأزرق بالبسملة مع الوقف قبلها وبعدها (علما) فيندرج قالون معه في البسملة ثم السكت بلا بسملة لأن السكت هو المقدم عندهم".¹

الخاتمة

إن مما يمكن ذكره في نهاية هذا البحث المختصر، هو الصلة الوثيقة بين قراءة نافع وفقه الإمام مالك رحم الله الجميع، إذ أن الإمام مالكا رحمه الله قرأ على نافع حرفه، وقرأ نافع على مالك موطأه فتلاحمت بذلك هذه الصلة وترابطت لتصبح سمة وعلامة على وحدة الأمة الجزائرية ومرجعية عريقة تتشرف بانتمائها إلى هذا الموروث، فأنعم به وارثا وموروثا. وقد اعتمد المغاربة ومنهم بلادنا الجزائر منذ بزوغ فجر الإسلام، طريق أبي يعقوب الأزرق المصري ثم المدني لعدة مزايا ذكرها الدكتور حميتو² نذكر منها:

1- طول صحبته لورش حتى ضبط عنه الرواية.

2- شهادة أهل زمانه له بالإتقان والإمامة فيها.

3- طول تصدره للإقراء بهذه الرواية في مصر.

4- كونه مدني الأصل والنشأة فهو من بلاد صاحب القراءة.

5- تفرغه للقراءة وحدها دون غيرها.

وفي الأخير إليكم نتائج هذا المبحث المتواضع:

1- كتاب درة المتون كتاب نفيس في باب، قرب إلينا بأسلوب بديع روايتي ورش وقالون.

2- ويعتبر هذا الكتاب وثيقة علمية في علم القراءات والتجويد.

3- إبراز جهود الشيخ الأستاذ أحمد رحمانى إلا أنني لم أستوف حقه كاملا، ولا يزال

1 - التبصرة في قراءة العشرة لأبي القاسم البوجليلي، تحقيق حسين وعليلي ص 251، دار ابن حزم

2 - دليل الأوفى إلى رواية ورش عن نافع، طريق الأزرق ص 51 م، عبد الهادي حميتو، مصطفى

البحايوي، عبد العزيز العمراوي

أبناؤه وأحفاده حفظهم الله يجمعون تراثه ومؤلفاته ومآثره وجهده إلى يومنا هذا.

4- دعوة المختصين والمهتمين بتحقيق ونشر تراث علمائنا البواصل.

5- إن هذه الوثيقة العلمية والتي تتمثل في روايتي ورش وقالون فهي مسندة من طرف الشيخ رحمانى إلى الأجيال، وهي مفخرة للأمة ولأبنائها تجب المحافظة عليها والاعتناء بها. هذا جهد المقل والمقصر، فإن وفقت فمن الله وحده، وإن كانت الأخرى فحسبي أني شاركت ولو بالقليل في نشر هذا العلم لعل الله يكتبنا من أهله. آمين. والله در الشاطبي إذ يقول :

و سلم لإحدى الحسنين: إصابةً والآخرى اجتهداً رام صوباً فأمخلاً

وإن كان خرقاً فادركه بفضلة من الجلم ولصيلحه من جاد مقولاً¹

لعل إله العرش يا إختوتى يقى جماعتنا كل المكاريه هؤلا

و يجعلنا ممن يكون كتابه شفيعا لهم إذ ما نسوة فيمحلا²

نموذج من مذكرات الشيخ رحمانى في قراءة الإمامين ورش وقالون

الموضوع: الخلاف في ميم الجمع بين ورش وقالون

المقدمة : مراجعة المدود: مراتها، مقدارها عند الإمامين وصلا ووقفا: المد لازم، المتصل، المنفصل، العارض للسكون، اللين اليائي والواوي، اللين المهموز، الطبيعي، محياي وصلا ووقفا بالإسكان والفتح وبالإمالة والفتح في الألف.

خطوات تسيير الدرس:

الخطوة الأولى: تحديد مقدار القراءة: إن أفضل منهج لتلقين القرآن في التلاوة والدرس والحفظ هو منهج الصحابة رضي الله عنهم حيث أنهم كانوا لا يتجاوزون الخمسة آيات والعشر آيات ولا ينتقلون إلى غيرها حتى يحفظوها ويفهموا معانيها ويعملوا بها. وهذا في حالة التلقين وتجاوز الزيادة على ذلك في التصحيح ونقل الرواية، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتجنبون القطع على الكلام الذي يتصل ببعضه ببعض، ويتعلق آخره بأوله للوقف على التقطع وتجنب الوقف على القبيح.

ذكر أبو عمرو الداني عن ميمون ابن مهران . وهو من كبار التابعين . (إني لأقشعر من قراءة أقوام يرى أحدهم حتما عليه إلا يقصر على العشر إنما كانت القراءة تقرأ القصص إن طالت أو قصرت) ، ومن المناسب جدا أن يختار الأستاذ للطالب الدرس والحفظ مقاطع ينتهي عندها المعنى، ولا بأس أن يكون عند الوقف الكافي.

والمصحف الباكستاني تفرد بميزة لا توجد في غيره فقد وضعوا في حاشيته رأس "ع" تدل على نهاية المعنى وتسمى عندهم "ع" = ركوع).

. وقد حدد الأستاذ أحمد رحمانى مقدار النص القرآني من سورة الفاتحة و فاتحة سورة البقرة إلى غاية آية العشرين، وهي في المصحف الباكستاني أول ركوع ينتهي عنده المعنى، ومن القراء والمعلمين من يختار الأثمان والأرباع ومنهم من يختار الصفحة، فالأول للمغاربة والثاني للمشاركة: إلا أن هذين الاختيارين منتقدين من طرف المختصين منهم الدكتور أحمد شرشال حفظه الله (طالع ما كتبه في رسالته القيمة الوقف والوصل).

الخطوة الثانية : القراءة الأولى:

الزواوي الأول: الإمام قالون (قُدِّم على ورش لطول صحبته لنافع ولأنه لازمه خمسين سنة في

1 - 77 و 78 من متن الشاطبية

2 - 91 و 92 من متن الشاطبية

المدينة النبوية فهو من جملة الحرمين الذين رووا عن نافع. فشرف تقديمه بشرف المدينة النبوية.

1. قراءة أوجه الاستعاذة الأربعة.
2. ثلاثة البسمة بين السورتين.
3. أحكام المد عند قالون: اللين اليائي والواوي (2-4-6)
- اللازم (6)، المتصل (4)، المنفصل (2-4) والقصر المقدم قراءة وهو المعمول به وتسكين هاء " هو، هي، لهو ".

4. إسكانميم الجمع التي بعدها همزة قطع: "أأذرتهم أم لم تنذرهم" مع التسهيل والإدخال.
- الزاوي الثاني: الإمام ورش (طريق الأزرق) قدّم عند المغاربة خاصة للأسباب التالية:
1. طول صحبته وملازمته لورش حتى ضبط عنه روايته بالحرف الذي قرأ به على نافع.
2. شهادة أهل زمانه له بالإتقان والإمامة فيها.
3. طول زمن تصدره للإقراء بهذه الرواية في مصر.
4. كونه مداني الأصل والنشأة، فهو من بلد صاحب القراءة.
5. تفرغه للقراءة وحدها دون غيرها.
- دليل الأوفى إلى رواية ورش عن نافع طريقة الأزرق ج 1/ ص 51. ع. حميتو، م. البحياوي. ع.

العمراوي.

1. أربعة التعوذ مع البسمة.
 2. السكت بين السورتين.
 3. الوصل بين السورتين.
 4. ثم ثلاثة البسمة.
 5. الإشباع بست حركات لأنواع المدود الأربعة: اللازم والعارض والواجب والجائز.
 6. التوسط في مد اللين الذي بعده همزة كشيء.
 7. ضم ميم الجمع التي بعدها همزة ووصلها بواو.
 8. قراءة وهو وهي بضم الميم.
- القراءة الثانية:

الإمام قالون: أربعة تعوذ، ثلاثة البسمة، قصر المنفصل، وطول المتصل وصلا، إسكانميم الجمع وضمها (القراءة بالوجهين).

الإمام ورش: أربعة التعوذ، السكت، الوصل، ثلاثة البسمة بين السورتين، الطويل لأقسام المدود الأربعة، اللازم والمتصل والمنفصل والعارض، التوسط في مد البديل الذي بعده همزة، الطويل فيه (العارض والبديل بالطول قراءة المغاربة في أحد الوجهين)، ضم ميم الجمع في الوصل إذا أنت بعدها همز قطع.

تنبيه:

قراءة الفاتحة وعشرين آيات من سورة البقرة في كل مراحل الحصة بالروایتين.

القراءة الثالثة:

الإمام قالون: يتبع في ذلك الخطوات المذكورة بزيادة الإشارة لحركة الميم وقفا.

الإمام ورش: يتبع في ذلك الخطوات المذكورة بزيادة الإشارة لحركة الميم وقفا.

القراءة الرابعة: القراءة للإمام قالون بتحريرات ميم الجمع مع مد المنفصل بالقصر والطول وصلا (انظروا جاء في تحريرات ميم الجمع مع المد المنفصل في درة المتون، وما خطه الأستاذ في مذكرته).

الأخضر الدهمة وجهوده في التفسير من خلال كتابه: قطوف دانية من سور قرآنية

أ/ ميلود عمارة

رئيس قسم الحضارة . معهد العلوم الإسلامية . جامعة الوادي
miloud.am84@gmail.com

ملخص البحث

لقد اعتنى علماء الإسلام قديما وحديثا بالقرآن الكريم وبرزت جهودهم من خلال تراثهم الزاخر ومؤلفاتهم المتكاثرة وقد كان لعلماء الجزائر حظا وافرا في خدمة القرآن الكريم وعلومه في مختلف مناحي بيانه وتدبره، ومن هؤلاء العلماء الشيخ: قويدر بن الأخضر الدهمة المتليلي، أشهر علماء المالكية في ولاية غرداية أفنى حياته في خدمة القرآن الكريم حفظا وتفسيرا، من خلال مؤلفاته ومحاضراته.

وفي هذا تأتي هذه المداخلة وفق المحور الثاني ضمن ملتقى "جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه"؛ مبرزة لجهود الشيخ الدهمة في تفسير بعض السور القرآنية من خلال كتابه الموسوم: "قطوف دانية من سور قرآنية"، وتهدف إلى محاولة ربط الدارسين والباحثين في التفسير وعلوم القرآن بخدمة تراث علماءهم المكنون وحسن استغلال دررهم الثمينة المخطوطة منها والمسموعة والمكتوبة، راميةً بذلك إلى إبراز مكانة هذا العالم الرباني، وعطاءاته العلمية في قضايا التفسير القرآني، ثم محاولة التوجيه إلى طرق الاستفادة منها.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف المتوخاة من هذا البحث الذي أسميته: جهود الشيخ الأخضر الدهمة في تفسير القرآن من خلال تفسيره المسمى: "قطوف دانية من سور قرآنية" استهدف هذا البحث: المنهج الوصفي، وذلك من خلال ثلاثة محاور أساسية، وهي:
المحور الأول: التعريف بالشيخ الدهمة؛ نشأته، شيوخه، أهم آثاره.
المحور الثاني: التعريف بالمؤلف؛ ميزته، الباعث على تأليفه، وقيمه العلمية
المحور الثالث: منهج الشيخ الدهمة في تفسيره: "قطوف دانية"

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم أما بعد:

فقد اعتنى علماء الاسلام قديما وحديثا بالقرآن الكريم وبرزت جهودهم من خلال تراثهم الزاخر ومؤلفاتهم المتكاثرة وقد كان لعلماء الجزائر حظاً وافراً في خدمة القرآن الكريم وعلومه في مختلف مناحي بيانه وتدبره، ومن هؤلاء العلماء الشيخ: الأخضر بن قويدر الدهمة

المتليلي، أشهر علماء المالكية في ولاية غرداية أفنى حياته في خدمة القرآن الكريم؛ حفظا وتفسيرا من خلال مؤلفاته ومحاضراته.

وفي هذا تأتي هذه المداخلة وفق المحور الثاني ضمن ملتقى "جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلومه"؛ مبرزة لجهود الشيخ الدهمة في تفسير بعض السور القرآنية من خلال كتابه الموسوم: "قطوف دانية من سور قرآنية"، وتهدف إلى محاولة ربط الدارسين والباحثين في التفسير وعلوم القرآن بخدمة تراث علمائهم المكنون وحسن استغلال درهم الثمينة المخطوطة منها والمسموعة والمكتوبة، راميةً بذلك إلى إبراز مكانة هذا العالم الرباني، وعطاءاته العلمية في قضايا التفسير القرآني، ثم محاولة التوجيه إلى طرق الاستفادة منها.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف المتوخاة من هذا البحث الذي أسميته: جهود الشيخ الأخضر الدهمة في تفسير القرآن من خلال تفسيره المسعّى: "قطوف دانية من سور قرآنية" استهدف هذا البحث: المنهج الوصفي، وذلك من خلال ثلاثة محاور أساسية، وهي:

المحور الأول: التعريف بالشيخ الدهمة؛ نشأته، مذهبه، وإنتاجه العلمية.

المحور الثاني: جهوده في التفسير.

المحور الثالث: منهج الشيخ الدهمة في تفسيره: "قطوف دانية"

المحور الأول: التعريف بالشيخ الدهمة؛ نشأته، مذهبه، وإنتاجه العلمية.⁽¹⁾

• اسمه ومولده: هو الأخضر بن قويدر الدهمة، من مواليد عام 1925م، في متليلي ولاية غرداية، إحدى الولايات الجنوبية الجزائرية، من أبرز علماء المالكية بولاية غرداية، وأشهر أعلامهم.

• نشأته: نشأ الشيخ في مدينة متليلي، وختم القرآن على أحد معلميه؛ وهو السيد محمد كديد -رحمه الله- وتعلم شيئا من الفقه. تلقى علوم اللغة العربية، والفقه الإسلامي على المذهب المالكي على يد الشيخ محمد الأخضر فيلاي أحد تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس -رحمهما الله- في ولاية غرداية 1942م.

ثم أحد الثلاثة الذين اختارهم الشيخ فيلاي لاستكمال دراسته بجامع الزيتونة في تونس حسب المقرر الذي وضعه لها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور -رحمه الله- وذلك من عام 1946م إلى عام 1950م، وتخرج بشهادة "العالمية" التي كان يمنحها جامع الزيتونة آنذاك. وقد أكرمه الله تعالى بالدراسة على يد مشايخ الزيتونة، وهم كثيرون.

وانطلق بعدها في التربية والتعليم والإصلاح بمدرسة حرّة في عين بسام ولاية البويرة، وبعد إغلاق السلطة الفرنسية للمدرسة نهائيا 1956م، عاد إلى مدينة غرداية لمواصلة رسالته التربوية والإصلاحية بمدرسة العرفان التابعة لمسجد حمزة مع بعض الزملاء في ظروف صعبة جدا نجمت عن تصرفات السلطة الأجنبية التي استمرت إلى إيقاف النار.

(1). اعتمدت في ترجمته على ما كتبه أحد تلاميذه في آخر كتاب: قطوف دانية، ج2، ص359.

وبعد الاستقلال التحق بالمدرسة الرسمية إلى جانب قيامه بمهام ثقافية واجتماعية وسياسية وإدارية، ثم انتقل إلى متليلى حيث تولى مهام الاستشارة التربوية تارة والتفتيش تارة أخرى بعدها كلفته وزارة الشؤون الدينية بالتفتيش في ولاية غرداية، وبعد سنتين طلب الإعفاء من ذلك لأسباب صحية. ومازال منذ الاستقلال إلى يومنا هذا يواصل عمارة بيوت الله في متليلى وغرداية بالتوجيه والإرشاد وتفسير القرآن الكريم.

وفي سنة 1992م، أوقف الشيخ مكتبته . الثرية بمختلف المصادر. في سبيل الله لتبقى شاهدا على أعماله العلمية المكتوبة منها والمسموعة، وهي إلى الآن مقصد الطلبة الجامعيين والباحثين، إضافة إلى الندوات مع الأئمة والأساتذة سعيا إلى إصلاح ذات البين بين أبناء البلدة والحفاظ على وحدة الأمة.

نقل أحد تلاميذه تزكية شيخه فلالي له، وهي قوله: "الشيخ الدهمة كالواد السلس إن لم تسأله لا يتحدث وإن سألته أو ثورت المعاني عنده دفع سيله".

• مذهبه: أما عن مذهبه الفقهي فمالكي المذهب، بل هو من أعيان وأئمة المالكية في غرداية، ولعلّ اختياره للمذهب المالكي فيحكم البيئة التي نشأ فيها والعلماء الذين تلقى عنهم الفقه الاسلامي.

• أهم النشاطات العلمية التي أقيمت حوله:

- قد احتضنت جامعة غرداية في جانفي 2015 ملتقى وطنيا تحت عنوان: "الروافد اللغوية وأثرها في درس التفسير عند الشيخ لخضر الدهمة من خلال مؤلفاته ومحاضراته" كيفية الاستفادة من منهج الشيخ في إحياء منهج التفسير البياني، ودوره في تجديد درس التفسير.

- إضافة إلى كثير من البحوث والمقالات التي خصته بالدراسة في مختلف المجالات الوطنية، وكذا المداخلات في قضايا التجديد في التفسير في الفترة المعاصرة.

المحور الثاني: جهوده في التفسير:

1/ عنايته بتفسير القرآن: لقد اعتنى الشيخ الدهمة حفظه الله بتفسير القرآن اعتناء بالغا ويعود ذلك لقناعته بأهمية هذا العلم وشرفه لما يبعثه في قلوب الناس روح الاسلام الصحيح ومقاصده السامية، فتصدق أخباره وتطبق أحكامه على الوجه الذي أراده الله تعالى.

مجالات العناية:

أ- التدريس: من مجالات العناية بالقرآن وعلومه: تدريسه في المؤسسات التعليمية بعد الاستقلال فدرس اللغة العربية والتربية الإسلامية، والتاريخ بولاية غرداية، بقلب رجل متشبع بحبّ الإسلام والوطنية، إلى جانب هذا كان يقوم بدروس دعم وتقوية في اللغة العربية لبعض الأساتذة والمعلمين من خلال سلسلة "النحو الوافي".

وقد كان الشَّيْخ يزواج بين التدريس النظامي والتدريس في المؤسَّسات الدينية يلقي فيها دروس الوعي والإرشاد وتفسير القرآن الكريم، وشرح الحديث النبوي.

كما يضاف إلى ذلك كله مشاركته في اللقاءات العامة والندوات العلمية الهادفة إلى بناء الوطن الجريح بناء متكاملًا.

وبعد العودة إلى مدينة متليلي بإلحاح من أهلها قصد التوجيه الديني والإصلاح الاجتماعي، فمن ضمن ما أسند إليه درس الجمعة في الجامع العتيق إضافة إلى حلقات في التفسير يلقيها على جمهور المصلين في بعض المساجد بين المغرب والعشاء، وبعد صلاة الصبح في مسجد ذي النورين بمتليلي.

وفي سنة 1984م تقاعد رسمياً عن التدريس النظامي، ليفرغ إلى التوجيه والإرشاد، ومنه تفسير القرآن الكريم في مسجد عمر بن الخطاب ففسر فيه الفاتحة والبقرة وقصار المفصل في سنوات عدة.

ب- التأليف: كان اهتمام الشيخ بالتعليم المباشر والتوجيه والإرشاد أكثر من اهتمامه بالتأليف، ومع ذلك فإنَّ ممَّا تمكن من نشره مجموعة كتب في التفسير، وهي:

- "قطوف دانية من سور قرآنية"، مؤلَّف مطبوع في جزئين، ج2: 380ص، ج1، 340ص، فسر في الأول الفاتحة وبعض سور المفصل، والآخر لجمع قصار المفصل.

- "أضواء على سورة الحجرات". وهو مضمَّن في الجزء الأول من كتابة "قطوف دانية"

- "إرشاد الظمآن إلى معاني قلب القرآن".

- "دروس وعبر من سورة الحشر"، تحت الطبع لأول مرة

- وقد ألَّف كتاباً في "فقه المعاملات" ولكنَّه لم يطبع بعد.

- وله أشرطة مسجلة في تفسير سورة البقرة التي قدمها في مسجد "عمر بن الخطاب" بغرداية.

2/ مصادره في التفسير:

- كتب التفسير: استفاد الشَّيْخ من تفاسير من سبقه -كما أشار في المقدمة- علماً أنَّ الشَّيْخ كان مقلاً من النقل عن غيره، وكان غالباً ما يعبر بقوله: قال بعض المفسرين، وقد ذكر المفسرون... وقد وقفت على جملة من التفاسير التي صرح باسمها، أو اسم مؤلفها، وهي:

-تفسير ابن كثير، في التحقيق كما ساق كلامه في تحقيق قصَّة أصحاب القرية، وقد يذكر قصة أو رواية وبعد سوقها يقول: "عن تفسير ابن كثير".

-تفسير الزمخشري: يستفيد منه في بعض النكت اللَّفْظية، كما جاء في تفسير قوله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَخْرُجُ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسْأَلُ عَنْهُمْ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ

- تفسير القرطبي: ينقل عنه بعض آثار الصحابة في التفسير، وأسانيد أسباب النزول، فيقول مثلاً: "عن تفسير القرطبي نقلاً عن الثعلبي".

- أبوبكر بن العربي: ينقل عنه مواضع تفسيرية دون إشارة إلى المؤلف، وفي مواضع يشير إلى كتابه: "أحكام القرآن".

- كما استفاد من تفسير الألوسي، وتفسير ابن عاشور في بعض القضايا اللغوية.

وطريقته في الاستفادة منها إجمالاً؛ إما بالنقل منها مباشرة، أو الاستشهاد بكلام مؤلفها، أو نقل اختياراتهم التفسيرية.

- كتب الحديث: لم يعتن الشيخ بتخريج الأحاديث النبوية في مقام الاستشهاد، وكان

يكتفي بذكر الرواية، كقوله: "فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال"، "وجاء عن النبي ﷺ قوله"، أو جاء في السنة، كما أن الشيخ لا يتعرض للحكم عليها ويكتفي بقوله: رواه ابن ماجه، رواه الترمذي. أما شروح السنة فمن خلال اطلاعي على تفسيره لم أجده يصح بذكرها.

• التعريف بالمؤلف؛ سبب تأليفه، ميزته العلمية:

ألف الشيخ الدَّهْمَة تفسيرا لبعض سور القرآن، وأسماه: "قطوف دانية من سور قرآنية" مؤلف من جزئين أودع الأول سوراً بعينها؛ وهي سورة الفاتحة، ويس، والحجرات، والحشر، أما الجزء الثاني فخصه لجميع قصار المفصل؛ من سورة الضحى إلى الناس.

كانت طريقة الشيخ الدَّهْمَة قبل تأليف هذا التفسير هو التأليف الجزئي لسور القرآن، فالسور القصار لوحدها، وسورة الحجرات، والحشر، وهكذا، ثم اهتدى إلى جمعها في كتاب واحد، وغرضه من ذلك هو معالجة الأمراض الاجتماعية والتوجيه إلى ما يصلح من الأفكار.

وقد طبع تفسيره في مطبعة مداد، غرداية، الجزائر، 1431هـ- 2010م في مجلدين وهي الطبعة المتداولة.

وكتاب "قطوف دانية" هو تفسير لبعض السور مع مقدمة للمؤلف بين فيها الأعمال الأصلية لمادة التفسير وهي عبارة عن دروس تفسيرية في أحد مساجد متليي، كما أودع في المقدمة الباعث على تأليفه هذا التفسير ثم منهجه فيه.

* الباعث على تأليف كتابه:

يقول الشيخ الدَّهْمَة في مقدمة تفسيره: «وكنيت قبلاً أكتفي بمذكرات وجيزة أدون عليها العناصر الرئيسية في الموضوع لأنوسّع فيها عند الإلقاء، ولكن بعض الأساتذة من أبنائي

(1). ينظر: قطوف دانية، ج 1، ص 253.

الروحانيين أَلْحَوْا عليّ في تلخيص هذه الدروس على قراطيس لتكون تفسيراً يانعا ميسراً يساعد القارئ على التصور الصحيح لمعاني الآيات، فأجبتهم إلى ذلك»⁽¹⁾.

وهدف هؤلاء الأساتذة من طلب التأليف هو تعميم الفائدة من دروس الشيخ وأن لا تقتصر على الحاضرين، فأجابه إلى تفسير جميع سور المفصل بأسلوب مختصر يتناسب مع طلاب المرحلة الثانوية والجامعية لاحتوائها على تحليلات لغوية متميزة لا يتحملها عوام الناس.

ويقول في موضع آخر: «وعلى سبيل التجاوب مع رغبات بعض المعلمين والأساتذة الذين كانوا يشرفوني بالحضور إلى دروسي الشفوية أو بقراءة كتي المؤلف، ثم يصارحوني بأنهم قد استحسّنوا وانتفعوا باستعمال بعض قواعد النحو لتوضيح المعاني، وتطويعها للتصور السليم فقد لييت ما رغبوا فيه، دون أن يخرجني ذلك من اعتبار القرآن الكريم كتاب هداية لا كتاب علوم مختلفة»⁽²⁾.

ويبين الشيخ بعدها سبب اقتصاره في الكتاب على تفسير ما ورد فيه من سور محدودة، دون كل السور فيقول في هذا: «وبما أنّ أحوالي - الخاصة والعامة - لم تسمح لي بالرجوع إلى كلّ ما مضى من دروس فقد اقتصر - في إجابتهم - على الدروس التي كنت بصدها حينذاك، وما بعده»⁽³⁾.

كما قدم بعدها الشيخ الطريقة التي اعتمدها وسار عليها في تفسيره وهي عدم التوسع، والاقتصار على الفائدة، يقول: «وقد تجنّبت فيه التوسّع فيما لا أراه مفيداً للقارئ من أفكار ثانوية، أو روايات متعددة بينما توسّعت توسّعاً - قد يلفت النظر - فيما فيه تثقيف للعقل، أو اندياح⁽⁴⁾ لدائرة الفهم، أو مادة لاستنباط العبر بما له صلة بالآيات المفسّرة»⁽⁵⁾.

وهكذا يكون تفسير الشيخ الدهمة من التفاسير الميسرة في لغته وبيانه، وهدفه في ذلك هو مساعدة جمهور المصلين على فهم ما يرددونه كثيراً في صلواتهم.

ويمتاز تفسيره باحتواه على المضامين الإصلاحية الموجهة إلى الفئة المثقفة، ليجعل منهم جيلاً يعتمدون في حياتهم على معاني القرآن الكريم، وما تنبغي لهم أن يفهموه من كتاب الله تعالى.

كما يركز التفسير على معالجة القضايا الاجتماعية المختلفة، ويتجلى هذا في اهتمامه بالبعد الواقعي في تفسيره وكيفية تطبيق القرآن في حل مشاكل المجتمع. كما سيأتي في بيان منهجه.

(1). قطوف دانية، ج 1، ص 1.

(2). قطوف دانية، ج 1، ص 7.

(3). قطوف دانية، ج 1، ص 2.

(4). يقال: داخَت الشجرة دوح إذا عظُمت، والدَّوح: البيت الضخم الكبير، وانداح بطنه: خرج واستدار،

ينظر: لسان العرب، ج 2 ص 436.

(5). قطوف دانية، ج 1، ص 3.

المحور الثالث: منهج الشيخ الدهمة في تفسيره: "قطوف دانية":

• المنهج العام لتفسيره:

يذكر الشيخ الدهمة في مقدمة تفسيره "قطوف دانية" منهجه الذي اعتمده في تفسيره، يقول: «ومنهجي في التفسير أن أتلو الآيات التي أقصد إلها تلاوة متأنية أحاول بها اقتناص المعاني القريبة التناول وتحديد الآيات التي تستوجب الاستعانة ببعض كبار المفسرين ومحققهم وعند اختلافهم أقارن بين أقوالهم محكماً النقل الصحيح والعقل الحصيف والدّوق السليم فأستمسك بما يشهد له هذا التحكيم وأرفض ما سواه ثم أرتب المعاني وفق ما أراها حرياً بولوجها إلى أذهان المستمعين أو القراء في يسر وانسجام ثم أتوكل على الله في تسجيلها وإلقائها ونجاحها مراعيًا في الإلقاء تباين المستويات بحيث لا ينزعج المثقف بضياغ وقته، ولا الأمي بعسر فهمه، أما هذا التفسير المكتوب فهو موجّه إلى ذوي الثقافة العامة ممن يمكنهم متابعة البحث والتحقيق، ومسيرة التحرير والتدقيق في مباني الكلام ومعانيه وهو لا يختلف عن التفسير المسموع من حيث المنهجية إنما يختلف عنه من حيث الاختصار، والمستوى اللغوي المرفع وتذليل كلّ سورة بما رأيته جديراً بلفت النظر إليه من معانيها أو مراميها أو أحكامها أو عظامها»⁽¹⁾.

ومن طرق التيسير والتنبيه على الإصغاء هو اعتماد طريقة طرح الأسئلة ثم الإجابة عليها، ففي قوله تعالى: ومن هم الذين أنعم الله عليهم؟ وبم أنعم الله عليهم؟ وما الحكمة من ذكرهم لنا؟ ولم دعانا الله إلى الاقتداء بهم؟ وكذا في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ [الحشر: 7] يسأل: وما هو الشيء الذي آتاه الرسول ﷺ المؤمنين، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْدُثُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: 9]... يسأل: وماذا أعطى الرسول ﷺ للمهاجرين؟ لا يهتم بالبحث عن المهمات التي لا فائدة من ورائها، كالمهمات التي جاء في قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية...﴾ والقرية لم يسمها الله تعالى لأن العبرة تحصل بدون تعيينها "والعبرة ليست متوقفة على معرفة أسمائهم، ولو كان في ذكرهم فائدة لأفادنا الله بها".

كاسم الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وعن كيفية قتله، وغيرها من الجزئيات التي «ولم يذكر في الآية اسم الرجل الذي جاء يسعى ولو كان في ذكر اسمه عبرة لذكره، إذا لا فائدة في البحث عنه... وأياً ما كانت كيفية قتله فهو شهيد»⁽²⁾.

* كان يتطرق لرد الشبهات المعاصرة والمفاهيم الخاطئة المتعارضة مع أصول الإسلام ومقاصده السامية ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ [الحشر: 7]، فبعد بيانه للأدلة القطعية على ثبوت السنة ووجوب الأخذ بصحتها لأنها وحي

(1). قطوف دانية، ج 1، ص 2-3.

(2). قطوف دانية، ج 1، ص 97-102.

من الله، حذر الشيخ من الطوائف التي تهدم الإسلام، وخطر انتشارها في العالم الإسلامي وذكر منها ما يسمى بـ"القرآنيين" المنكرين للسنة وكذا العلمانيين المحاربين للقرآن والسنة معا بدعوى الديمقراطية الوهمية.

كما حَزَّ في نفسه ما تعتقده الفرق الضالة كغلاة الشيعة التي لا تتورع عن سب الصحابة، وكالخورج والقاديانية، وغيرها ممن يرعاهم ويشجعهم المحتلون الأجانب بغرض تطويع المسلمين لقبول احتلال بلادهم، ونهب خيرات أوطانهم.⁽¹⁾

* الاعتناء بالجانب المقاصدي في الشريعة الإسلامية فكان ينبه في كل مناسبة على أن الإسلام دين السلم والأمان، لا الإرهاب والترويع، فيحث على عدم الاعتداء على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، لأن الشريعة جاءت لحفظ الأعراض والأموال والأنفس، وأن ما تعتقده بعض الفرق المضللة من الاعتداء على الأبرياء والإحراق يعتقده "جهادا" مما جعل غير المسلمين ينفرون من الإسلام، ويسمونهم بالإرهاب والهمجية، وكان الشيخ في كل هذا يدل على ما يقوله من القرآن والسنة، كونهما المنهج الأسلم اعتقادا وعبادة ومعاملة.

مثال: ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾، يقول: ومما تجدر التنبيه عليه أن الاهتمام بمعرفة النسب من أجل صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب مطلوب شرعا... وكذلك الاهتمام بالمحافظة على طهره، والحذر من اختلاطه، وهو من مقاصد الشريعة⁽²⁾

وقد كان الشيخ يورد الآية ويعقبها بمناسبتها لما قبلها⁽³⁾، ثم سبب نزولها⁽⁴⁾، وبعدها يشرح الألفاظ ثم يبين مفهوم الآية ومعناها: بعبارات متعددة: "معنى الآية، وحاصل المعنى، ومفهوم الآية" وفي ثنايا ذلك يعنى بمقاصد الآية ومراميها، وبعض الأحاديث والآثار المعضدة للمعنى، بعبارات، منها: "يستنتج من الآية الكريمة⁽⁵⁾، وبناء على هذا المعنى، والخلاصة أن الآية تشمل على كذا، ويستفاد من الآية الكريمة كذا.

(1). قطوف دانية، ج 1، ص 384-385.

(2). قطوف دانية، ج 1، ص 285-286.

(3). يذكر الشيخ المناسبة فيما إذا كان وجه الربط بين الآية وقبلها من الآيات غير واضح، أما إذا كانت الآيات في تقرير شيء واحد على نسق متصل فلا يذكر المناسبة.

(4). يعنى الشيخ في كثير من الآيات بأسباب النزول بذكر ملخص السبب من غير إسهاب في الروايات المتعددة إن وجدت، إلا أن تكون الروايات كلها يحتملها المعنى فيذكرها مشيرا إلى عموم الآية، يقول مثلا: "جاء في الروايات أن أمية بن خلف توجه إلى النبي ص وفي يده عظم إنسان رميم، ففتنه وقال يا محمد أتزعم أن الله يحيي هذا بعد ما أرم؟.. ويروى أيضا عن العاص بن وائل، وأبي جهل. ويقول العلماء المحققون: لعل هؤلاء الثلاثة جاءوا إلى النبي ص في فترات مختلفة"، ويقول في موضع آخر: "روي في نزولها روايات متعددة، منها..." ويذكر واحدة منها. كما جاء في سبب قوله تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا" بأنها القبيلة أو الرجلين أو النفر يعقب على أن الآية تقتضي جميع ما روي لعمومها، كما نقله عن ابن العربي.

(5). عند تفسير قوله تعالى: "فأصلحوا بين أخويكم"، يقول: يستنتج من الآية أن الأخوة بين المؤمنين وما تقتضيه من حب ووثام ووحدة وسلام وتعاون هي الأصل في حياة المسلمين، وأن التباغض والتنازع والتقاتل خروج عن ذلك الأصل. 249/1.

ومن منهجه إيراد مصطلحات مبينة للمعنى ومرشدة للصواب، كالتذليل والتنبيه، وغيرها.

- التذليل: هو تعقيب على المعنى بما له صلة بالموضوع، وغرضه توكيد المعنى.

- التنبيه: هو إعلام ما في ضمير المتكلم للمخاطب.

* لم يضمّن الشيخ تفسيره تعليقات أو تعقيب في الحاشية، إلا عند شرح بعض المصطلحات، في النصوص المنقولة أو الآثار.

• المنهج التفصيلي للمؤلف:

* موقفه من العقيدة: من خلال تفسير الشيخ، يمكن القول -بناء على عدة نصوص- أنه يتبع مذهب السلف الصالح في مسائل الاعتقاد، والردّ على المبتدعة وأصحابها، فهو ثبت ما أثبتته الله لنفسه من أسماء وصفات من غير تأويل لكيفيتها ولا تعطيل لماهيتها، يقول الشيخ: «والفرق بين وحدانيته في ربوبيته ووجدانيته في أسمائه وصفاته ووجدانيته في ألوهيته أن وجدانيته في ربوبيته تعني أنه وحده الحالق والمالك والمدير، ووجدانيته في أسمائه وصفاته أن أسماء الحسنی وصفاته العلى كاملة لا يشركه فيها أحد، وأنّ وجدانيته في ألوهيته تعني أنه هو وحده المعبود بحق وما عداه من المعبودات فهي باطلة».⁽¹⁾

وفي ردّه على بعض الأقاويل البدعية الخرافية التي يزعم فيها أصحابها أنهم يتكلمون مع الأموات ويصافحونهم وولعهم بالكرامات الزائفة يرى بأن كل هذا من السخافات المستخدمة لخدع عوام الناس ولضمان ولائهم الروحي والمادي، وهو من الزيف والإثم الذي تتبرأ منه عقيدة التوحيد. مبينا أنّ هناك كرامات حقيقية يمنحها الله بعض أوليائه المؤمنين المتقين.⁽²⁾

وقد دافع عن عقيدة التوحيد ودفع ما يشوبها من أعمال بدعية منكرة، كالتوسّل بالميت لقضاء الحاجات، والطواف بالقبور كما يفعله الجاهل، وغيرها من أعمال.⁽³⁾

* ملامح البعد الواقعي في تفسيره: مما جاء في هذا المقاربة بين حال المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات وهو عدم سلامة المسلم من ألسنتهم مهما كان تصرفه، وبين حال مجتمعاتنا اليوم الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، يقول: «...إذا رضوا عن شخص بالغوا في مدحه، وقلبوا سيئاته حسنات، وإذا سخطوا عليه تجاوزوا الحدّ في ذمّه، وقلبوا حسناته سيئات».⁽⁴⁾

- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا

(1). قطوف دانية، ج 2، ص 317.

(2). قطوف دانية، ج 1، ص 112.

(3). قطوف دانية، ج 2، ص 182.

(4). قطوف دانية، ج 1، ص 262.

وَقَالُوا أَنَّهُمْ مَآزِنُهُمْ خُصُونَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَأَنذَرْتُهُمُ اللَّهَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴿١٠﴾ [الحشر: 2]، يقول الشيخ: تنبيه: ذلك الظن الذي كان متواردا بين العرب المسلمين واليهود في المدينة المنورة على عهد رسول الله ﷺ قد تكرر في عصرنا هذا بين الفلسطينيين واليهود الصهيونيين على أرض فلسطين العربية، فبعض الفلسطينيين يظنون أن لا طاقة لهم بإخراج اليهود من أرضهم، واليهود كذلك يستبعدون الخروج من فلسطين اعتمادا على ما عندهم من أسلحة مدمرة.... والذي نرجوه من المولى عز وجل أن يأتيهم عقابه من حيث لم يحتسبوا كما أتى أسلافهم من يهود بني النضير وقريظة... وما ذلك على الله بعزيز إن استقام العرب على شريعة ربهم، والتزموا بقراءتهم. " ونفس الإسقاط في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الحشر: 11].

- مما ذكره في تعنت أصحاب القرية في اتباع الرسل الثلاثة، فذكر أنهم لما عدموا الحجة التي يردون بها على دعوة الرسل لجأوا إلى التشاؤم وإلى التهديد بالعنف ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس: 18]، وهذا دأب الطغاة على مرّ العصور حين يُعوزهم الدليل المقنع يلجأون العنف أو التهديد، وساق أمثله على أمثال هذه الردود على الأنبياء السابقين يقول: «كما يتمالآ الآن اليهود والمتهودون وعملاؤهم على إفراغ الإسلام من محتواه الذي من شأنه أن يبعث العزة والكرامة في نفوس معتنقيه، ويضغطون ضغوطا ملحّة ووقحة على الدول الإسلامية في العالم ليغيروا مناهج التعليم في بلادهم، وذلك بحذف كل النصوص الشرعية التي تحيي في الشباب روح المقاومة للعدو الأجنبي وتحفظهم من الوقوع من فريسة صائغة للظالمين المحتلين لبلادهم»⁽¹⁾.

وبعد تفريقه بين الإيمان والإسلام المستوحى من قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 14] يستلهم منه قيمة تربية عملية ينبغي على المسلم أن تتمثلها، يقول: «وإذا كان لنا -نحن أبناء هذا الزمان- أن نستخلص درسا قيّما من هذه الآية فهو أن لا نكتفي بالأعمال الظاهرة التي تميّز شريعة الله في الأرض دون أن تكون صادرة عن إيمان عميق تسري حرارته في الأفعال والأقوال سريان الدّم في الأجساد حتى لا تكون عبادتنا وسائر تصرفاتنا حركات وهيئات جوفاء لا مصداقية لها ولا أجر، وسحقا ثم سحقا للجهل الذي يجعل المسلم يعتقد أنه يحسن صنعا بنفسه وهو مع الله والواقع خلاف ذلك»⁽²⁾.

ومنه ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْصُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ [الماعون: 3] فبعد بيانه لمعنى المسكين الجدير بالإنفاق وهو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفتن له فيتصدق عليه، يقول:

(1). قطوف دانية، ج 1، ص 94-95.

(2). قطوف دانية، ج 1، ص 295-296.

«والذي يحض غيره على طعام المسكين يُفترض فيه أن يحض نفسه على ذلك إلا أن يكون عاجزا، ومما يدخل ضمن الآية الكريمة تلكم الجمعيات الخيرية التي يؤسسها أصحابها لدعوة الناس إلى التبَرع على ذوي الفاقة، والإنفاق على مشاريع الخير»⁽¹⁾.

ومما يتجلى فيه البعد الواقعي ما ذكره بعد تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿﴾ [الزلزلة: 7-8]، وما تشير إليه الآية من عدل الله تعالى المطلق بين الناس، وكذا من قوله: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: 47].

يقول الشيخ: «ولو أننا معشر المسلمين طبقنا في مجتمعنا هذا المبدأ العظيم وهو العدل الشامل بحيث ينال كل واحد ما يستحقه من إكرام وتشجيع إذا أحسن عمله ومن إهانة وعقوبة إن هو أساء عمله دون التفات إلى الروابط النسبية أو المصلحية إذن لاستقامت الحياة وازدهرت الحضارة الروحية والعقلية والمادية»⁽²⁾.

* موقفه من تفسير القرآن بالقرآن: مما يلاحظ على تفسير الشيخ الدهمة هو اعتماده على تفسير بعض المعاني القرآنية استنادا إلى آيات أخرى مبينة أو مفصلة للمعنى الأول، وإن لم يشر في كثير من الأحيان إلى الآية التي استفاد منها اختصارا، ومن تفسيره القرآن بالقرآن صراحة نذكر:

- تفسير قوله تعالى: ﴿يَرْمِطُ الَّذِينَ آمَنَتْ عَنْهُمْ﴾ [الفاتحة: 7] يفسره بالمذكورين في سورة النساء عند قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]⁽³⁾.

- ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَوَّى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [يس: 11] المراد بالذكر - هنا - القرآن العظيم، قال الله عز وجل في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]⁽⁴⁾.

- ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَرِيدٌ﴾ [الحشر: 14]، يفسر الشيخ البأس بالعداوة والبغضاء استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَالْقَيِّمَاتُ بَيْنَهُمْ الْعَدَاةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ [المائدة: 64]، يقول: «وهذا المعنى هو المقصود من البأس في سورة الحشر - والله أعلم - والقرآن يفسر بعضه بعضا»⁽⁵⁾.

تفسير القرآن بالسنة: من خلال تفسيره يتضح أن الشيخ لم يكثر من الأحاديث المباشرة في التفسير؛ الذي يمكن تسميته "التفسير النبوي" إنما أكثر من الأحاديث والآثار كشواهد

(1). قطوف دانية، ج 2، ص 247.

(2). قطوف دانية، ج 2، ص 148.

(3). قطوف دانية، ج 1، ص 44.

(4). قطوف دانية، ج 1، ص 77.

(5). قطوف دانية، ج 1، ص 401.

وأدلة على ما يذكره من آراء في الآية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَكْشِبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ﴾ [يس: 12]، يقول: «المراد بأثارهم ما خلفوه بعد موتهم مما يجلب لهم الخير أو الشر» كعلم علموه، أو كتاب ألفوه.. أو بدعة منكرا نشروها... روي عن رسول الله أنه قال: "من سنَّ في الإسلام..."⁽¹⁾

أما التفسير المباشر فقليل ومنه ما جاء في تفسيره: "المغضوب عليهم"، يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم فسّرهم باليهود، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: 60]

وفي "الضالين" فسّرهم النبي ﷺ بالنصارى لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُوا أَمْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].

وكما جاء جليا عند تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: 65]، إذ يقول: «وتفسيرا لهذا المعنى يقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم: ...فيختم الله على فيه، فيقول لأركانها: انطقي، فتنتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعدا لكنّ وسحقا...»⁽²⁾

* القضايا اللغوية والبلاغية في تفسيره: يتميز تفسير الشيخ الدّهمة "قطوف دانية" بغلبة الصنّاعة اللغوية بمستوياتها المتعددة فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه من مسألة نحوية أو قضية صرفية أو نكتة بلاغية، مما يعكس اهتمامه البالغ باللغة العربية وإشارته إلى دورها الهام في بيان مراد الله تعالى.

- القضايا اللغوية: مما أورده في المسائل النحوية المتميزة ما جاء في تفسير "بسم الله" أول سورة الفاتحة وهو أنّ معنى الباء في "بسم الله" للملابسة، ومثلها الباء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: 206] ويعد معنى "الملابسة" بهذا المصطلح مما انفرد به الشيخ لعدم وروده في المؤلفات النحوية.

وفي بيان معنى الهداية⁽³⁾ في قوله تعالى: ﴿أَفِيدَا نَصْرَكَ لِنُصْرتِكَ﴾ [الفاتحة: 6] جاء في صيغة الأمر، وعلى سبيل التأدب مع الله عزّ وجلّ، ويعربه النحاة: فعل دعاء.

كما ينه على التصويب اللغوي واللحن الذي يقع فيه بعض الناس وخاصة القراء، ومنه ما يرد من فتحهم همزة "اهد" فينقلب المعنى من طلب الهداية "اهد" إلى طلب الهدية "أهد"، وهو لحن جلي يجب تجنبه في التلاوة.

ومن مجالات العناية اللغوية: اهتمامه بالفروق اللغوية الدقيقة في شرح بعض

(1). قطوف دانية، ج 1، ص 81.

(2). قطوف دانية، ج 1، ص 159.

(3). قطوف دانية، ج 1، ص 39.

الألفاظ: كالسفع والصفع، والتجسس والتحسس، والبأس والبؤس... وغيرها.

- القضايا البلاغية: تطرّق في تفسير سورة القارة إلى قضايا بلاغية هامة من تشبيه وكناية، يقول: «والمبثوث: المتفرّق المنتشر، شُبّه الناس عند خروجهم من قبورهم بالفراش، ووجه الشبه بينهم وبين الفراش؛ الانتشار والذهاب والمجيء والاضطراب والضعف فالناس في ذلك اليوم يكونون هائمين لا يدرون أين يتوجهون ولا يعلمون ماذا يصنعون»⁽¹⁾ كما أوضح وجه الشبه بين الجبال والعين بأنها خفة الوزن واختلاف الألوان، وأيضا عرض معنى الكناية الواردة في بيان ثقل الموازين وخفتها والتي تعني كثرة الحسنات وقلتها، وعن المجاز فيها يقول: «ووصف العيشة بالرضا على سبيل المجاز، وإلا فإن العيشة لا توصف بالرضا، ولا بعده، وإنما الذي يوصف بذلك صاحبها... "أُمّه" يراد بها - والله وأعلم- المعنى المجازي أي: هو يأوي إلى الهاوية كما كان يأوي إلى أمه التي ولدتها، وهذا على سبيل التهكم به»⁽²⁾.

ومن مواضع تعرّضه لبلاغة الأساليب وأفانين الكلام، ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: 4] «والتكنية بحمل الحطب عن إيقاد نار الفتنة والعداوة بين الناس معروفة عند العرب، يقال: هو يحمل الحطب بينهم أو هي...»⁽³⁾

كما تكلم في ظاهرة "العدول البلاغي" في استعمال حروف المعاني وسرّ توظيفها بما يخالف مقتضى الظاهر، ومن ذلك ذكره لنكتة العدول عن توظيف "سوف" للدلالة على المستقبل البعيد إلى استعمال السين الدالة على القرب وهذا عند قوله تعالى: ﴿سَيَصِلُنَّ آثَارُ ذَاتِ الْهَبِ﴾ [المسد: 3]، «وبما أنّ النار التي توعدّها أبو لهب تقع في المستقبل البعيد في عرفنا كان الموضع يقتضي "سوف" التي تمحض المضارع للدلالة على المستقبل البعيد، ولكن عدل عنها إلى السين من باب: "كلّ ما هو آت قريب"»⁽⁴⁾.

أما عن المصطلحات البلاغية التي اعتنى بشرحها، وتقريب معانيها؛ فكثيرة، منها:

مصطلح "الاحتباك": وهو أن يحذف من الأول نظير ما أثبت في الثاني، ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 22] والتقدير: وما لي لا أعبد الذي فطرني وفطركم، وإليه ترجعون وأرجع.

"الاحتباس"⁽⁵⁾: وهو إزالة الوهم الذي قد يسبق الأذهان.

"الاكتفاء"⁽⁶⁾: بكوفه: ﴿لَا أَلْسَمُ نَبِيًّا لَهَا أَنْ تَذَرِكَ الْعَمْرَ وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: 40].

(1). قطوف دانية، ج 2، ص 167.

(2). قطوف دانية، ج 2، ص 170.

(3). قطوف دانية، ج 2، ص 303.

(4). قطوف دانية، ج 2، ص 302.

(5). قطوف دانية، ج 1، ص 113.

(6). قطوف دانية، ج 1، ص 126-127.

- "الإظهار في موضع الإضمار"⁽¹⁾، وهو كثير، ومنها: "تشابه الأطراف"⁽²⁾: وهو إعادة اللفظ الأخير: المذكور في جملة سابقة في صدر جملة لاحقة، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: 2-3].

ومن المسالك اللفظية النادرة، ما ذكره الشيخ⁽³⁾ في جملة: "كلّ في فلك" أنها تقرأ من آخرها كما تقرأ من أولها، ومثلها في ذلك قوله تعالى: "وَرَبِّكَ فُكْبَرٌ"، ولعل الشيخ استفاد من العلامة ابن عاشور في هذا، فقد قرّر هذا في تفسيره واعتبرها من مبتكرات القرآن، وضرب من الإعجاز⁽⁴⁾. وهو نوع يسميه الأدباء: "المقلوب المستوي".

وبهذا يتضح لنا أن تفسير الشيخ يميل إلى القضايا اللغوية المتعلقة بالتفسير، وهو بذلك يعد من التفاسير اللغوية والبلاغية التي تمتاز بقرب فهمها وسهولة طرحها، ومما أكسبه مهارة في إتقان هذه الصنعة هو نشاطه الدعوي ورسالته التعليمية التي يؤدّيها طول حياته، فكأنه يشير إلى أن معظم التباسات الدلالة وسوء الفهم الواقع عند كثير من الناس وكذا المتعلمين في بعض الآيات القرآنية؛ هو من عدم إتقان الأداة اللغوية نحواً وصرفاً وبلاغة، كما أن الفترة التي عاشها أول حياته إبان الاستعمار كانت عصيبة بالنسبة للغة العربية فبي من الثوابت التي كان الاستعمار يحاربها ويحاول طمسها بشتى الطرق فكان الشيخ متأثراً بمدرسة عبد الحميد بن باديس الدعوية الإصلاحية.

* المباحث الفقهية في تفسيره: على الرغم من انتماء الشيخ الدهمة إلى مذهب الفقه المالكية إلا أن آراءه الفقهية في تفسيره ذات الرؤية الشمولية، فيسند في كثير من القضايا إلى علماء الإسلام وفقهائه، كأن يذكر عبارة: "وقد استدل فقهاء الإسلام"، وهذا ما يشير إلى عدم تعصبه وخضوعه للحق والدليل أينما وجده، وقد كان في ثنايا تفسيره يخصص مبحثاً يسميه: "أحكام فقهية".

ففي قراءة القرآن على الميت مقابل أجره؛ يقول الشيخ: "وقد أفتى الفقهاء بأن ذلك حرام".

وقد يخصص قوله بالمذهب يقول في تفسير "الفاحة": « وفقهاؤنا يقررون أن اللحن الذي يغيّر المعنى مبطل للصلاة».⁽⁵⁾

وعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، الاهتمام بمعرفة النسب من أجل صلة الأرحام -الإحسان إلى الأقارب- مطلوب شرعاً.⁽⁶⁾

(1). قطوف دانية، ج 1، ص 138.

(2). قطوف دانية، ج 2، ص 98.

(3). قطوف دانية، ج 1، ص 128.

(4). ينظر: التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، 1984م، ج 17، ص 61.

(5). قطوف دانية، ج 1، ص 39.

شرعا.⁽¹⁾

كما نقل الشيخ احتجاج الإمام مالك بهذه الآية على عدم اشتراط النسب والحسب وغيرهما في الكفاءة المتعلقة بالزواج، واعتبر الكفاءة في الدين فقط، وهو ما كان معمولا به في عهد الرسول ﷺ.⁽²⁾

ومن المسائل الفقهية المعاصرة التي أفتى فيها الشيخ؛ ما قد يفعلها المنتسبين إلى الإسلام، من إحاطة النفس بأحزمة ناسفة في وسط جمهور الناس ليقتلوا عددا من الأبرياء رجالا ونساء، وما يقومون به من تدمير مؤسسات الدولة بواسطة السيارات المفخخة أو القنابل الموقوتة.

حيث وجه الدلالة المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر:5]، يجيب الشيخ بأن هذا التصرف ليس من الشريعة الإسلامية في شيء وأن الآية الكريمة في حق اليهود المحاربين، وقاس العلماء عليهم غيرهم في أي عصر من العصور، أما غير المحاربين سواء أكانوا يهودا أم غير يهود فلا يحق لأي مسلم في الاعتداء عليهم.

ثم أنكر بشدة الفكر الجارحي المقيت الذي برز في أمتنا مبكرا ثم أطل على مجتمعنا المعاصر بجرائمه الفظيعة، مؤداه تكفير كل من خالف مذهبهم، وامتدادا لهذا الفكر ركز الشيخ على تصرف ممجوج أدركه في مجتمعه الخاص، نجم عنها آثارا سيئة، إنه الفكر العنصري الذي يوهن روابط المودة والإخوة بين الطوائف، وينزع الكراهية بين الجماعات، ويحيي النعرات الجاهلية، واستغرب الشيخ أن يقع هذا بين من يدعون الإسلام ويصلون ويصومون.. ويختم هذا بنصيحة إصلاحية لذوي الكفاءة من أبنائنا أن ينشروا في مجتمعاتهم الوعي الإسلامي المضاد لهذه الأفكار الهدامة.⁽³⁾

ومن الأحكام المذكورة في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:10]، ما نقله عن فقهاء الإسلام قولهم: "إذا بايع الناس إماما مبايعة حرة وليس فيها تزوير ولا إكراه، وخرج عليه رئيس آخر قُتل هذا الأخير أو قُتل هو جماعته حتى يفيئوا إلى الصواب" حفاظا على أصل وحدة الأمة.⁽⁴⁾

ولتقدم المؤلف لم نشهد له في تفسيره اهتماما بالغا بالعلوم الكونية وما أثبتته العلوم المادية، كما لم يستطرد في القصص وتفاصيله.

خاتمة

(1). قطوف دانية، ج 1، ص 285.

(2). قطوف دانية، ج 1، ص 289.

(3). قطوف دانية، ج 1، ص 351-353.

(4). قطوف دانية، ج 1، ص 249.

يمكن أن نستخلص من كل ما سبق أنّ الشيخ الأخضر بن قويدر الدهمة من العلماء المفسرين للقرآن الكريم في الجزائر، تشهد له جهوده العلمية والإصلاحية في خدمة كتاب الله تحفيظاً وأداءً وتفسيراً، كما يتجلّى جهده في تفسيره: "قطوف دانية" الذي ألفه لحلّ القضايا الاجتماعية بلغة فصيحة متميزة، وأسلوب سهل يتناسب وفهم المسلم المعاصر.

التوصيات: مما أوصي به في هذا البحث ما يأتي:

- جمع دروس الشيخ الصوتية لكتابتها وتوثيقها.
- تفعيل الموقع الإلكتروني للشيخ قصد تعميم الفائدة من آثاره المسموعة والمكتوبة.
- توجيه الطلبة لدراسة تفسير الشيخ؛ من مواضيع التفسير البياني، التفسير الإصلاحي، منهجه في التفسير.

الشيخ محمد الحواس بوسنة وجهوده في التفسير الإصلاحي

أ/ نبيل بوراس

قسم أصول الدين . معهد العلوم الإسلامية . جامعة الوادي

Bourasnabil35@gmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث التعريف بأحد أئمة الجزائر، وجهوده في خدمة كتاب الله عز وجل من خلال تفسيره "الفيض الرباني"، الذي سعى من خلاله ربط الأمة بكتاب ربها؛ ليكون السبيل القويم للنهوض بها، فجاء تفسيره إصلاحيًا مواكبًا لروح العصر وكذا انشغالاته.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على المبعوث بالقرآن هداية ورحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد علمت الأمة أنّ طريق الفلاح والنجاح هو القرآن الكريم، فأقبلت عليه قراءة وحفظًا ودراسة وتفسيرًا، تستهدي به في المدلهمة التي تعترجها على مرّ الأيام والليالي، فتعددت بذلك ألوانه ومناهجه.

ولئن كانت جهود المغاربة في تفسير القرآن الكريم قد تأخرت عن نظيرتها في المشرق؛ نظرًا للخصوصية التاريخية؛ إلا أنه قد شهدت نهضة علمية منقطعة النظير، منذ أن بزغ فجره مع وارث علم المدرسة البصرية في التفسير، وهو الإمام يعي بن سلام البصري، ومنذ ذلك الحين لا زالت قرائح العلماء المغاربة تجود بما فتح الله عليها إلى عصرنا الراهن.

وقد حفل القطر الجزائري بجملة من الأئمة الأعلام الأفذاذ الذين وهبوا أعمارهم، وبذلوا كل غال ونفيس في سبيل ربط الأمة بكتاب ربها، فكان ذلك ديدنهم وشغلهم الشاغل، فجاء تفسيرهم مواكبًا لروح العصر بكل المعايير.

ومن بين أولئك الأئمة البررة الشيخ الإمام محمد الحواس بوسنة الجزائري الذي أتحننا بتفسيره . الماتع بحق . "الفيض الرباني"، الذي كان ثمرة سنوات طويلة في مجال الإمامة والتدريس.

وقد أحببت في مثل هذه المناسبة أن أبرز جهود هذا الشيخ الجليل في التفسير الذي اتّسم بالطابع الإصلاحي حتى يقف الدارس والمطلع على جهود هذا الشيخ في هذا اللون من التفسير، لذا فقد عنونت هذا البحث بـ" الشيخ محمد الحواس بوسنة وجهوده في التفسير الإصلاحي".

والإشكال الرئيس لهذا البحث يتمثل في: من هو الشيخ محمد الحواس؟، وما ملامح المنهج الإصلاحي في تفسيره؟.

وقد استوى بنیان هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة متضمنة لأهم النتائج والتوصيات.

أما المبحث الأول فخصصته للحديث حول سيرة الشيخ الحواس، وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب، أما المبحث الثاني فكان للتعريف بتفسيره وقد حوى مطلبان، وبخصوص المبحث الثالث فكان لبيان ملاح التفسير الإصلاحي عند الشيخ، وقد تضمن ثلاثة مطالب.

المبحث الأول: سيرة الشيخ محمد الحواس

المطلب الأول: نسبه و مولده وأسرته

هو العلامة الشيخ محمد الحواس بن محمد الطيب بن أحمد بن الحسن بوسنة، من مواليد السابع والعشرون من شهر مارس 1932م، ببلدية الرصفة، دائرة صالح باي، ولاية سطيف⁽¹⁾.

نشأ الشيخ محمد الحواس في أسرة اشتهرت . في تلك المنطقة . بالصّلاح والعكوف على العلم الشرعي طلبا وتأصيلا وتدريسا وتأليفا.

فهذا جده الشيخ سيدي الحسن⁽²⁾ أحد أعيان وأبرز أقطاب الطريقة الرحمانية بالمنطقة⁽³⁾، وقد شهد له بالعلم والفضل⁽⁴⁾، كما حظي الشيخ محمد الحواس بعناية فائقة من قبل هذا الجد الفاضل، يوجزها لنا بقوله: "وقد وجدت بغيتي في جدي لأبي الذي كان حريصا على فهمي لكل ما أحفظه من القرآن"⁽⁵⁾.

أما أبوه فهو الشيخ الشهيد الأستاذ محمد الطيب بوسنة، فهو عالم فقيه مؤلف⁽⁶⁾، واسع الاطلاع، عُرف بخدمته للعلم وبثه بين أبناء وطنه، وجهاده المستميت ضد الاستعمار الفرنسي، وكان يعرف بالاسم الثوري " الشيخ بوحلفاية"⁽⁷⁾.

(1). مقدمة تفسيره الفيض الرباني، للدكتور عبد الكريم حامدي، ج 1، ص: 05.

(2). لم أقف له على ترجمة.

(3). وهو مؤسس الزاوية المشهورة في المنطقة باسم " زاوية بوحلفاية".

(4). ينظر: جريدة الشعب، بتاريخ 15 أفريل 2009م.

(5). مقدمة تفسيره الفيض الرباني، (13/1)

(6). وهو أحد تلاميذ الإمام الطاهر ابن عاشور، ومن مصنفاته: الفضائل والآداب (مخطوط)، توضيح الدين على المرشد المعين (مطبوع)، شرح ألفية ابن مالك (مخطوط)، وغيرها من المصنفات التي لازالت مخطوط. استشهد . رحمه الله . في العاشر من شهر جويلية سنة 1961م، إذ كان آخر مشاريعه تأسيس مدرسة باسكال الثورية. ينظر: مقدمة كتاب توضيح الدين على المرشد المعين، تحقيق الدكتور عبد الكريم حامدي، ط1، دار ابن حزم، 2008م، ص: 13، 14.

(7). ينظر: مقدمة كتاب توضيح الدين على المرشد المعين، ص: 13.

بهذه التنشئة الأسرية المتميزة، التي كان ملؤها التحفيز المنقطع النظير، تطلعت همّة الشيخ الحواس للمضي قدما في طريق طلب العلم والاستزادة منه.

المطلب الثاني: طلبه للعلم ووظائفه

استمّل الشيخ . رحمه الله . طلبه للعلم بحفظ كتاب الله عزوجل بزاوية جدّه؛ الولي الصالح الشيخ سيدي الحسن على يد الشيخ الشريف السماتي السباعي ⁽¹⁾، كما أخذ العلوم والمعارف من شيوخ أفاضل منهم والده الإمام محمد الطيب، وجدّه الشيخ أحمد بن الحسن ⁽²⁾.

انتقل الشيخ إلى جامع الزيتونة بتونس أين تتلمذ على مشاهير شيوخها؛ منهم شيخ الأزهر . لاحقا . عبد الحليم محمود ⁽³⁾، والشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ⁽⁴⁾، وبعد الاستقلال التقى بالشيخ البشير الإبراهيمي الذي أخذ عنه الكثير في مجال تفسير القرآن الكريم.

أما عن دراسته النّظامية فقد التحق . رحمه الله . بجامعة الجزائر العاصمة، وفيها تحصّل على شهادة الليسانس في الفلسفة ⁽⁵⁾.

أما عن الوظائف التي شغلها الشيخ خلال مسيرته المهنية، فكانت أولى تلك الوظائف معلّمًا ضمن الطور الابتدائي، ثم أستاذًا للفلسفة بثانوية "الإدريسي" بالعاصمة، ثم أستاذًا للتربية وعلم النفس بالمعهد التكنولوجي للتربية "مصطفى خالف" بحي "ابن عكنون"، كما اشتغل إماما بمسجد "ابن باديس" سنة 1981م، ثم إماما بمسجد حي "الرويسو" بالعاصمة حتى التقاعد ⁽⁶⁾.

أما عن علاقته بالقرآن وتفسيره، فقد أجز. رحمه الله . في تفسير القرآن من قبل ثلاثة من كبار العلماء وهم: عبد الحليم محمود، و الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، وكذا

(1). لم أقف له على ترجمة.

(2). انظر: مقدمة الفيض الرباني، للدكتور عبد الكريم حامدي، (6/5).

(3). هو: الشيخ عبد الحليم محمود من مواليد 12 ماي 1910م، بعزبة أبو أحمد قرية السلام بالمحافظة بالمحافضة الشرقية، عين عميدا لكلية أصول الدين بالأزهر سنة 1964، ووزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر سنة 1970م، توفي . رحمه الله . في 17 أكتوبر 1978 عن عمر يناهز 68 سنة. ينظر: الموقع الرسمي للشيخ محمود، متاح على الرابط: <http://www.abdel-halim.org/>

(4). هو من أشهر علماء تونس وأكثرهم تضلعا في العلوم العربية والإسلامية، حصل على شهرة كبيرة في المشرق والمغرب، كان عميدا لكلية الشريعة وأصول الدين في تونس، وعضوا في المجمع اللغوي بمصر ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة إلى غير ذلك. ينظر: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، تحقيق محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 م، (604/2).

(5). انظر: مقدمة الفيض الرباني، للدكتور عبد الكريم حامدي، (6/1).

(6). انظر: نفس المصدر (6/1).

الشيخ البشير الإبراهيمي، حيث يقول في مقدمة تفسيره: "وقد أُرْفِيَّ وشجّعني على كتابة تفسير بعض الآيات القرآنية الشيوخ: عبد الحليم محمود، البشير الإبراهيمي و الفاضل ابن عاشور، ثم حاولت تفسير القرآن كله عبر 37 سنة"⁽¹⁾.

المطلب الثالث: مؤلفاته ووفاته

. مؤلفاته⁽²⁾:

لم يكن حال الابن محمد الحواس مختلفا كثيرا عن حال أبيه محمد الطيب في هذا الجانب، فقد اشتغل بالتصنيف والتأليف، فخطّ يراعه مصنفات عديدة . لازال أغلبها في عداد المخطوط .. أذكر منها:

❖ في مجال التربية والتعليم:

. التربية عند ابن خلدون (مخطوط).

. خواطري التربية والتعليم، "مطبوع" ضمن منشورات مهدي، 2003م.

❖ في مجال التراث والتاريخ:

. المنعرجات الحاسمة في تاريخ الجزائر المعاصرة (مخطوط).

. فهرست أعلام ومتصوفة الجزائر وزواياهم عبر العصور (مخطوط).

. المعلى والمدلى في ذكر فقهاء منطقة " عين ولما " (مخطوط).

. جمع وتحقيق مقالات "صوت العلم يناديكم فهل من مجيب"، للإمام العلامة المولود

الحافظي (مخطوط).

. أعلام من الجزائر (مخطوط).

❖ في مجال العلوم الشرعية:

. فهرست أعلام المفسرين للقرآن الكريم عبر العصور الإسلامية، "مطبوع" صدر عن

منشورات مؤسسة الشروق للإعلام والنشر.

. الإسلام دين العدل والإحسان والإطعام (مخطوط).

. الفيض الرباني في تفسير بعض معاني سور القرآن (مطبوع).

. عجالة في مقاصد التشريع (مخطوط).

. وفاته:

توفي الشيخ محمد الحواس بعد مرض عضال ألمّ به وأقعدته الفراش ردحا من الزمن، إلى أن وافته المنية يوم الإربعاء 6 أفريل 2001م بالجزائر العاصمة، فرحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

(1). انظر: المصدر السابق (6/1).

(2). ينظر: مقدمة الفيض الرباني، عبد الكريم حامدي، (7. 6/1).

المبحث الثاني: التعريف بالمصنّف

المطلب الأول: التعريف بالمصنّف ومصادره فيه

الفرع الأول : التعريف بالمصنّف

وهو تفسير مطبوع ضمن مجلدين، تناول فيه الشيخ تفسير كلا من سورة البقرة و آل عمران والنساء والمائدة، والأنعام، وقد أسماه .رحمه الله .: "الفيض الرباني في ذكر معاني الذكر الحكيم".

و هذه التسمية . في الحقيقة . هي التسمية الأصلية، التي أطلقها الشيخ على تفسيره ضمن المخطوط؛ أمّا التسمية المثبتة ضمن ما هو مطبوع⁽¹⁾، فهي: "الفيض الرباني في بيان معاني القرآن"، وقد غيّر التسمية الأصلية الدكتور عبد الكريم حامدي؛ الذي عمل إخراج هذا المخطوط لحيز النور، وعلل ذلك في المقدمة بقوله: "غيّرت العنوان...ليكون دقيقا وختصرا"⁽²⁾.

وهو آخر ما صنّف الشيخ الحوّاس .رحمه الله .، وإن كان قد عقد العزم إتمامه إلا أنه لم يكتب له ذلك، نظرا للمرض العضال الذي ألمّ بالشيخ الحواس، وحاله دون إكماله.

الفرع الثاني: مصادره فيه

اعتمد الشيخ الحواس في تفسيره على عدّة مصادر، وقد تنوعت هذه المصادر تنوعا ملحوظا مما أضفى على تفسيره طابعا مميزا من حيث امتزاج هذه المصادر وترابطها، وفيما يلي أستعرض أهم تلك المصادر . على سبيل الإيجاز .. والتي اعتمد عليها الشيخ وشكّلت مادته العلمية.

أولا: أهم مصادر الشيخ من كتب التفسير.

تأثر الشيخ الحواس بمن سبقه ممن كانت لهم اليد الطولى من المفسرين، ونقل عنهم في تفسيره نقولا متفاوتة قلة وكثرة، تصريحًا وإشارةً، وأكثر من نقل عنهم من المفسرين، مُقدّمهم الإمام بن جرير الطبري⁽³⁾ والإمام ابن كثير⁽⁴⁾، وأيضاً أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي⁽⁵⁾، والإمام محمد بن علي الشوكاني⁽⁶⁾.

(1). طبعة دار كنوز الرشيد، برعاية وزارة الثقافة، في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة، نسخة: 2015م.

(2). ينظر: مقدمة الفيض الرباني، عبد الكريم حامدي، (7.6/1).

(3). انظر على سبيل المثال: الفيض الرباني (266/2)، (377/2)، (379/2)، (439/2).

(4). انظر: المصدر نفسه (317/1)، (402/1)، (38/2)، (434/2).

(5). انظر: المصدر نفسه (215/1)، (223/1)، (436/2)، (250/2).

(6). انظر: المصدر نفسه (232/1)، (300/1)، (414/2)، (98/2)، (125/2).

كما ينقل الشيخ من أقوال الرّجّاج⁽¹⁾ في كتابه "معاني القرآن" وهو مكثّر في ذلك، بالإضافة إلى الإمام القرطبي⁽²⁾ خصوصا في عرض بعض المسائل الفقهيّة. كما يذكر الشيخ أقوال غيرهم⁽³⁾ إلا أن هؤلاء السالف ذكرهم أكثر من ينقل عنهم.

ثانيا: أهم مصادره من كتب أسباب النزول

لم يترك الشيخ آية نازلة على سبب إلا وذكر سبب نزولها متعقبا إياه بالشرح والبيان والقبول والرد، وكانت عمدته في ذلك كلا من: أسباب النزول للنيسابوري، ولباب النقول لجلال الدين السيوطي، وأيضا الصحيحين، هذا بالإضافة إلى التفاسير المذكورة آنفا، وأخص بالذكر تفسير الطبري وابن كثير.

ثالثا: مصادره في الأحاديث والآثار

أولى الشيخ التفسير بالمأثور اهتماما خاصا نظرا للمنهج أقرّه وسار على وفقه في تفسيره؛ لذلك فهو يهتم بذكر الأحاديث النبوية عند تفسيره لكثير من الآيات القرآنية، كذلك ينقل الآثار الواردة عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم منهم: ابن عباس والسيدة عائشة وعلي بن أبي طالب وغيرهم.

وهو في إيرادها للأحاديث لا يصرح في أغلب الأحيان بذكر الراوي مكتفيا بقوله: "كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.."، وغيرها من العبارات الأخرى، ثم إن غالب الأحاديث التي يوردها الشيخ في تفسيره إما صحيحة⁽⁴⁾ أو حسنة⁽⁵⁾ وفي بعض الأحيان يورد بعض الأحاديث الضعيفة.

المطلب الثاني: منهجه العام في تفسيره

ويمكن تلخيص المنهج العام للشيخ الحواس في تفسيره في النقاط الآتية:

- اعتنى الشيخ بذكر أسباب النزول في معظم تفسيره، ويرى فيها أنها السبيل الأصوب لفهم كتاب الله عزوجل حيث يقول في مقدمة تفسيره: "وإن كان المفسر في حاجة إلى معرفة أسباب النزول؛ لأن هذا العلم يجعل المهتم بتفسير القرآن يعيش الحادثة، فيساعده على

(1). انظر: المصدر السابق (385/1)، (459/1)، (323/2)، (406/2).

(2). انظر: المصدر السابق (296/1)، (395/1)، (452/2)، (459/2).

(3). ومن هذه التفاسير:

- الجواهر الحسان للثعالبي، انظر: الفيض الرباني (369/2).
- تفسير البيضاوي، انظر: الفيض الرباني (429/2)، (2532/).
- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، انظر: الفيض الرباني (47/2)، (410/2).
- التفسير الكبير للرازي، انظر: الفيض الرباني (275/2)، (429/2).
- الكشف للزمخشري، انظر: الفيض الرباني (275/2)، (429/2).

(4). وهي إما واردة في البخاري أو مسلم أو كليهما.

(5). وأغلبها مما أوردها الإمام الترمذي في سننه، وأحمد في مسنده

فهم معاني القرآن الكريم⁽¹⁾.

• من منهجه التفسير بالمأثور . وهي سمة بارزة إلى حد ما فيه . فنجد تفسير القرآن بالقرآن⁽²⁾ ، والآية بالحديث⁽³⁾ فقد جاء تفسيره حافلا بذلك كما هو صنيع الإمام ابن كثير وغيره من كبار العلماء والمفسرين .

• لم يكن مكثرا من ذكر الجوانب البلاغية⁽⁴⁾ والنحوية في تفسيره؛ إذ يرى أنه لا فائدة منها كما يبين ذلك في مقدمة تفسيره حيث يقول: "ويتبعد عن الاجترار والتكرار مع البعد بمعاني القرآن عن النحو والبلاغة"⁽⁵⁾.

• ضرب الشيخ صفحا في تفسيره عن الجدل الفقهي والكلامي والفلسفي الذي غصت به كتب التفسير؛ بل انتقد ذلك في مقدمته⁽⁶⁾ ، وجعله ممّا يخرج بالمفسر عن رسالته.

• انصبّ جهد الشيخ على بيان جواهر معاني الآيات والنصوص القرآنية وتقرئها لدارس كتاب الله عزوجل، وهذا ليس تقصيرا منه؛ لأنه يرى أن ذلك هو المقصد الأعظم من نزول القرآن.

• اهتم الشيخ ببيان مقاصد السور والآيات القرآنية في الكثير من المواضع، وقد تأثر كثيرا بالإمام ابن عاشور، حيث استشهد به في كثير من الآراء.

• انتقد الكثير من الروايات الإسرائيلية الواردة في المواضع التي فسرها، كما انتقد رحمه الله . بعض المفسرين الذين ساقوها في تفاسيرهم، واعتبر أنّ ذلك يخلّ من قدر القرآن وجلاله، فنجد انتقاد الإمام ابن كثير بقوله: "وهذا الإمام العظيم والمفسر الكبير ينقل في تفسيره من هذه الإسرائيلية والنصرانيات التي ما أنزل الله بها من سلطان..."⁽⁷⁾.

• الاستعانة ببعض العلوم الحديثة كعلم النفس والتربية في إدراك حقيقة النفس البشرية، ومشاعرها التي جاء القرآن مخاطبا إياها من أجل الامتثال والطاعة.

• يشير إلى الآيات التي تضمنت إشكالا (فقهيا، عقدي...)، فيصوغه في شكل تساؤل، ثمّ يستفيض في شرحه وبيانه.

• اهتم الشيخ ببيان طريقة القرآن في مخاطبة العقول واستمالة النفوس.

• اعتنى بذكر العبر والخلاصة في ختام بيانه للآيات، مبرزاً بأسلوب مختصر وشيق أهم المعاني والدلالات.

• اهتمّ بربط معاني نصوص الآيات القرآنية بواقع المسلمين المعاصر، فجاء هذا التفسير ذو صبغة دعوية إصلاحية تربوية.

(1). مقدمة الفيض الرباني، محمد الحواس، (15/1)

(2). انظر على سبيل المثال: الفيض الرباني، (304/1)

(3). انظر: المصدر نفسه (270/1)، (282/1)

(4). وإن كان قد أشار الشيخ إلى بعض منها، انظر: على سبيل المثال (293/1)، (565/2)

(5). الفيض الرباني، (14/1)

(6). انظر: مقدمة الفيض الرباني، (15/1)

(7). الفيض الرباني، (232/2)

المبحث الثالث: ملامح المنهج الإصلاحي في تفسيره

يعد الشيخ محمد الحواس بوسنة من زمرة أعلام الجزائر وأئمتها المخضرمين، الذين عايشوا تلكم التحولات والتطورات التي شهد القطر الجزائري سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي، بدءا بالحقبة الاستعمارية . التي ألقت بظلالها على الجزائر وطننا وشعبنا، إلى عصرنا الحالي وما طرأ فيه من تغيرات في ميادين شتى. فمن منطلق شعار يقدره الشيخ بقوله: "أَنَّ المسلم بالقرآن يساوي كل شيء، ومن دونه لا يساوي شيء"⁽¹⁾.

نجد الشيخ الحواس قد أولى الجانب الإصلاحي في ثنايا تفسيره لآيات الذكر الحكيم اهتماما كبيرا، فالقرآن من منظور الشيخ الحواس كتاب هداية وإصلاح بالدرجة الأساس، وأنَّ النهوض بالأمة من سباتها وتخليفها لا يكون إلا بربط معاني نصوصه وتفسيرها بواقع المسلمين المعاصر. سواء في بلده الجزائر أو في سائر بلدان العالم الإسلامي . كي يخاطب العقل والضمير، وفيما يلي سأوضح عرض بعض ملامح المنهج الإصلاحي في تفسيره.

المطلب الأول: الجانب الإصلاحي الاجتماعي

وهو أحد الجوانب التي أولاها الشيخ اهتماما كبيرا، فalcارئ في تفسيره تتراءى له بارزة في ثناياه، وهذا في الحقيقة نتيجة حتمية لطبيعة عمله؛ كونه قد شغل منصب الإمامة والتدريس مدة من الزمن، لذلك كانت القضايا الاجتماعية المختلفة محطَّ اهتمامه ضمن العملية التفسيرية، وفيما يلي أسوق بعض النماذج منها:

ففي تفسيره لقوله عزوجل: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَوْمٍ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَوْمِنَا ﴾ [سورة البقرة:221].

نجد الشيخ يحاول معالجة ظاهرة اجتماعية أصبحت فاشية في المجتمع الجزائري، فيقول: "على المسلم أن يفكر مليا في أمر الزواج ؛ لأن الزوجين شريكان في العمر فلا ينبغي للمسلم أن يتهور ويندفع للزواج بامرأة غير مسلمة... وكثير من الجزائريين تزوجوا بيهوديات ومسيحيات فتأهوا وضلوا، ففسدوا الدنيا والآخرة"⁽²⁾.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلِخَوْنِكُمْ ﴾ [سورة البقرة:219].

نجد أنه يذكر بالحقوق المنوطة بهذه الفئة من قبل المجتمع، فيقرر أن: "اليتامى كأنهم أمانات عند الكفيل فينصحهم المولى عزوجل بفعل الخير والصالح ويحذرهم من أكل مال

(1). مقدمة الفيض الرباني، محمد الحواس بوسنة (16/1)

(2). الفيض الرباني، محمد الحواس بوسنة (268/1)

اليتم...والله في كل ذلك يذكر بالسلوكات والأخلاقيات التي يجب أن يكون عليها كافل اليتيم"⁽¹⁾.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْقَضْتُمْ مِنْ نَفْقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وََمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْبَارٍ﴾ [سورة البقرة:269].

ينوّه بسلوك هو من الأهمية بمكان في حياة المجتمع، ألا وهو الأخذ بيد الفقير، حيث يقول: "فالصدقة بما فيها من إحسان ورحمة وعطف، تنعكس آثارها على النفس البشرية، فيزداد التماسك الاجتماعي وترتقي الأمة بروح التعاون والتكافل، وهل هناك عمل أفضل من إنقاذ النفوس البشرية من مخالب الجوع وآلام الفقر، ولا يمكن لإنسان أن يدرك مرارة الجوع والفاقة إلا إذا أصابه بأنياه ولهذه الحكمة أوجب الله الصيام فبالإضافة إلى أنه ركن من أركان الإسلام، وعبادة مالية وقربى، فإنه درس للأغنياء لإدراك خطر الجوع وآلامه ومتاعبه"⁽²⁾.

المطلب الثاني: جانب التعليم والدعوة

يعتبر الشيخ الحواس هذا الجانب الركن الركين في النهوض بالأمة من كبوتها وغفلتها للالتحاق بركب الأمم، شريطة أن يكون على المنهج الأصيل، كون هذه الأمة لهذا مزيد خصوصية عن باقي الأمم الأخرى، لذا نجد الشيخ لم يدخر جهداً أثناء تفسيره لكتاب الله سبحانه في بيان هذا الجانب الذي دعا إليه القرآن الكريم، ولا غرابة في ذلك لاسيما إذا علمنا تلكم الوظائف النبيلة التي شغلها الشيخ كما أشرت سابقاً.

الفرع الأول: في جانب التعليم:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أُنثَىٰ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ لَعِبْرَةً لِّمَن يَتَذَكَّرُ﴾ [سورة البقرة:163].

نجد الشيخ يستنكر الحال الذي وصلت إليه الأمة في مجال العلم والمعرفة، حيث يقول: "ولكن للأسف نصيب الأمة الإسلامية من العلم لا يكاد يذكر بالنسبة للأمم والنحل الأخرى، وقد قال ابن خلدون: "إذا قال العلم فصدق، فإن العلم أبو العجائب؛ ولكن هذه الصيحة من هذا العالم الفدّ ذهبت أدراج الرياح بسبب تزمت المسلمين منذ نهاية القرن الرابع الهجري... لتتجه بالإسلام والمسلمين في الاتجاه السلبي والعياذ بالله"⁽³⁾.

وفي تفسيره . رحمه الله . لآية الدين من سورة البقرة نجده يأمّل لما يعرف بـ "علم التوثيق" ثم يخلص إلى: "أنّ المسلمين في عهود الانحطاط، وحتى قبل ذلك لم يهتموا

(1). المصدر السابق، (1/265).

(2). المصدر نفسه (1/356 . 357).

(3). المصدر السابق (1/180).

بالتوثيق ولم يجعلوه علما مستقلا بذاته...وما هو موجود الآن في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وما قبله من الوثائق لا يسمن ولا يغني إذا لم يكن هناك أناس متخصصون في علم التوثيق.

فعلى الجامعات الإسلامية وكليات الحقوق أن يهتموا بهذا العلم وينهضوا به، ويقننوا له القوانين⁽¹⁾.

وفي ختامه تفسيره للوصايا العشر من سورة الأنعام⁽²⁾، نجد الشيخ ينعي المناهج التعليمية المتداعية في البلدان الإسلامية، والمنسلخة عن المنهاج الأصيل، وانقياد مسؤولي بلاد الإسلام لما يمليه الغرب من مناهج زائفة، حيث يقول: "فها هي الدول القوية تعمل جاهدة من أجل فرض سيطرتها على الأمم والشعوب في مشارق الأرض ومغاربها، ولم تسلم الشعوب الإسلامية من عدوانها، فتطالبها في وقاحة تغيير مناهج التربية في مدارسها؛ لتمحو كل ارتباط بالإسلام والمسلمين والقرآن"⁽³⁾.

الفرع الثاني في جانب الدعوة:

ففي تفسيره لقوله جلّ وعلا: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 104].

نجد الشيخ يؤكد على أهمية الدعوة في نهضة الأمة، حيث يقرر ذلك بقوله: "أما العبرة من الآيات فإن الله تبارك وتعالى لا يريد للمسلمين أن يعيشوا كمًا مهملاً؛ بل يريد أن يكون للدين من ينهض به، وللدعوة من يقوم بها بعيدا عن الحسابات الظرفية والمصلحية"⁽⁴⁾.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءِ حَآجَجْتُمْ بِيَمَآ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ قَلِمٌ تَحَآجُّونَ بِيَمَآ لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 65].

ينوّه بشأن الأسلوب الصحيح في الدعوة، وأنه السبب الرئيس في نجاح الداعية في أدائه لتلك المأمورية العظيمة، فيقول: "دلت الآيات على التّريغيب في استعمال اللين والسّماحة في الدعوة إلى الله بواسطة الآليات التي لا تختلف العقول في نجاعتها"⁽⁵⁾.

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿بِيَمَآ رَحْمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا عَلَیْظَ الْقَلْبِ لَآنْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 159].

يتطرق الشيخ إلى مسألة هي من الأهمية بمكان في منهج الدعوة، وتحديد الأسلوب

(1). المصدر السابق (384/1)

(2). سورة الأنعام، آيات: 151، 152.

(3). الفيض الرباني، محمد الحواس بوسنة (564/2)

(4). المصدر نفسه، (490/2).

(5). المصدر نفسه، (451.450/2).

السَّوِي فِي النَّصِيحِ لِلْحُكَّامِ مِنْ قَبْلِ الدَّعَاةِ، حَيْثُ يَقْرَرُ: "وَعَلَى الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُصَلِّحِينَ أَنْ يَمْتَثِلُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ وَبِسُلُوكِ الرَّسُولِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ... فِي إِرْشَادِ الْحُكَّامِ فِي غَيْرِ هَرَجٍ وَلَا مَرَجٍ وَلَا فِتْنَةٍ وَلَا عُنْفٍ وَلَا مُصَالِحٍ شَخْصِيَّةٍ"⁽¹⁾.

المطلب الثالث: جانب السلوك وتزكية النفوس

يرى الشيخ أن صلاح حال الأمة لا يتأتى إلا بصلاح حال أفرادها، فمن هذا التصور كانت له مزيد عناية ببيان هذا الجانب عند تفسيره لآيات الذكر الحكيم، وفيما يلي أسوق نتفا من ذلك:

الفرع الأول: في جانب السلوك:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أَلَّا يَكُونَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمَهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: 77].

ينبه الشيخ على سلوك هو من الخطورة بمكان قد تقع فيه الصَّفوة من الأمة، فيقول: "العبرة من الآيات السابقة أَنَّ اللَّهَ يَنْهَى عَنِ الاتِّجَارِ بِالْدينِ وَ الإِفْتَاءِ لِلنَّاسِ مَقَابِلَ الْمَالِ، فَمَثَلُ هَذَا السُّلُوكِ يَأْبَاهُ الشَّرْعُ وَيَحْرُمُهُ"⁽²⁾.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لَبَنَ إِسْرَآئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ [سورة آل عمران، الآيات: 93-95].

يبين أثر العادة السيئة في سجيّة الإنسان فيقرر: "أَنَّ الْعَادَةَ إِذَا تَأَصَّلَتْ فِي النَفْسِ، وَطَالَ عَلَيْهَا الْأَمْرُ تَحَوَّلَتْ إِلَى مُلْكَةٍ ثَابِتَةٍ وَطَبِيعَةٍ ثَانِيَةٍ فِي الْإِنْسَانِ وَفِي الْمَجْتَمَعِ، وَأُدْخِلَتْ فِي الدِّينِ... وَهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ"⁽³⁾.

وفي معرض بيانه لقوله جلّ وعلا: ﴿فَلْيَتَأَهَّلِ الْمُكْتَسِبُ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ-امَنْ تَبَغُّونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران: 99].

ينعى الشيخ سلوكا له أثر وخيم على الأفراد والجماعات، فيقول: "أما العبرة من الآيات، فَإِنَّ الْحَسَدَ مُصَدِّرٌ كُلَّ الانْحِرَافَاتِ وَ الْمَصَائِبِ"⁽⁴⁾.

(1). المصدر السابق، (536/2).

(2). المصدر السابق، (464/1).

(3). المصدر السابق، (476/1).

(4). المصدر السابق، (484/1).

الفرع الثاني: تزكية النفوس:

لقد اعتنى الشيخ . رحمه الله . بهذا الجانب أيما عناية، فتجده يعظ بالقرآن ويذكر بآياته، وفيما أذكر بعض النماذج من تفسيره

ففي تفسير قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَفِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ [سورة المائدة:12].

يختتم تفسيرها بقوله: "و في الآية درس وعبرة لأمة محمد، ليتعظوا بما حدث للأمم السابقة، فقد بين الله كيف أخذ العهد والميثاق على أهل الكتاب من اليهود والنصارى" (1).

المطلب الرابع: الجانب السياسي والاقتصادي

لما كان الشيخ الحواس من الأئمة المخضرمين الذين عايشوا الأطوار والأحوال التي مرت بها الجزائر والعالم الإسلامي على الصعيد الاقتصادي وكذا السياسي على وجه الخصوص، لذا فقد خصّ هذا الجانب بشيء من الاهتمام؛ كونه يرتبط بأهم مرتكزات الأمة على المستويين الداخلي والخارجي.

الفرع الأول: في الجانب السياسي:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ بَرَّرُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام:160].

نجدّه ينتقد الحال التي آلت إليها البلاد الإسلامية من التهاافت والصراع على السلطة دون نظر في العواقب، حيث يقول: "فالآية تبين أنّ الله تبارأ من مسلك هؤلاء الذين يفرقون بين المسلمين شيعة وأحزابا، وهذه البراءة من الله تدل على خطورة التمزق والتشتت، وزاد الأمر سوءا في هذا العصر؛ عصر الأنانية العمياء والتهافت على الكراسي، والتضحية بوحدة المسلمين في سبيل الوصول إلى المناصب . والعياذ بالله . وما نراه يجري في الجزائر لدى الفتنائويين لأكبر برهان" (2).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِءٌ ﴾

[سورة النساء:82]

ينبه الشيخ على خطر الدعاية المغرضة خصوصا في الشؤون السياسية، كما يلمح إلى دور الساسة في مثل هذه المواقف لحماية كيان الدولة، حيث يقرر: "فعلى المسلم عندما يسمع خبرا، وخاصة إذا كان ذا أهمية سياسية أو عسكرية، أن يرجع أمر تفسيره وتحليله وتعليقه والتعليق عليه إلى أولي الأمر من العلماء والأمراء... حتى لا يستغله المرجفون للإساءة

(1). المصدر السابق، (225/2)

(2). المصدر السابق، (559/2)

إلى الدولة والشعب⁽¹⁾.

الفرع الثاني: الجانب الاقتصادي:

لم يكن هذا الجانب بمنأى عن ذهن الشيخ و تصوراته، وهنا في الحقيقة تبلور لنا شخصية الشيخ الحواس بفكره الثاقب ونظرتة الموسوعية لأحوال أمتة.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة:184].

يطرق الشيخ ظاهرة اجتماعية دينية ذات طابع اقتصادي وهي تسعير البضائع، وتلك الحال التي تشهدها أسواقنا خلال شهر رمضان، فيقول: "والصيام في الإسلام شهر الإخاء والإحسان والتكافل الاجتماعي لا كما هو الشأن عندنا اليوم... فالأسعار تكون قبل رمضان قارة فإذا جاء شهر الصيام هاج التجار وحلت الكارثة بالمحاويع، وكان على الدولة أن تكون لهم بالمرصاد"⁽²⁾.

وعند تفسير قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَايَكُمْ﴾ [سورة الأنعام:164].

يشير الشيخ إلى الوضع الاقتصادي المتردي الذي تعرفه جُل بلدان العام الإسلامي آثاره السلبية علما كيانا وشعبا، فيقول: "وما آل إليه أمر المسلمين اليوم من مهانة ومذلة من قبل الدول القوية لأكبر برهان على ما ذهبنا إليه بالنسبة من أهمية القوة المادية"⁽³⁾.

الخاتمة

وفي الختام أستعرض أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، كما أوصي ببعض التوصيات.

أ. النتائج:

. أثر البيئة وطبيعة النشأة العلمية والمهنية قد بدا جليا في المورث التفسيري للشيخ محمد الحواس.

. المكانة العلمية المتميزة للشيخ، والتي اتّصفت بالموسوعية والموضوعية.

. روح التجديد وكذا النقد التي ظهرت ماثلة في شخصية الشيخ العلمية.

. يمكن القول أنّ فكر الشيخ وكذا طبيعة منهجه الذي سار عليه هو امتداد لجمعية

(1). المصدر السابق، (98/2)

(2). المصدر السابق، (209/1)

(3). المصدر السابق، (564/2)

العلماء المسلمين.

. يعتبر تفسيره من التفاسير المواكبة لروح العصر مضمونا ومنهجيا.

ب . التوصيات:

. كتابة سيرة مفصلة عن حياة الشيخ الحواس وكذا والده، حتى تطلع عليها النائشة من طلبة العلم.

. توجيه أنظار طلبة العلوم الشرعية إلى إجراء دراسات مفصلة عن هذا التفسير من الناحية المنهجية، وكذا الفقهية.

. السعي إلى تحقيق مخطوطات الشيخ وكذا والده، وإخراجها إلى حيز النور.

. إعادة تحقيق هذا التفسير تحقيقا علميا يستوفي كل المسائل العلمية الواردة فيه.

قراءة في كتاب "مسائل قرآنية منظومات"، أو: "بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن" للشيخ محمد الطاهر التليلي

أ/ يوسف زغوان

ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

أستاذ متعاقد - قسم العلوم الإنسانية - جامعة الوادي

zeghouan@gmail.com

ملخص البحث

لقد ظل اهتمام الجزائريين بالقرآن الكريم تعلمًا وتعليمًا ودراسة وتأليفًا وتلاوة وتفسيرًا متواصلًا منذ الفتح الإسلامي وإلى وقتنا الحاضر، وحتى خلال أحلك الظروف كالفترتين الاستعمارية ظل الناس متمسكين بتعلم وتعليم القرآن الكريم لأنه يمثل حبل النجاة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، ومنطقة سوف بالجنوب الشرقي الجزائري لم تشذ عن هذه القاعدة. والدافع وراء هذا الاهتمام هو مكانة القرآن الكريم السامية ومنزلته الرفيعة في الدين الإسلامي باعتباره المصدر الأول للشريعة الإسلامية، ويدخل ضمن هذا الاهتمام تصنيف شيوخ القرآن الكريم للمؤلفات في علومه المتعددة ومسائله المختلفة كالرسم القرآني والألفاظ والمفردات القرآنية وتفسير القرآن الكريم وغير ذلك مما يتعلق بالقرآن العظيم؛ فما هو كتاب مسائل قرآنية للشيخ محمد الطاهر التليلي؟ ومن هو مؤلفه؟ وما هو محتواه؟ وما هي أهميته في مجال الدراسات القرآنية وعلوم القرآن الكريم؟ وما هي أهم الآراء حول الكتاب و مؤلفه؟.

مقدمة

لقد ظل اهتمام الجزائريين بالقرآن الكريم تعلمًا وتعليمًا ودراسة وتأليفًا وتلاوة وتفسيرًا متواصلًا منذ الفتح الإسلامي وإلى وقتنا الحاضر، وحتى خلال أحلك الظروف كالفترتين الاستعمارية ظل الناس متمسكين بتعلم وتعليم القرآن الكريم لأنه يمثل حبل النجاة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، ومنطقة سوف بالجنوب الشرقي الجزائري لم تشذ عن هذه القاعدة.

والدافع وراء هذا الاهتمام هو مكانة القرآن الكريم السامية ومنزلته الرفيعة في الدين الإسلامي باعتباره المصدر الأول للشريعة الإسلامية، ويدخل ضمن هذا الاهتمام تصنيف شيوخ القرآن الكريم للمؤلفات في علومه المتعددة ومسائله المختلفة كالرسم القرآني والألفاظ والمفردات القرآنية وتفسير القرآن الكريم وغير ذلك مما يتعلق بالقرآن العظيم.

- فما هو كتاب مسائل قرآنية للشيخ محمد الطاهر التليلي؟ ومن هو مؤلفه؟ وما هو محتواه؟ وما هي أهميته في مجال الدراسات القرآنية وعلوم القرآن الكريم؟.

- وما هي أهم الآراء حول الكتاب و مؤلفه؟.

أهداف البحث:

- التعريف بالشـيخ محمد الطاهر التـليـلي أحد علماء الجزائر عامة ومنطقة سوف خاصة، الذين صنفوا المؤلفات في علوم القرآن الكريم ومسائله المختلفة.
- التعريف بمنظومات المسائل القرآنية وبيان أهميتها في مجال الدراسات القرآنية وعلوم القرآن .
- إبراز دور الشيخ محمد الطاهر التـليـلي - كنموذج لعلماء المنطقة والجزائر- في العناية بنشر علوم القرآن الكريم وفق رواية ورش، السائدة في الجزائر وتبليغها إلى الأجيال.

خطة البحث

مقدمة.

المبحث الأول: الدراسة الظاهرية للكتاب

أ- الاسم الكامل للمؤلف

ب- عنوان الكتاب

ج- عدد الصفحات

د- حجم الكتاب

هـ- دار ومكان النشر

و- الوصف الخارجي للكتاب

ز- محتوى الكتاب

المبحث الثاني: الدراسة الباطنية للكتاب

أ- التعريف بالمؤلف.

ب- ملخص محتوى الكتاب

ج- نقد الكتاب.

د- أهمية وقيمة الكتاب.

و- آراء مختلفة حول المؤلف والكتاب.

الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث والتوصيات.

المبحث الأول: الدراسة الظاهرية للكتاب

أ- الاسم الكامل للمؤلف: محمد الطاهر بن بلقاسم بن لخضر التليلي

ب- عنوان الكتاب: للكتاب عنوان أول: مسائل قرآنية، منظومات (طبعة سنة 1986) وله

عنوان ثان: بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن (طبعة سنة 1994).

ج- عدد الصفحات: نفس عدد الصفحات في الطبعتين وهو: 173 صفحة.

د- حجم الكتاب: متوسط (23.5 سم×15.5 سم) في كلا النسختين.

هـ- دار ومكان النشر: - الطبعة الأولى لسنة 1986 نشرتها المؤسسة الوطنية للكتاب

الجزائر، أما الطبعة الثانية لسنة 1994 فنشرتها شركة دار الأمة الجزائر.

و- الوصف الخارجي: نسخة الطبعة الأولى: الصفحة الأولى للغلاف لونها أبيض مؤطرة بها

زخرفة بنية في الزوايا الأربع للإطار، وكتب اسم المؤلف بالأسود، وعنوان الكتاب مسائل قرآنية منظومات بالأزرق، وتحت الإطار اسم ورمز دار النشر، وفي الصفحة الخلفية السعر في الجزائر.

أما نسخة الطبعة الثانية: فالصفحة الأولى من الغلاف لونها أحمر ومؤطر بإطار خارجي أخضر وداخلي أبيض، زواياه الأربع مزخرفة كتب بداخله بالأبيض اسم المؤلف وعنوان الكتاب ورمز دار النشر.

ز- محتوى الكتاب: يشتمل الكتاب على ثلاث منظومات في مسائل قرآنية نظمها الشيخ محمد الطاهر التليلي ⁽¹⁾، وهي كما يلي:

1-النظم الأول، عنوانه: "المدخل في غريب القرآن" ويتضمن 445 بيتا واعتمد فيه مؤلفه - كما ذكر- على كتاب "قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية" لمؤلفه محمد إسماعيل إبراهيم ⁽²⁾

2-النظم الثاني، عنوانه: "حجر المخلاة في مجالس المحاجة": وهو نظم يتضمن مسائل تتعلق بضبط القرآن ورسمه كثيرا ما تطرح بين القراء والطلبة للمذاكرة، ويشتمل هذا النظم على 1307 بيت ⁽³⁾

3-النظم الثالث، عنوانه: "تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد": وهو نظم نظمته الشيخ محمد الطاهر التليلي لما أثبتته الشيخ محمد إسماعيل إبراهيم في كتابه "قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية" من أرقام المواد الموجودة في القرآن الكريم، ويشتمل هذا النظم كما ذكر الناظم على 589 بيت من الرجز. ⁽⁴⁾

المبحث الثاني: الدراسة الباطنية للكتاب:

أ- التعريف بالمؤلف: هو الشيخ محمد الطاهر التليلي القماري - كما تعود أن يسمي نفسه في مؤلفاته- وأبوه بلقاسم بن الأخضر بن عمر بن أحمد بن قاسم بن أحمد التليلي الفرياني، لأن أصله من فريانة قرب قفصة بتونس، وهو أحد أحفاد سيدي تليل صاحب الزاوية الموجودة بفريانة، ويتصل نسبه بالخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان-رضي الله عنه- ⁽⁵⁾ وقد ولد الشيخ بقمار ليلة السادس من ذي الحجة 1328 هجرية الموافقة لسنة 1910 ميلادي.

بدأ الشيخ تعليمه في سن الخامسة، حيث أدخله والده إلى كتاب مسجد الطلبة على يد الشيخ أحمد بن حم لخضر بن لمحنط لمدة سنة، ثم أخرجته منه جده لأبيه وتولى تعليمه بنفسه ⁽⁶⁾، وعندما عجز الجد ووصل محمد الطاهر إلى "سورة الأعراف" أرسله جده إلى

(1) انظر: صفحة الغلاف الداخلية لكتاب الشيخ محمد الطاهر التليلي مسائل قرآنية منظومات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986. والشيخ محمد الطاهر التليلي كتاب بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، شركة دار الأمانة، الجزائر، 1994.

(2) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، مسائل قرآنية منظومات، المصدر السابق، ص 15، 16.

(3) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، المصدر السابق، ص 47.

(4) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، مسائل قرآنية منظومات، ص 131، 133، 134.

(5) انظر: محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي القماري، هذه حياتي، مخطوط، ص 3، 4.

(6) المصدر نفسه، ص 5، 6.

الشيخ سي الطيب بن الزاء (حاصي) في مسجد سيدي ابراهيم بالجهة الشرقية من قمار، وسرعان ما جمع الفتى محمد الطاهر بين حفظ القرآن الكريم وحفظ المتون، التي كانت سلاح الطالب للدخول الى جامع الزيتونة بتونس⁽¹⁾، وبالإضافة الى ذلك حضر دروس بعض الشيوخ الذين تخرجوا من جامع الزيتونة وقاموا بالتدريس في قمار ومنهم محمد بن السايح اللقاني الذي نظم دروسا للناشئة التجانية بقمار وفق نظام المدارس الابتدائية بتونس وذلك خلال سنة 1324هـ، الموافقة لسنة 1923 ميلادية وما قبلها، كما حضر دروس الشيخ عمار بن الأزعر الذي جاء الى قمار خصيصا للتدريس بها باتفاق مع أهلها، وكان هو الآخر نظم مدرسة ابتدائية لطلبة قمار.

وكانت أغلب دروسه على يد هذا الأخير الذي اعتنق المبادئ الإصلاحية في جامع الزيتونة وجاء يبنها بين طلبة العلم وكذلك العامة بقمار خاصة وسوف عامة، كما درس أيضا دروس النحو والفقه على الشيخ أحمد بن القا⁽²⁾.

إن الظروف الصعبة السائدة آنذاك بالوطن عامة، والمتمثلة في السيطرة الاستعمارية وكذا الظروف المحلية المتمثلة في انتشار الطرقية، أجبرتا الشيخين اللقاني وبعده الأزعر على الهجرة، الأول نحو جامع الزيتونة بتونس، والثاني نحو المسجد النبوي بالمدينة المنورة، للتدريس بهما، وكان للشيخ الأزعر تأثيره الكبير على الفتى التليلي ولذلك كان يسمى نفسه وزملاءه بالنبات الأزعري.

ونظرا لذلك التأثير توجه التليلي رفقة زميلين له في سنة 1927 إلى جامع الزيتونة وهما عبد القادر الياجوري وعلي بن سعد، وكان للثلاثة فيما بعد دور بارز في الحركة الإصلاحية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكذلك في نشر التعليم العربي الحر⁽³⁾ بمنطقة قمار وسوف خصوصا والجزائر عموما، وبعد حوالي سبع سنوات حصل الفتى الشيخ التليلي على شهادة التطوع (سنة 1934)، وعاد إلى مسقط رأسه مشحونا بالعلم والأفكار والآمال العريضة، متأثرا ومعجبا بما عاشه من حياة فكرية وأدبية بتونس، ولم يجد الفتى الشيخ في قريته ما كان يصبو إليه، فالجهل مطبق والطرقية متحكمة والاستعمار بواسطة أعوانه مسيطر ومخيف، إضافة إلى التقاليد البالية.

وقد عرضت عليه أسرته الزواج فاستجاب، ولم يمض على زواجه سنة حتى طلب منه والده أن ينفصل عنه فلم يسعه إلا الرضى، ولكن ما العمل والعلم لا يجلب مالا والظروف كلها ضد العلم وأهله ولاسيما إذا كانوا من المصلحين؟ فجرب الشيخ التجارة فلم يفلح، وجرب فلاحه التخيل على عادة أهل المنطقة آنذاك فرفع الرمال على الدواب، وحاول التعليم الحرف فصدّه قائد البلدة وعيون الاستعمار، ولكن الفقر حل بداره ومس عياله ومع ذلك لم يبطأ رأسه فقد باع كتبه وعمل أجيرا في التجارة ثم شريكا بها، وحاول كرة أخرى التعليم

(1) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، كتاب بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن، المصدر السابق، ص 08.

(2) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، هذه حياتي، مخطوط، ص 09.

(3) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، مسائل قرآنية، المصدر السابق، ص 08.

الحر وكان هذه المرة في إطار جمعية العلماء، فبدأ التعليم في قرية كمبيطة قرب بجاية سنة 1935⁽¹⁾، وكانت الشهور التي بقىها هناك تجربة مرة، لا شك أن كثيرا من المصلحين الأحرار قد عاشوها، فبعد مضايقات السلطة الاستعمارية، استدعاه المتصرف الإداري وأمره بالعودة من حيث أتى، رغم تشبث أهل البلدة به وتعيينهم محاميا للدفاع عنه.

وفي سنة 1937 عندما زار وفد جمعية العلماء وادي سوف كان الشيخ التليلي على رأس مستقبله الوفد بقمار وألقى كلمة ترحيبية وقصيدة نذكر هذه الأبيات من مطلعها:

هي يا قرية الرمال وهي *** واجبات اللقاء إلى خير وفد

مرحبا بالذين هبوا لحق *** أهله ضيعوه عن غير عمد

نفخوا في البلاد روحا فأمست *** أمة تعرف الحقوق وتفدي⁽²⁾

والمعلوم أن الشيخ بعد عودته من بجاية عمل فترة مع صهره في التجارة ببسكرة، ثم طلب منه جماعة من شباب قمار سنة 1938 القدوم إليها لتولي التعليم بمدرستها الحرة محل الشيخ الياجوري، الذي انتقل إلى الوادي مع الشيخ علي بن سعد للتدريس لزاوية الشيخ الهاشمي بعميش بطلب من عبد العزيز الشريف بن الهاشمي، فلبى الشيخ التليلي الطلب وعاد إلى قمار وتولى التعليم بمدرستها والإمامة بمسجد الطلبة⁽³⁾.

وهذه هي الفترة الأولى التي درس فيها بمدرسة قمار الحرة العربية التي أصبحت فيما بعد تسمى مدرسة النجاح، لكن نشاطه لم يدم طويلا حيث انقطع بسبب ما عرف بحوادث سوف في شهر أفريل سنة 1938، والتي تمثلت في الصدام الذي وقع بين الشيخ عبد العزيز الشريف شيخ الزاوية القادرية بالوادي وعميش- الذي انضم إلى جمعية العلماء المسلمين- وأتباعه من جهة، والسلطات الفرنسية بالوادي من جهة أخرى، وأدى في الأخير إلى فرض الحصار على منطقة سوف واعتقال الشيخ عبد العزيز الشريف والشيخين الياجوري وبن سعد وغيرهم، وتوقف كل نشاط له علاقة بالجمعية في كامل منطقة سوف.

وعانى خلال هذه الفترة الشيخ التليلي أيضا من مضايقات الاستعمار وأعدائه، ثم حلت ظروف الحرب العالمية الثانية، التي منعت فيها فرنسا نشاط الأحزاب والجمعيات⁽⁴⁾، ولم تنجل الأزمة إلا بعدها بفترة.

وفي سنة 1948 أعاد التليلي افتتاح مدرسة النجاح التي انضمت رسميا إلى سلك مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1952، بعد أن كانت تابعة لها أدبيا وعلميا⁽⁵⁾، وقد

(1) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، بدائع الجنان واللسان، المصدر السابق، ص 8، 9.

(2) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، هذه حياتي، مخطوط، ص 49، 50.

(3) انظر: يوسف زغوان، التعليم العربي الحربوي سوف (1931-1962) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بإشراف الدكتور علي غنابزي، جامعة الوادي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، السنة الجامعية 2014-2015، ص 65.

(4) المرجع نفسه، ص 85، 86.

(5) انظر: المرجع نفسه، ص 70.

استمر نشاطها إلى غاية الاستقلال، وكان التليي مديرها والمعلم الأول بها خلال هذه الفترة⁽¹⁾. وقد استطاع الشيخ التليي بحكمته وفطنته أن يدير المدرسة وسط الزعازع وبذلك نجت من خطر الغلق، الذي تعرضت له مثيلاتها لا سيما خلال الثورة التحريرية .

وقد خرجت هذه المدرسة العشرات من المتعلمين والمتعلمات الذين أصبحوا عمدة الجزائر في العلم والتعليم والأدب والإدارة وغيرها⁽²⁾، وبعد الإستقلال تولى التليي إدارة المعهد الإسلامي بالوادي⁽³⁾، كما علم أيضا في مدارس وزارة التربية في العاصمة وعنابة وتقرت، وفي سنة 1972 طلب التقاعد قبل الأوان، وعزل نفسه في منزله، وصار لا يستقبل إلا مستفتيا أو زائرا ينشد مسألة علمية، وتفرغ للكتابة والتأليف الذي كان أغلبه في مجالات الشريعة والأدب والتاريخ.

- ومن مؤلفاته الكثيرة ما يلي:
- نظم متن الورقات للجويني.
- نظم متن الاستعارات للسمرقندي.
- الدرر الملكية في الدراري الفلكية.
- إتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري.
- حديث المسامر من ظروف ابن أبي عامر (تلخيص كتاب الصروف لإبراهيم بن عامر).
- رسالة في الأذكار الشرعية (أي الأذكار غير الطرقية).
- الدموع السوداء (ديوان شعر).
- تجريد شعر مقامات الحريري.
- رسالة في الأمثال العامة.
- رسالة في الكلمات العامة السائدة في لهجة سوف.
- تلخيص كتاب الأضداد للتوزري.
- المجموع في تاريخ سوف منذ القديم.
- كشكول تاريخي أدبي عن سوف والصحراء عموما.
- أولويات تاريخية.
- مسائل فقهية (فتاوى).
- زهرات لغوية.
- رسالة في بعض الرموز الفلكية والفقهية⁽⁴⁾.
- هذه حياتي (مذكرات الشيخ).

(1) المرجع نفسه، ص 89.

(2) انظر: أبو القاسم سعد الله، فقيه العلم والجزائر الشيخ محمد الطاهر التليي (1910-2003) جريدة الشروق، صفحة الثقافة، الثلاثاء 16 ديسمبر 2003م، العدد 96، ص 15.

(3) انظر: مجموعة من المختصين : العلامة المصلح محمد الطاهر التليي 1910 – 2003 م، قراءات في سيرته وفكره وآثاره، إشراف وتنسيق الأستاذ عادل محلو، من إصدارات الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور بقممار، مطبعة مزوار الوادي الجزائر 2008. ص 118.

(4) انظر الشيخ محمد الطاهر التليي، مسائل قرآنية، المصدر السابق، ص ص 10، 11.

- الفوائد المنشورة من المطالعات المبتورة.
- القول الفصل في رد العامة إلى الأصل⁽¹⁾.

- مجموع مسائل متفرقة تتعلق بصحراء سوف وقرأها وغيرها.

وهذا المؤلف مسائل قرآنية الذي طبعه المرحوم سعد الله سنة 1986، وأعيد طبعه سنة 1994 باسم جديد هو: "بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن" وغيرها من المؤلفات، وأغلبها مخطوطة لم تطبع بعد، وقد أوصى الشيخ قبل وفاته أن تسلم إلى مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وهو ما تم بعد وفاته.
توفي الشيخ محمد الطاهر التليلي رحمه الله سنة 2003 ودفن بمقبرة قمار.

ب- ملخص محتوى الكتاب: يتألف الكتاب من ثلاث منظومات في مسائل قرآنية تتعلق ببعض الألفاظ والكلمات والأعلام والأعداد الواردة في القرآن الكريم وهي على التوالي: المدخل في غريب القرآن، وحجر المخلاة في مجالس المحاجاة، وتلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد.

1- النظم الأول: المدخل في غريب القرآن وذكر المؤلف أنه نظم خاص بذكر بعض المفردات الغريبة في القرآن، ويشتمل على 445 بيت من بحر الرجز، فرغ المؤلف من تبليغه سنة 1402هـ، الموافق لسنة 1982م.

والمقصود بمصطلح "الغريبة": هي التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم، بغض النظر عن صيغتها، أو وزنها، أو تشكيلها، وقد ذكرها الناظم حسب الترتيب الألف بائي للحروف وقد اعتمد مؤلف هذا النظم على المذاكرات التي كانت بين طلبة وقراء القرآن الكريم بعمار خلال فترة إعداد هذا النظم⁽²⁾، كما اعتمد أيضا على كتاب "قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية" لمؤلفه محمد إسماعيل إبراهيم، الطبعة الأولى 1381هـ، دار الفكر العربي⁽³⁾.

قال الشيخ في أول هذا النظم بعد الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

وبعد ذا فالقصد بالنظام *** نظم غريب محكم الكلام

من كلمات وردت في الذكر *** مفردة غريبة في الذكر

وقال:

سميته (بالمدخل) الرباني *** للمفرد الغريب في القرآن⁽⁴⁾.

وقد قسمه إلى سبع وعشرين بابا مرتبة ترتيبا ألفبائيا أولها "باب ما أوله همزة" وآخرها "باب الأعلام التي ذكرت مرة واحدة في القرآن".

فقال في باب ما أوله همزة:

لفظة أبا قد أتت منفردة *** في عبس لا غيرها مجردة⁽⁵⁾.

وقال في باب الأعلام:

(1) لدي نسخة منها.

(2) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، مسائل قرآنية، المصدر السابق، ص 16.

(3) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، بدائع الجنان واللسان، المصدر السابق، ص 16.

(4) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، مسائل قرآنية، المصدر السابق، ص 17، 18.

(5) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، مسائل قرآنية، المصدر السابق، ص 19.

فبايل ثم الصفا والمروة *** وعرفات وهي أعلى ذروة
والمشعر الحرام أو هاروت *** وميكائيل أيضا أو ماروت
فكلها قد ذكرت في البكر¹ *** ولم تكرر عندنا في الذكر⁽²⁾.
وذكر الشيخ بعد نهاية هذا النظم " المدخل في غريب القرآن " أنه مقدمة للنظم الذي يليه
المسمى " حجر المخلاة " .

2- النظم الثاني من هذه المنظومات هو: " حجر المخلاة في مجالس المحاجة "، وهو نظم
لمسائل تتعلق بضبط القرآن ورسمه، كثيرا ما تطرح بين القراء والطلبة للمذاكرة برواية ورش،
وهو يشتمل على 1307 بيت⁽³⁾، وهو يتضمن مسائل قرآنية حول عدد بعض الآيات، وكيفية
رسم بعض الكلمات، وبيان بعض الشواذ من المتشابهات، مما قد يشكل على الطالب المبتدي
ويغفل عنه القارئ المنتهي، وذكر الشيخ أنه مما يجب عليه ذكره اعترافا بالفضل لأهله، أن
السبب في نظم هذه المنظومة هو مذاكرة الشيخ عمار العمري⁽⁴⁾.

وقال الشيخ في أول هذا النظم بعد البسملة والاستفتاح:
وبعد فالمقصود نظم ما انتثر *** في مجلس القراء من أي السور
كعد أي أو شذوذ أحرف *** في رسمها أو ذكر نوع يختفي
مسائل منقولة مجموعة *** من أكثر القراء أو مسموعة
كما أتت عن ورشهم روايه *** يعرفها الطلاب بالدرايه
قد طرحت في مجلس الأحاجي *** على بساط البحث والحجاج⁽⁵⁾.
ورجا الشيخ أن يكون عمله من خدمة كتاب الله وطلبة القرآن مصداقاً لحديث الرسول
صلى الله عليه وسلم: ﴿ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ﴾ رواه البخاري⁽⁶⁾.
بدأ الشيخ أبواب النظم " ببعض ما وجد منه واحد "، ومثاله:

فبیس بالفاء وباللام أتى *** في سورة النحل وحيدا ثبتا
ثم "بعض ما وجد منه اثنان"، ثم ثلاثة، وهكذا حتى انتهى إلى "بعض ما وجد منه ثلاث
وعشرون"، وختمه بـ "بعض ما وجد منه أكثر من ذلك"، ثم ذكر "أصول بعض الكلمات التي
فيها الظاء المشالة"، وفي الخاتمة ذكر الشيخ أنه اجتهد ونظم بعض ما قصده، وأنه رجع في
تأليفه إلى معاجم القرآن مستعينا بها، وذكر أنه فرغ من هذا التأليف في يوم: 20 رمضان من
سنة 1403هـ، الموافق ليوم 1 جويلية 1982م⁽⁷⁾.

3- النظم الثالث: وهو المسمى " تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد "،

(1) أي سورة البقرة

(2) انظر: المصدر السابق، ص41.

(3) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، بدائع الجنان واللسان، المصدر السابق، ص47.

(4) توفي رحمه الله بقم، سنة 1984، وقد ولد بها أيضا سنة 1895، انظر محمد الطاهر التليلي، المرجع
السابق، ص5.

(5) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، مسائل قرآنية، المصدر السابق، ص51.

(6) المصدر نفسه، ص52.

(7) انظر الشيخ محمد الطاهر التليلي، بدائع الجنان واللسان، المصدر السابق، ص116.

واشتمل هذا النظم على 589 بيت من بحر الرجز، وقد فرغ ناظمه من تأليفه يوم 5 من ذي الحجة 1403هـ.

وقد ذكر أن هذا النظم جاء لما أثبتته الشيخ محمد إسماعيل إبراهيم في كتابه "قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية" من أرقام المواد الموجودة في القرآن، وكانت الأرقام كعناوين لمواد النظم، وقد جعل النظم بالحروف الأبجدية بحسب ما لكل حرف من قيمة حسابية بحسب الجمل المعروف عند المغاربة، وقد قسم الشيخ نظمه إلى كلمة التقدير ثم الديباجة ثم المقدمة فالأبواب التي تبدأ بباب الهمزة وتنتهي بباب الياء⁽¹⁾، ثم ذكر بعدها أعداد الأعلام المذكورة في القرآن وأعقبها بخاتمة، زاد بعدها أبياتا لشرح القيمة العددية لكل حرف من حروف (أبجد). وفيما يلي بيان قيمة كل حرف منها حسب حساب الجمل:

أ=1، ب=2، ج=3، د=4، ه=5، و=6، ز=7، ح=8، ط=9.
ي=10، ك=20، ل=30، م=40، ن=50، ص=60، ع=70، ف=80، ض=90.
ق=100، ر=200، س=300، ت=400، ث=500، خ=600، ذ=700، ظ=800، غ=900.
ش=1000.

ج- نقد الكتاب: الملاحظ أن أفكار هذه المنظومات جاءت واضحة وبسيطة ومتسلسلة تسلسلا منطقيًا، حيث إن كلا منها ابتدأ بكلمة تصدير بينت سبب تأليفها أو الغرض منه، ثم تلتهما ديباجة أو مقدمة نظمها المؤلف، ثم جاءت الأبواب مرتبة ترتيبًا ألف بائيًا، وعادة ما يختم الشيخ كل منظومة من منظوماته بخاتمة تتضمن دعاء بأن ينفع الله بعمله قراء كتاب الله، وأن يثيب من ساهم في إنجازها، ولقد كانت لغة المنظومات واضحة المعاني.

والأسلوب الذي اتبعه الشيخ هو نفسه الأسلوب المتبع في منظومات متون العلوم الشرعية واللغوية عند العلماء الذين عاصروهم، أو الذين درس عليهم لاسيما بجامع الزيتونة. ولا يخفى أن الشيخ له باع كبير في الأدب وملكة شعرية قوية، فمن المعلوم أن له ديوان شعر معروف هو "الدموع السوداء"، كما أنه عادة ما ينظم ما يجده من فوائد علمية تمر به كما هو الحال في مخطوطه "الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة" وغيره، فهو كما له زاد أدبي ولغوي زاخر كان متمكنا من قرض الشعر في مختلف الأحوال والمناسبات، كما فعل عند استقبال وفد جمعية العلماء عند زيارته لسوف وغيرها من المناسبات.

لكن الطبعة الأولى للمنظومات التي عنوانها "مسائل قرآنية" تضمنت أخطاء مطبعية، وقد وجدت في النسخة التي اعتمدتها في هذه الدراسة صفحتين بهما جدول للخطأ والصواب مع تحديد السطر والصفحة، وتم تصحيح هذه الأخطاء في الطبعة الثانية التي عنوانها: "بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن"، كما نلاحظ أن العنوان تم تغييره فجاء سجعًا على طريقة عناوين الكتب عند القدماء فزاد ذلك في جماليته.

هـ- أهمية وقيمة الكتاب: للكتاب أهمية كبيرة في مجال علوم القرآن والدراسات القرآنية، خصوصًا لطلبة القرآن الكريم وحفظته برواية ورش المصري عن قراءة نافع المدني، السائدة بالجزائر وبلدان المغرب العربي، فهو يفيدهم في ضبط الحفظ و تحديد مواضع الألفاظ

(1) انظر الشيخ محمد الطاهر التليلي، بدائع الجنان واللسان، المصدر السابق، ص 166.

والأعلام والأعداد الواردة في القرآن، والمعلوم أن النظم أسهل على الإنسان من حفظ النثر، و قد جاءت المنظومتان الأولى والثالثة بنظم ما ورد في كتاب "قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية" للشيخ محمد إسماعيل إبراهيم، كما أن الشيخ التليلي قام من خلال المنظومة الثانية بتدوين ما جرى من مذكرات ومطارحات قرآنية دارت بينه وبين عدد من شيوخ وطلبة حفظة للقرآن الكريم ببلدته قمار، وصلت إلى تحديد وضبط مواضع عدد كبير من الألفاظ والأعلام والكلمات التي فيها الظاء المشالة، وقد صيغت النتائج التي توصل إليها الشيخ بعد كل ذلك في قالب شعري يسهل على المتعلم المبتدئ للقرآن الكريم حفظها وتعينه على ضبط ذلك الحفظ، ولا يستغني عنها أيضا القارئ المنتهي من الحفظ، كما أضاف الشيخ بعد منظومته الأخيرة تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد أبياتا بين فيها القيمة العددية لكل حرف من حروف أبجد بحساب الجمل الذي اعتمده في هذا النظم الأخير⁽¹⁾.

و- آراء مختلفة حول المؤلف والكتاب: يرى كثيرا من أهل العلم والأدب بمنطقة سوف خاصة والجزائر عامة، أن الشيخ محمد الطاهر التليلي يعد شخصية وطنية علمية وأدبية متميزة بما قدمه لوطنه الجزائر وللعلم، لا سيما للتعليم العربي الحر بمنطقة قمار من خلال تعليمه وإشرافه على مدرسة النجاح بقمار، والمحافظة على استمرار نشاطها خلال أحلك ظروف الاستعمار، خصوصا أثناء الثورة التحريرية حيث استطاع بحكمته مع مساعدته، أن يحافظ على هذه المدرسة الوحيدة في المنطقة نشيطة الى غاية الاستقلال وقد أغلقت عديد المدارس غيرها، ومعلوم أن هذه المدرسة قد خرجت العشرات من أبناء قمار وضواحيها ممن أسهموا في ثورة تحرير الجزائر وبناءها، بنبوء عديد المناصب في مختلف المجالات عقب الاستقلال، ولا سيما في مجال التعليم⁽²⁾.

وقد ساهم الدكتور سعد الله في طبع هذا الكتاب وإخراجه الى العلن للاستفادة منه، خصوصا من طرف دارسي العلوم الشرعية والمهتمين بالدراسات القرآنية، حيث ذكر خلال تقديمه للكتاب أن هذه المنظومات الثلاث من أهم أعمال الشيخ التي عالج فيها مسائل قرآنية وذكر أن هذه الأهمية تعود إلى أن الشيخ منذ تقاعده سنة 1972، كرس جهده للقرآن الكريم قراءة ودراسة، حيث يقضي جل وقته في تكراره واستظهاره و التعبد به، وهو من جهة ثانية يدرسه دراسة تحقيق وتعليق، من خلال تناول التفاسير والأبحاث التي تعالج قضايا القرآن الكريم قديمها وحديثها⁽³⁾، والمعلوم أن الدكتور سعد الله من القلائل الذين يعرفون الشيخ التليلي معرفة جيدة لصلة المصاهرة والقربة بينهما، كما أن سعد الله كان دائم الزيارة للشيخ كلما زار مسقط رأسه قمار⁽⁴⁾.

ونظرا لمكانة الشيخ العلمية عقدت حول شخصيته ندوتان فكريتان لإبراز مآثره ودراسة جوانب حياته وسيرته وفكره، أولهما الندوة الفكرية للعلامة عبد القادر الجاجوري بالمركز

(1) انظر: محمد إسماعيل إبراهيم، قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر العربي، لبنان، 1381هـ.

(2) انظر: ابو القاسم يعد الله، فقيد العلم والجزائر، المرجع السابق، ص15.

(3) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، بدائع الجنان واللسان، المصدر السابق، ص11.

(4) توفي رحمه الله في 13 ديسمبر 2013 بالجزائر العاصمة ودفن بمقبرة قمار.

الثقافي بقمار يومي 26، 27 ديسمبر 2004 في الذكرى الأولى لوفاة الشيخ التليلي، وقد تدخل في هذه الندوة عدة دكاترة من المركز الجامعي بالوادي آنذاك⁽¹⁾، والثانية: عقدت أيضا بالمركز الثقافي بقمار يوم الأحد 24 رجب 1437هـ الموافق 2016/05/01 من طرف جمعية الرمال الذهبية للإعلام السمعي البصري، ومن بين المداخلات في هذه الندوة كلمة الأستاذ بوبكر بن عبد القادر خلف حول مكانة القرآن عند الشيخ التليلي وذكر من خلالها أن عدد مؤلفات الشيخ التي أحصاها الأستاذ إبراهيم رحمان بلغ 30 مؤلفا، أما التي أحصاها الدكتور أبو القاسم سعد الله فبلغت 18 مؤلفا⁽²⁾.

كما تطرق الأستاذ أحمد زغب في كلمته في هذه الندوة إلى ذكر نظم "حجر المخلاة في مجالس المحاجة".

كما أن حرص الأستاذ محمد الهادي الحسني ومساهمته في طبع الكتاب التي نوه بها الشيخ التليلي في صفحة الشكر والاعتراف وقال: "أنه ينوه به لأنه احتضن هذا العمل منذ تسليمه للمؤسسة الوطنية للكتاب"⁽³⁾، دليل على ما لمسه من القيمة الكبيرة للكتاب.

الخاتمة

وفي الختام نرى أن الشيخ محمد الطاهر التليلي باعتباره أحد حفظة وحاملي كتاب الله تعالى، ومن الحاصلين على شهادة التطوع من جامع الزيتونة منذ الثلاثينات من القرن الماضي، إضافة إلى تفرغه إلى البحث العلمي والتدوين منذ تقاعده المبكر سنة 1972م كرس كثيرا من جهده ووقته للقرآن الكريم وقراءة وتكرارا وتعبدًا ودراسة لعلومه ومسائله وتفحص المراجع والكتب التي اعتنت بالقرآن الكريم، ومنها قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم، حيث اعتمد عليه في النظم الأول المدخل في غريب القرآن، واعتمد عليه أيضا في النظم الثالث تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد، أما النظم الثاني حجر المخلاة في مجالس المحاجة، فقد اعتمد فيه على ما كان يدور في مجالس القراء وطلبة القرآن ببلدة قمار، وكان يحضرها الشيخ التليلي والشيخ عمار العمري الذي يلقيه التليلي بشيبة الحمد اعتزازا به باعتباره - كما قال التليلي - كان فارس حلبة مجالس المحاجة بما يأتي به من ألفاظ القرآن مضبوطة وشبه منظومة فيتولى الشيخ تصحيحها وبذلك جاءت هذه المنظومة.

لقد تمكن الشيخ التليلي -كما يبدو لي كقارئ ملاحظ، وإن لم أكن في مستواه العلمي- من النجاح إلى حد بعيد من خلال هذه المنظومات في خدمة القرآن الكريم بغرض المحافظة على حفظه وضبطه، لا سيما برواية ورش من قراءة نافع، ومعلوم أن النظم أيسر حفظ واستيعابا على الإنسان من النثر، فما على حفظة وطلبة القرآن ودارسي علومه إلا أن ينهلوا من هذه المنظومات فهي تعينهم وضمن مجال اختصاصهم.

(1) انظر: مجموعة من المختصين: العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي 1910 - 2003 م، المرجع السابق.

(2) كنت شاهد عيان في هذه الندوة.

(3) انظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي، مسائل قرآنية، المصدر السابق، ص 05.

التوصيات المقترحة:

- تخصيص أبحاث لإنجاز مدونات عن معلمي القرآن الكريم في أنحاء القطر الجزائري وإبراز سيرهم والشيخ الذين أخذوا عنهم خلال مختلف فترات تاريخ الجزائر منذ الفتح الإسلامي ولا سيما خلال العهد الاستعماري.

- إنجاز مدونة عن مؤلفات العلماء الجزائريين في مجال علوم القرآن الكريم ومسائله خلال كامل التاريخ الإسلامي.

- طبع أعمال الملتقى الوطني الخامس حول عناية علماء الجزائر بالقرآن الكريم في مدونة خاصة توزع على المشاركين لتوسيع الاستفادة من الأبحاث المقدمة.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) التليلي محمد الطاهر، هذه حياتي، مخطوط.
- (2) التليلي محمد الطاهر كتاب بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن شركة دار الأمة، الجزائر 1994.
- (3) التليلي محمد الطاهر مسائل قرآنية منظومات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.
- (4) زغوان يوسف، التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931-1962) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بإشراف الدكتور علي غنابزي، جامعة حمه لخضر بالوادي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، السنة الجامعية 2014-2015.
- (5) سعد الله أبو القاسم، فقيد العلم والجزائر الشيخ محمد الطاهر التليلي (1910-2003) جريدة الشروق، صفحة الثقافة، الثلاثاء 16 ديسمبر 2003م، العدد 96.
- (6) مجموعة من المختصين : العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي 1910 - 2003 م قراءات في سيرته وفكره وآثاره، إشراف وتنسيق الأستاذ عادل محلو، من إصدارات الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور بقممار، مطبعة مزوار الوادي الجزائر 2005.
- (7) محمد إسماعيل إبراهيم، قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر العربي، لبنان، 1381هـ.

مجالات استفادة الإمام أبي عبد الملك البوني من القرآن في تفسير الموحأ

د/ خريف زتون

رئيس قسم أصول الدين . معهد العلوم الإسلامية . جامعة الوادي

Abouziad.dz@gmail.com

ملخص البحث

لقد اجتهد الإمام البوني في خدمة كتاب الموطأ شرحا وبيانا، بحث جاء الكتاب في منتهى الجودة والإحكام؛ وكان مما زاد في بهاء الكتاب وزين فصوله حسن استثماره للنص القرآني بالاستفادة منه وتوظيفه في بيان الأحكام، وإرجاعها إلى الأصل الأول في التشريع. وفي هذه الصفحات إطلالة تعريفية بمجالات الاستفادة من النص القرآني في شرح الموطأ، مع بيان مميزات هذا التصنيف وطرق الاستفادة منه.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن من مقتضيات حفظ الله لكتابه أن هيأ له علماء عدولا، أفنوا أعمارهم في خدمته؛ فمنهم من قام على تحفيظه وتعليمه، ومنهم من وضع المصنفات في علومه وتفسيره، حتى امتلأت بمدوناتهم رفوف المكتبات، وصارت تواليهم تعد بالمئات.

والجزائر -كغيرها من بلاد الإسلام- أنجبت أئمة فحولا، خدموا كتاب الله حياتهم، فكتبوا في ضبطه ورسمه، وتجويده وتفسيره، وبيان أحكامه وحكمه، فما من فنٍ من فنونه إلا وأخذوا منه بحظٍ وافر.

ومن هؤلاء الجهابذة إمامنا: أبو عبد الملك البوني، المنسوب إلى "بونة" قديما، و"عناية" بالشرق الجزائري حديثا، فقد كانت له في ميدان العلوم الإسلامية صولات وجولات، تنوعت بين خدمة كتاب الله، وخدمة سنة رسوله ﷺ، وهذه المداخلة محاولة متواضعة للكشف عن هذا العلم الجزائري، وبيان بعض جهوده في خدمة القرآن، وذلك من خلال إبراز مجالات استفادته منه في كتابه "تفسير الموطأ"، فجاءت المداخلة على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بأبي عبد الملك البوني⁽¹⁾.

المطلب الأول: هويته، ومولده، ونشأته.

هو العلامة الجزائري، مروان بن علي [وقيل: محمد]⁽²⁾ الأُسديّ، القُطّان، الأندلسيّ، المالكيّ، أبو عبد الملك البوني، نسبة إلى مدينة بونة بإفريقية، وتُعرف الآن بمدينة عنابة الساحليّة، بالشرق الجزائري⁽³⁾.

ولم تذكر كتب التراجم متى ولد أبي عبد الملك البوني، ولا مكان مولده؛ غير إنّها تجمع على أنّ أصله من الأندلس، وأتته نشأ في قرطبة، التي قضى فيها بدايات حياته، وزاول فيها بداية طلبه العلم والحديث، فأخذ عن علمائها، وروى عن مشائخها: أبو محمد الأصيلي، والقاضي أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن فُطَيْس، وغيرهما⁽⁴⁾.

ثمّ ارتحل إلى بلاد المشرق؛ ودخل القيروان، وكان يشهد مجالس علمائها، فأخذ عن أبي الحسن القابسي، وصحبَ أبا جعفر أحمد بن نصر الداودي، المحدث الفقيه، ولزمه مدة خمسة أعوام؛ فأخذ عنه معظم ما عنده من رواياته وتوابعه⁽⁵⁾، وتفقه على يديه، قال القاضي عياض: «... وتفقه بأحمد بن نصر الداودي»⁽⁶⁾.

وبعد هذه الرحلة العلميّة إلى بلاد القيروان، والتي جعلت من البوني متمرساً في علوم

(1) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط2، 1410هـ-1990م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص507، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، ت: محمد بن تاويت الطنجي، ط2، 1403هـ-1983م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 259/7، وتوضيح المشتبه، لمحمد بن عبد الله القيسي الدمشقي، ت: محمد نعيم العرقسوسي، ط1، 1431هـ-2010م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سورية، 328/1، وجذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لمحمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، ت: بشّار عوّاد معروف، ط1، 1429هـ-2008م، دار الغرب الإسلامي، تونس، الجمهورية التونسية، ص506، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، ت: محمد الأحمد أبو النور، د ط ت، دار التراث، القاهرة، مصر، 339/2، وفهرسة ابن خير الإشيلي، ط1، 1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص76، وكتاب الصلة، لابن بشكوال، ت: السيد عزّت العطار الحسيني، ط2، 1414هـ-1994م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 582-581/2، ومعجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، لعادل نويمض، ط3، 1403هـ-1983م، مؤسسة نويمض الثقافية، بيروت، لبنان، ص52، ومعجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي، د ط، 1397هـ-1977م، دار صادر، بيروت، لبنان، 512/1، وهديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، د ت، د ط ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 427/2.

(2) انظر: جذوة المقتبس، للحميدي، ص506.

(3) انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، 512/1، وتوضيح المشتبه، لمحمد بن عبد الله القيسي الدمشقي، 328/1.

(4) انظر: كتاب الصلة، لابن بشكوال، 582-581/2.

(5) انظر: كتاب الصلة، لابن بشكوال، 582/2.

(6) انظر: ترتيب المدارك، 259/7.

كثيرة، نافذا في الحديث، ومتفنيًا في الفقه، وذا حظٍّ في الفصاحة والبيان؛ عاد أبو عبد الملك إلى مدينة بونة بالشرق الجزائري، فاستقرَّ بها، حتى نسب إليها، وعكف على التدريس والتأليف؛ فألف تفسيراً للموطأ، اشتهر عنه، ورواه عنه عددٌ كبير من طلبة العلم.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

لم تذكر كتب التراجم الكثير عن شيوخ البوني، واكتفت بالحديث عن القليل منهم، وهم:

1- عبد الله بن إبراهيم بن محمد، أبو محمد الأموي، المعروف بالأصيلي، نسبة إلى "أصيلا" بالمغرب. روى عنه أبو عبد الملك البوني بقرطبة⁽¹⁾، وهو عالم بالحديث والفقه، قال الدارقطني: «حدثني أبو محمد الأصيلي، ولم أر مثله»⁽²⁾، وإليه انتهت الرئاسة في الأندلس في المالكية، له كتابٌ على الموطأ سَمَّاهُ "الدليل" ذكر فيه اختلاف مالك، والشافعي، وأبي حنيفة. توفي سنة 392هـ⁽³⁾.

2- أحمد بن نصر الداودي (402هـ)، وقد لازمه البوني في القيروان خمسة أعوام وأكثر؛ فاستفاد منه علماً كثيراً، لاسيما في الفقه، قال القاضي عياض -في ترجمة البوني-: «...وتفقه بأحمد بن نصر الداودي»⁽⁴⁾، كما سمع منه الموطأ وغيره، وكتب عنه تفسير الموطأ من تأليفه⁽⁵⁾.

3- القاضي أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس: من كبار المحدثين في عصره، له تأليف كثيرة، تقلّد قضاء قرطبة، روى عنه أبو عبد الملك البوني في قرطبة. توفي سنة 402هـ⁽⁶⁾.

4- أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، المعروف بابن القابسي: كان واسع الرواية، وعالماً بالحديث وعلمه ورجاله، فقيهاً أصولياً، متكليماً، مؤلفاً مجيداً، له كتاب «المُهمّد» في الفقه وغيره. ويعدُّ أبو عبد الملك البوني من أبرز تلاميذه، كما وصفه ياقوت الحموي، حيث قال -في ترجمة البوني-: «...من أعيان أصحاب أبي الحسن القابسي». توفي بالقيروان سنة 403هـ⁽⁷⁾.

وأما تلاميذه، فهم كثيرون، حيث اشتهر شرحه على الموطأ، واستحسنه الناس، فأكبَّ

(1) انظر: المصدر السابق، 582-581/2.

(2) المصدر السابق، 434-433/1.

(3) انظر: الأعلام، للزركلي، 63/4، وترتيب المدارك، 434-433/1.

(4) ترتيب المدارك، 259/7.

(5) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، د ط، 1349هـ، المطبعة السلفية، السلفية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 110-111، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، 104-102/7، 259.

(6) انظر: الديباج المذهب، 479-478/2، وكتاب الصلة، لابن بشكوال، 582/2.

(7) انظر: معجم البلدان، 512/1، والديباج المذهب، لابن فرحون المالكي، 102-101/2.

على روايته عنه جمع غفير من طلبة العلم، قال القاضي عياض: «...وألف في شرح الموطأ كتاباً مشهوراً حسناً، رواه عنه الناس»⁽¹⁾، ومن تلاميذه الذين ذكرتهم كتب التراجم:

1- أحمد بن العُجَيفي العبدري: من أهل يابسة، وكنيته: أبو العباس. حدّث عن أبي عبد الملك البوني⁽²⁾.

2- أحمد بن محمد بن يحيى التميمي: ويعرف بابن الحدّاء، وكنيته: أبو عمر. من أهل قرطبة، قال القاضي عياض -في ترجمة البوني-: «روى عنه حاتم الطرابلسي، وأبو عمر ابن الحدّاء»⁽³⁾، مات سنة 467هـ بإشبيلية⁽⁴⁾.

3- حاتم بن محمّد بن عبد الرحمن التميمي القرطبي، وكنيته: أبو القاسم. قال ابن بشكوال: «...ثم انصرف إلى القيروان سنة 404هـ.. وجالس أبا عمران الفاسي الفقيه، وأبا بكر بن عبد الرحمن الفقيه، وأبا عبد الملك مروان بن علي البوني، وأخذ عنهم كلّهم، وهم جِلّة أصحابه عند أبي الحسن القابسي، وممّن ضمّهم مجلسه، وشهد معهم السماع عليه»⁽⁵⁾.

4- حمزة بن سعيد بن عبد الملك، وكنيته: أبو الحسن. من أهل غرناطة. جالس أبا عبد الملك البوني، وأخذ عنه. مات سنة 463هـ⁽⁶⁾.

5- ذو النون بن خلف: من أهل قرطبة، سمع من أبي عبد الملك البوني⁽⁷⁾.

6- علي بن مروان بن علي الأسدي، وكنيته: أبو الحسن. وهو ابن أبي عبد الملك البوني، أخذ عن أبيه تأليفه، وحدّث به⁽⁸⁾.

7- عمر بن سهل بن مسعود اللخمي، المقرئ، من أهل طليطلة؛ وكنيته: أبو حفص، رحل إلى المشرق، وروى عن أبي عبد الملك البوني وغيره، توفي سنة 442هـ⁽⁹⁾.

8- عمر بن عبيد الله بن زاهر، وكنيته: أبو حفص، أندلسي استوطن بونة. روى عن أبي عبد الملك البوني⁽¹⁰⁾، مات سنة 440هـ⁽¹¹⁾.

9- محمد بن إسماعيل بن فورثش، قاضي سرقسطة، كنيته: أبو عبد الله. كتب الحديث

(1) ترتيب المدارك، 34/2.

(2) انظر: كتاب الصلة، 72/1.

(3) المرجع نفسه، 259/7.

(4) انظر: المرجع نفسه، 66-65/1.

(5) انظر: المرجع نفسه، 50/1.

(6) انظر: كتاب الصلة، لابن بشكوال، 154/1.

(7) انظر: التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار، ت: عبد السلام الهراس، د ط، 1415هـ-1995م، دار الفكر، بيروت، لبنان، 258/1.

(8) انظر: المرجع السابق 242/3.

(9) انظر: كتاب الصلة 378/1.

(10) انظر: المرجع نفسه 508/2.

(11) انظر: المرجع نفسه 377/1.

عن أبي عبد الملك البوني، توفي سنة 433هـ⁽¹⁾.

10- محمد بن نعمة الأسدي، العابر القيرواني، كنيته: أبو بكر. روى بالقيروان عن البوني، مات سنة 482هـ⁽²⁾.

11- موسى بن خلف بن عيسى بن سعيد الخير: من أهل وَشَقَّةَ وقاضِهَا، وكنيته: أبو هارون. رحل حاجاً سنة: 407هـ، فسمع من أبي عبد الملك البوني كتابه في «شرح الموطأ»⁽³⁾.

12- يحيى بن محمد بن حسين الغساني: كنيته: أبو زكرياء، ويُعرف بالقُلَيْعِي، من أهل غرناطة، رحل إلى المشرق، وسمع من أبي عبد الملك مروان بن علي البوني، وتوفي سنة 442هـ⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

بعد رحلته العلمية إلى القيروان، استقرَّ البوني في بونة "عنابة"، يصنّف ويدرس، ولم يذكر المترجمون له سوى كتابين من تأليفه، وهما:

1- شرح البخاري: شرح فيه كتاب «الجامع الصحيح» لأبي عبد الله البخاري، وهذا الشرح مفقود، ولم يبق منه سوى عشرات النصوص الموثقة في كتب شروح البخاري، كـ«فتح الباري» لابن حجر العسقلاني، وفيه: 23 نصًّا، و«عمدة القاري» لبدر الدين العيني، وفيه: 35 نصًّا، و«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»، لشهاب الدين القسطلاني، وفيه نصٌّ واحد⁽⁵⁾؛ وأمَّا في غير شروح البخاري، فقد نقل منه السيوطي نصًّا واحدًا في شرحه على على سنن النسائي⁽⁶⁾.

وهذا الشرح -أي شرح البخاري-، لم ينسبه لأبي عبد الملك البوني غير ابن حجر العسقلاني، فقد ذكره في معرض تجريد أسانيده في كتبه ومروياته، فذكره بالسند المتصل إلى حاتم بن محمد الطرابلسي، وهو راويه عن مؤلفه البوني، فقال: «كتاب "شرح الموطأ"، وكتاب "شرح البخاري"، كلاهما لأبي عبد الملك مروان بن علي البوني...»⁽⁷⁾. ولا شكَّ أنَّ إغفال المترجمين لذكره، مع استفادة شُرَّاح البخاري منه، يترك استفهاماً كبيراً، يتطلب مزيداً من البحث⁽⁸⁾.

(1) انظر: المرجع نفسه 508/2.

(2) انظر: المرجع نفسه 571/2.

(3) انظر: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار 173/2.

(4) انظر: المرجع نفسه 632-631/2.

(5) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين القسطلاني، ط7، 1323هـ، المطبعة الكبرى الأميرية، الأميرية، مصر، 185/3.

(6) شرح السيوطي لسنن النسائي، ت: عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سورية، 29/1.

(7) المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنشورة، ت: محمد شكور الميادي، د ط، 1418هـ-1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص398.

(8) ينظر: تفسير الموطأ للبوني، مقدمة المحقق: عبد العزيز الصغير دخان، ص42.

2- تفسير، أو شرح الموطأ: وتوجد نسخة مخطوطة نادرة منه، في خزانة القرويين بفاس بالمغرب، تحت رقم 175، وعدد أوراقها 124 ورقة⁽¹⁾، وقد حققه الدكتور أبو عمر عبد العزيز الصغير دخان المسيلي، وطبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر سنة 1432هـ، الموافق لـ 2011م، وهذا الكتاب اشتهر به البوني، وأقبل عليه طلبة العلم، لسماعه وروايته عنه.

قال القاضي عياض: «...وَأَلَّفَ فِي شَرْحِ الْمُوطَأِ كِتَابًا مَشْهُورًا حَسَنًا، رَوَاهُ عَنْهُ النَّاسُ»⁽²⁾. وقال ابن بشكوال: «...وَلَهُ كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي تَفْسِيرِ الْمُوطَأِ، هُوَ كَثِيرٌ بِأَيْدِي النَّاسِ»⁽³⁾. ويبدو من كلام ابن بشكوال أَنَّ تأليفه كان قبل استقرار البوني في عنابة، حيث قال: «رَوَى عَنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: لَقِيتُهُ بِالْقَيْرَوَانِ وَشَهِدَ مَعَنَا الْمَجَالِسَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَا... وَقَالَ: قَرَأْتُ عَلَيْهِ تَفْسِيرَهُ فِي الْمُوطَأِ بَعْضَهُ، وَأَجَازَ لِي سَائِرَهُ، وَسَائِرُ مَا رَوَاهُ»⁽⁴⁾.

وكان البوني يتعمّد هذا الكتاب بالتنقيح والزيادة عليه، حيث قال تلميذه أبو عمر بن الحذاء: «لَقِيتُهُ بِبُورْجِ سَنَةِ 405هـ. وَنَاوَلَنِي كِتَابَهُ فِي شَرْحِ الْمُوطَأِ، ثُمَّ خَاطَبْتُهُ مِنْ طَلِيْطَلَةٍ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ الدِّيَوَانَ، وَأَجَازَهُ لِي ثَانِيَةً، وَقَدْ زَادَ فِيهِ بَعْدَ لِقَائِي لَهُ»⁽⁵⁾.

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه. ومن النصوص في ذلك:

1- قال القاضي عياض: «... وَكَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمُتَفَتِّتِينَ، وَأَلَّفَ فِي شَرْحِ الْمُوطَأِ كِتَابًا مَشْهُورًا حَسَنًا»⁽⁶⁾.

2- قال الحُمَيْدِي: «وَكَانَ فَقِيهًا مُحَدِّثًا... ذَكَرَهُ لِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَفْصُوفِيُّ، وَذَكَرَ عَنْهُ فَضْلًا وَعِلْمًا، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِتِلْكَ الْبِلَادِ»⁽⁷⁾.

3- قال عنه حاتم الطرابلسي: «كَانَ رَجُلًا فَاضِلًا، حَافِظًا، نَافِذًا فِي الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ»⁽⁸⁾.

4- قال عنه أبو عمر بن الحذاء: «كَانَ صَالِحًا، عَاقِلًا، حَسَنَ اللِّسَانِ وَالبَيَانِ - رَحِمَهُ اللَّهُ»⁽⁹⁾.

5- قال ابن فرحون: «وَكَانَ رَجُلًا حَافِظًا فَذًّا فِي الْفَقْهِ، وَالْحَدِيثِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا»⁽¹⁰⁾.

(1) المسالك في شرح موطأ مالك، للقاضي أبي بكر بن العربي، ت: محمد، وعائشة ابني الحسين السليماني، ط1، 1428هـ-2007م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، مقدمة المحقق، 1/196-197.

(2) ترتيب المدارك، 34/2، وفهرسة ابن خير، لابن خير الإشبيلي، ص76.

(3) كتاب الصلة، 582/2.

(4) المرجع نفسه.

(5) كتاب الصلة 582/2.

(6) ترتيب المدارك 259/7.

(7) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ص506.

(8) المرجع السابق.

(9) المرجع نفسه.

(10) الديباج المذهب 339/2.

المطلب الخامس: وفاته.

اتفق المترجمون للبوني على أنّ وفاته كانت ببونة "عنابة" التي ينسب إليها، ولم يخالف في ذلك إلّا صاحب "هدية العارفين"، الذي جعل وفاته بالقيروان⁽¹⁾.
وأما تاريخ وفاته، فقد حدّد بما قبل سنة الأربعين وأربعمائة للهجرة، أي قبل: (440هـ)⁽²⁾.

المبحث الثاني

مجالات استفادة أبي عبد الملك البوني من القرآن في "تفسير الموطأ"

اهتم الإمام أبو عبد الملك البوني في "تفسير الموطأ" اهتماماً بالغاً بالقرآن الكريم؛ وهو ما انعكسه كثرة الآيات التي وظّفها إمّا استشهداً، أو استدلالاً، أو احتجاجاً؛ بحيث لا تكاد تقلّب صفحة من صفحات كتابه إلا وجدت فيها القرآن حاضراً بوضوح، وهو الحضور الذي استدلّ عليه الدكتور عبد العزيز دخان -محقّق كتاب: تفسير الموطأ- بغزارة النصوص القرآنية التي تضمّنها فهرس الآيات، فقد قال: «إنّ نظرة إلى فهرس الآيات المثبت في آخر الكتاب⁽³⁾ تكشف لنا بوضوح عن الاهتمام الكبير الذي أولاه الإمام البوني للقرآن الكريم، ومدى احتجاجة به واعتماده عليه في ردّ الأقوال والاحتجاج على أصحابها، فقد بلغ عدد الآيات الكريمة المذكورة في الكتاب أزيد من (250) آية، وهو عدد كبير»⁽⁴⁾.

والحقّ أنّ استفادة البوني من القرآن في تفسيره للموطأ لا تنحصر فيما ذكره المحقّق، بل إنّها تتعدى ذلك لتبرز في مجالات مختلفة، وبمظاهر متنوعة؛ إذ استعان به على شرح غريب القرآن والحديث، وفسر كثيراً من نصوصه المتعلقة بموضوعات "الموطأ"، واعتمد عليه في الاستدلال على الأحكام الشرعية، والاحتجاج للأراء والاجتهادات الفقهية أو عليها... وغير ذلك من مجالات الاستفادة، وهو ما سأحاول تجليته في هذه الدراسة التي قسمتها على النحو الآتي:

المطلب الأول- تفسير الآيات القرآنية بالمأثور.

أظهر الإمام البوني عناية كبيرة بتفسير القرآن الكريم في كتابه "تفسير الموطأ"، وهذا ينمّ عن معرفته بهذا العلم ومكنته فيه، وإحاطته بقواعده؛ فرغم إنّ موضوع كتابه هو شرح أحاديث الموطأ، إلّا أنّه تعرّض لتفسير عدد كبير من الآيات القرآنية، بما يوحي بأنّ له ملكة خاصة في التفسير، عبّر عنها الدكتور عبد العزيز دخان بقوله: «وقد كان للبوني نظرات عميقة في تفسير بعض الآيات، مما ينبئ عن ملكة خاصّة في التفسير لا تقلّ عمقا عن

(1) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي 427/2.

(2) انظر: كتاب الصلة 582/2، والديباج المذهب 339/2، وجذوة المقتبس ص506، ومعجم البلدان للحموي، للحموي، 512/1.

(3) يقصد: كتاب "تفسير الموطأ".

(4) تفسير الموطأ، مقدمة المحقق، ص54.

استنباطاته من نصوص السنة النبوية»⁽¹⁾.

وقد تنوعت مسالك البوني في تفسير الآيات القرآنية، ومن ذلك:

أولاً- تفسير القرآن بالقرآن:

من مسالك أبي عبد الملك البوني التفسيرية أنه يردّ اللفظة أو الآية القرآنية التي يريد تفسيرها إلى نظائرها في القرآن الكريم، فيتبين معناها.

ومن ذلك: ورد في ردّ عمر بن الخطاب على كتاب أبي عبيدة بن الجراح قوله: «...وإنه لن يغلب عسر يسرين»⁽²⁾، فعلق البوني على هذا الحديث مبيناً أن عبارة عمر ﷺ، تفسير لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشّح: 5.6]، ووضّح هذا المعنى بقوله: «قوله: (لن يغلب عسر يسرين): أراد قوله ﷺ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فالعسر واحد، واليسر اثنان؛ لأنّ العسر معرفة، والمعرفة إذا تكرّرت كانت واحدة، ويسر نكرة، والنكرة إذا تكرّرت كانت اثنتين»⁽³⁾.

ولتأكيد صحة هذا المعنى التفسيري ردّ البوني آية سورة "الشّح" إلى نظيرها في القرآن، حيث قال: «ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾، فعرفه بالألف واللام؛ ليعلم أنه الأول»⁽⁴⁾.

ثانياً- تفسير القرآن بكلام النبي ﷺ:

وذلك بأن ينقل تفسير الآية القرآنية عن النبي ﷺ.

ومن ذلك: روى مالك في "الموطأ" حديث عائشة -رضي الله عنها-، أنّها قالت: «كان في بريرة ثلاث سنن، فكانت إحدى السنن الثلاث: أنّها أعتقت، فخبرت في زوجها، وقال رسول الله ﷺ: الولاء لمن أعتق»⁽⁵⁾.

وعلق البوني على هذا الحديث بأنّه تضمن تفسيراً للفظ "خيرا" التي وردت في آية التّور، حيث قال: «وفيه تفسير قول الله ﷻ: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: 33]، إنّما هو الدين والأمانة، لا المال؛ لأنّ بريرة جاءت عائشة لتستعينها»⁽⁶⁾.

ومن ذلك -أيضاً- نقل مالك في "الموطأ"، عن عمر ﷺ، أنّه قال: «اتّجروا في أموال اليتامى؛ لا تأكلها الزكاة»⁽⁷⁾، وعلق البوني على هذا الحديث بأمرين:

أولهما- الاستدلال بالقرآن على ما ذهب إليه عمر ﷺ من إيجاب الزكاة في أموال

(1) المصدر نفسه.

(2) موطأ مالك، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، رقم 6، 446/2.

(3) تفسير الموطأ، 551.

(4) المصدر نفسه.

(5) الموطأ، كتاب الطلاق، باب ما جاء في الخيار، رقم 25، 562/2.

(6) تفسير الموطأ، ص 707.

(7) الموطأ، كتاب الزكاة، باب زكاة أموال اليتامى، رقم 12، 251/1.

اليتامى، حيث قال: «وإنما قال ذلك: لقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]، الآية»⁽¹⁾.

ثانيهما- تفسير الآية القرآنية المستدل بها بحديث النبي ﷺ، حيث قال: «فسر النبي ﷺ مراد الله بقوله: (أمرت أن أخذ الصدقة من أغنيائكم، وأردها على فقرائكم)، ولم يخص كبيرا من صغير، وإنما الصدقة توسعة من الأغنياء على الفقراء، فإن وجد الغنى وجبت الزكاة»⁽²⁾.

ثالثا- تفسير القرآن بكلام الصحابة:

أكثر البوني من نقل التفسير عن الصحابة، وخصوصا ابن عباس -رضي الله عنهما- ومن ذلك: أنه فسّر قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافُوا﴾ [الإشراء: 110]، بقوله: «يقول: لا يكون ذلك سرا جذا، فلا يثير ذلك منك الاجتهاد في الدعاء»⁽³⁾.

ثم نقل تفسير هذه الآية عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، فقال: «وقال ابن عباس في تفسير ذلك أن النبي ﷺ كان يجهر بالقرآن، فيسمع المشركون قراءته، فيسبون القرآن ومن أنزله، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تُخَافُوا﴾ [الإشراء: 110]، فيسمعك المشركون فيسبون القرآن، ﴿وَلَا تُخَافُوا﴾ [الإشراء: 110]، فلا يسمع أصحابك قراءتك»⁽⁴⁾.

رابعا- تفسير القرآن بكلام الأئمة:

من مصادر الإمام البوني في تفسير الآيات القرآنية النقل عن الأئمة، ومنهم: مالك والشافعي... وغيرهما، ومن ذلك:

قال البوني: «وقد روى يحيى بن يحيى، عن مالك في تفسير قراءة ابن عمر: ﴿فَطَلِّقُوهُمْ لِقَبْلِ عَذَابِنَا﴾، قال يحيى بن يحيى: قال مالك: (يريد أن يطلقها في كل طهر مرة)»⁽⁵⁾. ونقل البوني عن الإمام الشافعي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: 60]، حيث قال: «نُقَسَمُ الزكاة أثماناً»⁽⁶⁾: لكنه تعقبه، وأقام الأدلة على بطلانه، فساق ثلاثة أحاديث على جواز صرف الزكاة في صنف واحد من الأصناف الثمانية المذكورة في آية التوبة إن تعلقت به مصلحة، حيث قال: «وليس كما قال الشافعي، وإنما ذلك علم من الله ﷻ، أعلمنا الأصناف التي تجعل فيها الصدقة، فإن جعلت في صنف من هذه الأصناف أجزاء»⁽⁷⁾.

وهكذا، لم يكن البوني مجرد ناقل للآراء التفسيرية، وإنما يحاكمها للأدلة، فيقبل ما

(1) المصدر السابق، ص 380.

(2) تفسير الموطأ، ص 380.

(3) المصدر نفسه، ص 369، وانظر المزيد من النماذج في: المصدر نفسه، ص 681، 720، 723، 736.

(4) نفسه، ص 369.

(5) نفسه، ص 717.

(6) نفسه، ص 389.

(7) نفسه، ص 389.

يوافقها، ويردّ ما يعارضها⁽¹⁾.

المطلب الثاني- بيان أسباب نزول الآيات القرآنية:

اهتمّ البوني ببيان أسباب نزول بعض الآيات القرآنية التي وظّفها في شرح الموطأ، وذلك لما لمعرفة الأسباب من أثر بالغ في فهم الآية، واستخلاص الفقه منها، ومن ذلك: أنّه ناقش في: "باب ما لا يجوز من نكاح الرّجل أمّ امرأته" مسألة حكم نكاح الرجل للمرأة التي زنى بها؛ فذكر أنّ أكثر العلماء على الجواز، إذا تابت المرأة، واستبرأت من الماء الفاسد بثلاث حيض، أو بثلاثة أشهر، أو بوضع حملها.

ونقل عن ابن المسيّب احتجاجه على هذا الرأي بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ [النور: 32].

ثمّ استدلّ البوني على صحّة هذا المذهب بما رُوِيَ أنّ رجلاً خُطبت إليه أخته، فذكر أنّها كانت قد أحدثت، فضربه عمر بالدُّرة، وقال: «مالك وللخبر»⁽²⁾.

ولأنّ هذا الرأي الفقهيّ -الذي اختاره البوني وأيّده- يعكّر عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿الرَّأْي لَا يَنْكُحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: 3]؛ فقد اجتهد البوني في تفسير هذه الآية، مبيناً سبب نزولها، ومعناها الصحيح؛ حيث قال: «وقال مجاهد: نزلت هذه الآية: ﴿الرَّأْي لَا يَنْكُحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: 3] في نساءٍ كنّ في الجاهلية بغايا، وكانت فهنّ امرأة جميلة، فكان المسلم يتزوَّج إحداهنّ؛ لتنفق عليه من كسبها، فنهى الله سبحانه عن ذلك»⁽³⁾.

وعليه، فالآية لا تنهى عن نكاح المرأة الزانية إذا تابت واستبرأت؛ وإنّما تنهى عن نكاح البغايا اللّواتي كنّ في الجاهليّة، كما يدلُّ عليه سبب نزولها؛ وأمّا معناها فقد ذكره البوني بقوله: «يريد -والله أعلم- أنّ هذا الفعل لا يفعله إلّا ناقص الإيمان، أو مشرك لا إيمان له، ولا يخاف جزاء»⁽⁴⁾.

وهكذا، نجد البوني يستعين بسبب نزول الآية على فهم معناها، واستنباط الأحكام الفقهيّة منها، أو الاستدلال عليها⁽⁵⁾.

المطلب الثالث- بيان ناسخ القرآن ومنسوخه.

اهتمّ البوني ببيان ناسخ القرآن ومنسوخه، وذلك لأهميته في تفسير الآيات القرآنية، ومعرفة المحكم المعمول به، والمنسوخ الذي لا يعمل به، وعادة ما يعتمد في ذلك على النقل عن أهل العلم، ومنهم: أبو عبيد القاسم بن سلام، حيث ذكره وكتابه، فقال: «وذكر أبو

(1) ينظر: تفسير الموطأ، ص 389-390.

(2) نفسه، ص 681.

(3) نفسه، مقدمة التحقيق، ص 681.

(4) نفسه، ص 681.

(5) نفسه، ص 681، وينظر لمزيد من النماذج: المصدر نفسه، ص 274، ص 692.

عبيد في كتاب "ناسخ القرآن ومنسوخه"....⁽¹⁾، ومن أمثلة عنايته ببيان النسخ ما يأتي:
ناقش البوني اختلاف العلماء في نكاح الرجل المرأة التي زنى بها، فنقل جواز ذلك عن أكثر أهل العلم، بعد أن تستبرئ المرأة من الماء الفاسد بثلاث حيض، أو بثلاثة أشهر، أو وضع الحمل.

ثم نقل استدلال مجاهد من المانعين على عدم جوازه بقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: 3]، ولردّ هذا الاستدلال، نقل البوني عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنّ هذه الآية منسوخة، حيث قال: «وذكر أبو عبيد أنّها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ [النور: 32]»⁽²⁾.

المطلب الرابع- دفع موهم الاختلاف والتعارض "مشكل القرآن":

حرص الإمام البوني على دفع ما يتبادر إلى الأذهان من تعارض واختلاف بين النصوص، كتعارض القرآن مع القرآن، أو تعارض القرآن مع السنة، وهو ما يُطلق عليه -أيضا- مشكل القرآن، ومن نماذج ذلك:

أورد الإمام مالك في باب: "ما جاء في كراهية إصابة الأختين بملك اليمين"، أنّ عثمان بن عفان سئل عن الأختين من ملك اليمين، فقال: (أحلّتهما آية، وحرّمتهما آية، فأما أنا فلا أحبّ أن أصنع ذلك)⁽³⁾.

وهذه المسألة تعارض فيها آيتان، هما:

- قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: 3]، وهي التي قال فيها عثمان: «أحلّتهما آية».

- وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: 23]، وهي التي قال فيها: «وحرّمتهما آية»، وبين التحليل والتحریم تعارض ظاهر، وهو ما عبّر عنه عثمان -رضي الله عنه- بقوله: «أحلّتهما آية، وحرّمتهما آية»، وللتوفيق بين الآيتين، ودفع موهم الاختلاف والتعارض بينهما حمل البوني آية: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: 3]، على آية: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: 23]، وذلك بأن جعل الآية الثانية قاضية بعمومها على الآية الأولى، فيكون المباح بقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ غير ما حرّم بقوله: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، فيعمل بالآيتين معا، فيتفقان ولا يتعارضان.

والملاحظ أنّ البوني قوى هذا الجمع بما يلي:

أولا- بالقياس، لقوله: «قياسا على النكاح»، أي كما لا يجوز الجمع بين المحارم بالنكاح، فإنّه لا يجوز الجمع بينهما بالملك.

(1) تفسير الموطأ، ص 266.

(2) نفسه، ص 681، وينظر لمزيد من النماذج: المصدر نفسه، ص 340، ص 537، ص 691.

(3) الموطأ، كتاب النكاح، رقم 34، 538/2.

ثانيا- الأخذ بعموم آية: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، ولا إجماع على تخصيصها بملك اليمين.

ثالثا- الإجماع على منع وطء المحارم بالملك، كالعمة والخالة المملوكتين، وهذا يقتضي منع الجمع بين الأختين بالملك.

وهذا التوفيق بين الآيتين خلص البوني إلى القول بمنع الجمع بين الأختين بملك اليمين، كما منع الشرع الجمع بين الأختين بالنكاح، وهذا مستفاد من قوله: «ويحتمل أن يريد عمر وعثمان بقولهما: (لا أحبُّ)، أي: لا يجوز ولا يحلُّ، وهذا أحسن ما قيل في ذلك؛ قياسا على النكاح، فتكون الآية على عمومها في النكاح والملك حتى يأتي إجماع بتخصيص ذلك، وذلك غير موجود»⁽¹⁾.

ومن نماذج مشكل القرآن -أيضا- ما يأتي:

عالج في باب: "النهي عن البكاء عن الميت" موهم الاختلاف والتعارض بين حديث ابن عمر، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»⁽²⁾، وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164]، وهي الآية التي احتجَّت بها أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عائشة -رضي الله عنها- على ابن عمر -رضي الله عنهما-.

فظاهر الآية أَنَّ النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرا فخيرٌ، وإن شرا فشرٌ، وأنه لا يُحمل من خطيئة أحد على أحد، وهذا من عدله تعالى⁽³⁾؛ بينما ظاهر الحديث خلاف ذلك، حيث يثبت للميت العذاب ببكاء أهله عليه رغم إنه ليس من كسبه.

واستعان البوني في دفع التعارض المتوهم بين الآية والحديث بالنقل عن العلماء، ثم استحسَن وجه الجمع بينهما، حيث قال: «وقال بعض العلماء: إنما ذلك فيمن كان ذلك من سنته في حياته، ولمن كان يرى ذلك من أهله فلا يغيره عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: 6]، وأما من لم يكن ذلك من سنته، فكما قالت عائشة. فهذا وجهٌ حسنٌ»⁽⁴⁾.

وهكذا، جمع البوني بين الآية والحديث، ودفع ما يتوهم من التعارض بينهما، وبين أنهما متوافقان ومتناسقان.

المطلب الخامس- التفسير الفقهي للآيات القرآنية:

وذلك باستنباط الفقه منها، والاستدلال بها على الأحكام والآراء الفقهية، ومن ذلك: روى الإمام مالك في "كتاب الطلاق" حديث فاطمة بنت قيس، أَنَّ أَبَا عمرو بن حفص

(1) تفسير الموطأ، ص 687.

(2) متفق عليه.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير، 3/345.

(4) تفسير الموطأ، ص 601.

طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وهو غائب بالشام، فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته... الحديث (1).

ومن هذا الحديث استفاد البوني حكماً فقهيًا، وهو ألا نفقة للمبتوتة، ثم استدلّ عليه بالقرآن، حيث قال: «في هذا الحديث سنن، منها: ألا نفقة للمبتوتة، وإنما أرسل إليها أبو عمرو بالشعير على وجه التفضل، لا على وجه الإلزام؛ لأنّ الله لم يوجب لها نفقة بقوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ [الطلاق: 6]، إلى قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: 6]، فدلّ هذا على أنّ غير الحامل لا نفقة لها، لأنّ النفقة لو وجبت لغير الحامل لعمهّن جميعاً بالنفقة، كما عمهّن بالسكن» (2).

ومن ذلك -أيضاً:-

روى مالك في الموطأ حديث سهل بن سعد الساعديّ، أنّ رسول الله ﷺ جاءته امرأة، فقالت: يا رسول الله! إنّي قد وهبت نفسي لك... الحديث (3).

وظاهر هذا الحديث جواز النكاح بلا مهر، إذ جاء فيه أنّ النبي ﷺ زوّج الرجل من الواهبة نفسها من غير مهر، وإنّما بما معه من القرآن، وهذا معارض بالأحاديث التي جاء فيها الأمر بإصداق المرأة في النكاح؛ ولذلك حمّله البوني على الخصوصية للنبي ﷺ، فقال: «والحجة في ذلك أنّ الله تعالى خصّ نبيّه ﷺ من الهبة بما لم يجتمع لغيره، وهذه المرأة قد كانت وهبت نفسها للنبي ﷺ، فهي من خواصّه» (4).

واستدلّ البوني على صحّة هذا الحكم الفقهيّ بالقرآن، حيث أقام الآية دليلاً على وجوب المهر في الزواج للمرأة، فقال: «وقال الله ﷻ: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾ [النساء: 24]، وقال: ﴿فَأَنْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [النساء: 24]» (5).

وهكذا، نجد البوني قد استفاد من القرآن الكريم في الاستدلال على كثير من الأحكام الفقهيّة، وفي الحكم على الآراء الفقهيّة المختلفة.

المطلب السادس- العناية بالقواعد الكلية الخادمة لتفسير القرآن:

اعتمد البوني في الترجيح بين المعاني التفسيرية على عادات القرآن ومعهوده، أو ما يعرف بكليات القرآن، ومعرفة ذلك شيء مهمّ لمن يتصدّى لتفسير القرآن على نحو تعبير ابن عاشور، حيث قال: «يَجِبُ عَلَى الْمُفَسِّرِ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَادَاتِ الْقُرْآنِ مِنْ نَظْمِهِ وَكَلِمِهِ» (6).

ومن المواضيع التي تظهر اعتماد البوني على هذا المسلك الترجيحي أنّه نقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- تفسير "الفاحشة المبيّنة" التي وردت في آية النساء، ثمّ عضّد المعنى

(1) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطلاق، باب ما جاء في نفقة المطلقة، رقم 67، 581-380/2.

(2) تفسير الموطأ، 722.

(3) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب النكاح، باب ما جاء في الصداق والحباء، رقم 8، 526/2.

(4) المصدر السابق، ص 674.

(5) نفسه.

(6) التحريروالتنوير، 124/1.

الذي ذهب إليه ابن عباس بكلية من كليات التفسير.

قال البوني: «وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الطَّاق: 1]، أَنَّ الفاحشة المبينة أَنْ تَبْدُوَ عَلَى أَهْلِهَا، فَإِذَا بَدَتْ حَلَّ إِخْرَاجِهَا»⁽¹⁾، ثُمَّ رَجَّحَ هَذَا الْمَعْنَى بِقَاعِدَةٍ: «كُلُّ مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ فَاحِشَةً مُبَيَّنَةً فَهُوَ الْبَدَاءُ بِاللِّسَانِ»⁽²⁾.

ومن القواعد التي استعان بها البوني -أيضا- على فهم القرآن واستنباط الفقه منه: ما جاء في قوله: «فكلُّ ما جاز أن يُصابَ بالنكاح، جائزٌ أن يُصابَ بالملك»⁽³⁾، وفي قوله عند الحديث عن تعارض الآيات والتوفيق بينها: «ولا سبيل إلى النسخ، ولا إلى التخصيص، حتى لا يوجد إلى السنن سبيل»⁽⁴⁾.

المطلب السابع- الاستعانة بالقرآن على تفسير الحديث:

كثيرا ما يعتمد الإمام البوني على القرآن الكريم في تفسير الأحاديث النبوية، أو شرح بعض الألفاظ التي وردت في كلام الصحابة، وذلك من خلال الاستشهاد للمعنى الذي يفهمه منها بما ورد على نحوه في أي القرآن، ومن ذلك:

روى الإمام مالك في كتاب الجهاد حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، في بيان فضل الخيل، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الْخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ...»⁽⁵⁾. وعند تفسيره لهذا الحديث، ساق البوني حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽⁶⁾.

ثم فسّر البوني معنى "الناصية" التي وردت في الحديث، فقال: «يريد الأجر والغنيمة لملكها، ولم يرد الناصية خاصة، إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِكَ: نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، أَي مَلِكِي لَكَ»⁽⁷⁾. واستشهد لهذا المعنى الذي ذهب إليه بالقرآن، حيث قال: «ومنه: قوله ﷺ: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56]»⁽⁸⁾.

ومن ذلك -أيضا-:

أورد مالك في الموطأ حديث ابن عمر، أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ، لَبِيكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبِيكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ، لَا شَرِيكَ لَكَ»⁽⁹⁾.

(1) تفسير الموطأ، ص 720.

(2) نفسه، ص 721.

(3) نفسه، ص 688.

(4) نفسه، ص 687.

(5) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، رقم 3، 444/2.

(6) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينها، رقم 44، 467/2.

(7) تفسير الموطأ، ص 549.

(8) المصدر نفسه.

(9) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب العمل في الإهلال، رقم 28، 331/1.

وعند تفسير هذا الحديث تطرق لمعنى الإهلال والتلبية، فقال: «ومعنى الإهلال بالحجّ: التلبية، فأما نفس الكلمة، فإنّ الإهلال: الاستفتاح، وكذلك التلبية بها يُستفتح الحجُّ، وكلُّ مستفتح منها بكلام فهو مهلٌّ»⁽¹⁾.

وللاستدلال على صحّة هذا المعنى استشهد له بما ورد في حديث آخر، فقال: «ومنه الحديث في المولود: (ولا يُصلّى عليه، ولا يرث، ولا يورث حتى يستهلّ صارخاً)»⁽²⁾.

ثمّ استشهد له -أيضاً- بما ورد في القرآن، حيث قال: «ومنه قوله تعالى -في الذبيحة-: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: 3]»⁽³⁾.

وهكذا، فإنّ البوني يوظف الآيات القرآنية في تفسير الحديث النبويّ، والاستشهاد للمعاني التي تتبادر إليه من الأحاديث.

الخاتمة

وهكذا، نصل إلى نهاية هذا العرض الذي تناولنا فيه مظاهر استفادة الإمام أبي عبد الملك البوني من القرآن في كتابه "تفسير الموطأ"، والذي وقفنا فيه بوضوح على مدى اعتماد البوني على القرآن في شرحه لـ"موطأ مالك"؛ فقد فسّر الآيات القرآنية بما جاء في القرآن، أو في السنّة، أو في كلام الصحابة والأئمة، وهو في كلّ ذلك ليس مجرد ناقل أمين، بل يحاكم الآراء والمعاني التفسيرية إلى الأدلة المختلفة، ويبدي فيها رأيه بوضوح.

كما أننا وجدناه معتنياً بأسباب نزول الآيات، يستفيد منها في فهم النصّ القرآني، واستنباط الفقه منه، ومنهياً على ناسخ القرآن ومنسوخه، ولا يقف البوني أمام "مشكل القرآن" موقف المتفرّج، بل يبذل جهده ويستثمر معارفه العلمية في دفع التعارض بين نصوص الوحي، فيزيل التعارض المتوهم بين نصوص القرآن، وبينها وبين نصوص السنّة؛ ليعمل بالجميع من غير تعطيل لبعضها، أو إبطال.

وقد أظهر البوني إحاطة بالقواعد الكلية المساعدة على فهم القرآن، ومُكنة في تفسيره أهلتاه لاستنباط الأحكام منه، والاستدلال به على آرائه واختياراته الفقهيّة.

والبوني يكثر من عرض الحديث على القرآن لتفسيره؛ فهو يستشهد بالقرآن على صحّة المعاني التي يفهمها من الحديث، ويستدل به على صحّة الأحكام التي يستفيد منها.

ولأجل ذلك كلّه، أرى من الضروري بمكان مواصلة البحث في منهج هذا العلم في التعامل مع نصوص القرآن من خلال نصوصه في "تفسير الموطأ"، وذلك للوقوف على طريقته في فهم القرآن، وكيفية الاستعانة به على فهم السنّة النبوية فهما صحيحاً.

(1) تفسير الموطأ، ص 464.

(2) نفسه، ص 464.

(3) نفسه، ص 464.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط2، 1410هـ-1990م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- 2- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، دط، 1984م، الدار التونسية للنشر، تونس.
- 3- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، ت: محمد بن تاويت الطنجي، ط2، 1403هـ-1983م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.
- 4- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، 1420هـ - 1999م، دار طيبة، الرياض، السعودية.
- 5- تفسير الموطأ، لأبي عبد الملك البوني، ت: د. عبد العزيز الصغير دخان المسيلي، ط1، 1432هـ-2011م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر.
- 6- التكملة لكتاب الصلة، لابن الآبار، ت: عبد السلام الهراس، د ط، 1415هـ-1995م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 7- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لمحمد بن عبد الله القيسي الدمشقي، ت: محمد نعيم العرقسوسي، ط1، 1431هـ-2010م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سورية.
- 8- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لمحمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، ت: بشَّار عوَّاد معروف، ط1، 1429هـ-2008م، دار الغرب الإسلامي، تونس، الجمهورية التونسية.
- 9- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، ت: محمد الأحمد أبو النور، د ط، دار التراث، القاهرة، مصر.
- 10- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، د ط، 1349هـ، المطبعة السلفية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- 11- فهرسة ابن خير الإشبيلي، ط1، 1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 12- كتاب الصلة، لابن بشكوال، ت: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، 1414هـ-1994م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- 13- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، لعادل نويمض، ط3، 1403هـ-1983م، مؤسسة نويمض الثقافية، بيروت، لبنان.
- 14- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي، د ط، 1397هـ-1977م، دار صادر، بيروت، لبنان.
- 15- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، ت: محمد شكور الميادين، د ط، 1418هـ-1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- 16- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ت: مصطفى ديب البغا، ط1، دت، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
- 17- موطأ الإمام مالك، تصحيح وترقيم وتخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، 1406هـ-1985م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 18- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، د ت، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

جهود الإمام محمد المكي بن عزوز الجزائري في خدمة القرآن الكريم

د / شمس الدين حمّاش

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر 1
hammachechemseddine@hotmail.fr

ملخص البحث

العناية بالقرآن الكريم سنة محمدية تالدة، وسيرة للصالحاء خالدة، تعرف منه الأحكام البديعة، وتقتنص إثره الحكم الرفيعة. وقد تعددت مقاصد ذوي الأفهام في خدمة كتاب الله وتقريب علومه للراغب، فكان نتاجا معطاءً مسخّاءً، أسفر تأسيس علوم مستقلة متصلة بالقرآن، ذات قواعد معتبرة مؤسسة، وضوابط مرعية حاكمة.

وقد سعدت بلاد الجزائر بأبناء ندبوا أنفسهم لخدمة القرآن الكريم فكان أنبل مقاصدهم السامية، وأشرف غاياتهم العالية؛ من أنجب الأفاضل: العلامة محمد المكي بن عزوز المتوفى سنة 1334هـ، حيث أولى فائق العناية لتفهم القرآن الكريم، واكتشاف أسرار، وسبر أغواره، من أجلى آثارها ما خلفه الشيخ من رصيد علي ضمن مصنفات في مسائل الفن -مستقلة أو مدرجة-؛ إذ أجزل البحث في التفسير والقراءات، وأبدع القول بفتح مغلق مسائلها المشكلات.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

العناية بالقرآن الكريم سنة محمدية تالدة، وسيرة للصالحاء خالدة، تعرف منه الأحكام البديعة، وتقتنص إثره الحكم الرفيعة. وقد تعددت مقاصد ذوي الأفهام في خدمة كتاب الله وتقريب علومه للراغب، فكان نتاجا معطاءً مسخّاءً، أسفر تأسيس علوم مستقلة متصلة بالقرآن، ذات قواعد معتبرة مؤسسة، وضوابط مرعية حاكمة.

وقد سعدت بلاد الجزائر بأبناء ندبوا أنفسهم لخدمة القرآن الكريم فكان أنبل مقاصدهم السامية، وأشرف غاياتهم العالية؛ من أنجب الأفاضل: العلامة محمد المكي بن عزوز المتوفى سنة 1334هـ، حيث أولى فائق العناية لتفهم القرآن الكريم، واكتشاف أسرار، وسبر أغواره، من أجلى آثارها ما خلفه الشيخ من رصيد علي ضمن مصنفات في مسائل الفن -مستقلة أو مدرجة-؛ إذ أجزل البحث في التفسير والقراءات، وأبدع أصقل القول بفتح مغلق مسائلها المشكلات.

وتتلخص أهداف البحث في الآتي:

- بيان جهود الإمام محمد المكي بن عزوز في علوم القرآن.
- إبراز القيمة العلمية لمؤلفات الشيخ قصد الاعتناء بها بين المتعلمين وتداولها بين المتخصصين.

- التعريف بعلماء الجزائر الأجلاء وبعث التواصل الحضاري بين الغابر والحاضر.
- من أجل بلوغ القصد، قسمت الدراسة إلى مبحثين:
- المبحث الأول: التعريف بالشيخ محمد المكي بن عزوز.
- المبحث الثاني: جهود ابن عزوز في علوم القرآن.
- خاتمة: أضمتها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ محمد المكي بن عزوز

المطلب الأول: كنيته، اسمه، ولقبه

هو أبو عبد الله محمد المكي، بن مصطفى بن أبي عبد الله محمد بن عزوز الحسني، الجزائري ثم التونسي⁽¹⁾.

المطلب الثاني: مولده ونشأته العلمية

وُلد ابن عزوز -رحمه الله- في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك، سنة سبعين ومئتين وألف بعد الهجرة النبوية (1270هـ)، والموافق سنة أربع وخمسين وثمان مئة وألف ميلادية (1854م). كان مولده في مدينة نفطة بأرض الجريد في الجنوب التونسي.

من أبرز شيوخه بنفطة: الشيخ قاسم الخُراني، ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الرحمن التَّارزي بن عزوز، عمه الشيخ محمد المدني بن عزوز.

ثم ارتحل إلى جامع الزيتونة وهو ابن الثانية والعشرين: سنة 1292هـ، وأتم مسيرته العلمية بالأخذ عن أطواد الجامع وأعلامه:

الشيخ عمر بن الشيخ، الشيخ سالم بوحاجب المفتي المالكي، وغيرهم كثير. واتصل في الجزائر بالشيخ محمد ابن أبي القاسم الشريف الحسن يشيخ زاوية الهامل، وأخذ عنه.

كما ارتحل إلى الإمام المعمر المحدث الشيخ ابن الحفاف مفتي المالكية في مدينة

(1) يتجاذب الإمام ابن عزوز قطران؛ فهو تونسي المولد والنشأة، جزائري النسب والأصل: فوالده مصطفى بن عزوز البرجي -من أعمال طولقة-، مؤسس الزاوية العزوزية بقرية برج بن عزوز، وأمه هي آمنة بنت الشيخ ابن أبي القاسم الديسي. وقد وجد انتساب الشيخ إلى بلده الجزائر في بعض أختامه، منه ما جاء في تقييده كتاب «الغنيمة الباردة في الصلوات الواردة»، جاء فيه: «كتبه مدرس التفسير والحديث الشريفين في دار الفنون بالأستانة العلية محمد المكي بن عزوز الجزائري». علي الرضا الحسيني، محمد المكي بن عزوز حياته وأثاره (79).

الجزائر، وأخذ عنه «صحيح البخاري» رواية بالسند العالي.

المطلب الثالث: وظائفه:

لما برز علّم ابن عزوز وذاع صيته بالسُّبق والتَّمُوق؛ حاز قصب السُّبق بين أقرانه، ما بواه لتولي المناصب الإسلامية الرفيعة وهو في مقتبل الشباب:

- تصدر الشيخ المكي للتدريس، وأتى بالدُرِّ النفيس، ببراعة وإفصاح، واقتدار على حسن الإيضاح، امتازت دروسه في الجامع الأعظم «جامع الزيتونة» وغيره من الجوامع بكثرة الإقبال، وغزارة المادة وفصاحة القول وعلو الأسلوب وجاذبيته، فأقرأ: «شرح الدردير على خليل»، و«البخاري بأحد شروحه»، و«الأربعين النووية»، و«الجامع الصغير»⁽¹⁾.

وفي سنة 1297هـ أجاز من قبل خير الدين باشا على تولي خطة الافتاء بمسقط رأسه نفطة وعمره سبع وعشرون سنة.

تولى منصب القضاء في سنة 1305هـ في نفطة بإلحاح وتكليف من السلطة، فوَقَفَ في نصر المحققين، وقهر المبطلين وإقامة الحدود.

وفي سنة 1316هـ هاجر الشيخ إلى الآستانة⁽²⁾ إثر ملاحظته من قِبَل الاستعمار الفرنسي، فاشتغل في التعليم والوعظ باللغتين العربية والتركية. حتى أسست الدولة العثمانية كلية «دار الخير» سنة 1324هـ، وحُوِّلَ اسمها إلى «دار الفنون»، فعَيَّن مجلس معارفها صاحب الترجمة مدرّسا خصبصا للحديث الشريف. ثم أسست الحكومة التركية مدرسة الواعظين، فعين مدرّسا بها.

المطلب الرابع: تلاميذه:

تخرج على الشَّيخ ابن عزوز جمع غفير في العلوم العقلية والنقلية بتونس وغيرها، وقد ذكر الشيخ عدّة مَنْ تتلمذ عليه: «تلقَى مَنِّي زمروجماعات وأفراد تعدّ بالمئات»⁽³⁾. من بينهم: شيخ الأزهر محمد الخضر حسين ابن أخت الشيخ ابن عزوز، الشيخ محمد الجنيد بن الحسين، الشيخ عبد الحي الكتاني.

المطلب الخامس: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:

قد خص ابن عزوز جُلَّةَ علماء زمانه بالثناء العاطر، والذكر السَّائر، كلُّ يشهد له بالعلم وطول الباع، من أولئك الأئمة الأعلام:

عبد الحي الكتاني؛ إذ قال: «هذا الرجل كان مسند إفريقية ونادرتها، لم نَر ولم نسمع

(1) علي الرضا الحسيني، محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره (13).

(2) إستنبول حاليا.

(3) علي الرضا الحسيني، محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره (42).

فمها بأكثر اعتناء منه بالرواية والإسناد والإتقان والمعرفة ومزيد تبحر في بقية العلوم، والاطلاع على الخبايا والغرائب من الفنون والكتب والرحلة الواسعة، وكثرة الشيوخ»⁽¹⁾.

عبد الرحمن الجيلالي: قال في ترجمته له: «وقد شئنا أن نأتي على ترجمة أحد عظمائنا الأفاضل، ونُبغائنا الشواذ: ألا وهو العلامة الجليل الشيخ المكي، الذي كان منذ ثلاث وأربعين سنة نجما يتألق في سماء العلم والأدب بهذا القطر الجزائري، رافعا لواءه بين الأولوية»⁽²⁾.

المطلب السادس: مؤلفاته:

أما ابن عزوز فقد بلغت مؤلفاته الآفاق، وضُرِّت لها الأكباد والأعناق، غزيرُ البضاعة، بديعُ الصَّناعة، لا يكاد يكتب في مسألة إلا كفاهها، لذا تهافتت عليه المطالب، وشُدَّتْ إليه الرغائب؛ في ضروب التأليف، وبدائع التصنيف. وقد ألف ابن عزوز في ضروب العلم وألوانه، إذ فاق عدد مؤلفاته التي أمكن معرفتها المائة، إلا أننا لم نسعد إلا بما يقارب معشار ما كتب. لعل أهم سبب في ذلك هو رحلات الشيخ المتعددة وتنقله بين البلدان ما كان سببا لفقد مكتبته الجامعة لتواليه، وما حازه من كتب.

يرى الأستاذ علي الرضا الحسيني: الباحث في تراث الشيخ، رأيا غير جازم أن مكتبته قد تكون ببلاد المغرب، لما كان للشيخ من صلة وثيقة بأشياخها، ولعل ظهور كتاب عمدة الأثبات ضمن تملكات عبد الحي الكتاني بعد غياب يؤكد هذا المذهب—وإن كان أصل الكتاب إجازة الشيخ ابن عزوز لتلميذه عبد الحي—.

ولما كان موضوع البحث وثيق الصلة بمؤلفات الشيخ؛ آثرت أن أذكر عناوين كتبه كلها؛ منها ما حفظ رسمه، ومنها ما لم يعرف سوى رسمه.

■ الفرع الأول: مؤلفاته المطبوعة

أولا/ الأدب:

1. نُحْيَ إليه ديوان شعر، وطبع كتابان في جمع شعر الشيخ المكي بن عزوز؛ الأول: «ديوان محمد المكي بن عزوز» للأستاذ علي الرضا الحسيني، دار الفارابي؛ والثاني: «ديوان البرجي» للأستاذ عبد الحليم صيد دار الخليل القاسمي.

ثانيا/ تاريخ وتراجم ورحلات:

2. النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية. طبع بإستنبول سنة: 1327هـ.

ثالثا/ التصوف:

3. أصول الطرائق وفروعها وسلاسلها.

رابعا/ الحديث:

(1) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس (2/856).

(2) عبد الرحمن الجيلالي، «ترجمة العلامة الأستاذ الشيخ المكي بن عزوز»، الشهاب (6/11/731).

4. أصول الحديث - محل الدراسة.

5. عمدة الأثبات في الاتصال بالفهارس والأثبات: وهو ثبت عظيم قد حوى بديع الفوائد، وغرر الفرائد، جاء في طالعته: «الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد: فإن أندر العلوم في هذا الزمان؛ علم الحديث ومعالم السنة، مع كونه أرفعها وأشرفها وأنفعها؛ إذ لا يقبل تحرير أي مسألة من مسائل الدين ومطالع اليقين إلا به، ولا يعتد بعمل صالح إلا ما كان السير فيه على منهاجه، حتى إنه لا يقال زيد عالم في الحقيقة؛ إلا إذا كان عالماً بهذا الشأن، وما سواه فعالم مجازاً...»⁽¹⁾.

وقد طبع قريباً بتحقيق عمر بن الجيلاني الشبلي صدر عن دار المالكية بتونس.

خامساً/ العقيدة:

6. بطاقة العقائد. منظومة ألفها سنة 1268هـ.

7. عقيدة التوحيد الصغرى

8. عقيدة التوحيد الكبرى - محل الدراسة.

9. العقيدة الإسلامية. شرحها مجد مكي، عن دار نور المكتبات.

10. النسمة الحجازية في المذاكرة البنغازية: تَضَمَّنَ جواب الشيخ على أسئلة رفعت من

بعض علماء بنغازي.

سادساً/ الفقه:

11. هيئة النَّاسِك في أَنَّ القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك: من أجل ما ألف ابن عزوز وقسَّمه إلى عشرة أبواب؛ تعاطى فيها تفصيل ما أجمل، وتوضيح ما أشكل في مسألة القبض، أهم ما انفردت به هذه الرسالة هو الطابع الفقهي المتين المبني على قواعد الأصول ومسالك الترجيح المعتمدة في المذهب، فكانت بحق أصلاً في الباب خدم بها الشيخ مذهب مالك خدمة جليلة.

سابعاً/ الفلك والجغرافيا:

12. الجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب: نظم طبع بالمطبعة الرسمية في تونس سنة:

1290هـ.

13. التقرار المهذب في حلّ تراجم الجوهر المرتب: موضوعه شرح تراجم أبواب «الجوهر

المرتب».

14. الذخيرة المكية في الخزانة المدنية.

15. الهلال في بيان حركة الإقبال. في علم الميقات.

ثامناً/ القراءات:

16. الأجوبة المكية على الأسئلة الحجازية - محل الدراسة.

(1) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، مصدر سابق (877/2).

17. الدراية فيما ليس برأس آية- محل الدراسة.

تاسعا/المناظرة:

18. السيف الرباني في عنق المعرض على الغوث الجيلاني: رد به على رسالة «الحق الظاهر في شرح حال الشيخ عبد القادر»، طاعة على نسب وكرامات الشيخ عبد القادر الجيلاني.

وقد أبرز ابن عزوز في هذا الكتاب براعته في التأليف، وجودة صناعته، وقد خصّ الكتاب بتقريظ صفوة علماء الأمصار. طبع في المطبعة الرسمية بتونس سنة: 1310هـ. كما طُبع له مجموعة من المراسلات، والتَّقريظات، والمنظومات، والأشعار، واللّطائف، والإجازات، ونحوها.

■ الفرع الثاني: مؤلفاته غير المطبوعة

أولا/ الأدب والتزكية:

19. حزم اليقظان في أن الصلاح والفساد يسريان من الخلان.

20. السلوى والمن في مواضع حسن الظن وسوء الظن.

21. صادق النبا في عقوبة صاحب الربا.

22. العلم الأخضر في مطارحات السيد الأخضر.

23. فتح الخلاق في استكمال الإسلام لمحاسن الأخلاق.

24. المقالات العزوزية في الأدب.

25. مسامرة الضيف في المفاخرة بين الشتاء والصيف.

ثانيا/ أصول الفقه⁽¹⁾:

26. رد الذاهب فيما يقلد وما لا يقلد من المذاهب. أو: رد الذاهب فيما يقلد وما لا يقلد

من مسائل المذاهب.

27. رفع النزاع في معنى التقليد والاتباع.

28. الفائدة المهمة في سبب اختلاف الأئمة⁽²⁾.

29. نظم جمع الجوامع: لم يتم.

(1) لعل ما كتبه ابن عزوز في أصول الفقه أكثر مما وصل إلينا مما حفظ عنوانه، ذلك أنه كثيرا ما يحيل إلى توافقه الأصولية عند مناقشته مسائل الأصول، كقوله عن عمل أهل المدينة: «فيه تفصيل وبحث طويل في دواوين الأصول، وقد حققناه فيما كتبناه في علم الأصول». محمد المكي بن عزوز، هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك، دراسة وتحقيق: نفل بن مطلق الحارثي، دار طبية للنشر والتوزيع بالرياض، ط: 1، سنة 1996م، (118-119).

(2) قال ابن عزوز: «وإعذار من خالف الحديث الصحيح من الأئمة، معدودات مفصلات في مواضعها، ويوجد تفصيلها بأمتلها في رسالتنا المسماة: «الفائدة المهمة في سبب اختلاف الأئمة» جوابا لسائل فاضل سألني عن ذلك». المصدر نفسه (111).

30. رسالة تنبيه الحي في أن العمل بالحديث ليس من الاجتهاد في شيء.
- ثالثا/ تاريخ وتراجم ورحلات:
31. بروق المباسم في ترجمة محمد بن أبي القاسم.
32. الرحلة الجزائرية أو الهاملية.
33. تاريخ الملوك العادلين: لم يتم.
- رابعا/ التصوف:
34. شرح «بهجة الشائقين». وهي منظومة في الدعاء، لوالده مصطفى بن عزوز.
35. النصيحة الجدية في المذاكرة الجندية.
36. كتاب في مناقب الإمام الجيلي، شرع فيه ثم انقطع لما ألف كتاب «السيف الرباني»⁽¹⁾.
- خامسا/ التفسير:
37. تنظيف الوعا من سوء الفهم في آية «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى».
38. تهذيب التفاسير القرآنية.
39. الفائدة في تفسير سورة المائدة. أو: الفائدة في معنى وإعراب آية المائدة. لم يتم.
40. مروي الظلماء في قوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء».
41. مزيل الإشكال في آية «ولو أسمعهم...» في سورة الأنفال.
- سادسا/ الحديث:
42. تلخيص الأسانيد: وهو ثبته المختصر.
43. الثبت الجامع: ذكر فيه فهرسته الكاملة.
44. شارقة الأنوار بالأدعية الصحيحة والآثار.
45. الصفح السعيد في اختصار الأسانيد: «نظم».
46. طبقات المحدثين: «نظم».
47. كتاب في الحديث: رتبته على حروف المعجم على نسق «الجامع الصغير».
48. الأربعون المكية من الخزانة المدنية: اقتصر فيه على أربعين حديثا من أوائل كتب البخاري، أولها «آية المنافق» وآخرها «فليحلف بالله أو ليصمت».
49. رسالة في تفنيد نسبة الفتاوى الحديثة لابن حجر.
50. عمدة الشيوخ في الناسخ والمنسوخ: لم يتم.
- سابعا/ العقيدة:
51. طي المسافة إلى دار الأمن من المخافة.
52. شرح حديث كميل بن زياد في الرد على الطبيعيين.
53. الاحتواء في جواب من سأل عن الاستواء. وهي رسالة أجاب بها بعض علماء تونس،

(1) علي الرضا الحسيني، رسائل ابن عزوز، مصدر سابق (139).

حيثما استشكل مسألة الاستواء في العقيدة الإسلامية.

54. حاشية على صغرى السنوسي.
55. الإنباه بمعنى الحب في الله والبغض في الله.
56. تذكرة المنصفين في أن المكتشفات الجديدة لا تكذب الدين.
57. طريق السلامة في هيئات الناس يوم القيامة.
58. الفرائد في شرح بطاقة العقائد.
59. المنهات بحكم ذبائح القبور والمزارات.
60. التنزيه عن التعطيل والتشبيه.
61. ترجيح تفويض السلف.
62. التفهيم لمن جهل معنى القلب السليم.
63. فتح السلام في نجاة من لم تبلغهم دعوة الإسلام.
- ثامنا/ الفقه:
64. الإنصاف في تحريم الصور ولو مأخوذة بالفوتوغراف.
65. التفصيل الجامع في رفع الأصوات بالأمداح في المجمع.
66. التخت في إرشاد المنقب على معنى البخت. أو: التخت في جواب من سأل عن البخت.
67. التفريح بحل الإشكال في صلاة التراويح.
68. تنوير الحوالك في أن رفع اليدين في الصلاة هو الراحج من مذهب مالك. أو: إنارة الحوالك في أن الرفع في الصلاة مذهب الإمام مالك.
69. جائلة الأوطان في أن تحريك الإصبع لمعبة الشيطان.
70. الحق الصريح في المناسك على القول الصحيح.
71. حقيقة الأمر في تحريم البيرة والتداوي بما فيه الخمر.
72. رائد النجعة في جواب من تعجب من قولنا السدل بدعة.
73. رفع الهوس في صلاة الصبح وقت الغلس.
74. طريق الجنة في تحليلية المؤمنات بالفقه والسنة. أُثبت له كتاب آخر لعله نفسه بعنوان: طريق الجنة في تعلم النسوان السنة: تعرض فيه لما يختص بالنساء في أنواع العبادات.
75. فتح القيوم في وجوب الفاتحة على المأموم.
76. المبصرة في أن القبض في الصلاة هو مذهب إمام دار الهجرة.
77. المسك الأذفر في بيان الحج الأكبر.
78. مصرع الأوابد في بيان خطأ الرجال الثلاث المهدي والكافي وعابد. يمكن استلزام مضمون الرسالة من خلال العنوان؛ إذ يسفر عن مناقشة الشيخ ابن عزوز أدلة القائلين بالسدل باعتبار ما أورده المعارضون في كتبهم ردا على كتاب هيئة الناسك؛ وهم المهدي الوزاني في كتابه «النصر لكرهية القبض»، ومحمد بن يوسف الحيدري الشهير بالكافي

- صاحب «نصرة الفقيه السالك»، ومحمد عابد في كتابه «القول الفصل».
79. النجدة في زجر من تهاون بأحكام العدة.
80. النشر والطّي في حُبلى ماتت وجنينها حي.
81. وابل الغمامة في أفراد الإقامة.
82. كتاب النصيحة في الصلاة المفروضة الصحيحة. وهو كتاب يشتمل على كيفية الصلاة حسبما وردت في السنة.
- تاسعا/ الفلك والجغرافيا:**
83. تعديل الحركة في عمران المملكة: لم يتم.
84. برنامج دول الإسلام.
85. نظم الجغرافية التي لا تتحول بمغالية الدول: لم يتم.
- عاشرا/ القراءات:**
86. إرشاد الحيران في خلاف قالون وعثمان.
87. السقاية فيما ليس برأس آية.
88. الرياض البواسم في رواية حفص عن عاصم.
89. النفع المسكي في قراءة ابن كثير المكي.
- حادي عشرة/ المناظرة:**
90. القول القيّم في حال ابن تيمية وابن القيم.
91. رفع اللكة في المحاكمة بين عالمي مكة.
- ثاني عشرة/ مواضيع متفرقة:**
92. اختصار الشفا: لم يتم.
93. إسعاف الإخوان في جواب السؤال الوارد من داغستان.
94. انتهاز الفرصة في مذاكرة متفنن قفصة. وورد كتاب آخر لعله نفسه بعنوان: انتهاز الفرصة في مخاطبة عالم قفصة.
95. إيضاح الأكوان في مذاكرة الأحبة بالقيروان: لم يتم.
96. الجواب المنصور في سؤال الدكتور.
97. الرشفة الهنية في المذاكرة المأمونية.
98. الزاهر في إجابة الأخ محمد طاهر.
99. الفانوس الدائر على أنوار السائر.
100. كشف الباس في كلمات يقولها كثير من الناس.
101. مغنم السعادة في أن العلم أفضل أنواع العبادة. وورد كتاب آخر لعله نفسه بعنوان: مغنم السعادة في فضل العلم عن العبادة.
102. النص اليقين في زلقات العامة وبعض المتعلمين: لم يتم.

103. إقناع العاتب في آفات المكاتب.

104. المرشد لمن يجد المرشد.

المطلب السابع: وفاته:

أصاب الشيخ المكي مرض في شوال سنة 1333 هـ عضل على الأطباء علاجه، لازمه مدة أربعة أشهر من شوال إلى صفر، إلى أن توفي -رحمه الله- في اليوم الثاني من شهر صفر سنة 1334 هـ بالآستانة.

ودفن بمقبرة «يحيى أفندي» بمدينة استنبول، في مشهد مهيب، وجمع رقيب، من كبار العلماء والشيخوخ، إضافة إلى هيئة ملكية رسمية شيعت جنازته.

وقد رثاه فحول الشعراء والعلماء: من بينهم عالم الجزائر وشاعرها الشيخ الطيب العقبى؛ حيث قال في كتابه المرسل إلى الأستاذ محمد الهادي الزاهري:

«وهذه قصيدة قتلها وأنا بالمدينة المنورة، أرثي بها الأستاذ العلامة الشيخ المكي بن عزوز دفين دار السعادة، لما بلغني خبر وفاته، وكان ممن يعز علي كثيرا لما بيني وبينه من الموانسة وعظيم الوداد، ولم أرث أحدا قبله وهي أول مرثية لي.

مطلعها:

هي الدار في أحداثها تترجم *** سرور، فأحزان! فعرس فماتم
حنانيك! إنا للمنية عرضة *** وكل ابن أنثى فهو للموت مسلم
وكل بليغ مصقع فهو عندها *** إذا طرقت يوما من الدهر مفحم⁽¹⁾

المبحث الثاني: جهود ابن عزوز في علوم القرآن

أسعى في هذا المبحث لبيان جهود الإمام ابن عزوز في خدمة القرآن الكريم؛ من خلال سبر لموروثه في الفن، أعقبه بقراءة تحليلية لثلاثة كتب هي: الأجوبة المكية على الأسئلة الحجازية، الدراية فيما ليس برأس آية، وكتاب السقاية فيما ليس برأس آية.

المطلب الأول: سبر مؤلفات ابن عزوز في علوم القرآن

عرف ابن عزوز بغزارة التأليف غير أننا لم نسعد إلا بنثر قليل من موروثه العلمي، ولعل أظهر سبب لذلك كثرة ترحاله وتنقله بين الأمصار، وقد سمعت الأستاذ علي رضا الحسيني -وهو من أقارب الشيخ- يذكر عن مكتبة ابن عزوز أنها مرت ببلاد المغرب، ولعل ظهور كتاب عمدة الأثبات في الاتصال بالفهارس والأثبات بالخزانة الكتانية مؤخرا يؤيد هذا المذهب.

وقد أولى ابن عزوز عناية فائقة لكتاب الله تعالى؛ تدريسا بجامع الزيتونة ودار الفنون

(1) عبد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية بتونس، ط:1، سنة 1926م، (142-138/1).

ومدرسة الواعظين بالآستانة، إذ انتظم دروسا في التفسير والقراءات والتجويد حيث تخرج عليه المئات.

كما كان له إسهام تألّفي منه ما حفظ في ضمن المخطوط، ومنه ما لم يبلغ غير عنوانه، أذكر منها:

1. الأجابة المكية على الأسئلة الحجازية - محل الدراسة-

نظم علمي جوابا على مسائل مشكلة في علم القراءات والتفسير، وهو كتاب محل الدراسة.

2. إرشاد الحيران في خلاف قالون وعثمان.

كتاب لم يحفظ منه إلا العنوان، الذي نستشف منه طبيعة المضمون؛ إذ ينهي بمقارنة بين راويين عن الإمام نافع هما عيسى بن مينا بن وردان الملقب بقالون المتوفى سنة 220هـ؛ صاحب الرواية الشائعة ببلاد تونس وليبيا، وأبو سعيد عثمان بن سعيد بالملقب من قبل شيخه نافع بورش، والمتوفى سنة 197هـ.

الكتاب بين مواقع الخلاف ومحال الفرق بين الروایتين ليسهل على القارئ الضبط، ولعل هذه الرسالة هي أول ما ألف في الباب.

3. تنظيف الوعا من سوء الفهم في آية «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى».

رسالة في تفسير الآية التاسعة والثلاثين من سورة النجم وهي قوله تعالى: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»، لعل المؤلف أوضح منازع الغلط المتعلقة بالآية فيما يخص مباحث القدر.

4. تهذيب التفاسير القرآنية.

لا يظهر من العنوان فحوى الكتاب، بيد أنه قد أفصح عن طرف من منهجه وهو تلخيص لجملة تفاسير قرآنية، هل شمل جميع سور القرآن أم اقتصر على جملة منها؟ لعل الأيام حبلى بجوابه!

5. الدراية فيما ليس برأس آية - محل الدراسة-

نظم من البحر الطويل يحتوي على اثنين وأربعين بيتا، كتبه الشيخ وهو ابن العشرين. وقد ضَمَّنَهُ الكلام على ما ليس برأس آية؛ استهله بقوله:

أَصْدَرَ حمد الله رَبِّي ليقبلاً *** نظامي ومنه العونَ أرجو ليكملاً

طُبِعَتْ هذه الرسالة بالمطبعة الرسمية بتونس سنة 1295هـ، حيث جاء في طرة الكتاب:

نظم المجود الماجد، الفاضل الشاب الزكي، الشيخ السيد محمد المكي بن عزوز.

6. السقاية فيما ليس برأس آية - محل الدراسة-

تلخيص لنظم الدراية وهو نظم من بحر الرجز، يقع في ست وعشرين بيتا؛ كتبه سنة

1396هـ.

7. الرياض البواسم في رواية حفص عن عاصم.
- يظهر من وسم الكتاب أنه بيان لأصول رواية الإمام أبي عمر حفص بن سليمان المتوفى سنة 180هـ، عن عاصم بن أبي النجود المتوفى سنة 120هـ. وهي الرواية الأكثر شيوعاً في الأقطار، ولعل الشيخ ألف الكتاب إبان إقامته بالأستانة حيث تعتبر قراءة البلد، لما علم من الحكام العثمانيين تشبثهم بقراءة عاصم كون الإمام أبا حنيفة أخذ عنه بالكوفة.
8. الفائدة في تفسير سورة المائدة. أو: الفائدة في معنى وإعراب آية المائدة لم يتم.
- تردد المترجمون في إثبات عنوان الكتاب حيث يثبت الأول تفسير ابن عزوز سورة المائدة كلها، أما الثاني فمقصود على آية واحدة من سورة المائدة -لم يتبينها العنوان- شرحاً وإعراباً.
9. مروي الظماء في قوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء».
- رسالة في تفسير قوله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وهي الآية الثامنة والعشرين من سورة فاطر.
10. مزيل الإشكال في آية «ولو أسمعهم...» في سورة الأنفال.
- تفسير للآية الثالثة والعشرين من سورة الأنفال وهي لقوله تعالى: «وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ». يظهر من خلال العنوان أن المؤلف انبرى لإزاحة إشكال متصل بفهم الآية، لعله رفع إليه من غيره، أو وقف عليه بنفسه.
11. النفع المسكي في قراءة ابن كثير المكي.
- كتاب في بيان قراءة شيخ قراء مكة الإمام عبد الله بن كثير بن زاذان المتوفى سنة 120هـ، والذي روى عنه الإمامان أبو عمر محمد بن عبد الرحمن الشهير بقنبل المتوفى سنة 291هـ، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي المتوفى سنة 250هـ.
- فرع: بعد عرض لمؤلفات ابن عزوز في علوم القرآن نخلص إلى ملامح المنهجية التأليفية، ومُلحِ التّأصيلات العلمية التالية:
- تأليف الشيخ رسائل جواباً على إشكالات نمت إليه أو وقف عليها بنفسه، كما هو الحال في كتاب: مزيل الإشكال في آية «ولو أسمعهم...» في سورة الأنفال، وكتاب: تنظيف الوعا من سوء الفهم في آية «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى».
 - إفراده لآيات قرآنية بالتفسير والبيان يؤكد فهمه العالي للقرآن.
 - تأليف الشيخ يستجيب لمتطلبات الوجهة التعليمية بتونس والأستانة حيث ألف في كل منها ما يوافق المشرب العلمي في تلك البلاد. إذ اعتنى وهو بتونس بتعليم قراءة نافع، وقراءة حفص بالأستانة.
 - يستفاد رأي الشيخ في تفريقه بين القراءة والرواية من خلال عنوانين هما: الرياض البواسم في رواية حفص عن عاصم، النفع المسكي في قراءة ابن كثير المكي. فالقراءة تطلق

على ما نسب إلى أحد القراء العشر ممن رَووا عن النبي صلى الله عليه وسلم بالسند المتصل، والرواية يسندوها لمن أخذ عن أحدهم.

- سلوك ابن عزوز نهج التلخيص تيسيراً على الطلاب؛ إذ عمد إلى تلخيص كتاب الدراية في السقاية.

المطلب الثاني: دراسة وتحليل لكتب ابن عزوز في علوم القرآن

البحث في هذا المطلب يثبت جهود ابن عزوز في خدمة كتاب الله من خلال ثلاث مؤلفات مخطوطة ومطبوعة هي:

- الأجوبة المكية على الأسئلة الحجازية.

- الدراية فيما ليس برأس آية.

- السقاية فيما ليس برأس آية.

وقد توخيت في ذلك منهجية موحدة أسوق خالص معالمها:

- العنوان التام الصحيح للكتاب مع إيراد الخلاف في ضبطه إن وجد، واختيار الأصوب من جملة العناوين.

- توصيف الكتاب من حيث الشكل والمضمون.

- بسط لأهم مسائل الكتاب وبيان قيمته العلمية.

• الفرع الأول: الأجوبة المكية على الأسئلة الحجازية

أول ما طبع هذا الكتاب سنة 1322هـ بالمطبعة الحميدية المصرية بجوار جامع الأزهر.

- عنوانه:

ينتصب خلاف يسير في إثبات العنوان، حيث جاء في النسخة الطائفية المحفوظة بمكتبة مسجد عبد الله بن عباس برقم [224/4]: «الأجوبة المكيّة على الأسئلة الحفيظيّة»، لعله تصرف من الناسخ إذ نسبه إلى صاحب السؤال وهو الشيخ عبد الحفيظ القاري الطائفي⁽¹⁾.

أما سائر النسخ فهي بعنوان «الأجوبة المكيّة على الأسئلة الحجازيّة»، وكذلك طُبِعَ في حياة المؤلف وبإذن منه، وعليه درج كلّ من ترجم للشيخ المكي⁽²⁾. فيكون أقرب عنوان لقصد المؤلف هو ما أثبتته.

- إثبات نسبة الكتاب إلى المؤلف:

يبعث اليقين بنسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه؛ ما جاء مصرّحاً به في مقدّمة السؤال،

(1) عبد الحفيظ بن عثمان القاري الطائفي فقيه حنفي من أهل الطائف، اشتغل بالتدريس بمكة، من آثاره: «جلاء القلوب في مناقب أبي أيوب»-ط، توفي سنة 1298هـ. انظر ترجمته في الأعلام للزركلي (279/3).

(2) راجع هذا في: شجرة النور الزكية (423/1)، فهرس الفهارس للكتاني (856/2)، الأعلام للزركلي (109/7)، معجم المؤلفين (49/12)، معجم المطبوعات (1788/2).

حيث قال الشيخ القاري: «فَقَدَّمْتُ هَذَا السُّؤَالَ الْمَنْظُومَ، إِلَى عَلَامَةِ الْعَرَبِ وَالرُّومِ، الْأُسْتَاذِ الْكَامِلِ، جَامِعِ الْفَضَائِلِ، وَمَقَدِّمِ الْعُلَمَاءِ الْأَفْضَلِ، السَّيِّدِ مُحَمَّدِ مَكِّي بْنِ عَزُوزِ التُّونِسِيِّ سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلِكُلِّ شَيْءٍ ذِي رَجِيَّةٍ وَحَمِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، أَنْ يَجِيبَ عَلَيْهِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ؛ رَجَاءُ الثَّوَابِ، وَالْجِزَاءِ مِنَ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ».

وقوله في أثناء السؤال:

عَمَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ بِالْإِعْمَاءِ مَنْ نَرْتَجِي لِلدِّينِ يَكْشِفُ غُمَّةً
بِالْحَقِّ يُفْتِي لَا بِأَخْذِ رِشَاءٍ غَيْرَ ابْنِ عَزُوزٍ إِمَامٍ لِلْهُدَى

وجاء في آخر النسخة الأزهرية المحفوظة برقم [128] 12119، والمطبوعة في حياة المؤلف ما نصُّه: «حَرَّرَهُ مُحَمَّدُ الْمَكِّيُّ بْنُ عَزُوزٍ بِالْأَسْتَانَةِ الْعَلِيَّةِ، غُرَّةَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ 1322هـ».

- سبب تأليف الكتاب:

رفع عبد الحفيظ القاري أسئلة يلتمس من الشيخ ابن عزوز جوابها. فبعد الثناء على الله عزَّ وجلَّ والصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ بَيَّنَّ الشَّيْخُ الْقَارِي سَبَبَ ابْتِدَارِهِ السُّؤَالَ، وَمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَرَائِنِ الْأَحْوَالِ، ذَلِكَ أَنَّهُ ارْتَحَلَ إِلَى الْأَقْطَارِ الْمَصْرِئَةِ، وَالْمَمَالِكِ الرُّومِيَّةِ، فَرَأَى تَلَاْعِبَ النَّاسِ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمَ إِقَامَةِ حُرُوفِهِ، وَإِهْمَالَ مِرَاعَاةِ وَقُوفِهِ، مَعَ تَفْسِيرِ مُخَالَفِ وَأَلْحَانِ، يَجِبُ إِنْكَارُهُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، فَقَدَّمَ سؤَالَهُ الْمَنْظُومَ -يَقَعُ فِي أَرْبَعِينَ بَيْتًا-، إِلَى عَلَامَةِ الْعَرَبِ وَالرُّومِ، الْأُسْتَاذِ مُحَمَّدِ الْمَكِّيِّ بْنِ عَزُوزٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، عَلَى أَنْ يَجِيبَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعُلُومِ؛ رَجَاءُ الثَّوَابِ، وَالْجِزَاءِ مِنَ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ. جَاءَ فِي طَالَعِهِ:

- 1- مَا قَوْلُكُمْ يَا صَفْوَةَ الْعُلَمَاءِ أَنْتُمْ شُمُوسُ الْعِلْمِ عَيْنُ هَذَا
- 2- أَنْتُمْ هَذَا الْخَلْقِ إِذْ عَمَّ الْعَمَى أَنْتُمْ بُدُورُ الْحَقِّ ضِدُّ شَقَاءِ
- 3- أَنْتُمْ نُجُومُ الْعَدْلِ وَرَأَتْ الْهُدَى بِالْحَقِّ عَنْ طَه لَدَى الْأَنْبَاءِ
- 4- أَنْتُمْ شِفَاءُ الدَّاءِ إِنْ عُدِمَ الدَّوَاءُ أَنْتُمْ دَوَاءُ الْجَهْلِ فِي الْأَخْيَاءِ
- 5- أَنْتُمْ قَدَى⁽¹⁾ فِي عَيْنِ كُلِّ مُعَانِدٍ لَمْ يَلْقَ نُورًا بَلْ حَظَى بِعَمَاءِ
- 6- هَذَا كَلَامُ اللَّهِ حُرِفَ لَفْظُهُ عَمْدًا بِكُلِّ تَعْنُتٍ وَمِرَاءِ

وختمه بذكر مكانة الشيخ العلية التي حملته على ابتداره السؤال:

- 32- مَنْ نَرْتَجِي لِلدِّينِ يَكْشِفُ غُمَّةً عَمَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ بِالْإِعْمَاءِ
- 33- غَيْرَ ابْنِ عَزُوزٍ إِمَامٍ لِلْهُدَى بِالْحَقِّ يُفْتِي لَا بِأَخْذِ رِشَاءِ

(1) القذى خلاف الصفاء والخلوص، وهو ما يقع في العين وما ترمي به، وجمعه أقذاء وقذبي، انظر لسان لسان العرب (69/5).

- 34- مِنْ مَغْرِبٍ فِي مَشْرِقٍ يُبْدِي السَّنَا فِي الْمَطْلَعَيْنِ لَهُ ضِيًّا كَذَكَاءِ
35- مَنْ ذَا الَّذِي يَرْفَى وَيَبْلُغُ شَأْوَهُ هَذَا لَعَنُورِي وَاجِدُ الْفَضْلَاءِ
36- إِنْ كَانَفِينَا قَائِمٌ فَهُوَ الَّذِي بِالْعِلْمِ يَرْفَى دَرْوَةُ الْجَوْرَاءِ
37- أَفْتُوا الْأَنَامَ بِكُشْفِ مَا وَضَّحْتُهُ فِي ذَا السُّؤَالِ لِمُعْشَرِ الْقُرَاءِ

جاء نظم الجواب في مائة وواحد وثلاثين بيتاً، قسّمه إلى خمسة مباحث إضافة إلى مقدمة أيدها ببراعة استهلال، وخاتمة رصّعها بحُسنٍ وجَمَال. استهله بقوله:

- 1- وَاقْبَتْ تَبَخُّرًا فِي سَنَا وَسَنَاءِ لِيَرَى الْأَنَامُ تَمْوِجَ الْحَوْرَاءِ
2- أَقِلَادَةٌ فِيحِجِّهَا أَنْسَقَتْ فَمَا تَرَكْتُ جَمَالَ النَّظْمِ لِلْجَوْرَاءِ
3- أَمْ تَغْرَهَا الْأَلَاءُ أَوْ مَاءُ بَرْقُهُ لِيُوصَالَ مِضْنَاهَا وَقُطْعِ جَفَاءِ

• بيان القيمة العلمية للكتاب: تبين القيمة العلمية للكتاب في الملامح التالية:

- الملح الأول: طبيعة المسائل المطروحة

طرح القريض خمس مسائل فصل ابن عزوز جوابها في خمسة مباحث أعرض مجمل شياتها:

- المبحث الأول: حول تحريف ألفاظ القرآن العظيم في التلاوة.

قرر ابن عزوز حرمة تحريف لفظ من القرآن، وصنفه قسمان:

- تحريف عامد ضال: كمستعجل التلاوة، أو متبع عادة نطق شائعة ببلده كقلب الدال زايًا.

- تحريف مخطئ: كأعجمي عسر النطق، أو مخطئ ذاهل.

ثم بين حكم تحريف لفظ القرآن نقلا عن الأئمة الأعلام، إذ قرر:

- نقل عن القاضي عياض وملا علي القاري والنووي إجماع العلماء على كفر محرف لفظ القرآن عمداً.

- بحث حكم صلاة اللاحن حيث قرر الخلاف القائم في صحتها وبطلانها، وسرد أقوال علماء الأمصار مع استقصاء لأقوال المذهب المالكي حيث: جزم خليل ببطلانها لدى العلماء قاطبة إن كان العثار في أم الكتاب، وأسند القول بالصحة لبناني فاس عملاً بقاعدة التيسير ورفع الحرج، مع تحريم إمامته إن وجد أكفؤ منه.

- مذهب الحنفية والشافعية: بطلان الصلاة إن كان القارئ قادراً على التعلم وامتنع، أما العوام فتواهم بالإجزاء.

• المبحث الثاني: مبحث النطق بالضاد.

- البراعة بفن التجويد سرها أخذ العلم بالتلقين والإقراء من أفواه الشيوخ مع الدربة

على النطق ورياضة اللسان به.

- مخرج الضاد من إحدى حافتي اللسان مع ما يليها من الأضراس العليا، تفتقر عن الظاء صفة ومخرجا؛ فالظاء تخرج من ظهر طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا. وأما من ناحية الصفة فهما يشتركان في خمس صفات وهي: الجهر، والرخاوة، والاستعلاء، والإطباق، والإصمات، وتنفرد الضاد بصفة الاستطالة.

- رد مذهب الخليل بن أحمد القائل باندراج التفثي ضمن صفات الضاد؛ حيث أدخل مخرج الضاد في الحروف الشجرية وهي عنده: الجيم، الشين، الضاد. وأضاف له صفة التفثي التي يقصد بها الاستطالة. وهو مذهب المتقدمين كابن الجزري، ومكي ابن أبي طالب إذ يقول: الحرف المتفثي وهو الشين سميت بذلك لأنها تفتشت في مخرجها عند النطق به حتى اتصلت بمخرج الظاء وقد قيل إن في الثاء تفثيا، ومعنى التفثي: هو كثرة انتشار خروج هواء الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها، وقد ذكر بعض العلماء الضاد مع الشين وقال الشين تتفثى في الفم حتى تتصل بمخرج الظاء والضاد تتفثى حتى تتصل بمخرج اللام قال: وسى هذان الحرفان المخالطين لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان⁽¹⁾.

- أنكر فعل بعض المعتنين الذين حرفوا صفة الاستطالة بجعلها امتدادا زمنيا يدرك بإبطاء مدة النطق بالحرف، وبين أنه امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان إلى آخرها⁽²⁾.

• المبحث الثالث: وقوف القرآن.

بين ابن عزوز أهمية معرفة وقوف القرآن الكريم، وقرر بطريق الاستقراء حفظ الصحابة لوقوف القرآن حفظهم للحلال والحرام. من فائدة معرفة الوقوف:

- اتضاح متعلق الآي سباقا وسياقا ولحاقا.
- صبح التلاوة بجمال سمعي وروني سردي لآي القران تزيد المعنى جلاءً وتكسب الأداء بهاءً.

- الاستعانة بالوقوف على تفهم القرآن وتدبره.

- كشف ابن عزوز أن الخطأ في إدراك الوقوف والتزامها مسراه هو الإقراء بالمصحف.

وساق ما مثله يغير المعنى تغيرا شنيعا، الحبس عند لفظ عزيز في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

(1) الرعاية (46).

(2) انظر الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة لمكي بن أبي طالب (134).

• المبحث الرابع: قراءة القرآن بأنغام الأغاني.

جرا بن عزوز قول إلى البحث في حكم قراءة القرآن بالمقامات، وحرر ضوابط محاكاة أنغام الألحان في الآتي:

- عدم تقديم صوت التحسين على قانون الأداء: قصرا للممدود ومدا للمقصور، أو إخلالا بأحكام التلاوة كالإدغام والإخفاء جريا ولحن النغم.
- أن يستوثق القارئ من قصد المستمع الإنصات لكتاب الله تدبرا وخشوعا، ويأمن منه اشتهااء الألحان وتبع الأنغام.

كما ضم ابن عزوز إلى هذا المبحث الكلام على مسائل واسعة الانتشار في زمانه وهي:

- رفع القرآن بالمساجد يوم الجمعة من مكبرات الصوت؛ عده استهزاء بالدين من قوم طمست بصائرهم، بقوله:

وَسَمَاعُهُ مِنْ آلَةٍ وَأَذَانُهُا
لَعِبًا وَتَتْلُو خُطْبَةً الْخُطْبَاءِ
هَزَرُوا بِرِيضِهِمْ بِطَمْسٍ بَصِيرَةٍ
تَبًّا لِمُعْشَرٍ شَقِوَةٍ سُفْهَاءِ

- إنكاره التسبيح الجماعي عقب الصلاة؛ وساق ما انجر عنه من مفساد: كتلعثم الذاكرين جراء قصورهم عن متابعة الجماعة، واشتغال السامعين بالتلذذ بالألحان.

• المبحث الخامس: تفسير القرآن بمقتضى الأفكار الجديدة.

- أردف ابن عزوز المقال ببحث مسألة التفسير العصري للقرآن الكريم حتى يواكب مستجدات الأحداث والمكتشفات، إذ أفصح عن خراب أصولها في نقاط:
- جنوح أرباب هذا المسلك إلى الإلحاد في آيات الله بعرض أخبار الغيب على العقل قبولاً ورداً.

- انصرافهم عن المعنى الظاهر للألفاظ القرآنية إلى معان تستلذها أذواقهم يعبر بها عن الباطن المراد، مثاله تفسيرهم لفظ أبابيل بالمكروب.
- رد عقائد وأحكام قرآنية لم توافق عقولهم.

- الملحق الثاني: منهج ابن عزوز في كتابه

- أولاً: ميل الشيخ إلى مدرسة الأثر كان بادياً على مكتوبه وذلك بالاستناد إلى الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وعمل الصحابة.

- أما استدلاله بالقرآن فجاء في أربعة مواضع، من ذلك قوله:

إِيمَانُنَا بِالْغَيْبِ أَوَّلُ مَطْلَعٍ فِي الْمَصْحَفِ الْمَثْبُوعِ لِلْسُّعْدَاءِ

إيماء إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 03].

- أما استدلاله بالسنة فجاء في موضعين أحدهما في قوله:

تَبْغِي الْمُعِينِ وَأَنْتَ فِي زَمَنِ بِهِ ذُو الدِّينِ وَفُقَ النَّصِ فِي الْغُرَبَاءِ
إشارة إلى قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه-: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود
كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء»⁽¹⁾.

واستدلاله بعمل الصحابة في قوله:

كَانَ الصَّحَابَةُ يَحْفَظُونَ وَفُوقَهُ كَالْجَلِ والتَّحْرِيمِ بِاسْتِقْرَاءِ
من ذلك ما جاء عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في معنى قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْ
الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 04] قال: «الترتيل تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف».

• ثانياً: إيراد مذاهب العلماء، مع ذكر ما يقابله من أقوال.
اعتنى المؤلف بذكر مذاهب العلماء وأقوالهم؛ مما أكسب النظم طابعا فقهيا متيناً،
فأورد قول الغانبي، والتووي، وابن حجر الهيتمي، وملاً عليّ القاري، مع زيادة عناية بأقوال
المالكية مستنداً إلى كتبهم المعتمدة كالقاضي عياض اليحصبي، و خليل بن إسحاق، والبُنَّاني
صاحب «الفتح الرباني».

مثال ذلك في قوله:

وَحَلِيلُ أَفْهَمَ فِي إِمَامَةِ لَاحِنٍ تَفْصِيلُ حُكْمِ ضَيِّقِ الْأَرْجَاءِ
إِنْ كَانَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ عَثَارُهُ لَا خُلْفَ فِي الْبُطْلَانِ لِلْفُقَهَاءِ
وَاخْتَارَ بُنَائِي قَاسَ صِحَّةً مَيْلًا لِيَسِرَ الْمِلَّةَ السَّمْحَاءِ
لَكِنْ مَعَ التَّحْرِيمِ إِنْ وَجَدَ الَّذِي يَدْرِي حُدُودَ مُبَيَّنِي الْإِفْرَاءِ
كلُّ هذا مع بيان ما يُعرفُ من معارضة لمذاهب مخالفة، وأقوال زائفة. من ذلك ما جاء
في قوله:

وَمِنَ الْخَطَا فِي الضَّادِ يَلْفُظُ حَرْفَهُ ذَالًا يَفْخِمُهُ مَعَ اسْتِعْلَاءِ
أَوْ بِاللِّسَانِ يَمَسُّ جِلْدَ الْحَنْكِ أَوْ شَفَةِ عَنِ الْأَضْرَاسِ نُطْقًا نَائِي
وَالْبَعْضُ يَلْفُظُهُ كَلَامٍ فُخِّمَتْ وَالْكُلُّ مَنَعُوتٌ بِنَعْتِ عِدَاءِ
الْلَفْظُ بَدَلُهُ مَعَ الْمَعْنَى وَذَا ال تَحْرِيفٌ مَنْ يُرْضِي عَدَا الْبُلْدَاءِ!

• ثالثاً: توظيف المصطلحات الخاصة بعلم القراءات

من المعايير المعتمدة في الحكم على القيمة العلمية لنصٍّ ما: توظيف المؤلف المصطلحات
الخاصة بذلك الفن، ذلك أن لكل فنٍّ مصطلحات، فيبعد إشباع النصّ بتلك العبارات
دليلاً على ضبط العلم وحياسة وسائله. وهذا ما وقفنا عليه في هذا النظم الذي حوى
مصطلحات علم القراءات والتجويد خاصة: كالاستطالة، الإطباق، التَّفْشِي، الغنة، الإخفاء،
الإدغام، المدّ، القصر، الحنك، والطواحن...

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً برقم (319).

مثال ذلك في قوله:

أَنْ لَا يُقَدِّمَ صُنْعَةَ التَّحْسِينِ فِي صَوْتٍ عَلَى قَانُونٍ عِلْمٍ أَدَاءٍ
مَدًّا لِمُقْصُورٍ وَقَصْرٍ مَدِيدِهِ كَالِإِدْغَامِ وَغُنَّةٍ إِخْفَاءٍ

• رابعاً: الخروج عن محل الجواب إلى زيادة مسائل متصلة كييبانه لحكم التسبيح الجماعي، وحكم رفع صوت القرآن بالمساجد قبل خطبة الجمعة.

- الملح الثالث: القيمة اللغوية للكتاب

ممّا يميّز النّظم العلميّ: التّركيز على المادة العلمية المطروحة، وقلة العناية بالجانب الجمالي، عكس النّظم الأدبي الذي يُعيرُ فائق الاهتمام لجمال اللّغة وبراعة الأسلوب، وقلّما تجتمع تلكم الخصال، التي تُسفرُ عن كبير إبداع، وغزير علم وواسع اطلاع. وقد لا أكون مبالغاً إن قلتُ: لا بدّ لقارئ هذا النّصّ من قاموس يتفهّم به المعاني، ويجلي به ما سطر من بديع المياني، لما أودعه المؤلّف من فصيح الكلام، وما حلاه به من زُخرف البيان. من ذلك اعتماده على المحسنات المعنوية واللفظية كالطباق، والجناس، والاقتباس وغيرها.

مثال الطباق في قوله:

لِلْمُصْلِحِينَ تُمَتَّعْ وَكَفِيلُهُ بِبَصَارَةِ الْأَنْوَارِ وَالظُّلُمَاءِ

ومثال الاقتباس في قوله:

مَا تَمَّ جَوْفٌ يَحْتَوِي قَلْبَيْنِ دَعْ تَلْبِيسَ أَهْلِ الْغِيِّ وَالْإِغْوَاءِ

اقتباس لقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: 104].

كل هذا مع اجتناب التّكلّف، وحسن سجيّة وبديهة، حيث قال في تمامها:
أَقْبَلُ جَوَابًا تَمَّ ضَمْنُ قَصِيدَةٍ طَاعَتْ قَوَافِمَهَا بِلَا اسْتِينَاءِ
وَأَفْتَكُ تَرْفُلٌ فِي مَطَارِفَ قَدْرُهَا مُحَمَّرَةٌ الْوَجَنَاتِ ذَاتُ حَيَاءِ
أي أن نظم الجواب جاء بكل عفوية ودون تكلّف.

ومن اللّطائف أن بعض أدباء الشّرق لما سمع هاته القصيدة قال: ما رأينا نظماً علمياً مكتسباً جلباب الأدبيّات غير هاته القصيدة، ومعلوم أن ذلك لا يتم إلا لطويل الباع من الجهتين⁽¹⁾.

- الفرع الثاني: الدراية فيما ليس برأس آية

طبعت هذه الرسالة بتونس في حياة الشيخ، بمطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمدية سنة 1295هـ - العنوان:

الدراية فيما ليس برأس آية؛ صرح ابن عزوز بعنوان كتابه في ذيله إذ قال خاتماً نظمه:

(1) الأجوبة المكية على الأسئلة الحجازية، المكي بن عزوز، رسائل ابن عزوز (101).

ومنذ اسْتَتَمَّتْ بِالْدرَايَةِ سُمِّيَتْ *** لعل بها المقصود يُدْرَى فَتَجْمَلَا
وقد كتبه وهو ابن الخامس والعشرين؛ شهر صفر سنة 1295هـ، حيث يقول:
وفي صَفَرِ الْخَيْرِ اسْتَبَانَتْ لِحَمْسَةٍ *** وتسعين قرن الثالث عَشْرٍ ذَا الْيَلَا
- سبب تأليفه هذه الدراية، أمران:

الأول: خفاء تحرير رؤوس آي القرآن المجتمعة بالإمالة.
الثاني: تحقيق رغبة الطالبين بتحرير يزيل اللبس. يقول في ذلك:
نعم في رؤوس الآي لُبْسٌ بغيرها *** مجاورَةٌ فالباب لا زال مُشْكِلَا
لذلك امتثلتُ الأمرين بِنُبْدَةٍ *** لمبتدئٍ أما الأولى حَصَلُوا فلا
يقع النظم في اثنين وأربعين بيتا، أحصاها مؤلفها بقوله:
وأبياتها من أربعين تَجَمَّعَتْ *** مع اثنتَيْنِ فاقبل نَسْجَهَا وتَحَمَّلَا
افتتحها بقوله:

أصدر حمد الله ربي ليقبلا *** نظامي ومنه أرجو العون ليكملا
وأرجو إلهي أن يديم صلاته *** وتسليمه للمصطفى المرتقي العلا
وَأَلْ وصحب والهداة لرَبْنَا *** وبأكَ خلا يتلو القرآن مرتلا
موضوع المتن هو بيان ما ليس برأس آية من سور القرآن، وتصرف القراءة بنطقها
بالإمالة في السور الإحدى عشر وهي: طه، النَّجْمِ، المعارج، الْقِيَامَةِ، النَّازِعَات، عَبَسَ، الْأَعْلَى،
الشَّمْسُ، اللَّيْلُ، الضُّحَى، وَالْعَلَقُ.

وقد حظي النظم بتقريب الشيخ صالح قايحي -لعله مسؤول الطباعة والنشر بتونس-
طبع بذيّل الرسالة:

لله نظم دراية حيث انتظم *** وغدت مزية طبعه مثل العَلَمِ
فيه أفاد محمد المكي ما *** قد عزَّعَمَنَ قد غدا عالي الهِمَمِ
كانت رؤوس الآي مشكلة على *** من نال غيث النفع نَيْلٌ من احتكم
فإذا يقال الغيث تم كماله *** أَرَحَ وقل بدراية المكي أتمَّ

• منهجه في الكتاب:

- رتب كتابه وفقا لترتيب سور القرآن الكريم.
- أشار إلى ما ليس برأس آية بكلمة واحدة دلالية.
- يصدر بعد رؤوس الآي.
- يكتفي بلفظ غير ثم يورد ما انفصل عن رؤوس الآي.
- بوب بذكر السور القرآنية.

• دراسة تحليلية لمسائل الكتاب:

- تواضع ابن عزوز والحق الفضل بأهله السابقين في تقرير مسائل الفن كالشاطبي ومن بعده، في قوله:

ومن ذاك باب للإمالة ينتمي *** وفيه خفاء مستبين لمن بلا
ولكن ما في الحرز قرب نيله *** إذ الشيخ أوفى بالذي تكفلا
كتابعه في الفن حتى شيوخنا *** أثابهم المولى ومنهم تقبلا

- اعتماد الشيخ الإقراء بالسبع المثبتة بحرز الأمانى للشاطبي جريا على عادة البلد، مع كونه متقنا للعشر.

- نسج ابن عزوز درايته على منوال أبي الحسن علي بن سالم بن محمد النوري الصفاقسي (1118هـ) في كتابه غيث النفع في القراءات السبع، حيث اقتفى مباحثه، وربما نظم بعض مسائله، أشار إلى ذلك بقوله:

على نهج غيث النفع لا خاب سعيه *** فقلت: ومنه أستمده محوقلا

غير أن ابن عزوز له على الغيث بعض الإضافات لم يتطرق لها الصفاقسي.

- بين السور إحدى عشرة التي وقعت فيها الإمالة عند رؤوس الآي المتطرفة؛ وهي: (طه، والنَّجْم، وَسَأَلَ سَائِلٌ، وَالْقِيَامَةَ، وَالنَّازِعَات، وَعَبَسَ، وَالْأَعْلَى، وَالشَّمْسُ، وَاللَّيْلُ، وَالضُّحَى، وَالْعَلَقُ).

- أمال أبو عمر بن العلاء رؤوس آيها بإطلاق، أما ورش ففصل:

• إمالة ألفات رؤوس الآي في السور إحدى عشرة.

• الخلاف الحاصل في ذوات الهاء في رؤوس آي سورتي النازعات والشمس نحو: بناها، جلاها:

فأخذ جماعة منهم بالفتح كالمهدوي، ومكي، وابن شريح وبه قرأ الداني عن أبي الحسن.

وقال بالإمالة أبو القاسم الطرطوسي وفارس بن أحمد، والخاباني وغيرهم.

• "أَجْمَعَ الرُّوَادُ عَلَى إِمَالَةٍ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِيهِ رَاءٌ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ:

﴿ذَكَرَاهَا﴾.

- يعتبر ورش المدني الأخير، وأبو عمر بن العلاء يعتبر البصري كما ورد تحقيقه في

القطر المصري في قراءة أبي عمرو البصري لعمر بن قاسم النشرار.

• سورة طه:

- عدد الفواصل الممالة هي 89 فاصلة.

- ما ليس برأس آية: طه [01]، أتاك [09]، أتاها [11]، لتجزى [15]، هواه [16]،

فألقاها [20]، أعطى [50]، فتولى [50]، لهم موسى يولكم [61]، يا موسى إما أن [65]، موسى

أن أسر [77]. خطايانا [73]، موسى إلى [86]، إله موسى [88]، لا ترى [107]، ألقى [87]،

فتعالى [114]، يقضى [144]، عصى [121]، اجتباه [122]، منى هدى [123]، أعى [125].

• سورة النجم:

- عدد الفواصل الممالة: خمس وخمسون.
- لقد رأى [18]، رءاه [13]، فأوحى [10]، تهوى الانفس [23]، يغشى السدرة [16]، أعطى [34]، يجزاه [41]، أغنى [48]، فغشاها [54]، تولى [29].

• سورة المعارج:

- عدد الفواصل الممالة: أربعة.
- ما ليس برأس آية: نراه [07]، للكافرين [02].
- سورة القيامة:
- عدد الفواصل الممالة: عشرة.
- ما ليس برأس آية أربعة هي: بلى [04]، ألقى [15]، أولى -مرتين- [34.35].

• سورة الأعلى:

- يصلى النار [12]: ذكر أنها محل خلاف.
- سورة الشمس، الليل، الضحى:
- عدد الفواصل الممالة: أربع وأربعون.
- ما ليس برأس آية: لا يصلها [الليل: 15]، أعطى [05].

• سورة العلق:

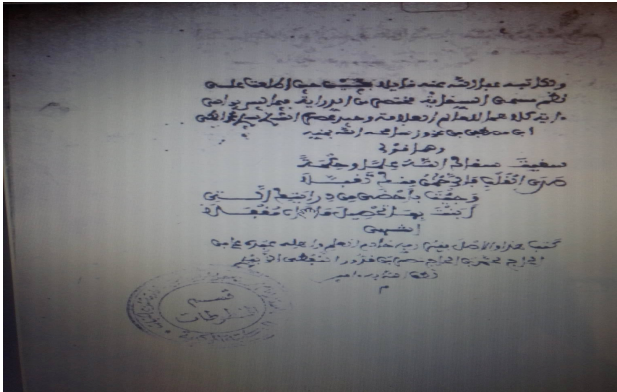
- عدد الفواصل الممالة: تسعة.
- ما ليس برأس آية واحدة: رآه [07].

• خاتمة:

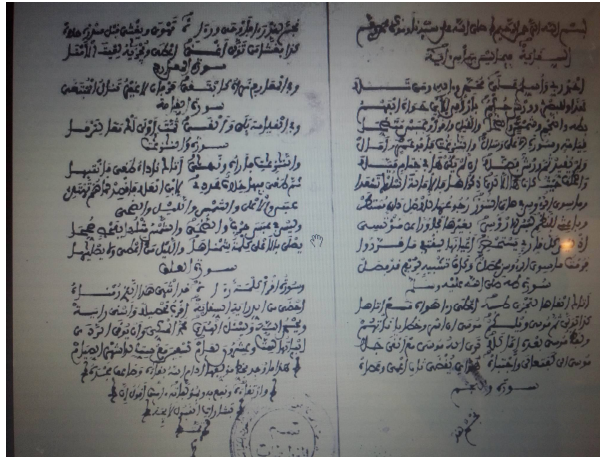
ومند استتمت بالدراية سميت *** لعل المقصود بها يدرى فتجملا
وحلت رحاب القارئ تريد من *** رضاهم وإن وافت ذراهم تطفلا
وفي صفر الخير استبانن لخمسة *** وتسعين قرن الثالث عشر ذا البلا
وبحمد مولاه ويسأل عفوه *** محمد المكي منه تقبلا
وأبياتها من أربعين تجمعت *** مع اثنين فاقبل نسجها وتحملا
• الفرع الثالث: السقاية فيما ليس برأس آية

- العنوان: أثبت المؤلف العنوان في رأس نظمه كاملا بقوله بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: السقاية فيما ليس برأس آية، وأشار إليه مختصرا في تمامه بقوله: أحضى من الدراية السقاية *** أقرب تحصيلا وأسنى راية
مخطوط محفوظ بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم 7605 -وهي نسخة فريدة عن الكتاب لم يطبع قبل- ضمن مجموع به رسالتان في علوم القرآن.

يقع في لوحتين (ق: 2)، كتب على طرته: ولكتبه عفا الله عنه قائلًا بيتين حين ألمحت على نظم مسعى السقاية مختصر من الدراية فيما ليس برأس آية كلاهما للعالم العلامة وحيد عصره الشيخ سيدي محمد المكي ابن مصطفى بن عزوز سامحه الله بمنه، وهما قولي:
سقيت سقاك الله علما وحكمة *** هدى القلب فالرحمن منك تقبلا
وجئت بأحصى من درايتك التي *** أبنت بها تحصيل ما كان مقفلا
انتهى. كتب هذا والأصل فقير ربه خادم العلم وأهله عبده علي بن الحاج محمد بن الحاج نصر بن قدور النفطي الزبيدي. رفق الله به آمين.
كتب في حياة المؤلف، منقول عن نسخة بخط يده حيث جاء في ختامه: هذا ما وجدته بخط مؤلفها أدام الله بقاء وضاعف مجده وارتقاءه، ونفع به وبمؤلفاته.
وقد ثبتت نسبة الكتاب إلى مؤلفه إذ ذكر الشيخ اسمه في خاتمة نظمه بقوله:
ويحمد الله ويأمل الهدى *** محمد المكي وأن يوقى الردى
كما أن الناسخ نسبه للشيخ المكي كما سبق أنفا. جدير بالذكر أن لا أحد ممن ترجم للشيخ أشار إلى هذا الكتاب في عدد مصنفاته.



طرة النسخة



صورة المخطوط

- ملامح عن الكتاب:

- نظم من بحر الرجز يقع في ست وعشرين بيتا، لخص فيه نظم الدراية فيما ليس برأس آية.

- ألف ابن عزوز كتابه شهر رمضان سنة 1396هـ، أي بعد سنة من كتابة الدراية، وقد أشار إلى ذلك بقوله:

أبياتها ست وعشرون لعام *** تسعين مع ست لدى شهر الصيام

- ذكر المصنف سببا واحدا لتأليف المختصر وهو تسهيل الضبط على القارئ، ولم يشر لصعوبة في الأصل دفعه لاختصاره، بقوله في تمام النظم:

أحصى من الدراية السقاية *** أقرب تحصيلا وأسنى راية

- أحجم المصنف عن بيان منهجه في الكتاب طلبا للاختصار.

- أسقط المصنف من مختصره ذكر عدد الفواصل الممالاة واكتفى بسرد ما ليس برأس آية.

هذا، وقد نسخت المنظومة وفق قواعد الكتابة الحديثة، مع ضبط العبارات المشككة، وأحجمت عن التعليق ببيان مواضع الآي وأرقامها -سبق إقباتها في الدراية- طلبا للاختصار.

النص المحقق:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وبعد:

السقاية فيما ليس برأس آية

أحمد ربي وأسلم على *** محمد وآله ومن تلا
هذا وللبصري وورشٍ حكمٌ *** بأرؤس الآي حواه الفهمُ
بطه والنجم وشمس والضعى *** والليل واقراً وعبس مُتَضِحاً
قيامة وسورة الاعلى وسال *** والنازعات فأبو عمر أمال
ولم يقيّد ثم ورثُ فَصَلاً *** إن لم يكن ها في ختام مَيِّلاً
والخلف حيث كان ها الأخرى *** ذكرها فالإمالة اسلك تسعدا
وما سوى الرؤوس في هاتي السور *** رجوعها للأصل دان مُسْتَطِر
وباعثي للنظم لبس الأُرُوس *** بغيرها تجاوزا عن مؤتسي
إذ ليس كل قارئ يستحضر *** أعيانها ليقتني ما قرروا
فرمت ما سوى الرؤوس فَحَصَلُ *** وكاف تشبيهه لربع قد فَصَلُ

سورة طه صلى الله عليه وسلم

أتاك ألقاها لتجزى طه *** أعطى ذا هواه مع أتاها
كذا تولى ثم موسى وَيُلكم *** موسى أن اسروخطايا ناتهم
ولفظ موسى بعده إما كِلا *** ترى إله موسى مع ألقى جلا
موسى إلى كفتعالى واجتباه *** هداي يقضى ثان اعى وعصاه

سورة والنجم

نجم لقد رأى فأوحى وراءه *** تهوى ويغشى قبل السدرة حكاه
كذا فغشا من تولى أغنى *** أعطى ويجزاه لقيت الأمنا

سورة المعارج

وفي المعارج نراه كابتنى *** قد بان لا غيرتنال المبتغى

سورة القيامة

وفي القيامة بلى وألقى *** ثمت أولى لك معا لترقا

سورة والنازعات

والنازعات فأراه ونهى *** أذاك ناداه طغى فانتها
ثم طغى فهل خلاف عدد *** لابن العلاء فاقصد حماهم تهتد
عبس والأعلى والشمس والليل والضحى
وليس في عبس حرفٌ والضحى *** والشمسُ مثلها بفهم صُجَّحَا
يصلى بالعلی كلمة شَمْنُها *** واللیل مَن أعطى ولا یصلها

سورة العلق

وسورة اقرأ كلمة رءاه *** قد انتهى هذا الذي رمناه
أحضى من الدراية السقاية *** أقرب تحصيلاً وأسنى رؤية
ويحمد الله ويسأل الهدى *** محمد المكي وأن يوقى الردى
أبياتها ست وعشرون لعام *** تسعين مع ست لدى شهر الصيام⁽¹⁾

خاتمة:

لما أتيت على تمام البحث سجلت النتائج التالية:

- إسهام الشيخ المكي بن عزوز في خدمة القرآن الكريم وعلومه من خلال موروث علي رصين.
- تفوق ابن عزوز في حيازة العلوم المتصلة بكتاب الله؛ من تفسير، وقرآيات، وتجويد.
- بروز نظر الفقيه في مسائل القرآن وعلوم يؤكد الصلة الوثيقة بين العلوم الإسلامية.
- برز من خلال البحث مكانة ابن عزوز العلمية؛ إثر تنوع ضروبه التأليفية، وما لمسناه من وجاهة عظيمة وثقة من قبل أهل العلم.
- ضياع كثير من تواليف الشيخ في علوم القرآن هو ضياع لجهود عالية وتراث زاخر بأجادود التحريرات ومليح التقريرات الخادمة لكتاب الله تعالى.
- وصلی الله على نبینا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

(1) كتب الناسخ: هذا ما وجدته بخط مؤلفها أدام الله بقاء وضاعف مجده وارتقاءه، ونفع به وبمؤلفاته، أمين. أقول إن بشارات القبول لائحة. تمت.

الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة القرآن الكريم

أ/ محمد الصالح غريسي

قسم أصول الدين . معهد العلوم الإسلامية . جامعة الوادي
gmedsalah@gmail.com

ملخص البحث

يعتبر الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني من علماء الجزائر الراسخين ومن الأولياء الصالحين العاملين، وكانت للشيخ مشاركات عديدة في مختلف علوم الشريعة الإسلامية، ومن بين هذه المجالات ما تعلق بخدمة كتاب الله تعالى؛ فكانت للإمام السنوسي عناية فائقة بتفسير كتاب الله عز وجل حيث فسر القرآن كله ولكن لم يصلنا من هذا التفسير إلا القليل وفيه منهج عجيب وقدرة على النقد والترجيح والاختيار، وظهر ذلك جليا في تفسيره للآيات الواردة في شرحه على صحيح مسلم.

وتمثلت جهوده أيضا في ميدان القراءات بمؤلفين: مختصر في القراءات السبع، وشرح الشاطبية.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

سَخَّرَ لَكُمْ مِنْهُ رِجْسَهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 70 - 71].

﴿وَرَسُولُهُ فَتَقَرَّبْ فَارْتَدَّ فَأَرْسَلْنَا فِيهِ آيَاتِنَا وَلَهُ الْحُكْمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، وهو حبل الله المتين، وهو كلام الله عز وجل، وشرف العلم بشرف المعلوم؛ لذلك كله انصرفت همم العلماء من الصحابة والتابعين وأتباعهم وعلماء الأمة إلى العناية به في جانب تفسيره وعلومه وقراءاته. ولقد وجد القرآن الكريم عناية كبيرة من علماء الجزائر منذ دخول الإسلام إلى هذه الأرض الطاهرة بدماء الشهداء والعلماء والأولياء الصالحين، ومن بين هؤلاء الأولياء

الصالحين والعلماء العاملين للإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني عالم تلمسان وصالحها بدون منازع.

وكان للإمام السنوسي جهود معتبرة في خدمة الوحيين قرآنا وسنة، ويأتي هذا المقال في سلسلة الجهود العلمية لبيان أعمال ومنجزات الإمام السنوسي في خدمة القرآن الكريم تلاوة وتفسيراً وتدبراً وعملاً.

ومن هنا لاح في فكري التساؤل الآتي: هل للإمام السنوسي تفسير لكتاب الله عز وجل؟ وما هي أهم مؤلفاته في تفسير القرآن الكريم وعلموه؟ وقبل ذلك كله من هو الإمام السنوسي وما هي مناقبه وآثاره؟ وهذا التساؤل الأخير طرحته حتى نعرف شبابنا وطلبتنا بعلماء الأمة الجزائرية الذين يجهلهم الكثير حتى من الطبقة المثقفة.

ويدخل هذا المقال ضمن سلسلة بيان جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم، وتعريف المدرسة الجزائرية في التفسير ببيان أعلامها ومناهجها. وتعريف الأجيال المتأخرة بعلمائنا الأجلاء.

ومن أهم الدراسات التي وقفت عليها وخصت هذا الإمام بالترجمة والدراسة دراسة الدكتور عبد العزيز بن الصغير دخان¹ الموسومة بالإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، وهذه الدراسة من عنوانها يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: ترجمة موسعة ومستفيضة للإمام السنوسي من مختلف كتب التراجم وخاصة ما كتبه تلميذ السنوسي الماللي في المواهب القدسية، وذكر مؤلفاته في مختلف الفنون. القسم الثاني: بيان جهود الإمام السنوسي في خدمة السنة النبوية من خلال شرحه لصحيح الإمام مسلم المسمى مكمل إكمال الإكمال.

وقد نبه المؤلف إلى أن جهود السنوسي في التفسير تحتاج أن تفرد بدراسة علمية جادة تجمع ما تفرق من مجهودات وأعمال الإمام السنوسي في خدمة القرآن الكريم. وللإجابة على التساؤل المطروح مسبقاً قسمت البحث وفق العناصر الآتية:

أولاً: حياة الإمام السنوسي ونشأته.

ثانياً: مؤلفاته.

ثالثاً: ثناء العلماء عليه.

رابعاً: مؤلفاته في التفسير وعلم القرآن.

خامساً: الإمام السنوسي المفسر.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات والاقتراحات.

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: حياة الإمام السنوسي ونشأته

هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي¹ أبو عبد الله التلمساني الحسني²، ينتسب إلى الحسن بن علي من جهة أم أبيه. عالم تلمسان في عصره، وصالحها. كان عالماً بالتفسير والحديث وعلم التوحيد وغير ذلك. ولد سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة، ونشأ بتلمسان. أخذ عن والده ونصر الزواوي³ وأخيه لأمه علي التالوتي⁴ والجلاب⁵ والولي أبركان⁶ وأبي زيد الثعالبي⁷ والتازي⁸ والقلصادي⁹. وعنه الماللي¹⁰ أبو القاسم الزواوي¹¹ وابن أبي مدين¹² والمغيلي¹³ والشيخ زروق¹⁴ وابن ملوكة وغيرهم. أخباره كثيرة ذكر بعضها تلميذه الماللي في كتابه المواهب القدسية في المناقب السنوسية واختصره أحمد بابا. توفي يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثمانمائة، وشم الناس المسك بنفس موته.

1 - يلقب بالسنوسي نسبة إلى سنوسة قبيلة من البربر بالمغرب، وتعرف هذه المنطقة اليوم بأولاد السنوسي، وتبعد عن مستغانم بأربعة وعشرين كيلومتر. ينظر: الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، عبد العزيز بن الصغير دخان، ص 74، (دار كردادة، الجزائر، 1431هـ-2010/2011)، ط1.

2 - ينظر: ترجمته في المواهب القدسية في المناقب السنوسية، للماللي تلميذ السنوسي، وهو مازال مخطوطاً، معجم أعلام الجزائر، ص 180، البستان، ص 237، الأعلام، 154/7، تعريف الخلف برجال السلف، 176/1، نيل الابتهاج، ص 325، شجرة النور 266/1. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن رزق الطرهوري، 354-355/1، (دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1426 هـ)، ط1، الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، عبد العزيز بن الصغير دخان، ص 61-146.

3 - ينظر ترجمته في البستان، ص 295.

4 - ينظر ترجمته في البستان، ص 139.

5 - ينظر ترجمته في البستان، ص 236، تعريف الخلف برجال السلف، 123/1.

6 - ينظر ترجمته في البستان، ص 74.

7 - ينظر ترجمته في تعريف الخلف برجال السلف، 63/1.

8 - ينظر: تعريف الخلف برجال السلف، 7/2.

9 - ينظر ترجمته في البستان، ص 141.

10 - هو محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي، أبو عبد الله الماللي: فاضل نسبته إلى بني ملال بالمغرب، وقيل: نسبته إلى ملالة، وهي قرية من قرى مدينة بجاية، كان من تلاميذ محمد ابن يوسف السنوسي التلمساني (المتوفى سنة 895) وصنف في مناقبه "المواهب القدسية في المناقب السنوسية - وله " شرح صغرى السنوسي. توفي سنة: 898هـ. الأعلام، 301/5.

11 - ينظر ترجمته في البستان، ص 71.

12 - ينظر ترجمته في البستان، ص 259.

13 - ينظر ترجمته في البستان، ص 253، نيل الابتهاج، ص 576، تعريف الخلف برجال السلف، 166/1.

14 - ينظر ترجمته في البستان، ص 45.

ثانيا: مؤلفاته

له تصانيف كثيرة، منها:

تفسير سورة ص: وما بعدها - مختصر حاشية التفزازاني على الكشاف - تفسير سورة الفاتحة قال الملاي: لم يمكن له التفرغ له.

وله أيضا: شرح صحيح البخاري: لم يكمله، شرح مقدمات الجبر والمقابلة، شرح جمل الخونجي، عقيدة أهل التوحيد ويسمى العقيدة الكبرى، أم البراهين ويسمى العقيدة الصغرى، شرح كلمتي الشهادة، مختصر في علم المنطق، مكمل إكمال الإكمال في شرح صحيح مسلم، شرح الآجرومية، مجربات في الطب، شرح لامية الجزائري في التوحيد، العقيدة الوسطى، والمقدمات في التوحيد، شرح صغرى الصغرى في التوحيد، نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، مختصر في القراءات.

ثالثا: ثناء العلماء عليه

لقد حاز الإمام السنوسي رحمه الله ثناء كبيرا ولقي عند الناس قبولا عظيما؛ لما تجسد فيه من أخلاق العلماء العاملين، والأولياء الصالحين¹.

قال عنه تلميذه الملاي: "له في العلوم الظاهر أوفر نصيب جمع من فروعها وأصولها السهم والتعصيب، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيما التوحيد والعقول، شارك غيره فيها وانفرد بعلوم الباطن بل زاد على الفقهاء، مع معرفة حل المشكلات سيما التوحيد، لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه لعلوم الآخرة سيما التفسير والحديث لكثرة مراقبته لله تعالى، كأنه يشاهد الآخرة، سمعته يقول: ليس علم من علوم الظاهر يورث معرفته تعالى ومراقبته إلا التوحيد، وبه يفتح في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته يزداد خوفه، تعالى"².

لقد ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي أنه سُئل حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال: "العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي والرياسة مع ابن زكري"³.

وقد اعتبر المقري أن من المفاخر أن يكون أحدهم شيخا للسنوسي، قال ذلك في حق أبي الحسن القلصادي⁴.

فكان - السنوسي - من جدد لهذه الأمة أمر دينها على رأس تلك المائة... وكان من أكابر الأولياء وأعلام العلماء، وتأليفه تدل على تحقيقه وغزارة علمه، وعقائده الخمس

1 - الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، عبد العزيز بن الصغير دخان، ص 137.

2 - نيل الابتهاج، ص 564.

3 - المصدر نفسه، ص 573.

4 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، 692/2، (دار صادر - بيروت، بيروت، 1968)، ت: د. إحسان عباس. وينظر: الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، عبد العزيز بن الصغير دخان، ص 137.

وشروحاتها من أفضل ما ألف في الإسلام...وناهيك بتنوير كلامه وإتقان عبارته حتى لا يجد المتعسف مدخلا للتعقب بوجه ولا بحال، واتفاق فحول الأولياء وأكابر العلماء على فضله وتلقي تأليفه بالقبول.

وكان الشيخ أبو عمران موسى بن عقدة الأغضاوي إذا ذكر علم الكلام يقول: "ما رأيت من غرِبَ هذا العلم مثل هذا الرجل يعني السنوسي...وبالجملة فعلماء تلمسان يذكرون الشيخ السنوسي ويعظمونه بالتحقيق والولاية والزهد في الدنيا..."¹.

قال عنه التنبكتي: "التملساني، عالمها وصالحها وزاهدها وكبير علمائها الشيخ العلامة المتفنن الصالح الزاهد العابد الأستاذ المحقق المقرئ الخاشع"².

قال محمد مخلوف: "أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسني السنوسي: به عرف التلمساني عالمها وصالحها وفاضلها العلامة المتكلم المتفنن شيخ العلماء والزهاد والأساتذة العباد العارف بالله الجامع بين العلم والعمل"³.

قال الزركلي: "عالم تلمسان في عصره، وصالحها"⁴.

قال عنه عادل نويهض: "كبير علماء تلمسان وزهادها في عصره، عالم في التفسير والحديث وعلم التوحيد"⁵.

رابعا: مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن

يظهر من كلام الماللي أن الإمام السنوسي أكمل تفسير القرآن كله في مسجده، ولكن للأسف الشديد لم يصل إلينا هذا الكنز الثمين كاملا، ولكن ما وصلنا هو⁶:

1- تفسير سورة (ص)، وما بعدها. والظاهر أنه أتم التفسير من سورة (ص) إلى آخر القرآن؛ فقد ذكر تلميذه الماللي في سياق حديثه عن مناقبه أنه: "ولما وصل في تفسيره سورة الإخلاص وعزم على قراءتها يوما والمعوذتين يوما سمع بها الوزير وأراد حضور الختم فبلغه ذلك فقرأ السور الثلاثة يوما واحدا خيفة حضوره عنده وطلبه السلطان أن يطلع إليه ويقرأ التفسير بحضرته على عادة المفسرين فامتنع فألحوا عليه فكتب إليه معذرا بغلبة الحياء له ولا يقدر على التكلم هناك فأيسوا منه".

2 - تفسير القرآن إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشًّا وَهُمْ

1 - دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي، ص121-122. (دار المغرب، الرباط، 1397هـ/1977م)، ط2، ت: محمد حجي.

2 - نيل الابتهاج، ص563.

3 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، 384/1. (دار الكتب العلمية، لبنان، 1424 هـ - 2003 م)، ط1، ت: عبد المجيد خيالي.

4 - الأعلام، 154/7. (دار العلم للملايين، أيار / مايو 2002 م)، ط15.

5 - مُعْجَمُ أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص180، (مؤسسة نويهض، بيروت، 1400 هـ/ 1980 م)، ط2.

6 - الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، عبد العزيز بن الصغير دخان، ص118.

- عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ [البقرة:7]، ولم يمكن التفرغ له حتى وافته المنية - رحمه الله -¹
- 3 - تفسير سورة الفاتحة، وقد حرص تلميذه الملاي على نقله كاملاً رغم طوله².
- 4 - بعض ما نقله عنه تلميذه الملاي وهو في تفسير المتشابه من القرآن الكريم³.
- 5 - مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف.
- 6 - ومختصر في القراءات السبع⁴.
- 7 - شرح الشاطبية الكبرى⁵.

- 8 - شرح كلام ابن البنا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات:11].
- 9 - شرح على ضبط الخراز في الرسم⁶.

خامساً: الإمام السنوسي المفسر

إضافة إلى كونه إماماً في العقيدة والحديث وغير ذلك، كان الإمام السنوسي عالماً بالتفسير، وله في ذلك مؤلفات، وفي شرحه على صحيح مسلم كان يتعرض لتفسير الآيات التي وردت في صحيح مسلم، أو الآيات التي يوردها هو يفسرها معاني الأحاديث الشريفة، ورغم أن هذه المراضع كانت قليلة في الجزء الأول، إلا أنها تدل على تمكنه في علم التفسير، إضافة إلى بعض مباحث علوم القرآن بصفة عامة⁷.

مفهوم التفسير عنده:

التفسير مصدر فسر بشد السين إذا كشف وبين المراد، من الفسر وهو البيان يقال فسرت الشيء أفسره بالكسر تفسيراً إذا بينته. والتأويل صرف اللفظ إلى ما يؤل إليه من المعنى.

وحده الفقهاء بأنه إبداء وجه يحتمله اللفظ بدليل منفصل؛ فالتفسير بيان اللفظ

كقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:2] معناه لا شك فيه، والتأويل بيان المعنى كقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي في نفس الأمر وعند المؤمنين، وإنما الشك وصف الشاك⁸.

وفيما يلي نماذج من تفسيره، وتنبيهه على بعض المباحث القرآنية:

-
- 1 - الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، عبد العزيز بن الصغير دخان، ص 119.
- 2 - المرجع نفسه، ص 119.
- 3 - المرجع نفسه، ص 119.
- 4 - ينظر: نيل الأبهج بطريرز الديباج، أحمد بابا التنبكي، ص 572. (دار الكاتب طرابلس/ليبيا 2000م)، ط2.
- ط2. عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة.
- 5 - المرجع نفسه، ص 572.
- 6 - الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، عبد العزيز بن الصغير دخان، ص 120.
- 7 - المرجع نفسه، ص 185.
- 8 - مكمل إكمال الإكمال، محمد بن يوسف السنوسي، 321/7، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (دت)، دط.

1- قوله تعالى: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة:58].

قيل هذا الباب هو الثامن من أبواب بيت المقدس، وقيل باب قرية فيها موسى عليه الصلاة والسلام.

وسجدا قال ابن عباس معناه: متحنين ركوعا، وقيل خضوعا وشكر التيسير والدخول. وحطة: قال الحسن: معناه حط عنا ذنوبنا وهو خير مبتدأ محذوف أي أمرنا وسؤالنا حطة¹.

2 - قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هو يوم عرفة في حجة الوداع، وهو أولى من قول مجاهد إنه يوم فتح مكة، ودينكم معناه شرائع دينكم؛ لأنها نزلت نجوما وآخر ما نزل منها هذه الآية، وقال القتبي: معنى الإكمال رفع النسخ، وقال قتادة: يعني أمر حجكم؛ لأنه لم يحج ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ووقف الناس كلهم بعرفة.

قوله: ﴿وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ هو بإكمال الشرائع وإظهار الإسلام.

قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي أعلمتكم برضاي له دينا وإلا فهو سبحانه لم يزل راضيا بذلك ويحتمل أن المعنى رضيت لكم الإسلام دينا باقيا لا نسخ فيه².

3 - قوله تعالى: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ [النساء:3]. الخوف ضد الأمن، ولما كان الخوف منه معلوم ومنه مظنون اختلف فقيل معناه: وإن علمتم، وقيل: ظننتم. ومعنى ألا تقسطوا ألا تعدلوا³.

قوله: ﴿مَّا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء:3]. أي النوع الذي طاب والنوع من حيث هو نوع لا يعقل وإنما الذي يعقل أفراده وقد أوقعت عليه ما ولا خلاف في ذلك وإنما اختلف في وقوعها على آحاد من يعقل فأجازه الكوفيون ومنعه البصريون، وزعم ابن الحاج في نقده على المغرب أن مذهب سيويه وقوعها على من يعقل وأخذه من قول سيويه في الكتاب حين فرغ من الكلام على من ووقوعها على من يعقل قال: ومثلها ما مهمة تقع على كل شيء⁴.

قوله: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبُعَ﴾ [النساء:3].

صار جهلة الرافضة وطائفة من أهل الظاهر إلى أنه يجوز أن يتزوج الرجل تسعا من هذه الآية ورأوا أن الواو جامعة وجهلوا أن معنى مثنى وثلاث ورباع اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة بحسب الأشخاص قال تعالى: ﴿جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِمٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبُعَ﴾ [فاطر:1] فإنه معلوم على القطع أنه لم يرد جمع هذه الأعداد لكل ملك وأن لكل واحد تسعة أجنحة وإنما المعنى أنه تعالى خلقهم أصنافا فصنف له جناحان وصنف له ثلاثة وصنف له أربعة

1 - المصدر نفسه، 321/7.

2 - المصدر نفسه، 322/7.

3 - المصدر نفسه، 323/7.

4 - المصدر السابق، 323/7.

وكذا معنى الآية أن الله سبحانه أباح لكم ما تقدرُونَ على العدل فيه فمن يقدر على العدل في اثنين أباح له ذلك وإن خاف أن لا يعدل فواحدة¹.

4- قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 6].

اختلف السلف في معنى الآية فذهب بعضهم إلى ما ذهبت إليه عائشة رضوان الله عليها أنه إن كان فقيرا أكل بالمعروف وإن كان غنيا استعفف، وقال أهل العراق: يأكل منه إذا سافر لأجله، وقيل يأكل إن كان محتاجا، وقيل يأكل من الغل كالسمن واللبن لا من العين، وقيل يأكل ويرد، وقيل المراد بذلك الإنفاق على اليتيم من مال نفسه يوسع عليه إن كان المال واسعا ويقتر عليه إن كان ضيقا، وقيل لا يأكل والآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: 10]... ولا يصح النسخ لإمكان الجمع، والقول بأن المراد اليتيم بعيد؛ لأنه لا يأكل من ماله إلا بالمعروف في الوجهين².

5- قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا يُحْضِرُونَ خَشْيَةَ اللَّهِ فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحديد: 16]

أي ألم يحزن ويحضر أن تخشع أي أن تذلل وتلين لذكر الله تعالى وقيل الذكر هنا القرآن وفيه بعد لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَزَكَّىٰ مِنْ أَلْفٍ﴾ إذ هو القرآن³.

6- ذكر سبب النزول: قوله:... فلما جاء الإسلام ستر الله سبحانه هذه العورات ورفع هذه

الآثام فأنزل الله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ زَادٌ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ

عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57].

قال السنوسي معلقا على سبب نزولها: هذا المشهور عن ابن عباس وعنه أيضا أنها نزلت فيمن كان يعبد عزيرا وعيسى وأمه والآية عامة صالحة للقولين.

والوسيلة: القربى إلى الله تعالى، ومعنى أهم أقرب أي كل المعبودين يجتهد في أن يكون أقرب إلى الله سبحانه وهذا المعنى في عيسى وأمه أمكن ومعنى محذورا يجب أن يحذر⁴.

7- قوله إن أول ما أنزل يا أيها المدثر: ضعيف بل باطل والصواب أن أول ما نزل على الإطلاق اقرأ باسمك ربك كما صرح به في حديث عائشة وأما يا أيها المدثر فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن جابر فهي أول ما نزل بعد الفترة وأما قول من قال أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر⁵.

8- قوله فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر.

1 - المصدر السابق، 323/7.

2 - المصدر السابق، 325-324/7.

3 - المصدر السابق، 328/7.

4 - المصدر السابق، 330/7.

5 - المصدر السابق، 303/1.

قال السنوسي: ودل هذا الحديث على أن السورة مكية وأن هذا سبب نزولها... ومعنى قم أي من اضطجاعك مدثراً أو من نومك وبادر بإنذار قومك أو الناس أو الثقليين أجمعين؛ لأنه بعث للجميع وهو أولى ولهذا لم يعلق بمفعول فيعم وإلا لزم التحكم أو ينزل منزلة اللازم أي أوجد الإنذار وحذر من كذبك أن ينزل عليهم من عذاب الله ووقائعه مثل ما نزل بمن كذب الرسل من قبلك ودل على المبادرة الفاء العاطفة على قم.

9- قوله جل وعلا: وربك فكبر: أي واخصص ربك الذي خلقتك وأمرك أن تقرأ باسمه وعلم الإنسان بالقلم مالم يكن يعلم بالتكبير والتعظيم ولا يكبر عليك أمر من يخالفك من المخلوقين فإن جميعه مربوب في قبضة ربك وربهم فهو الذي يكفيك أمرهم وينصرك عليهم ودل على تخصيصه بالتكبير تقديمه على عامله وإدخال الفاء عليه التي تعطى فاء جواب الشرط وهو هنا شرط عام غير مخصوص بشيء بل عام في جميع الأحوال يدل على أمره بال التزام ذلك في جميعها... وقيل: معنى وربك فكبر أي عظمه بالعبادة وبث شرعه. وقيل المعنى اختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال الله أكبر وقد يحمل على تكبير الصلاة. ومقصد هذه السورة أمره صلى الله عليه وسلم بإنذار الخلق عذاب الله إن عبدوا غيره أو عصوه فيما أمرهم به من الاعتراف بوحديته وعبادته وبراعة مطلعها نص في ذلك ووسطها وآخرها مناسب لذلك متصل ببعضه ببعض...¹.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ويفضله وبمنه تنزل البركات، ففي نهاية هذا المقال العلمي يحسن ختامه ببعض النتائج والتوصيات تجمع شتاته ومتفرقه؛ وهي كالآتي:

أولاً: النتائج:

- عناية علماء الجزائر بخدمة كتاب الله عز وجل كانت كثيرة ومتنوعة منها في جانب التفسير وعلومه ومنها في جانب القرآن وعلومه، ومنها في جانب القراءات وعلومها.
- من العلماء المجددين على رأس المائة التاسعة الإمام العلامة المفسر المحدث الأصولي محمد بن يوسف السنوسي، عالم تلمسان وصالحها.
- إجماع العلماء في الثناء على الإمام السنوسي وذكر مناقبه وصفاته.
- يتمثل جهد الإمام السنوسي في خدمة القرآن الكريم بتفسيره القرآن الكريم كاملاً لكن للأسف الشديد لم يصل إلينا كاملاً. وإنما بقي منه ما نقله تلميذه الماللي كتفسير سورة الفاتحة، وما نثره في كتبه الأخرى كشرحه على صحيح مسلم...
- ومن جهد الإمام في خدمة القرآن الكريم ذكره بعض المباحث القرآنية كالمكي والمدني وأسباب النزول...
- كثرة تصانيفه ومؤلفاته واشتهارها عند العلماء وتلقيها بالقبول. ومنها في مختصر في

1 - المصدر السابق، 302/1-303.

القراءات السبع، وشرح الشاطبية.

ثانيا: التوصيات والاقتراحات

قال عبد العزيز دخان: "لعل هذا النموذج من تفسير السنوسي يفتح شهية بعض طلاب العلم ويقوي عزائمهم ويعلي همهم لخدمة ما وصل إلينا من تفسير الإمام السنوسي..."¹.
وأيضا يمكن لمخابر البحث في الجزائر أن تعتني بتراث الإمام السنوسي تحقيقا وتخريجا، وتخرجه ضمن مجموع واحد وتكون فيه الأعمال الكاملة للإمام السنوسي رحمه الله رحمة واسعة.

وفي الأخير أصل وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- مصحف المدينة الإلكترونية برواية حفص عن عاصم.
- 1- الأعلام، خير الدين الزركلي، (دار العلم للملايين، أيار / مايو 2002 م)، ط 15.
- 2- الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، عبد العزيز بن الصغير دخان، (دار كردادة، الجزائر، 1431 هـ- 2010/2011)، ط 1.
- 3- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بابن مريم الشريف الملقب بالديوني التلمساني، (المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326 هـ- 1908 م).
- 4- تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم الغول، (مطبعة بيارفونتان الشرقية، الجزائر، 1324 هـ/ 1906 م)، دط.
- 5- التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن رزق الطرهوني، (دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1426 هـ)، ط 1.
- 6- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي، (دار المغرب، الرباط، 1397 هـ/ 1977 م)، ط 2، ت: محمد حجي.
- 7- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، (دار الكتب العلمية، لبنان، 1424 هـ - 2003 م)، ط 1، ت: عبد المجيد خيالي.
- 8- مُعْجَمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حَتَّى العَصْر الحَاضِر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت - لبنان، 1400 هـ - 1980 م)، ط 2.
- 9- مكمل إكمال الإكمال، محمد بن يوسف السنوسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
- 10- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، (دار صادر - بيروت، 1968)، ت: د. إحسان عباس.
- 11- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، (دار الكاتب طرابلس/ ليبيا 2000 م)، ط 2. عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة.

1 - الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، عبد العزيز بن الصغير دخان، ص 186.

الاتجاه العقائدي في التفسير عند العلامة المبارك الميلي من خلال كتابه "الشرك ومظاهره"

أ/ عباس منصّر

قسم أصول الدين . معهد العلوم الإسلامية . جامعة الوادي
Abbasimam4@gmail.com

ملخص البحث

تدور رعى البحث حول جهود الشيخ المبارك الميلي في لون من ألوان التفسير وهو التفسير العقائدي من خلال كتابه الشرك ومظاهره، حيث تبيّن من خلال البحث أن الشيخ الميلي له مصادر معتبرة في التفسير - كما تظهر سمات التفسير العقائدي عنده من خلال: رجوعه إلى الكتاب والسنة في إثبات مسائل العقيدة، وكذا دعوته لتدبر القرآن تهدي لصحيح الاعتقاد، كما يرى ضرورة تنزيل الآيات النازلة في قوم على من أشبه حالهم، ويرى ضرورة عدم المسارعة إلى تكفير من يتصفون بصفات الشرك - وتظهر شخصيته التفسيرية في خوضه مسائل الاعتقاد الواردة في القرآن ومناقشته فطاحلة علماء التفسير فيها.

المقدمة

يسلط هذا البحث الضوء على شخصية وطنية تعتبر من رواد الحركة الإصلاحية في القرن العشرين لما لها من بصمات واضحة في مجال الإصلاح الإجتماعي والتعليمي والديني بهدف تنوير العقول وإحياء القلوب والقضاء على الخرافات والأباطيل الخادمة لأجندة المستعمر الغاشم، ومن ثمّ شحذ الهمم لمحاربة كل أشكال الظلم والاستبداد التي عاناها الشعب الجزائري في تلك الفترة من القرن العشرين.

ترجمة موجزة للعلامة الشيخ المبارك الميلي:

هو مبارك بن محمد الميلي (نسبة إلى الميلية الواقعة بولاية جيجل) ولد سنة 1896م بالميلية جنوب شرقي ولاية جيجل، تلقى دراسته الأولى في ميله على يد الشيخ محمد ابن الطريف، انتقل بعدها إلى قسنطينة ليتلمذ على الشيخ عبد الحميد بن باديس، وجّهه الشيخ ابن باديس إلى جامع الزيتونة لما رأى من نبوغه وحرصه في طلب العلم، فالتحق بالزيتونة سنة 1921م.

درس على عدد من شيوخ الزيتونة منهم: الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ إبراهيم النيفر والشيخ عثمان بن الخوجة والشيخ الرصّاع وآخرون.

أنهى دراسته بالزيتونة سنة 1924م، ورجع إلى قسنطينة وشرع في إلقاء دروس بمسجد سيدي قموش تحت إشراف الشيخ ابن باديس.

رحل إلى الأغواط سنة 1926م ليؤسس بها مدرسة لتعليم اللغة العربية ومكث

بالأغواط معلما وموجِّها ومصلحا إلى غاية سنة 1933م.

ألَّف كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" في فترة وجوده بالأغواط، وكان من مؤسسي جمعية العلماء حيث أسندت إليه مهمة أمين مال الجمعية منذ عام تأسيسها سنة 1931م.

ألَّف كتابه "الشرك ومظاهره" سنة 1937م، ولما توفيَّ الشيخ ابن باديس سنة 1940م أسندت إليه مهمة نائب رئيس الجمعية التي ترأسها آنذاك الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. خلف العلامة ابن باديس في التدريس بالجامع الأخضر بقسنطينة فكان يؤطر تلامذة ابن باديس في شتى العلوم الإسلامية إلى أن اشتدَّ به مرض السكري فمنعه من مزاوله نشاطه.

مات متأثرا بالسكري في 9 فبراير سنة 1945م رحمه الله رحمة واسعة¹.

إشكالية البحث: البحث يميّط اللثام ويزيل الغبار عن جانب من جوانب شخصية المبارك الميلي العلمية (شخصيته التفسيرية وجهوده في التفسير العقائدي) فالإمام المبارك الميلي لم يؤلّف تفسيرا مستقلا ولم يشتهر بالتفسير اللهم إلا خلافته العلامة ابن باديس بعد وفاته في التدريس بالجامع الأخضر بقسنطينة وما خلّفه في رسالة "الشرك ومظاهره" من أفكار وآراء وفتاوى تتعلق بإصلاح العقيدة ودعوة الناس إلى التوحيد الصحيح.

ولمّا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول لبيان صحيح الاعتقاد والتحذير من الشرك ومفاسده، ولما كان الشيخ المبارك الميلي مكثرا من إيراد الآيات القرآنية ومستشهدا بآراء المفسرين فيما يثيره من مسائل في العقيدة والتوحيد.

فما هي سمات التفسير العقائدي عند الشيخ المبارك الميلي؟ وما هي أهم المعالم التي رسمت شخصيته التفسيرية في هذا الاتجاه؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية قسمتُ الموضوع إلى أربعة عناصر:

- 1- مصادر الشيخ المبارك الميلي في التفسير.
- 2- سمات التفسير العقائدي عند الشيخ المبارك الميلي.
- 3- بروز شخصية الشيخ المبارك الميلي التفسيرية.
- 4- البعد الإصلاحي والإجتماعي في التفسير العقائدي عند الشيخ المبارك الميلي.

أولا: مصادر الشيخ المبارك الميلي في التفسير:

إن القارئ لرسالة الشرك ومظاهره والمتدبر لما فيها من عناصر ومحتوى يدرك مدى تنوع التفاسير التي ينقل منها الشيخ ويحيل عليها وربما يقتبس منها المعنى دون إحالة ومن هذه التفاسير: تفسير الإمام الطبري - وتفسير البغوي - وتفسير الرّازي - وتفسير القرطبي -

1 الترجمة مأخوذة مختصرة من مقدمة محمد المبارك الميلي في تقديمه بين يدي الطبعة الخامسة لكتاب "الشرك ومظاهره" التي أصدرتها دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة 2000م.

وتفسير بن كثير - وتفسير الشوكاني - وتفسير عبد الرحمن الثعالبي الجزائري. إضافة إلى بعض القواميس والأجزاء اللغوية المتعلقة بالتفسير: كالصاح للجوهري - واللسان لابن منظور - ومفردات الراغب الأصفهاني - والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.

ثانيا: سمات التفسير العقائدي عند الشيخ المبارك الميلي.

يختص التفسير العقائدي عند العلامة المبارك الميلي بجملة من السمات البارزة المستقرأة من أفكاره وآرائه الواردة في رسالة الشرك ومظاهره، فمن تلك السمات:

1- الرجوع في بيان العقيدة إلى الكتاب والسنة. حيث يرى رحمه الله أن الإسلام مجمل في الشهادتين مفصل في الأصولين (الكتاب والسنة) إذ يقول: يدخل المرء في الإسلام بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومعنى الجملة الأولى أنه لا يعترف لغير الله بقوة غيبية تخضع لها روحه، فلا يخضع لسواه ولا يعبد إلا إياه، ومعنى الجملة الثانية أنه لا يعبد بهواه ولا يهوى أحد من أهل المنزلة والجاه، وإنما يعبد به بما جاء به الرسول، فمحصل الجمليتين أن لا يُعبد إلا الله وأن لا يُعبد إلا بما شرعه رسوله وعلى هذين الأصلين انبنى الإسلام، وكل ما في الكتاب والسنة تفصيل لما تضمنه هذان الأصلان، وكل ما نافي هذين الأصلين فهو مناف للكتاب والسنة أجنبي عن دين الإسلام.¹

2- تدبر القرآن واتباعه يهدي إلى صحيح الاعتقاد:² حيث استشهد بجملة من الآيات وبعض أقوال المفسرين ليدلل على هذا الأصل منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان:30] ثم قال: وترك تدبره وتفهمه من هجرانه قاله ابن كثير.³ وقوله تعالى أيضا: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَثِلٌ أَلْحَسَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا ﴾ [الجمعة:5] قال الشيخ المبارك الميلي: فعاب على بني إسرائيل جهلهم بكتابهم ومخالفتهم له ولم يكتف منهم بمجرد قراءتها.⁴ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [البقرة:121] حيث قال الشيخ رحمه الله: عند ابن كثير عن ابن عباس وغيره: إن حق التلاوة كونهم يتبعونه حق اتباعه⁵، وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري عن أبي رزين: يتبعونه ويعملون به حق عمله.⁶

1 رسالة الشرك ومظاهره: المبارك الميلي، ط:5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ - 2000م ص49.

2 المرجع نفسه ص 50.

3 تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ت: عبد القادر الأرناؤوط، ط:1، دار الفيحاء، دمشق- دار السلام، الرياض، 1414هـ - 1994م، ج3 ص423.

4 الشرك ومظاهره: ص 50.

5 تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج1 ص226.

6 أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى قل فاتوا بالتوراة فاتلوها، ط:1، دار طوق النجاة، دمشق، 1422هـ، ج9 ص155.

3- تنزيل الآيات النازلة في قوم على من أشبه حالهم اليوم: وهذا أصل من أصول التفسير العقائدي عند الشيخ المبارك الميلي، حيث يقول: إن تنزيل الآيات النازلة فيمن قبلنا على أهل ديننا هو تطبيق للنص على الحادثة، ونصيحة للمؤمنين أن لا يغتروا بالنعوت اللفظية ويدعوا الصفات النفسانية التي هي أصل تلك النعوت. فلا يفيد المرء أن يُنعت بالمسلم وصفاته النفسانية صفات مشرك ضال أو كتابي معاند¹.

وقد وضع العلماء قاعدتين في هذا الباب إحداهما قولهم: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" والثانية هي: "شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ" وقد شرع الله لمن قبلنا عقائد وأعمالاً نكر عليهم مخالفتها ولم يرد ناسخ يُعفيها من ذلك الإنكار عند وقوع المخالفة منّا، وكثيراً ما نجد في عبارات المفسرين أن الآية نزلت في بني إسرائيل وأنها متناولة من كان على مثل حالهم من هذه الأمة، مثل قوله تعالى بعد حكاية حادثة قوم لوط: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:83] فقد فسر البغوي الظالمين هنا بمشركي مكة أو ظاهلي هذه الأمة²، ولذلك كانت الغاية من بعثة الرسل الدعوة إلى توحيد الخالق وإقامة دينه كما في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى:13] وحكمة التكليف هو تكميل الإنسان باتباعه شريعة الملك الديان، وليس كما يظنه بعض الجهال من أن التكليف كجزية تُضرب على العبيد من الملك ويُعفى منها مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِمِثْلَةٍ وَجَاهٍ³.

4- الحذر من المسارعة إلى التكفير: قال رحمه الله مبيّناً عقيدته ومنهجه في تناول مسائل العقيدة: فنحن بالعقيدة السلفية قائلون، ولما مات عليه الأشعري موافقون.... ما نحن إلا وعُاظ مرشدون ولم ندع أننا حكام منفذون، ومعاملتنا للناس ترفع كل التباس فتجدنا نصلي خلف من يتقدم للإمامة، ونسلم على من لقينا وندفن في مقابر العامة من غير منع لأي مسلم منها، ونشتري اللحم عمن يشهد الشهادتين، وكل ذلك من غير بحث عن كونه من المسترشدين بإرشادنا أم من الخصوم الطاعنين علينا ما لم تتبين لنا مشاقته لما جاء به الرسول الكريم ﷺ فهذه شواهد واقعية على أننا لا نحكم على معيّن بالشرك وغرضنا من الخوض في حديث الشرك تحذير المسلمين منه لا الحكم عليهم به تعييناً⁴.

1 الشرك ومظاهره: ص60.

2 معالم التنزيل: البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط: 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج5 ص461.

3 الشرك ومظاهره: ص60.

4 المصدر نفسه: ص44.

ثالثاً: بروز شخصية الشيخ المبارك الملي التفسيرية:

وتجلى شخصية الشيخ العلمية عموماً والتفسيرية على وجه الخصوص فيما يلي من نقاط ومواقف أملاها عليه الواجب الدعوي والضمير الوطني والحس العلمي النقدي، حيث تظهر معالم شخصيته التفسيرية فيما يأتي:

1- موقفه من مزج التفسير العقائدي بعلم الكلام¹: يقول رحمه الله في معرض كلامه عن المنطق اليوناني وجنائته على العقيدة الإسلامية: وقد أنكر العلماء الفحول إثارة أساليب اليونان على بيان القرآن... فقد ألّف محمد بن إبراهيم الصنعاني² من أئمة القرن التاسع رسالة سمّاها "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان"³.

ويا ليتنا تركنا كتب المتكلمين للخاصة يستعينون بها في مواطن الجدل مع الخصوم، ووضعنا للعامة كتباً في العقائد على أسلوب الكتاب المجيد. فيكون من تلك رياضة للعقول وحماية للحق، ومن هذه طهارة للقلوب وهداية للخير، وليس كل الناس بحاجة إلى تلك الرياضة، ولا لهم القدرة على تلك الحماية، ولكن كلّهم في حاجة إلى تطهير البواطن ومعرفة الهدى... ولهذا عرّف الله تعالى جميع الأنبياء بحكم الشرك فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁴ [الزمر: 65-66].

فيتبين بهذا أنّ الشيخ المبارك الملي يرخّص لمن يتصدّى للدعوة والتفسير الخوض في مسائل علم الكلام لإعمالها في مجال النزاع ومواطن الجدل وردّ الشبه، أما عامة الناس فينبغي تعليمهم العقائد وفق أساليب القرآن المتبادرة إلى أذهانهم بالفطرة والبداهة.

2- تعقبه للإمام الرازي: حيث انتقده في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 26] حيث خصّص الرازي الغيب المذكور بعلم الساعة وصرّفه عن العموم لكل المغيبات، واستدل في تأويله بأربعة أمور لا تخرج عن الكهانة وعلم النجوم والهجمات الأولياء وكراماتهم... الخ⁵.

1 ولذلك خطأ الشيخ المبارك الملي العلامة ابن خلدون حين تأول علم المخلوق الغيب بتعليقات فلسفية راجعة إلى إعمال علم الكلام في الدرس التفسيري، وقال: نحن نعتقد أنّ عقول البشر قاصرة عن الإحاطة بأسرار الخليفة والتسليم لنصوص الكتاب والسنة أولى من التخصّص في تعليل مظاهر الكون بما يخالف تلك النصوص. انظر رسالة الشرك ومظاهره: ص 133.

2 من أكابر المجتهدين معروف بابن الوزير اليماني، له كتاب العواصم والقواصم - وترجيح أساليب القرآن المذكور في المتن ومؤلفات لا يأتي عليها الحصر، مات سنة 840هـ انظر ترجمته في البدر الطالع: للشوكاني، دت، دط، دار المعرفة بيروت، ج 2 ص 81-93.

3 الشرك ومظاهره: ص 41.

4 المرجع نفسه: ص 42-43.

5 مفاتيح الغيب: للرازي، ط: 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج 30 ص 679.

ثم قال الشيخ المبارك معقبا: وليس في أدلته ما يفيد تخصيص الآية، أما أولا فإنها مُعارضة بكثرة الظواهر التي تخص الله بعلم الغيب... وأما ثانيا فإن تلك الوجوه التي جليها ليست من علم الغيب؛ أما الكهانة فيختلط حقها بباطلها وذلك يمنع من إطلاق العلم عليها، وكذلك ما لم يُضبط من أحكام علم النجوم، وما ضبط منها بالحساب لم يبق في طي الغيب عند العارفين بقواعده، وأما التعبير والإلهام فهما من غير المعصوم غير معصومين من الخطأ فلا يسميان علما ما داما في الغيب، فإذا تحققا في الخارج وصدق عليهما وصف العلم ارتفع عنهما حكم الغيب. فالإلهام الولي ورؤياه لا يتناولهما علم الغيب، وهذا بخلاف رؤيا الأنبياء وإلهاماتهم فإنها حق يصدق عليها علم الغيب بإعلام الله لهم¹.

3- استدراكه على البغوي وأبي هلال العسكري: حيث استدرك على الإمام البغوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:83] حين فسّر البغوي الظالمين بمشركي مكة أو ظاهلي هذه الأمة، قال الشيخ المبارك مستدركا: والجمع بين الوجهين غير ممتنع، وعلى كل حال دلّت الآية على إلحاق المتأخر بالمتقدم في استحقاق العقوبة متى كان على مثل حالته².

واستدرك على صاحب "الفروق اللغوية" في معرض كلامه عن الفرق بين العبادة والطاعة؛ إذ يقول صاحب الفروق: والعبادة لا تكون إلا للخالق، والطاعة في مجاز اللغة تكون: أتباع المدعو الداعي إلى ما دعاه إليه وإن لم يقصد التبع كالإنسان يكون مطيعا للشيطان وإن لم يقصد أن يطيعه، ولكنه أتبع دعاءه وإرادته³ ثم قال الشيخ المبارك مستدركا: ومجاز الطاعة الذي ذكره العسكري لا يخص بها بل تستعمل فيه العبادة أيضا⁴، ففي الكتاب العزيز: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَؤَ مَا دَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس:60] ﴿يَتَابَعُ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم:44]⁵.

4- تخطئته متعصبي الصوفية في استصعاب درس التفسير: نقل رحمه الله تحت عنوان "ضجعات للصدّ عن التفسير" قصة وقعت للشيخ ابن باديس بسيدي عقبة وكان الشيخ المليي شاهدا عليها، حيث قال: حضرت سنة أربع وأربعين (1344هـ) درساً للأستاذ عبد الحميد بن باديس بجوامع سيدي عقبة ونحن سُفروا في تفسير أوائل سورة الأعراف فقام أحد

1 الشرك ومظاهره: ص132.

2 المرجع نفسه: ص61.

3 الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ص221.

4 الشرك ومظاهره: ص92.

5 يظهر بهذا أنّ الشيخ المبارك المليي من القائلين بوقوع المجازي في القرآن الكريم، وإن كان الحكم عليه بهذا بهذا يحتاج إلى تثبت واستقراء دقيق في تعامله مع الآيات القرآنية، ولكن هذا النموذج يجعلنا نكون فكرة عن موقفه من وقوع المجاز في القرآن الكريم.

المدرسين المتعصبين رافعا صوته بعدم الفائدة في التفسير طالبا درسا في مختصر خليل....
ووقعت لي أمثالها من أصحاب زاوية الهامل لما كنت آتي من الأغواط إلى أبي سعادة للوعظ
ببعض مساجدها وحكاياتهم في هذا الباب مع بقية الأصحاب أكثر من أن يستوفها كتاب
وتلك عادة المعاندين لكلام رب العالمين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَايِهِ لَمَلَكُهُمْ
تَقْلِيلُونَ﴾ [فصلت:26]¹

ثم قال ناقما على أمثال هؤلاء: ولعل هنالك من يستصعب طريق التفسير بأن طبعنا
العربية قد حالت، وسلائقنا في ذوق الكلام العربي قد فسدت، فأتى لنا بفهم كلام ربنا؟،
فنقول له: إن من عانى غموض المتون وتعقيد المختصرات يستسهل القرآن الذي يسره الله
للمذكر ويجد في تعلم اللغة وعلومها ما يرد عليه سليقة سلفه أو يكسبه إياها إن لم يكن
عربي الأصل، ونقص السليقة المكتسبة يجبره ما كتبه أئمة التفسير.²

رابعا: البعد الإصلاحي الإجتماعي في التفسير العقائدي عند الشيخ المبارك الميلي:
ولأن الشيخ المبارك الميلي خريج المدرسة البادية ذات النزعة الإجتماعية الإصلاحية:
كان لهذا أثر في تفسيره العقائدي وامتزاجه بطابع الإصلاح الإجتماعي ودعوته أبناء وطنه
لتحقيق الانطلاق الحضاري وتجسيد النهضة الفكرية والوحدة الوطنية المناهضة للاستعمار
وكل أشكال الظلم والاستبداد.

إذ يقول تحت عنوان "أثار الشرك في المجتمع" إن كنت باحثا في علل انحطاط الأمم،
فلن تجد كالشرك أدل على ظلمة القلوب وسفه الأخلام وفساد الأخلاق، ولن تجد كهذه
النقائص أضّر بالاتحاد وأديم للفوضى وأذل للشعوب، وإن كنت باحثا عن أسباب الرقي
فلن تجد كالتوحيد أظهر للقلوب وأرشد للعقول وأقوم للأخلاق، ولن تجد كهذه الأسوس
أحفظ للحياة وأضمن للسيادة وأقوى عن حمل منار المدنية الطاهرة. وإن نظرة في حياة
العرب قبل البعثة لتزيد ما أضفناه إلى الشرك من علل ونتائج. وإن وقفة على حياتهم بعد
البعثة لتبعث على التصديق بما أنطناه بالتوحيد من أسباب وثمرات. وإن تلك النظرة وهاته
الوقفة لمفتاحان لسر حياة المسلمين بعد عصر النبوة. وكل من قارن بين حياتنا اليوم وحياة
جيراننا من غير ملتنا استيقن أن وسائل الشرك قد وُجدت في المسلمين منذ أمد، وأن
نتائجها قد ظهرت عليهم فلا تخفى على أحد.³

الخلاصة:

من خلال هذا العرض المتواضع وهذا الطرح الموضوعي لبحث التفسير العقائدي عند
الشيخ المبارك الميلي نستخلص جملة من النتائج والتوصيات نجملها في الآتي:

1 المرجع نفسه: ص54.

2 المرجع نفسه بتصرف يسير: ص56.

3 المرجع السابق: ص64-65.

1- النتائج:

- الشيخ المبارك المليي خريج المدرسة البادية في التفسير، ويظهر جليا تأثره بشيخه في نزعه الإجتماعية الإصلاحية في التفسير العقائدي.
- للشيخ المبارك المليي جملة من المصادر في التفسير نوع في النقل منها وأبدع في الإحالة عليها، كتفسير الطبري والقرطبي وابن كثير....الخ.
- تظهر سمات التفسير العقائدي عند الشيخ المبارك المليي من خلال: الرجوع في بيان مسائل العقيدة إلى الكتاب والسنة، وتدبر القرآن الكريم يهدي إلى صحيح الاعتقاد، وتنزيل الآيات النازلة في قوم على من أشبه حالهم اليوم، وكذا قيام منهجه العقائدي على عدم المسارعة إلى التكفير والتبديع.
- تبرز معالم شخصية المبارك المليي التفسيرية من خلال مناقشته بعض مسائل العقيدة الواردة في القرآن وتعقبه أو استدراكه لمن سبقه من المفكرين والمفسرين واللّغويين كالرازي والبغوي وابن خلدون وأبي هلال العسكري.

2- التوصيات:

- بالإضافة إلى ما سبق من نتائج أوصي الطلبة والباحثين بما يلي:
- ينبغي العناية بالموثوث العلمي والثقافي لعلماء الجزائر في القرن العشرين وبخاصة جهودهم في التفسير.
- الاهتمام بمنهج الشيخ المليي في إيراد مسائل العقيدة الواردة في القرآن الكريم وجعله في بحث مستقل في مستوى الماستر.
- أفراد منهج الشيخ المبارك المليي في التفسير العقدي بدراسة جادة في أقسام الماستر في تخصصي التفسير والعقيدة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم بنسخة وورد موافقة للرسم العثماني برواية روش عن نافع.
- 2- البدر الطالع: محمد بن علي الشوكاني، دت، دط، دار المعرفة، بيروت، دت.
- 3- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ت: عبد القادر الأرناؤوط، ط:1، دار الفيحاء، دمشق- دار السلام، الرياض، 1414هـ - 1994م.
- 4- رسالة الشرك ومظاهره: المبارك المليي، ط:5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ - 2000م.
- 5- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، ط:1، دار طوق النجاة، دمشق، 1422هـ
- 6- الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دت.
- 7- معالم التنزيل: البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

مفاتيح الغيب: للرازي، ط:3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

من أعلام التعليم القرآني بالوادي: «الشيخ عبد الرزاق تامة أنموذجا»

أ/ علي زواري أحمد

أستاذ مساعد متعاقد - قسم الحضارة - معهد العلوم الإسلامية - جامعة الوادي
soufislam@gmail.com

ملخص البحث

بحثنا هذا يتعلق بقضية التعليم القرآني، وما يبذل فيها من جهود، ويختص بمنطقتنا؛ منطقة وادي سوف العريقة في التعليم القرآني، ولهذا حاولنا تجلية الصورة عن هذه القضية، وذلك ببيان حالة التعليم القرآني من القديم إلى اليوم، وعرجنا في ذلك على ذكر بعض المدارس القرآنية التي لا تزال قائمة وتدرس القرآن الكريم، كما عرجنا على أهم وأبرز الأعلام في المنطقة الذين كان لهم دور بارز في التعليم القرآني وتخرج الحفظة. وقد ذكرنا منهم العديد، ولم نرد في كل ذلك الإحصاء؛ وإنما أردنا البيان والتوضيح، ولهذا حاولنا في الأخير أن نقف مع عينة من تلك الأعلام وما بذلته من جهود، فاخترنا الشيخ عبد رزاق تامة أنموذجا، فعرجنا على حياته، وعلى رحلته مع القرآن الكريم تعلمًا وتعليمًا، وبيان جهوده في ذلك وذكرنا العديد من النماذج التي حفظت عنده القرآن الكريم، ولم نغفل في كل ذلك عن بيان طريقته في التعليم.

مقدمة

لم يحظ كتاب على وجه الأرض بالاهتمام بقدر ما حظي به القرآن الكريم، إذ ترك بصماته المتميزة في تصوّرات الإنسان وأفكاره ومعتقداته، بل وكل شيء في حياته. ومن ثمة أصبح تعلمه والتعمق في إدراك معانيه ومرامييه ضرورة ملحة في المجتمعات الإسلامية، كونه حصنها المنيع ومنصة إقلاعها الحضاري المنشود.

ولهذا يعتبر التعليم القرآني من أشرف المهام، ومن خير الأعمال التي يقوم بها المسلم، وهذا مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»¹، فإن جاز أن تؤخذ بعض العلوم بلا معلّم، فإن هذا الأمر لا يمكن حصوله أبداً في تعلّم قراءة القرآن الكريم، لأن تعلمه متوقف على العرض والتلقي والمشافهة والإسناد، فلا بدّ فيه من معلّم يرجع إليه.

وعلى هذا الهدي النبوي بعث عثمان - رضي الله عنه - قراء مع المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار، لتكون المصاحف قدوة لأهل تلك الديار، يأتون بها في قراءتهم وصلواتهم،

1 - صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم: 5027، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، 6/ 192.

وليكون القارئ المبعوث معلماً لعامة أهل كل مصر القراءة وفق مصحفهم.

والمجتمع الجزائري - كغيره من المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي - واع في معظمه بهذه الحقيقة، ومن ثمة حظي التعليم القرآني وأهله باهتمام بالغ من طرف الجزائريين، بالرغم من محاربتة والتضييق على أهله من قبل الاستعمار، وانتشار المدارس العصرية منذ دخول الاستعمار، ووضع قدميه على هذه الأرض الطاهرة، رغم كل ذلك حرص الآباء والأولياء على تعليم أبنائهم القرآن منذ سن مبكرة، وهذا لإدراكهم للدور الكبير والتأثير القوي الذي تلعبه هذه الكتابات والزوايا والمساجد والمدارس القرآنية في تحصين أبنائهم من الانحراف بأنواعه وفي جميع مستوياته وأشكاله، فضلاً عن إكساب أطفالهم قاعدة لغوية متينة وذاكرة قوية من طرف معلمهم أثناء تعليمهم القرآن الكريم¹.

وعلى هذا فولاية الوادي ليست بدعا من القول في هذا المجال، فقد كان لها دورها الريادي في التعليم القرآني منذ زمن بعيد، وقد انتشر في ربوعها العديد من المدارس القرآنية يتولى زمامها حفظة القرآن الكريم من المشايخ والمعلمين، الذين تركوا بصمتهم واضحة وظاهرة، ولا تزال ثمارهم - إلى يوم الناس هذا - يانعة شامخة، تمثلت في تلاميذهم الذين تناقلوه جيلا عن جيل، ولا يزال الجهد متواصلا، وهذا ما دفعنا لنجعل مقالنا يدور حول أعلام التعليم القرآني بالوادي، مع التركيز على عينة واحدة من تلك الأعلام، تتمثل في الشيخ عبد الرزاق تامة، لهذا كان العنوان موسوما بـ: "من أعلام التعليم القرآني بالوادي، الشيخ عبد الرزاق تامة أنموذجا".

إشكالية الموضوع:

ومما سبق فإن إشكالية بحثنا تتمحور حول التعليم القرآني بولاية الوادي، للوقوف على أهم أعلامه، وبيان جهودهم في خدمة القرآن الكريم، والتعرف على طريقتهم في التعليم القرآني، آخذين من كل ذلك أنموذجا نسلط عليه الضوء، وقد تمثل في الشيخ عبد الرزاق تامة الذي قضى حياته في التعليم القرآني، وهذا الأمر يجعلنا نطرح أسئلة فرعية تنبثق من هذه الإشكالية، منها:

من هم أبرز أعلام التعليم القرآني بولاية الوادي؟

وماهي أبرز جهودهم في هذا الميدان؟

ومن هو الشيخ عبد الرزاق تامة؟

وفيما تمثلت جهوده في التعليم القرآني، تَعَلُّماً وتَعْلِيماً؟

وكيف هي طريقته في التعليم القرآني؟

1 - انظر في هذا كتاب تاريخ الجزائر الثقافي للأستاذ أبو القاسم سعد الله، في الجزء الثالث بفصله الثلاثة، المتعلق بالمرحلة الزمنية: (1830 - 1954)، دار البصائر - الجزائر، طبعة خاصة - 2007م.

أهداف الموضوع

يهدف هذا البحث لبلوغ جملة من القضايا، أهمها:

- 1 - معرفة التعليم القرآني بولاية الوادي.
 - 2 - الإشادة بالشخصيات القرآنية المحلية في منطقتنا، وبيان جهودهم في خدمة التعليم القرآني بالولاية.
 - 3 - تسجيل وتدوين هذه المحطات القرآنية التي تعتبر جزءا من تاريخنا، ومعلما بارزا من تراثنا الثقافي، كما تمثل حلقة من حلقات المحافظة على هويتنا.
 - 4 - تشجيع التعليم القرآني عن طريق النماذج التي هي قريبة منا ويمكن مشاهدتها والوقوف على مجهودها بالمعانية.
- ومن هذا فإننا حاولنا تقسيم البحث لمجموعة من العناصر، نرى أنها تسهم في إثراء الموضوع، والإلمام بجوانبه، وفي ذات الوقت تنسجم مع الأهداف المرسومة له، وتفك إشكاليته المطروحة، وبالتالي كانت طريقة تقسيمه، كالآتي:
- بداية بالمقدمة التي فيها إبراز الموضوع، مع بيان أهدافه وطرح إشكاليته، ثم تقسيمه لعناصر، هي:

أولا - التعليم القرآني بالوادي.

ثانيا - أبرز الأعلام وجهودهم التعليمية.

ثالثا - نبذة عن الشيخ عبد الرزاق تامة.

رابعا - رحلته مع التعلم القرآني.

خامسا - طريقته في التعليم القرآني.

سادسا - الذين تخرجوا على يديه.

ثم في الأخير خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

أولا - التعليم القرآني بالوادي¹.

التعليم القرآني قديم في منطقة الوادي، ولم يتوقف حتى في عهد الاستعمار الفرنسي، حيث كان أئمة المساجد الذين يصلون بالناس الصلوات ويؤدون خطب الجمعة والأعياد يقومون بمهمة التعليم القرآني بالطريقة التقليدية - التي سنشير إليها لاحقا - لذا كانت أغلب مساجد الأحياء والمدن والقرى تقوم بالتعليم القرآني، توجد بعض الزوايا والكتاتيب

1 - في هذا العنصر والذي يليه، استعنت بما عندي من معلومات بحكم وظيفتي كإمام أستاذ رئيسي، وعضو المجلس العلمي في مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بالوادي لأكثر من عشر سنوات، وعقدت جلسة مع بعض إدارات الشؤون الدينية والأوقاف صباح يوم الأحد السادس من نوفمبر الجاري 2016، ومن هؤلاء، المفتش الرئيسي والمسؤول المباشر عن التعليم القرآني بالمديرية، وكذلك الأمام الأستاذ الرئيسي أحمد طهراوي معتمد دائرة الرياح وعضو المجلس العلمي، وأستاذ التعليم القرآني محمد العوامر ممثل الأئمة في اللجنة المتساوية الأعضاء.

التي تقوم بنفس الدور، واستمر هذا التعليم بعد الاستقلال، إلى سنة 1981 في عهد الرئيس السابق الشاذلي بن جديد حين قام بتوظيف خمسة آلاف معلم للقرآن الكريم على المستوى الوطني، فكان لولاية الوادي نصيب معتبر منها لا يقل عن خمسين معلم مع حادثة المديرية في ذلك الوقت، ولعل ما يشهد على هذا الاستمرار المتواصل في تعليم القرآن الكريم تلك المدارس التي لا تزال قائمة ليوم الناس هذا، منها ما هو تابع لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف ومنها ما هو خاص، وما سنذكره هو قليل من كثير، المراد منه بيان التعليم القرآني في الوادي، فمن تلك المدارس:

أ - بعض المدارس الرسمية

نقصد بالرسمية التابعة للمساجد، وتنطوي تحت مسؤولية مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، والتي منها:

- مدرسة مسجد الزاوية ببلدية الرباح، فهي مدرسة عريقة وقديمة وتخرج فيها الكثير، والآن يتولى التعليم فيها أستاذ التعليم القرآني الشيخ عبد الرزاق التامة الذي اتخذناه أنموذجا وسوف نفرده بالحديث لا حقا.

- مدرسة مسجد فردية بأولاد حمد بالوادي التي يتولى شؤونها أستاذ التعليم القرآني علي بوخرنة.

- مدرسة زاوية الرحمانية بمسجد سيدي سالم بالوادي التي يأتيها الطلبة من داخل الولاية وخارجها ويتولى شؤونها الشيخ حسين سالم.

- مدرسة مسجد النصر بالصحن الأول ببلدية الوادي، والتي يتولى الإشراف عليها الشيخ محمد شادو أطال الله في عمره ومتعته بالصحة والعافية.

- مدرسة المسجد الكبير بتكسبت التي تعمل على النظام الداخلي والخارجي، ويأتيها الطلبة من داخل الولاية ومن خارجها، ويتولى الإشراف عليها الأستاذ ياسين عموري.

- مدرسة مسجد النور بحي النور بالوادي، والتي يدرس فيها أستاذ التعليم القرآني عبد الله حميداتو، الذي تقاعد في السنوات الأخيرة ولا يزال يعلم بها القرآن الكريم.

- مدرسة الشمرّة سيدي عمران دائرة جامعة يشرف عليها أستاذ التعليم القرآني الذي تقاعد هذا العام، وهو الشيخ علي بوخرنة الذي سنذكره في العنصر الموالي ضمن أبرز أعلام التعليم القرآني بالوادي.

- مدرسة الشيخ عبد المجيد بوليفة: أستاذ التعليم القرآني بدائرة جامعة، والذي لديه إجازات في حفظ القرآن الكريم، وله إنتاج قرآني كبير.

- مدرسة الشيخ غمام محمد أستاذ التعليم القرآني بالمسجد الكبير ببلدية حاسي خليفة.

- المدرسة القرآنية الخاصة بالإناث بمسجد البغازلية العتيق، وتشرف عنها أستاذة

التعليم القرآني بشيرة حميداتو.

- مدرسة مسجد الحاج سالم التابع للزاوية التجانية ببلدية البياضة، ويشرف عليها الشيخ عطيلي بشير.

- مدرسة مسجد الزاوية الهبرية بقمارو التي يشرف عليها الشيخ عبد الباقي مفتاح.

- مدرسة مسجد أبي بكر الصديق بكونين التي يشرف عليها الأمام الأستاذ الرئيسي حسان مخزومي.

وهناك مدارس أخرى غيرها، وما ذكرناه كاف ليعطينا صورة عنها.

ب - المدارس الخاصة:

ونقصد بها المدارس الحرة التابعة لجهات خاصة غير تابعة للجهات الرسمية، والتي منها:

- مدرسة حساني عبد الكريم التابعة لجمعية الإرشاد والإصلاح والتي يتولى الإشراف عليها الشيخ صالح هيمة.

- مدرسة الشيخ علي عيَّ بحساني عبد الكريم وهي خاصة بالأطفال الفقراء والمعوزين والأيتام، فلا تكثف بمجرد التعليم القرآني بل تعينهم ماديا.

- مدرسة الشيخ العبيدي التابعة لجمعية البيان لتحفيظ القرآن الكريم بالوادي، والتي يرأسها فضيلة الأستاذ الدكتور كمال قدة، المحكم الدولي المعروف.

- مدرسة عمودي التابعة لجمعية العلماء المسلمين بتكسبت الوادي ويتولى الإشراف عليها عمار عموري.

- مدرسة عبد الحميد بن باديس التابعة لجمعية العلماء المسلمين بالطريفواوي.

وهناك مدارس أخرى غيرها، نكتف بما ذكرنا، وقبل أن ننتقل لأبراز أعلام التعليم القرآني وجهودهم التعليمية، نقول بأن التعليم في الوادي أخرج العديد من الأشخاص أعطوا صورة حسنة عن التعليم القرآني بالمنطقة، من تلك الشخصيات مجموعة لا يستهان بها من الأئمة ومعلمي القرآن الكريم، الذي سيأتي ذكر أسمائهم في العناصر القادمة، كما أعطانا أشخاصا لهم من المواهب والقدرات ما مكنهم من خوض المسابقات القرآنية داخل الوطن وخرجه، كأمثال فرسان القرآن الكريم الذي شاركوا في المسابقة الوطنية للقرآن الكريم، مثل الشيخ عبد الفتاح حميداتو، وإسماعيل حميداتو، والشيخ خالد غريسي، والشيخ نذير بن موسى، وغيرهم، ونختتم بالشخصية المعروفة التي أصبحت على مستوى عالمي، وهو المحكم الدولي فضيلة الأستاذ الدكتور كمال قدة.

ثانيا - أبرز الأعلام وجهودهم التعليمية.

وعندما نأت إلى أبرز أعلام التعليم القرآني في منطقتنا، وإحصاء جهودهم في هذا الجانب؛ فإن صفحات هذا البحث لا تكفي لذلك، ولهذا سنذكر مجموعة من الأعلام فقط - على سبيل الذكر لا الحصر - ونشير إشارة خفيفة لبعض جهودهم في التعليم القرآني،

حتى نعطي ولو صورة مصغرة على أولئك الأعلام وما قاموا به في خدمة القرآن الكريم، وما لم نذكره أكثر، ولهذا فمن هؤلاء الأعلام:

- الشيخ حسين حمادي الذي درس في الزيتونة، وهو من بلدية النخلة، وقد تخرج على يديه جيلان من الحفظة، أولهما جيل قبل الاستقلال، وجيل بعد الاستقلال، فأما الجيل الأول، فمنهم الضيف بن علي الإمام المتقاعد، وعلي دوش إمام كذلك، والإمام طاهر حميداتو، ومعلم القرآن عمر شويفات، ومعلم القرآن مبروك حميداتو، وعمار حميداتو، وأستاذ التعليم القرآني مسعي عون بشير الذي تخرج على يديه فارس القرآن عبد الفتاح حميداتو، والأستاذ الجامعي والخطيب المتطوع على خضرة، ومعلمة القرآن ميلودة حميداتو، وغيرهم.

وأما من الجيل الثاني الذي كان بعد الاستقلال، فهم كثير كذلك، منهم أستاذ التعليم القرآني الذي تقاعد منذ سنة؛ أحمد حميداتو، الذي كان من تلاميذه فارس القرآن ابنه إسماعيل حميداتو، وراجع عليه القرآن الشيخ عبد الرزاق تامة الذي جعلناه عينة في هذا المقال، كذلك من تلاميذه بعد الاستقلال أستاذ التعليم القرآني عبد الله حميداتو الذي تقاعد ولا يزال يمارس التعليم القرآني كما سبق وأن ذكرنا قبل قليل، والإمام أحمد قدوري الذي تقاعد هذه السنة من الإمامة، وكذلك بوبكر حميداتو الذي يشغل أستاذ متوسطة، ومسعود حميداتو يشغل أستاذ متوسطة... وغيرهم كثير.

كما أنه تكون على يديه جيل ثالث قبل هذين الجيلين بتونس الشقيقة بمنطقة رديف، وقد كتب فيه الأستاذ محمد الصالح بن علي كتابا طبعته دار الثقافة بالوادي.

- بشير غربي - وهو كفيف البصر رحمه الله تعالى- علّم القرآن الكريم بالرباح بمسجد الزاوية العتيق، وقد تخرج على يديه حفظة كثير كذلك، منهم الإمام الشيخ صالح بكوشة رحمه الله تعالى، والشيخ لم شريف المجاهد رحمه الله، وكذلك أخوه المجاهد كمال شريف، وعبد القادر دربال كان من أعيان المنطقة ورحل إلى مدينة عنابة، وكذلك تخرج على يديه محي الدين دربال الذي حكم مديرا للشؤون الدينية لولاية عنابة في فترة سابقة، وأيضا الإمام أحمد جاب الله، والمجاهد ومعلم القرآن عبد الرزاق جاب الله، والمعلم صادق حنكة، وعبد الكريم عسيلة الذي ترأس بلدية الرباح في فترة سابقة، والإمام عبد الرحمان عسيلة، والشهيد مصطفى عسيلة وغيرهم.

- علي شيباني تخرج على يديه نفر كثير منهم ابنه محمد شيباني وهو أحد المشايخ الذين بعثهم ابن باديس من قسنطينة للوادي ليقوموا بمهمة التعليم القرآني وقد كان له مجهودا يذكر له.

- علي بوخزة من الشمرّة دائرة جامعة عنده مدرسة قرآنية أشرنا لها سابقا، وقد تخرج على يده طلبة كثير من بينهم الأستاذ الدكتور كمال قدة، والإخوة تواتي طليبة محمود

ومحمد الصغير وعبد المالك ومحمد، الذين منهم من يشغل في التعليم القرآني ومنهم في الإمامة، وكذلك درس على يديه الشيخ محمد شادو وهو إمام بمسجد النصر بالصحن الأول الوادي.

- محمد لمين غمام الذي يدعى (سي لمين جدير)، الرجل المتصوف الطيب الخلق معلم القرآن الكريم بحاسي خليفة، الذي تخرج على يديه حفظة كثير، وكان له مجهودا محمودا، ومن هؤلاء الطلبة أولاده محمد والرباني، والعديد من المسؤولين والإطارات في الدولة الجزائرية، منهم المدير السابق لأمن الدولة عبد الحميد سعيدي، والنائب الحالي لخضر سعيدي وغيرهم.

- الطالب الساسي سلمان في الصحن الثاني بأولاد تواتي الوادي، تخرج على يديه حفظة كثير أيضا منهم أبناءه وأحفاده، ومن أبنائه الدكتور نصر سلمان الأستاذ بجامعة قسنطينة، وكثير من المعلمين منهم الشيخ لزهارى بلقط وغيره.

- الطالب العربي مناعي من الفطاحزة بلدية البياضة، وهو كفيف البصر، وقد تخرج على يديه حفظة عديدين أيضا، منهم الإمام الأستاذ بشير مسعي رحمه الله تعالى، ولمين باسي معلم القرآن، وابنه محمد مناعي أستاذ ثانوي، وعبد الغني مسعي معلم ابتدائي وغيرهم.

- مختار هنيات علم القرآن الكريم بمسجد فردية أولاد حمد الوادي، كما درّس بجامع الطلابية قديما وتخرج على يديه نفر كثير منهم الدكتور عبد القادر مهاوات رئيس قسم الشريعة حاليا بالمعهد الإسلامي بجامعة الشهيد حمّـه لخضر بالوادي، وكذلك تخرج على يديه أستاذ التعليم القرآني محمد العوامر الذي سنتحدث بعده.

- محمد العوامر بالصحن الثاني الوادي يعمل بمسجد الهلال تخرج على يديه نخبة من الحفظة منهم ضو عبد الرزاق يشغل إماما وهو الآن في ولاية سطيف، وكذلك الطيب دعمش طبيب مختص بالتخدير وهو الآن بمدينة تقرت، والطالبة نجاة ضو نائبة مدير السجل التجاري بالوادي وغيرهم.

- جمال الأخوص أستاذ التعليم القرآني سابقا والإمام المدرس حاليا، بمسجد عقبة بن نافع بالبياضة، وقد أبلى بلاء حسنا في التعليم القرآني، وتخرج على يديه كوكبة من الحفظة؛ منهم الإمام عبد المنعم عازب، والطبيب البيطري محمد بالي، وغيرهم.

- وغير هؤلاء كثير مثل الشيخ على دربال من الرباح والمعروف في المنطقة (بسيدي علي) والمسعى عليه حي علي دربال، والساسى تامة من أميه ونسة، الذي علم في العديد من مساجد المنطقة، ومحمد علي فاضل من تغزوت قمار، ووالد الشيخ عز الدين عباسي من الزقم بلدية حساني عبد الكريم، وغيرهم، والمقام لا يتسع للتفصيل والإحصاء، والآن ننتقل للعنصر الموالي الذي نتطرق فيه للنموذج المذكور، وهو عبد الرزاق تامة أستاذ التعليم القرآني.

ثالثا - نبذة عن الشيخ عبد الرزاق تامة¹.

هو الشيخ عبد الرزاق تامة بن محمد الصالح بن محمد بن عبد القادر، ووالدته الجبارية تامة بنت محمد بن علي بن عبد الله، ولد خلال سنة 1961م، وسجل رسميا خلال سنة 1964م، وهو التاريخ الرسمي في دفتره العائلي، وكان ميلاده بحي علي دربال بلدية الرياح ولاية الوادي، وهو متزوج وأب لستة أطفال؛ ثلاث بنات وثلاث أولاد.

نشأ الشيخ عبد الرزاق في أسرة فقيرة متواضعة، كان والده يكدح من أجل توفير لقمة العيش لأسرته، وكان عبد الرزاق هو الابن الوحيد لوالده مع مجموعة من البنات، وهذا ما أدى لحرمانه من الدراسة في المدارس النظامية، وكان كذلك من أهم الأسباب التي جعلته يعمل كمعين لوالده في بعض الأعمال التقليدية الموجودة في المنطقة، مثل نقل الرمل على الدابة من أماكن النخيل ورميه في خارج حيز الأماكن المغروسة²، من الغوط³ إلى خارجه، كما عمل مع البنائين الذين يُستأجرون لبناء البيوت والمساكن والمحلات وغيرها⁴، وبقي على هذه الحال مدة من الزمن تقارب العشر سنوات، حتى بدأ تعليمه القرآني متطوعا سنة 1983 بمسجد الزاوية العتيق الكائن بالجهة الشرقية بحي الزاوية ببلدية الرياح، ويتقاضى أجرته من جماعة المسجد لمدة ثلاث سنوات، وبعدها تم توظيفه كمعلم للتعليم القرآني بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بالوادي⁵، وعين بالمسجد ذاته يوم 1986/11/1، ولا يزال موظفا فيه ليوم الناس هذا.

1 - في هذا العنصر والعناصر التابعة له، استعنت بداية بمجاورتي لهذه العينة، وأعرف عنه الكثير لأننا في حي واحد والمنازل قريبة من بعضها، كما استعنت بالإمام الأستاذ الرئيسي أحمد طهراوي بحكم أنه المسؤول الأول في المسجد الذي يقوم فيه الشيخ عبد الرزاق التعليم القرآني، وبحكم أنه معتمد الدائرة، كما أن رفقتهم في المسجد كانت من البداية إلى كتابة هذا المقال، ومع كل ذلك عقدت جلسة خاصة مع المعني مساء يوم الجمعة، بين المغرب والعشاء، الرابع من شهر نوفمبر الجاري 2016، أي منذ يومين من الآن.

2 - يسمى في المنطقة بـ "الرَّمْلَة" وهي مهنة قديمة كان أهل الوادي يقومون بها على ظهورهم ثم استعانوا بالدواب، مثل الحمير والبهايم، فيخرجون التراب من الأماكن المغروسة أو التي يريدون غرسها ويرمونهم في خارج الغوط.

3 - الغوط لغة هو المكان المنخفض ويراد به المكان الذي يغرس فيه النخل ويكون منخفضا فنسميه في منطقتنا بـ "الغوط"، يقول ابن فارس في مادة: «غَوَطَ» الغين والواو والطاء أصل صحيح يدل على اطمئنان وغور. من ذلك الغائط: المطنئن من الأرض، والجمع غيطان وأغواط. وغوطة دمشق يقال إنها من هذا، كأنها أرض منخفضة. وربما قالوا: انغاط العود، إذا تثنى، وإذا تثنى فقد انخفض، وقياسه صحيح». أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م، 4/ 402.

4 - يسمى هذا النوع من العمل في منطقتنا بـ "العَوَّانة".

5 - تسمى وقتها نظارة الشؤون الدينية.

رابعا - رحلته مع القرآن الكريم

لقد كانت رحلة الشيخ عبد الرزاق مع القرآن الكريم رحلة طويلة وشاقة، لم تكن بالميسورة مع وضعه الاجتماعي الذي كلفه بتلك الأعمال الشاقة التي ترهق البدن وتضعف الطاقة؛ لكن في صبر وثبات وتحدي قوي جعله يمزج بين الاهتمام بحفظ القرآن الكريم وممارسة العمل اليومي الشاق، فيستغل جلّ أوقاته في الحفظ والمراجعة والتكرار بالليل والنهار وما بين الصلوات وخاصة بين صلاة المغرب والعشاء في المسجد.

وبالتالي كان تعلمه وحفظه للقرآن الكريم في مسقط رأسه، بعد أن بذل جهدا كبيرا تكفل بإتمام ختمه، ثم بعدها تمكن من حفظه حفظا جيدا على رواية ورش عن نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق، ولهذا نراه تتلمذ على مشايخ المنطقة الذي كانوا يدرسون القرآن الكريم في المساجد، وعلى الطريقة التقليدية القديمة المعروفة باللوح.

ومن أهم مشايخه الذين تعلم على أيديهم القرآن الكريم؛ الشيخ الضيف عواج الشامسي، الذي يكنى بالطالب الضيف، والشيخ جلول تامة بن أحمد، والشيخ احميده بن جموعي قسوم، الذي يكنى بالطالب احميده، رحمهم الله جميعا، وقد كان تعلمه في هذه المرحلة على يد هؤلاء المشايخ بطريقة تقليدية في الحفظ، لا تسلم من الأخطاء، بحكم أنها لا تخضع للأحكام كثيرا، ولا لسلامة النطق، حسب مخارج الحروف وصفاتها، ولا تمكنه من تثبيت الرواية التي حفظ بها ما دفعه لمراجعة حفظه من جديد مع أحد تلامذة الشيخ حسين حمادي، الذي يكنى بالشيخ الحسين، هذا التلميذ هو حميداتو أحمد بن لخضر، معلم القرآن بمسجد علي دربال الكائن ببلدية الرياح؛ حيث مسقط رأس الشيخ عبد الرزاق، فقد قام مع الشيخ أحمد حميداتو بمراجعة القرآن وتبادل التعريض بينهم مع القيام بصلاة التراويح حتى تمكن منه كاملا وتخلص من تلك الأخطاء التي كانت في قراءته.

ولم يكتف الشيخ عبد الرزاق بذلك؛ بل استعان بأشياء أخرى للتمكن من إتقان الرواية أكثر فأكثر، من تلكم الأشياء حلقات القرآن المتمثلة في تعليم أحكام التلاوة فقد كان الشيخ يحضر لها، وكان في ذات الوقت يقيمها لغيره، فساعد ذلك على التحضير الجيد والحضور الدائم ما سهل عليه الأمر.

كما أنه استعان بسماع بعض الختمات القرآنية المسجلة عن المشايخ من القراء الكبار، أمثال الشيخ محمد خليل الحصري، والشيخ الطبلاوي، والمنشاوي وغيرهم، وقد ظهر ذلك جليًا في نطقه، وقوة مخارجه، مع إتقانه التام للأحكام.

بل ولم يتوقف الشيخ عبد الرزاق عند هذا الحد، فنجد مع ما ذكرنا قد اعتكف على بعض المتون التي تهتم بجانب أحكام التلاوة؛ فعكف عليها فهما وحفظا، من تلك المتون؛ متن تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجمزوري (ت بعد 1208)، ومتن الجزية للشيخ محمد ابن الجزري (751 - 833هـ)، والدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، للشيخ علي بن

محمد بن علي، الشهير بـ (ابن بَرِّي) (660 - 730هـ)، هذا المتن الأخير قال فيه معلمو القرآن الكريم: اللي ما قرأش القرآن على ابن بري قرآنه مهري، بمعنى: "من لم يقرأ القرآن متبعا نظم ابن بري فالقرآن الذي يقرأه مهترئ (أي غير جيد).

كما نجاه حفظ بعض المتون المتعلقة بالرسم القرآني، والتي منها: ما يسمى بالدينفاسي وهو نظم في علوم القرآن للشيخ محمد بن إبراهيم الدينفاسي المغربي، يهتم بضبط المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم، وكذلك حفظ متن المصباحي المتعلق بالثابت والمحذوف، المتعلق أيضا بالرسم القرآني.

كما أن الشيخ عبد الرزاق حفظ مجموعة من متون الفقه والتي منها: متن ابن عاشور، لعبد الواحد بن عاشر الأندلسي الفاسي (900 - 1040هـ)، الذي يعد من أبرز علماء المذهب المالكي، واشتهر بمنظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" والتي نظم فيها الفقه المالكي، بالإضافة إلى باب العقيدة والتصوف، والتي تعد مرجع مهم عند علماء المذهب المالكي.

وكذلك متن أسهل المسالك لنظم ترغيب المريد السالك، لناظمه محمد البشار المالكي الذي شرحه عثمان بن حنين بري الجعلي المالكي فيما يسمى بـ سراج السالك شرح أسهل المسالك لنظم ترغيب المريد السالك، وهو في الفقه المالكي.

خامسا - طريقته في التعليم

وعندما نقف مع طريقة تعليمه، أو منهجه الذي يسلكه مع طلابه في تلقينهم القرآن الكريم؛ نجده يحافظ على الطريقة التقليدية المعروفة التي تعتمد الأدوات التالية: (اللوح، والدواة، وقلم القصب أو الريشة، أو ما حل محله من قلم الرصاص مكان الدواة)¹.

فهذه هي طريقة حفظ القرآن التقليدية عند الأطفال: الجامع في المدن، والشريعة (الخيمة) في البادية، والمؤدب، واللوحة، وقلم القصب، ودواة السمق، والطين، والعصا، والجلوس المربع، ورفع الأصوات بالقرآن عند الحفظ، والتنافس على الحفظ بين الأطفال، ثم الختم والاحتفال به في المنازل، وأخيرا التخرج كطالب والقرآن في الصدر، كما يقولون².

نعود فنقول بأن الشيخ عبد الرزاق تامة يلقي الطالب الجزء المراد حفظه عن طريق

1 - ظهور طرق جديدة في التلقين اليوم كاللوح البيضاء والكراريس، فقد بدأت العديد من مدراس القرآن بالمنطقة تبتعد عن الطابع التقليدي لتدريس وتحفيظ القرآن الكريم، وتتجه نحو الطابع الحديث للتدريس، فأكثر شيء يشدك عند رؤية المدارس القرآنية في الولاية أنها بدأت تأخذ شكلا مشابها تماما لحجرات الدراسة للمؤسسات التعليمية، والطريقة المعهودة هي الجلوس على الأرض أو الحصى ومسك اللوح وترديده لعدة مرات حتى يحفظ ويعرضه المتعلم في الختام أمام المدرسة القرآنية، أو "نعمسيدي" كما يسميه المتعلمون في مدارس القرآن الكريم.

2 - ينظر - أبو القاسم سعد الله (المتوفى: 1435 هـ): تاريخ الجزائر الثقافي، أو (الموسوعة الثقافية الجزائرية)، دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر، الطبعة: طبعة خاصة - 2007م، 3/36.

الإملاء، ثم بعد الانتهاء يصححه له، وبعدها يشرع الطالب في الحفظ، بإعادة ما كتبه عشرات المرات، ما يسمى بـ (الرَّزَبَة) حتى يحفظه على ظهر قلب، وحين يكمل حفظه يعرضه على الشيخ؛ ولما يجده قد حفظ يأمره بأن يمعي اللوح بالطين ليأخذ جزءاً آخر وهكذا.

ونفس الشيء مع الصغار المبتدئين، التعليم عن طريق اللوح، فيخطط لهم اللوح حتى يتبعوا الخطوط أثناء الكتابة بقلم الرصاص، فيعلمهم الحروف الهجائية، وبعدها ينتقل منه لكتابة القرآن الكريم بداية بالسور القصار بالقليل القليل، حتى يجيدوا الخط والكتابة ويتدربوا على الحفظ، ثم يدخل معهم في طريقة التلقين والتصحيح التي ذكرناها سابقاً.

ومن ضمن طريقة تعليمه أنه يدارسهم القرآن عن طريق الحلقة الجماعية، وهو ما يسمى بالقراءة بالإدارة أو القراءة الجماعية، فيجمع الطلبة في حلقة ويقرأ الجزء، وهم يعيدون ما قرأ مع بعضهم بصوت واحد، وهذا من أجل التلقين والتعليم في النطق وكيفية القراءة، وفي ذات الوقت فيه مراجعة لما تم حفظه سابقاً.

ثم مع هذه المدارس للقرآن يلقنهم أشياء أخرى، والتي منها:

1 - تصحيح الأخطاء أثناء الترجيع، فإذا رآهم أخطئوا في شيء، كقراءة كلمة خاطئة أو حرف لم يعطوه حقه مخرجاً وصفة، أو مد من المدود يحتاج لتقويم... استوقفهم وصححه مباشرة، وهكذا دوماً حتى تستقيم قراءتهم مع متانة الحفظ وحسن التلقين.

2 - تلقين المتون عن طريق المشافهة ثم الكتابة والحفظ بعدها، ومن تلك المتون تحفة الأطفال، ومتن الجزرية، والدرر اللوامع، وكلها في أحكام التلاوة - كما سبق وأن أشرنا - فيلقنهم بعض الأبيات ثم يعرضونها مع اللوح الذي أتموا حفظه، وهكذا كل مرة بعض الأبيات حتى يكتمل النظم فينتقلوا لغيره.

3 - تلقين الرسم القرآني مشافهة عند كل قراءة، كما هو الحال عند تلقين الكتابة، فيقف عن الثابت والمحذوف فيبينه لهم ويذكرهم به، وكذلك التاءات المربوطة والمفتوحة، وذكر الألفات وعددها ونوعها، مثل المفتوح والمكسور والبذل والقطعي والفرق... إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بالرسم.

ومع كل ما ذكرنا هناك مراجعة أسبوعية لكل المحفوظ في نهاية الأسبوع، فيعلمهم السبت والأحد والأثنين والثلاثاء، ويوم الأربعاء تكون المراجعة لكل ما حفظ في تلك الأيام الأربعة، فيراجعونه عن ظهر قلب، حتى يتمكنوا من استظهاره، ودوماً يومين في الأسبوع راحة هما الخميس والجمعة.

وأيضاً تدريب الطلبة في صلاة التراويح بإعطائهم بعض الركعات أو بعض الليالي حسب قوة حفظهم والمقدار الذي حفظوه كتعويد لهم على ذلك، وتشجيعهم، وبيان مقدرتهم من حيث الأداء والحفظ، وهي من الأمور المهمة في مسيرة المتعلم.

سادسا - الذين تخرجوا على يديه.

والآن نأت على نتاجه التعليمي المتعلق بالقرآن الكريم الذي حققه طيلة هذه الفترة التي بلغت ثلاثين سنة بالتمام والكمال في هذا الشهر الذي نكتب فيه المقال، فقد بدأ عمله - كما ذكرنا سابقا - في شهر نوفمبر 1986، ونحن الآن في شهر نوفمبر 2016، فقد تخرج على يديه ستون حافظا لكتاب الله تعالى، مختلطين بين الذكور والإناث، وهو عدد لا بأس به بحكم أنه جهد فردي، وذلك بمعدل اثنين في كل سنة، وكان من المفروض أن يكون العدد أكبر من ذلك؛ ولكن حال دونه ظاهرة التسرب من التعليم التي يشتكى منها الشيخ عبد الرزاق، فقد صرح بأن هناك الكثير وصلوا إلى قدر معتبر من الحفظ في كثير من الأحيان يتجاوز نصف القرآن الكريم؛ بل إن بعضهم أتم ثلاث أرباع القرآن الكريم، وما بقي له إلا ريعا واحدا، فلما يكبر الطالب ويصل منتصف مرحلة المتوسط أو الثانوي حتى يذهب من غير رجعة. ولهذا فلولا هذه الظاهرة لكان العدد أكثر بكثير من هذا، ومع ذلك فهذا العدد الذي أتم حفظ القرآن كاملا لا يستهان به لا من حيث الكم ولا من حيث النوع.

فأما من حيث الكم فقد بينا أنه بنسبة اثنان في كل سنة؛ وأما من حيث النوع نجد أن الكثيرين ممن تخرجوا على يديه أصبحوا إطارات في مختلف التخصصات والوظائف، وحتى يتضح ذلك نذكر بعضهم على سبيل البيان لا الحصر:

- الطالب إسماعيل عروة، من بلدية الرباح؛ الذي يعمل طبيبا عاما في قسم الاستعجالات بحي الثامن ماي بالوادي التابع للمستشفى الكبير جيلاني بن عمر بالشط، كما أنه يمارس مهنة التطوع بالخطابة ويصلي التراويح بمسجد المراغنية بالرباح.

- الطالب عيساوي ابن بشير، من بلدية الرباح؛ الذي يعمل طبيبا مختصا في العظام، وهو الآن في الدويرة بالجزائر العاصمة.

- الطالب أحمد فرحات، من بلدية الرباح؛ الذي يعمل طبيبا عاما في مستشفى الرباح.

- الطالب الطاهر مانه، من بلدية الرباح؛ الذي يعمل طبيبا عاما في الدبيلة.

- الطالب عبد الحق حميداتو من بلدية النخلة. ولكن غير مسكنه وجميع أسرته، وهم الآن يقيمون رسميا ببلدية الرباح؛ الذي يشغل إماما مدرسا بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية الوادي؛ والذي عين إماما في أحد مساجد بلدية البياضة، والآن ذهب كمنتدب في فرنسا.

- الطالب محمد حاج سعد الذي يشغل منصب إمام أستاذ بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية تبسة، وبالضبط في قرية العقلة.

- الطالب رضا كركوبي، من بلدية الرباح، يشغل منصب مؤذن بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية الوادي؛ والذي عين بمسجد لزهر في بلدية الرباح، كما أنه قائم في ذات الوقت بشؤون الإمامة وصلاة التراويح، وتعليك القرآن الكريم.

الطالب خليفة كركوبي، من بلدية الرياح، يشغل منصب قيم بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية الوادي؛ والذي عين بمسجد القدس ببلدية الرياح.

- الطالب بلقاسم خالدي، من بلدية الرياح، يشغل منصب قيم بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية الوادي؛ والذي عين بمسجد الشعانية ببلدية الرياح.

- الطالب علي عروة، من بلدية الرياح، يشغل منصب قائم بالإمامة بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية الوادي؛ والذي عين بمسجد علي بن أبي طالب بحي البغازلية ببلدية الرياح.

- الطالب سالم حشيفة، من بلدية الرياح، وهو الآن يشغل دركيا بولاية غرداية.

- الطالب عبد العالي مانة، من بلدية الرياح، يشغل منصب أستاذ متوسط بالديلة.

- الطالب طاهر فرحات، من بلدية الرياح، يشغل منصب مدير متوسط ببلدية النخلة.

- الطالب عبد الكريم كهمان، من بلدية الرياح، يشغل منصب أستاذ ثانوي بمتقنة كركوبية ببلدية الرياح.

- الطالب حسن حشيفة، من بلدية الرياح، يشغل منصب معلم ببلدية الرياح، ونجح في مسابقة الدكتوراه في قسم الشريعة هذه السنة.

- الطالب زبير طهراوي، من بلدية الرياح، يشغل منصب إداري بالرياح.

- الطالب محمد طهراوي، من بلدية الرياح، يشغل منصب مراقب بمتقنة كركوبية ببلدية الرياح.

- الطالب علي طهراوي، من بلدية الرياح، خريج جامعي ويشغل منصب إدماج بالرياح.

- الطالب عبد الفتاح طهراوي، من بلدية الرياح، خريج جامعي ويشغل منصب إدماج بالرياح.

- الطالبة فاطمة عباة، من بلدية الرياح، تشغل منصب أستاذة ببلدية الرياح.

- الطالبة سمية طهراوي، من بلدية الرياح، تشغل منصب أستاذة ببلدية الرياح.

- الطالبة فطيمة حشيفة، من بلدية الرياح، خريجة جامعية وتشغل منصب إدماج بالرياح.

فهؤلاء بعض الطلبة الذين تخرجوا على يديه وهم حافظون لكتاب الله تعالى، وما زال غيرهم والمقام لا يسمح بالزيادة، ومن تبقى لا يقل عنهم شأنًا من حيث المكانة والأداء، ما يبرهن على النوع والكم الذي تمثل به طلبته.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث نستطيع القول بأننا أجبنا عن الإشكال الكبير، وتكلمنا عن جزئياته التي طرحناها في المقدمة، وغطينا بذلك جنبات العنوان الذي اخترناه لبحثنا، وعليه يمكن في هذا الخاتمة أن نحصل نتائج البحث.

نتائج البحث

أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا تتمثل في:

- 1 - أن التعليم القرآني في الوادي قديم ومستمر ومتواصل مع كل الأحوال والظروف، وهو في كل مناطق الولاية، ما يدل دلالة قاطعة على حب أهل الوادي للقرآن الكريم، وأنه بالنسبة إليهم جزءاً من شخصيتهم، لا يمكن الاستغناء عنه ولا التفريط فيه.
- 2 - كما أن جلّ، بل كل مناطق الولاية تمارس التعليم القرآني، سواء في المدارس الرسمية أو غير الرسمية، وسواء في المساجد أو في غيرها، وإن اختلفت الجهود، لكنها حركة عامة لا تستثني منطقة دون أخرى كما ذكرنا في العينات من المدارس والأعلام فقد رأينا كيف أن التعليم القرآني منتشر في ربوع المنطقة.
- 3 - هناك أعلام كثر في مجال التعليم القرآني، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، ولهم جهود طيبة وثمار يانعة أثمرت الكثير من الطاقات البارزة في المنطقة وفي مختلف المجالات والتخصصات، وقد أورثت عملية التعليم القرآني للأجيال، جيلاً بعد جيل، ولا تزال الجهود متواصلة والأعلام تبرز من جديد.
- 4 - كما أن الشيخ عبد الرزاق التامة من أولئك الأعلام البارزين في التعليم القرآني، وقد لاحظنا بأن له جهوداً مشكورة، وأعمال جليلة في التعليم القرآني ما يقارب الثلاث عقود ولا يزال يواصل المسيرة في نفس الطريق، وبالطريقة التقليدية المعهودة في المنطقة منذ القديم.

أهم التوصيات:

- 1 - الاهتمام بتدوين حياة هؤلاء الأعلام حتى لا تنسينا الأيام والتجاهل تلك الشخصيات التي كانت لها بصمة في الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والفكرية والثورية في المنطقة، وأقترح أن يكون المدون باسم "أعلام التعليم القرآني بالوادي".
- 2 - الاستفادة من تلك الجهود والخبرات المختلفة عبر المراحل التاريخية التي مرّ بها التعليم القرآني في المنطقة، واستثمارها في التعليم القرآني الحديث بما يقوم بالنهوض بالقرآن الكريم مجدداً وبصفة تتلاءم وتحديات العصر.
- 3 - عقد الندوات والمحاضرات والمؤتمرات والحصص الإذاعية للإشادة هؤلاء الأعلام الميت منهم والحيّ، وإبراز تلك الجهود التي بذلوها، حتى تكون حيّة يعايشها المجتمع، ويلمسها بيديه، ويراهها بعينه، وحينها تكون طريقاً ونبراساً تستضيء به الأجيال.

قواعد الترجيح عند الإمام عبد الحميد بن باديس في التفسير

الصادق ذهب

قسم دكتوراه التفسير والتشريع المقارن - جامعة الوادي

sadok.abouzayd@gmail.com

ملخص البحث

يَقُومُ هَذَا الْبَحْثُ بِدِرَاسَةِ: "قواعد الترجيح عند الإمام عبد الحميد بن باديس في التفسير". وَقَدْ انْتَبَى مِنْ ثَلَاثَةِ مَطَالِبَ، وَخَاتِمَةً، خُصِّصَ الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ لِدِرَاسَةِ حَيَاةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنِ بَادِيسَ وَكُتَابِهِ وَطَرِيقَتِهِ فِيهِ، ثُمَّ جَاءَ الْمَطْلَبَانِ الثَّانِي وَالثَّلَاثُ لِبَيَانِ أُمُثَلَةٍ لِقَوَاعِدِ التَّرْجِيحِ. وَقَدْ خُلِّصَ الْبَحْثُ إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ النَّتَائِجِ كَانَتْ مِنْ أَهَمِّهَا حُضُورُ الرَّأْيِ الشَّخْصِيِّ لِلشَّيْخِ ابْنِ بَادِيسَ فِي تَفْسِيرِهِ.

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَالَ لَهُ، وَمَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ: فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يَتَسَابَقُ إِلَيْهِ الْمُتَسَابِقُونَ، وَيَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ، مُدَارَسَةُ كِتَابِ اللَّهِ، فَهُوَ خَيْرٌ مَا صُرِفَتْ إِلَيْهِ الْهَمَمُ، وَأَعْظَمُ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانٌ، وَمُدَّ بِهِ قَلَمٌ، فَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَحْسَنِ بَيَانٍ وَأَجْمَلِ عِبَارَةٍ، وَأَبْلَغِ دَلَالَةٍ، غَيْرَ أَنَّ الْغَايَةَ الْعُظْمَى مِنْ إِنْزَالِهِ هِيَ تَدَبُّرُهُ، وَالْعَمَلُ بِمَقْتَضَى أَحْكَامِهِ، وَالاعتبار بقصصه وأخباره، والاستنارة بآياته ومعانيه، فهو كتاب هذه الأمة المباركة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وهو السبيل إلى عزّها ونصرها وسموها.

وقد ندب الله تعالى خلقه إلى فهمه وتدبر معانيه، فقال عزّ من قائل: ﴿ أَقْلًا يَتَذَكَّرُونَ أَلْفَرَقَانٌ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 81].

وقد اجتهد العلماء قديماً وحديثاً في تدبر كتاب الله، والغوص في بحور معانيه، فاستخرجوا منه درراً، واستنبطوا من آياته أحكاماً غُرراً، واستفادوا من مواعظه دروساً وعبراً، وإنّ من هؤلاء الأئمة الأعلام الذين خلفوا ميراثاً تفسيرياً مباركاً - مع أنّه لم يصنّف كتاباً في التفسير - الإمام المصلح: عبد الحميد بن باديس.

ونظراً لأهميّة ما سطره هذا الإمام الكبير من أقوال في التفسير؛ ارتأيت أن أدرس ظاهرة الترجيح في هذا التفسير القيم، وذلك باستخراج بعض قواعد الترجيح فيه، فجاء هذا البحث مؤسوماً بـ "قواعد الترجيح عند الإمام عبد الحميد بن باديس في التفسير من خلال

مجالس التذكير".

أولاً- أهميّة الموضوع: تبرز أهميّة الموضوع في:

- 1- كون هذا التفسير يمتاز بروح التّزعة الإصلاحية التي نحتاج إليها في واقعنا المعيش.
- 2- مكانة الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ بصفته أحد أعلام الوطن.
- 3- إنّ دراسة قواعد الترجيح عند المفسرين تُثري الملكة التّفسيرية لدى الباحث.
- 4- إنّ البحث في ترجيحات أحد العلماء يساعد الباحث على معرفة اختلافات المفسرين وتأويلاتهم ومناهجهم في الترجيح.
- 5- كون هذا العلم جديد عهد بالظهور، والبحث فيه يزيده بروزاً ووضوحاً.

ثانياً- إشكالية الموضوع:

كما هو معلوم أنّ هذا العلم- قواعد الترجيح عند المفسرين- لا يزال فتياً من الناحية التأسيسية كعلم قائم بذاته، وأنّ تفسير الشيخ ابن باديس يُعدّ من أهمّ التفاسير في العصر الحديث؛ لما له من قيمة علمية تميّز بها على غيره من التفاسير، فمن هذا المنطلق يمكن طرح الإشكال الآتي: ما مدى إعمال الشيخ عبد الحميد لقواعد الترجيح في تفسيره مجالس التذكير؟، وهذا هو السؤال الرئيس، وإلى جانبه أسئلة فرعية أخرى هي:

- 1- ما هو الفرق بين قواعد الترجيح وقواعد التفسير؟
- 2- ما هي الطريقة التي سلكها الشيخ في تفسيره؟

ثالثاً- أسباب اختيار الموضوع:

دعاني لاختيار هذا الموضوع أسباب كثيرة منها:

- 1- أهميّة الموضوع، وقد أشرتُ إليها آنفاً.
- 2- قيمة هذا التفسير في الساحة العلمية؛ إذ يُعدّ من الكتب المعتمدة في الإصلاح الاجتماعي والتربوي.
- 3- الفائدة العلمية المرجوة من هذه الدراسة، وهذه أمنيّة يتمناها كثير من طلبة العلم حيث تُمكن الطالب من قراءة الكتاب ودراسته دراسةً متأنيةً.
- 4- من باب ردّ المعروف لأهله، وإسداء الجميل لمن يستحقّه، ينبغي علينا- نحن معشر الطلبة الجزائريين- الوفاء ببعض حقوق الإمام علينا؛ لدوره الرائد في النهضة العلمية في هذا الوطن.
- 5- الرغبة الدّاتية لديّ والتي تتمثّل في دراسة تفسير من التفاسير الحديثة؛ لتحقيق الفائدة المرجوة من مقارنة ما كتبه غيره ممّن سبقه.

رابعاً- الدراسات السابقة للموضوع:

من خلال اطلاعي المتواضع على رسائل، ودراسات في مجال التفسير، لم أجد أحداً

تعرّض لدراسة قواعد الترجيح عند الشيخ ابن باديس في تفسيره "مجالس التذكير" بدراسة مستقلة، ولكن هناك كتابات أخرى لها صلة بالتفسير كموضوع للدراسة.

خامسا- خطة البحث:

الخطة النهائية لموضوع البحث، كانت كالآتي:

مقدمة: وفيها بيان لأهمية الموضوع، وطرح لإشكاليته، وذكر لأسباب اختياره، والدراسات السابقة له، وعرض لخطة النهائية.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ عبد الحميد بن باديس.

المطلب الثاني: التعريف بكتابه وطريقته فيه.

المطلب الثالث: ماهية قواعد الترجيح.

المطلب الرابع: أمثلة من قواعد الترجيح في تفسيره.

خاتمة: وفيها حصْرُ للنتائج التي توصل إليها البحث، وإعطاءً لمجموعة من التوصيات التي تزيد في خدمة الموضوع.

وختاماً أسأل الله أن يغفر لي ذنوبي وخطيئتي وعمدي وجدي وهزلي وكل ذلك عندي، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ عبد الحميد بن باديس

الفرع الأول: اسمه ومولده

أولاً- اسمه ونسبه:

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن محمد كحول بن الحاج علي النوري بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن بركات بن عبد الرحمن بن باديس الصنهاجي. أمّا والدته فهي زهيرة بن علي بن جلول من أسرة مشهورة في قسنطينة¹.

ثانياً- مولده:

وُلِدَ الشَّيْخُ عبد الحميد بن باديس يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني سنة 1307 هـ الموافق لـ 4 ديسمبر سنة 1889 م، على الساعة الرابعة بعد الظهر، بمدينة قسنطينة، وهو الولد البكر لأبويه².

1 ينظر: عمار طالبي، آثار ابن باديس، 73/1: وموقع الشيخ ابن باديس على النت:

<http://www.binbadis.net>، تاريخ الاطلاع: 20/04/2015، على الساعة: 06:57.

2 ينظر: عبد العزيز فيلاي، وثائق جديدة من جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، ص9.

الفرع الثاني: حياته العلميّة ونشاطه الإصلاحي

أوّلا- حياته العلميّة:

كانت الدروس الأولى التي تلقّاها ابن باديس هي حفظ القرآن الكريم، حيث أتمّ حفظه وعمره لم يتجاوز الثلاث عشرة سنة، ثمّ انتقل للدراسة على الشيخ حمدان الونيسي¹ حيث تلقّى على يديه علوم اللّغة والفقه والحديث.

وفي سنة 1908م² سافر إلى تونس ليُكمل تعليمه ويوسّع معارفه، وسنّه إذ ذاك تسعة عشر عاما، فانتسب إلى جامع الزيتونة، وعُرف في دراسته بالجدّ والنشاط، وبعد ثلاث سنوات من الجدّ والاجتهاد، تخرّج بشهادة التّطويع سنة 1910-1911م وعمره ثلاث وعشرون سنة، حيث كان ترتيبه الأوّل بين جميع الطلبة النّاجحين، كما كان الطالب الجزائريّ الوحيد الذي تخرّج من الزيتونة في تلك الدورة، فعلم سنة واحدة في جامع الزيتونة على عادة المتخرّجين في ذلك الوقت³.

ثانيا- نشاطه الإصلاحي:

عندما رجع ابن باديس إلى قسنطينة سنة 1913م انتصب بالجامع الأخضر للتدريس والدّعوة للإصلاح، فكان يقوم بالقاء 12 درسا يوميا، حيث ابتكر طريقة جديدة لتفسير القرآن الكريم.

وإلى جانب اجتهاده في الحقل الإصلاحيّ فتح واجهة جديدة للكفاح القلبيّ، فأنشأ بقسنطينة جريدة "المنتقد" سنة 1925م، قامت بحملات صادقة ضدّ سياسة فرنسا التعسّفية فأوقفوا نشاطها، وخلفتها جريدة "الشّهاب" شهر نوفمبر سنة 1925م، ثمّ تطوّرت إلى مجلّة سنة 1926م، وبعدها برزت جريدة "السّنة" سنة 1933م فأوقفوا نشاطها، لتصدر بعد 12 يوما جريدة "الشّريعة" فعطلّتها الإدارة الفرنسيّة، وخلفتها جريدة "السّراط" عام 1933م⁴.

ولا ننسى نادي التّرقّي بالجزائر الذي استطاع ابن باديس النشاط من خلاله، حيث تمّ تأسيس "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين" عام 1931م في اجتماع حضره العديد من

1 هو: محمد حمدان الونيسي، عالم، من زعماء حركة القومية الاسلامية في الجزائر، وأستاذ عبد الحميد بن باديس. من أهل قسنطينة، درس بها، ثم هاجر الى الديار المقدسة بعد إعلان الدستور العثماني سنة 1908 م واستقر بالمدينة المنورة إلى أن توفي بها سنة عشرين وتسعمائة وألف. (عادل نويمض، معجم أعلام الجزائر، ص346).

2 ذكر فيلالي أنّ سفر الشيخ ابن باديس إلى تونس كان سنة 1910م. (عبد العزيز فيلالي، وثائق جديدة من جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، ص15).

3 ينظر: أحمد حماني، صراع بين البدعة والسنة، 246/1.

4 ينظر: مفدي زكريّا، الذكريّ العشرون لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، (مقال)، ص 78، 79.

علماء القطر الجزائريّ ومن شتّى الاتجاهات الدينيّة والمذهبيّة، وانتُخب الشّيخ ابن باديس رئيساً لها والبشير الإبراهيمي نائباً له¹.

الفرع الثالث: شيوخه وتلاميذه

أوّلا- شيوخه:

تتلمذ ابن باديس مباشرة على أكثر من 20 أستاذا من الجزائر وتونس والمدينة المنورة ومصر نذكر منهم²: محمد النخلي القيرواني (ت1924م)، ومحمد الطاهر بن عاشور (ت1973م)، ومحمد الخضر بن الحسين (ت1958م)، وحسين أحمد الفيض أبادي الهندي (ت1957م)، ومحمد بخيت المطيعي (ت1936م).

ثانيا- تلاميذه:

نذكر منهم: مبارك الميلي (ت1945م)، والفضيل الورتلاني (ت1959م)، والهادي السنوسي (ت1956م)، وأحمد حماني (ت1998م).

الفرع الرابع: وفاته وأثاره

أوّلا- وفاته:

توفيّ الشّيخ عبد الحميد بن باديس بُعيد زوال يوم الثلاثاء 8 ربيع الأول 1359هـ، الموافق لـ 16 أفريل 1940م، وشيّعت جنازته يوم الأربعاء في موكب حافل حضره زهاء السّبعين ألف شخص، ودُفن في روضة أسرته بحيّ الشهداء قرب مقبرة قسنطينة³.

ثانيا- آثاره:

هذا ما أمكن استخلاصه:

1- تفسير ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: الذي طُبِع ونُشر سنة 1948م.

2- مجالس التذكير من حديث البشير النذير: طبعته وزارة الشؤون الدينية بالجزائر سنة 1983م⁴.

3- العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة: وهي عبارة عن الدروس التي كان يُلمّها الأستاذ ابن باديس على تلاميذه، في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن والسنة النبويّة على الطريقة السلفيّة.

4- رجال السّلف ونسأؤهم: وهي مجموعة من المقالات ترجم فيها ابن باديس لبعض

1 ينظر: المرجع السابق، ص79.

2 ينظر: عبد العزيز فيلاي، وثائق جديدة من جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، ص12.

3 ينظر: حمد الدزاجي، الشّيخ عبد الحميد بن باديس السلفية والتجديد، ص17.

4 ينظر: مصطفى احميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ص81.

الصحابة رضوان الله عليهم نُشرت تلك التراجم في مجلة الشَّهاب.
5- تحقيق كتاب العواصم من القواصم للإمام ابن العربي¹، وقَدَّم له وطبعه سنة 1928م، في جزءين بمطابع الشَّهاب بقسنطينة.
6- القصص الهادف.

7- آثار ابن باديس: قامت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر بجمع كثير ممَّا حوته صحافة الجمعية من نشاطات الإمام عبد الحميد بن باديس². أمَّا باقي الآثار الأخرى فقد نشرت كلها في شكل مقالات ومحاضرات وخطب وقصائد شعرية في صحف "الشَّهاب"، و"البصائر"³.

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب وطريقة الشيخ فيه

الفرع الأول: تعريف موجز بالكتاب

أولاً- اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلِّف:

اسم التفسير: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير؛ وذلك لأُمور منها:

- 1- قد جاء في خطبة الافتتاح لدروس التفسير في مجلَّة الشَّهاب قول الشيخ مصرِّحاً باسم التفسير وذلك في قوله: "فقد عدنا - والحمد لله تعالى - إلى مجالس التذكير..."⁴، ثمَّ عند ابتداء التفسير جعل عنواناً وهو: "من كلام الحكيم الخبير وحديث البشير النذير..."⁵.
- 2- ذكر البشير الإبراهيمي أنَّ الشيخ عبد الحميد كان يضع هذا العنوان لما يكتبه في تفسير بعض الآيات، ويجعله فوائح لأعداد مجلَّة (الشَّهاب)⁶.

ثانياً- مصادره في التفسير:

من خلال كلام الشيخ في خطبة الافتتاح لدروس التفسير، تبين أنَّ هناك مصادر رئيسة اعتمد عليها في تفسيره، وأخرى فرعية، وهي كالآتي:

1- المصادر الرئيسية:

أ- تفسير ابن جرير الطَّبْرِيّ: الذي يمتاز بالتفاسير النقليَّة السلفيَّة، وبأسلوبه الترسلي

1 هو: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، أبو بكر، المعروف بابن العربي. حافظ متبحر، وفقهه، من أئمة المالكية. أخذ عن أبي بكر الطرطوشي، وأخذ عنه القاضي عياض، له تصانيف عديدة منها: "عارضة الأحوزي شرح الترمذي"، توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. (ابن فرحون، الديباج المذهب، 252/2).

2 ينظر: مصطفى احميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ص81.

3 ابن باديس، مجالس التذكير، 39/1.

4 ينظر: ابن باديس، مجالس التذكير، اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبد الرحمن محمود، ط1، 1430هـ، 2009م، ج1، ص92، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر.

5 ينظر: المرجع نفسه، ص51، ط: 1402هـ، 1982م، وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، الجزائر.

6 ابن باديس، مجالس التذكير، ج1، ص15.

البليغ في معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.
ب- تفسير الكشاف: الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب، واستعمالها أفانين الكلام.
ج- تفسير أبي حيان الأندلسي: الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه للقراءات.

د- تفسير الرازي: الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، ممّا يتعلّق بالجماد والنّبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية، ومقالات الفرق، والمناظرة والحجاج في ذلك.

2- المصادر الفرعية:

وهي التي أشار إليها بقوله: "إلى غير هذا ممّا لا بدّ لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها ممّا يقتضيه المقام"¹، ومن هذه المصادر:
أ- كتب اللغة: منها: لسان العرب، ومختار الصحاح، وكتاب الكلّيات...
ب- كتب الحديث: منها: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والموطأ...
ج- كتب التفسير: منها: أحكام القرآن لابن العربي، والجصاص، وتفسير النيسابوري...
خامسا- مميّزات الكتاب:

امتاز الكتاب بعدة أمور أبرزها:

- 1- عدم الخوض في بحر المسائل الخلافية التي لا ينبغي عليها عمل ولا فائدة علمية.
- 2- امتاز بأسلوبه السلس وعباراته الواضحة في تفسيره لمعاني الآيات.
- 3- استدلاله بمن خالفه في الرأي إذا أصاب الحق.
- 4- ربط هدايات التنزيل بواقع المسلمين ومشاكلهم الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها ممّا له علاقة بحياة المسلمين.
- 5- اجتنابه الأسلوب المباشر في الردّ على مخالفيه؛ وذلك باستعماله الخطاب العام والتلميح.
- 6- امتاز تفسير الشيخ بذكره للمناسبات التي تجعل القارئ لا يخرج عن السياق المعنوي للآية.

سادسا- المؤاخذات على الكتاب:

تفسير الشيخ عبد الحميد كغيره من التفاسير من حيث المميّزات والمآخذ، فهذه طبيعة العمل البشري، ومن المؤاخذات على الكتاب:

- 1- عدم التزامه بمنهجية مطّردة في وضعه لعناوين الدراسة في تفسيره.

¹ ينظر: المرجع السابق، ط: وزارة الشؤون الدينية، ص 41.

2- أحيانا يؤخّر معنى الآية، أو يذكر المعنى تحت عنوان آخر، وهذا فيه نوع من الصّعوبة على القارئ للتفسير.

3- أحيانا يذكر القول ولا يذكر صاحبه.

الفرع الثاني: طريقة الشيخ ابن باديس في التفسير

كانت طريقة الشيخ عبد الحميد في التفسير سهلة خالية من الجدلية المطوّلة، والآراء المتضاربة، وتتّصف طريقته بالوضوح التّام، خصوصا وأنّ غرضه من التفسير كان إصلاحيا، مراعيًا فيه أحوال النّاس ومشاكلهم، مع تعيين وجهة الخطاب دون التّحليق بالقراء والسّامعين بعيدا عن حاجيات ومقتضيات العصر.

بعد هذا الوصف العامّ لطريقة الشيخ في تفسيره سأذكر ملخصًا أبين فيه هذه الطّريقة، وذلك عبر الخطّوات التي اعتمدها الشيخ غالبا في تفسيره، وتتمثّل فيما يلي: أولاً- تمهيد: يجعل القارئ به مهياً لفهم النّص المراد تفسيره¹.

ثانيا- المناسبة: وذلك حتّى يبيّن للقارئ وجوه الارتباط بين الآيات في سباقها ولحاقها².

ثالثا- سبب التّزول: وذلك لأنّه من الأمور المساعدة على فهم النّص³.

رابعا- الألفاظ⁴ أو المفردات⁵: يشرحها بأرجح معانها اللّغويّة، ليحول غموضها، ويسهل فهمها.

خامسا- التّراكيب: يحملها على أبلغ الأساليب البيانيّة، فتبرز بذلك المفاهيم الرّئيسة الواردة في الآية أو الآيات التي اختارها⁶.

سادسا- المعنى⁷ أو التفسير⁸: يبيّن فيه المعنى الإجماليّ للنّص القرآنيّ؛ ليحصل به عند القارئ تمام الفهم دون أيّ غموض.

سابعا- الأحكام: يستخرج من النّص القرآنيّ الفوائد المكنونة، والجّكم، والقيم الدّينيّة، والدنيويّة⁹.

وهناك عناوين أخرى فرعيّة أحيانا يذكرها الشيخ؛ وذلك حسب الآيات التي يتعرّض

¹ ينظر: ابن باديس، مجالس التذكير، اعتنى به وخرج أحاديثه وأثاره: أبو عبد الرحمن محمود، ط1، 1430هـ، 2009م، ج1، ص362، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر.

² المرجع نفسه، ج1، ص367.

³ المرجع نفسه، ج1، ص373.

⁴ المرجع نفسه، ج1، ص306.

⁵ المرجع نفسه، ج1، ص294.

⁶ المرجع نفسه، ج1، ص295.

⁷ المرجع نفسه، ج1، ص302.

⁸ المرجع نفسه، ج1، ص406.

⁹ المرجع السابق، ج1، ص424.

لتفسيرها، ومن بين هذه العناوين:

استنتاج، التطبيق أو الفائدة العملية، نصيحة، عبرة وتحذير، إرشاد، تنزيل، اهتداء، اقتداء، عقيدة، سلوك، بيان واستشهاد، ترهيب، تعليل،... وغيرها من هذه العناوين المختلفة والمتنوعة.

المطلب الثالث: ماهية قواعد الترجيح

الفرع الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي

أولاً: قواعد في اللغة: القاعدة: أصلُ الأسّ، والقواعدُ: الأساسُ، وقواعدُ البَيْتِ أساسه. وفي التَّنْزِيلِ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: 126].¹ وَقَوَاعِدُ الْهُدُجِ: خَشَبَاتٌ أَرْبَعٌ مُعْتَرِضَاتٌ فِي أَسْفَلِهِ.²

واصطلاحاً: لقد عرّف العلماء القاعدة في الاصطلاح بعدّة تعاريف، نذكر أهمّها مع بيان الملاحظ عليها:

- 1_ "القاعدة: اصطلاحاً: قضية كليّة من حيث اشتغالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمى فروعا، واستخراجها منها تفريعا، كقولنا كل إجماع حق"³.
- 2_ "القاعدة هي قضية كليّة منطبقة على جميع جزئياته"⁴.
- 3_ "القاعدة حكم كليّ ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه"⁵.
- 4_ "هي حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته"⁶.

وهذه المعاني الاصطلاحية التي ذكرها العلماء في تعريف القاعدة تنقسم إلى قسمين: فمنهم من قال: بأنّ "القاعدة حكم كليّ"، ومنهم من قال: "بأنّ القاعدة هي حكم أغلبي": فأما الذين قالوا: هي حكم كليّ؛ فلأنّ شأن القواعد أن تكون كليّة⁷ وأنّ الفرع أو الفروع الفروع المخرّجة منها ليست داخلّة فيها، إذ هي كليّة بالنسبة إلى غير تلك الفروع المخرّجة

1 ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج3، ص361، حرف الدال المهملة، فصل القاف.

2 ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، ج5، ص109، كتاب القاف، (باب القاف والعين وما يثُلُمَا)، ط: 1399هـ - 1979م، دار الفكر.

3 ينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ت: عدنان درويش و محمد المصري، ص 728، مؤسسة الرسالة، بيروت.

4 ينظر: معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت: محمد الصديق المنشاوي، باب القاف، ص117، ص117، دارالفضيلة، القاهرة.

5 ينظر: شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين التفتازاني، ج1، ص34، مكتبة صبيح بمصر.

6 ينظر: المدخل الفقهي العام، مصطفى الزرقا، ج2، ص965، دار القلم، دمشق، ط1، 1318هـ-1998م.

7 ينظر: شرح الكوكب المنير، أبو البقاء محمد بن علي الفتوح، ت: محمد الزحيلي و نزيه حمادج1، ص30، ط2، 1418هـ، 1997م، مكتبة العبيكان.

منها، فالدليل الذي أخرج هذا الفرع أو الفروع منها، خصصنا بما وراءه من فروع¹.
وأما الذين قالوا: هي حكم أغلبي؛ فلأن القاعدة لا تنطبق على جميع الجزئيات في كل قاعدة، وإنما هي حكم أغلبي، ذلك أن كثيراً من القواعد تشدّ عنها بعض المسائل فتعدّ مُستثناة منها ولا يقدح ذلك في كونها قاعدة، وبذلك صار الحكم أغلبياً².
ثانياً: الترجيح في اللغة: قال ابن منظور: من رَجَحَ الشَّيْءُ يَرْجَحُ إِذَا ثَقُلَ³، وفي مقاييس اللغة: يُقَالُ: رَجَحَ الشَّيْءُ، وَهُوَ رَاجِعٌ، إِذَا رَزَنَ، وَهُوَ مِنَ الرُّجْحَانِ⁴.
واصطلاحاً: هو (تقوية إحدى الأمرتين على الأخرى لدليل)، ولا يكون إلا مع وجود التعارض⁵. وفي موضوعنا هذا: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه⁶.

وقواعد الترجيح كمركب إضافي: هي ضوابط وأمر أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى⁷.

الفرع الثاني: موضوعها وغايتها

أولاً: موضوعها: هو أقوال المفسرين المختلفة في تفسير كلام الله تعالى.
ثانياً: غايتها: معرفة أصح الأقوال وأولها بالقبول في تفسير كتاب الله تعالى، ومن ثمّ العمل اعتقاداً إن كانت من آيات العقيدة، وعملاً بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العملية...إلى غير ذلك.
وغايتها كذلك تصفية كتب التفسير ممّا علّق ببعضها من أقوال شاذّة أو ضعيفة أو

1 ينظر: كتاب القواعد، تقي الدين الحصني، ت: عب الرحمن بن عبد الله الشعلان، ج1، ص23، ط1، 1418هـ، 1997م، مكتبة الرشد- الرياض.

2 ينظر: قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشيخ عبد الرحمن السعدي، "القواعد الحسان"، و"تيسير الكريم الرحمن" نموذجاً، ص56، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إعداد: هشام شوقي، إشراف: منصور كافي، 2010/2009م قسم أصول الدين، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

3 ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص177، حرف النون، فصل الراء، ط3، 1414هـ، دار صادر- بيروت.

4 ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج2، ص489، كتاب الراء، (بابُ الرّاءِ وَالْجِيمِ وَمَا يَتْلُوهُمَا).

5 ينظر: شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء المعروف بابن النجار الحنبلي، ت: محمد الزحيلي ونزيه ونزيه حماد، ج4، ص616، ط2، 1418هـ - 1997م، مكتبة العبيكان.

6 ينظر: منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح، حسين علي الحربي، ص51، ط1، 1429هـ، 2008م، دار الجنادرية، الأردن- عمان.

7 ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين علي الحربي، ج1، ص39، ط1، 1417هـ، 1996م، دار القاسم، الرياض.

مدسوسة لمذهب عقدي ونحو ذلك¹.

الفرع الثالث: أنواع الخلاف المؤدية للترجيح²

مما ينبغي العلم به العلم بالتفسير الذي أجمع عليه العلماء فهو أصح وأعلى أنواع التفسير كإجماعهم على تفسير اليقين في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] بأنه الموت كما نقل هذا ابن القيم³.

ونحوها من الآيات التي اتفق السلف على تفسيرها وذلك بتنصيب أحد الأئمة، وحكايته لهذا الإجماع، وعدم العلم بالمخالف.

والترجيح يكون في الآيات المختلف في تفسيرها؛ لأن ما لم يقع فيه خلاف خارج عن موضوع البحث، ولا يخلو هذا الخلاف من حالات أربع:

1- أن تكون جميع الأقوال محتملة في الآية وبقوة الاحتمال نفسها أو قريبا منه، ومن نصوص القرآن والسنة ما يشهد لكل واحد منها.

فهذا الخلاف محتمل وكل الأقوال فيه حق ولا يدخله ترجيح لكون الأقوال صحيحة وجميعها مراد من الآية والقرآن يشهد لكل واحد منها فلذلك هو خارج عن موضوع هذا البحث إذ يستقيم حمل الآية على كل قول منها وليس بعضها أولى من بعض.

2- أن تكون الأقوال متعارضة مع بعضها يتعذر حمل الآية عليها جميعا فلا بد أن يكون المراد أحدها، وغالب ذلك في المشترك والمتواطئ المراد به أحد النوعين.

3- أن تكون الأقوال ليست متعارضة مع بعضها، وإنما يكون بعضها معارضا لدلالة آيات قرآنية أو لنصوص صحيحة من السنة أو لإجماع الأمة.

4- أن تكون الأقوال المختلفة في الآية محتملة وليس بينها تعارض غير أن بعضها أولى من بعض لكون القرآن ودلالة ألفاظه تشهد لقول دون غيره، أو السنة تشهد لأحدهما أو لغة العرب أو قرائن في السياق أو أسباب آخر تقضي بتقديم أحد الأقوال وهذا ما يسعى بتقديم الأولى.

الفرع الرابع: العلاقة بين قواعد الترجيح وبين ما يتصل بها من أصول التفسير

أولا: الفرق بين القواعد القرآنية وبين قواعد الترجيح:

لمعرفة الفرق بين قواعد الترجيح وبين القواعد القرآنية، لا بُدَّ من تعريف القواعد القرآنية؛ ليتبين الفرق بينهما:

1 ينظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، ص12، ط1، 1429هـ، دار ابن الجوزي.

2 هذا الفرع مختصر من كتاب قواعد التفسير للحربي، ج1، ص41-52.

3 ينظر: مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، ابن القيم الجوزية، ج1، ص117، ط1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

فقواعد الترجيح قد سبق تعريفها، وأمّا القواعد القرآنية، فهي: "أحكام كلية قطعية، مُستخرجة من نصوص القرآن"¹، فيلاحظ وجود اجتماع وافتراق بينهما: فأما مواطن الاجتماع ففي كونهما "أحكاما كلية"، وأمّا مواطن الاختلاف، فيمكن إجمالها في الآتي:

- 1_ أن القواعد القرآنية قطعية الثبوت والدلالة، بخلاف قواعد الترجيح: أي أن حكمها مقطوع به، فلا يتطرق إليه الظن في أصل بنيتها؛ لأنها مأخوذة من كلام الله تعالى، فهو حق متيقن؛ وإنما يتطرق الظن فيما يدخله المتأمل من أفراد تلك القاعدة.
- 2_ أن مادة القواعد القرآنية من الآيات القرآنية، بخلاف قواعد الترجيح: لأن صياغتها وتحرير ألفاظها مأخوذة من الآيات القرآنية، وليست من قبيل الاجتهاد كقواعد الترجيح.
- 3_ أن القواعد القرآنية، لا تحتاج إلى تأمل واستنباط كالذي تحتاجه قواعد الترجيح.
- 4_ أن القواعد القرآنية لا تحتاج إلى كبير جهد في كيفية الاستفادة منها، بخلاف قواعد الترجيح، فهي تحتاج إلى جهد للاستفادة منها، والله تعالى أعلم.²

ومن أمثلة القواعد القرآنية: قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، و﴿وَلَا تَنسُوا الْقُرْآنَ يَنْتَكُمْ﴾ [البقرة: 237]، و﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

ثانيا: الفرق بين قواعد التفسير وبين قواعد الترجيح:

إن معرفة الفرق بين هذين المصطلحين يتطلب منا التعريف بهما، أمّا قواعد التفسير فهي: "الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم، ومعرفة كيفية الاستفادة منها"³. وأمّا قواعد الترجيح فقد عُرُفت سابقا.

والملاحظ أن التداخل بين المصطلحين يجعل التفريق بينهما من الصعوبة بمكان، ولهذا السبب يجدر بنا العلم بأن قواعد التفسير قد قسمها أهل الاختصاص إلى قسمين:

1- قواعد عامة يستفاد منها في فهم القرآن: وهي القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن ابتداء عند تفسير الآية.

2- قواعد ترجيحية يستفاد منها في الموازنة بين الأقوال: وهي القواعد التي يتوصل بها إلى معرفة الراجح من المرجوح في الأقوال المختلفة في التفسير، فاستعمالها إنما يكون في حال الخلاف في تفسير الآية.

إذن: فالقواعد التي يعتمد عليها المفسر ابتداءً هي قواعد التفسير، والقواعد التي يعتمد عليها المرجح في الآراء التفسيرية المختلفة هي قواعد الترجيح، فيلاحظ أن القضية هنا

1 ينظر: قواعد قرآنية، 50 قاعدة قرآنية في النفس والحياة، عمر بن عبد الله المقبل، ص11، ط2، 1432هـ، 2011م، الرياض.

2 ينظر: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، ص 906، (بتصرف).

3 ينظر: قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد بن عثمان السبت، ج 1، ص30، دار ابن عفان.

اصطلاحية، فقد تكون القاعدة الواحدة قاعدة تفسير وقاعدة ترجيح، فعندما يفسر مفسر آية أو سورة فهو بلا شك يركن إلى مجموعة من الأصول والقواعد - التي سميناهم قواعد التفسير -، فإذا ما أخلّ بهذه القواعد سيحاكمه مفسر آخر، وسيعتمد في هذه المحاكمة الترجيحية إلى قواعد، هذه القواعد نسميها قواعد الترجيح.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ألا نستطيع أن نعدّ قواعد التفسير قواعد للترجيح؟ فالجواب نعم نستطيع ذلك، لكننا عندما نسلّك منهج التفسير نعدّها قواعد التفسير، وعندما نرجح نسميها قواعد الترجيح، ومن ثمّ فإنّ لهذه القواعد اعتباران:

الاعتبار الأول: (التفسير)، والاعتبار الثاني: (الترجيح)، فإذا وضعناها في منهج التفسير سميناهم قواعد التفسير، وإذا وضعناها في منهج الترجيح سميناهم قواعد الترجيح، فالمسألة عائدة للمنهج، وبالمثال يتضح المقال، الكاتب الذي يعتمد قواعد اللغة والنحو والصرف والإملاء في كتابة مقال ما نسميه كاتباً، والمدقق الذي يدقق المقال ويعتمد القواعد نفسها في اللغة والنحو والصرف والإملاء نسميه مدققاً، فالأول سميناه كاتباً لأنه كتب ابتداءً، والثاني سميناه مدققاً لأنه دقق بعد الكتابة، وكذلك الأمر الذي نحن فيه، والله أعلم¹.

ويدعم هذا القول ما ذكره الحريّ في مقدمة كتابه: وذلك عند سرده لمعالم منهجه فيه بقوله: "ثالثاً: جعلت كلّ مطلب من مطالب هذه الرسالة يمثّل قاعدة أصلية وما يلحق بها من قواعد متفرقة عنها أو داخلية تحت مضمونها. وبعض هذه القواعد الترجيحية قواعد تفسيرية، تُفسّر بها آيات التنزيل ابتداءً"، ثمّ بيّن سبب ذكرها فقال: "وذكرتها هنا لمخالفة بعض الأقوال، فهي تفسيرية من حيث إنه ينبغي أن تُفسّر الآية بها ابتداءً، وترجيحية من حيث النظر بها بين الأقوال المختلفة في التفسير، فهي تفسيرية من وجه، وترجيحية من وجه آخر"².

ثالثاً: الفرق بين قرائن الترجيح وقواعد الترجيح:

قبل أن نتطرّق إلى الفرق بين قواعد وقرائن الترجيح يجدر بنا معرفة المراد من هذا الأخير.

لم أجد في حدود بحثي من عرف قرائن الترجيح في التفسير؛ لذا حاولت - مستعيناً بالله - وضع تعريف لهذا المركّب من خلال الاطلاع على قرائن الترجيح في الفنون الأخرى، وهو كالآتي:

قرائن الترجيح: هي كل أمانة ظاهرة يُتوصّل بها إلى الترجيح بين الأقوال المختلفة في

¹ ينظر: مشاركة في ملتقى أهل التفسير، من طرف أحمد الفقيه في موضوع بعنوان: مدارس حول قواعد التفسير وقواعد الترجيح، بتاريخ: 1432/03/18 هـ، 2011/02/21 م، على الساعة: 09:44 صباحاً، (بتصرف).

² ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين علي الحري، ج 1، ص 13.

التفسير، وتكون غير مطّردة. والله أعلم.

والفرق بين القرائن والقواعد الترجيحية يكمن فيما يلي:

1- أنّ القرينة لا تكون مطّردة، أمّا القاعدة فتكون عكس ذلك.

2- إمكانية تعدد القرائن في الترجيح بين الأقوال المختلفة في الآية الواحدة، وهذا لا يكون في القاعدة الترجيحية.

المطلب الرابع: من أمثلة قواعد الترجيح في تفسير ابن باديس

القاعدة الأولى: القول بالاستقلال مقدّم على القول بالإضمار، فالأصل عدم التّقدير بيان صورة القاعدة:

إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى، وكان اختلافهم حول التقدير في الكلام، وعدمه؛ أي هناك من يرى افتقار الكلام إلى تقدير، ومنهم من يرى استقلال الكلام وعدم احتياجه إلى ذلك التقدير، والمعنى مستقيم بدونه، فحمل الآية على الاستقلال أولى؛ لأجل موافقته الأصل¹.

تطبيق الإمام ابن باديس للقاعدة:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ وَالتَّهَارَ آيَاتٍ﴾ [الإسراء:12]. اختلف المفسرون في المراد من لفظ:

(ءايتين) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ وَالتَّهَارَ آيَاتٍ﴾، والمراد من لفظ: (ءاية) من قوله تعالى:

﴿فَحَوَّنَا آيَةَ الْيَلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ التَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ إلى أربعة أقوال هي كالآتي:

القول الأول: أن يكون المراد في الموضعين نفس اللَّيْلِ والتَّهَارِ، وإضافة في: ﴿آيَةَ الْيَلِ﴾

و﴿آيَةَ التَّهَارِ﴾ للتبيين كإضافة العدد للمعدود².

القول الثاني: أن يكون المراد في الموضعين الشَّمْس والقمر، ﴿فَحَوَّنَا آيَةَ الْيَلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ

التَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ على تقدير مضاف في الأول، أو في الأخير³.

القول الثالث: أن المراد في الموضعين الشَّمْس والقمر⁴.

القول الرابع: أن المراد من لفظ: (ءايتين) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ وَالتَّهَارَ آيَاتٍ﴾

1 ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية، حسين الحربي، ج2، ص421، ط1، 1417هـ، 1996م، دار القاسم، الرياض، السعودية.

2 ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج3، ص442، ط1، 1422هـ، 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت.

3 ينظر: الزمخشري، الكشاف، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج3، ص498، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.

4 ينظر: السمرقندي، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج2، ص262، ط1، 1413هـ، 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت.

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، والمراد بـ من لفظ: (ءَايَة) من قوله تعالى: ﴿فَحَوَّنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، الشَّمْسُ والقمر.

ترجيح ابن باديس:

اختار الشيخ عبد الحميد التفريق في المعنى بَيْنَ الْمُؤْضِعِينَ؛ ففسّر (الآيتين) في الموضع الأول بالليل والنهار، وفسّر (الآية) في الموضع الثَّانِي بالشَّمْس والقمر، فقال في تفسيره- بعد أن ذكر القولين الأول والثاني-: "وأما على تقديرنا المتقدم¹ فَإِنَّ ﴿ءَايَتَيْنِ﴾ صادق على اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. ولفظ ﴿ءَايَةُ اللَّيْلِ﴾ و﴿ءَايَةُ النَّهَارِ﴾ صادق على الشَّمْس والقمر. وعليه يكون تقدير الآية هكذا: (وجعلنا الليل والنَّهار آيتين فمحونا قمر الليل وجعلنا شمس النهار مبصرة)²."

ثمَّ رَجَّحَ قائلا: "وهو تقدير صحيح لا معارض له من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، وسالم من دعوى تقدير محذوف، ومفيد لكثرة المعنى بأربع آيات: بالليل وقمره، والنَّهار وشمسه. فالتقدير به أولى، ولذلك فسّرنا الآية عليه"³.

تبين لنا من خلال كلام الشيخ في تفسيره للآية، أَنَّهُ استخرج معناها دون أيّ تقدير في الكلام، وذلك فيه إفادة لمعاني كثيرة، وحمل الآية على المعنى الكثير في القرآن أولى من حملها على المعنى القليل⁴.

القاعدة الثانية: إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قُدِّمَت الشَّرْعِيَّة

بيان صورة القاعدة:

إذا دار كلام الشارع بين مسعى شرعيّ ومسعى لغويّ، ولا دليل يعيّن أحدهما، فيجب حمله على المسعى الشرعيّ؛ لأنَّه عرفه، ويجب أن يُحمل كلام كلِّ أحد على عرفه الخاصّ به، فإن قام دليل على تعيين أحدهما فلا ترجيح إذاً بهذه القاعدة⁵.

تطبيق الإمام ابن باديس للقاعدة:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:79]

حاصل اختلاف المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ على قولين⁶

1 حيث ذكر الاحتمالين، الأول والثاني.

2 ينظر: ابن باديس، مجالس التذكير، ج 1، ص 155.

3 ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 155.

4 ينظر: ابن العثيمين، تفسير القرآن الكريم، سورة النساء، ج 1، ص 21، دار ابن الجوزي، السعودية.

5 ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، ج 2، ص 155.

6 ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج 6، ص 70، ط 1،

1422هـ، 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

القول الأول: أي فريضة لك زائدة على الصلوات الخمس.

القول الثاني: أي تطوعاً وزيادة على الفرائض.

أصحاب القول الأول أعملوا الحقيقة اللغوية لكلمة (نافلة) بمعنى الزيادة مطلقاً، فحاصل قولهم أن قيام الليل في حق النبي ﷺ فريضة زائدة عن الصلوات المفروضة المشار إليها في الآية السابقة.

أما أصحاب القول الثاني فأعملوا الحقيقة الشرعية لكلمة (نافلة) بمعنى التطوع لا الفرض، فحاصل قولهم أن قيام الليل في حق النبي ﷺ غير مفروض مثله مثل باقي أُمته.

اختيار ابن باديس:

رجح الشيخ عبد الحميد في تفسيره معنى النافلة في الآية: أنها التطوع والزيادة، فقد قال في مجالسه مبيناً المعنى اللغوي لكلمة النافلة: "(النافلة) قال الجوهري¹: «هي عطية التطوع من حيث لا تجب، ومنه نافلة الصلاة»، أي أن الصلاة مؤداة على وجه التطوع دون الوجوب، فلذا قيل فيها: نافلة. وهي على كلام الجوهري بمعنى الشيء الزائد: فهي اسم غير مصدر. قال أبو البقاء² وغيره: النافلة الزيادة، فهي مصدر كالعاقبة"³.

ثم ذكر الشيخ في الآية أربعة مسائل؛ حيث قال في الثانية: "هل كان قيام الليل فرضاً عليه ﷺ دون أُمته، بمقتضى قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾"⁴، وقد ردّ الشيخ هذا القول لوجوه:

1- أن توجيه الخطاب إليه لا يقتضي تخصيص الحكم به كما في آية: ﴿أَقِمِ

الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء:78]، وآيات كثيرة.

2- لأن قيام الليل يقع من غيره فيسمى نافلة اتفاقاً.

3- لحديث عائشة رضي الله عنها: «فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ

السُّورَةِ- تعني سورة المزمل، وهي مَكِّيَّة ﴿فَرَأَيْتَ﴾ [المزمل:2]- فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتَمَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرَضِهِ»⁵.

1 هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، إمام في النحو واللغة والصرف، أخذ عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وغيرهما، صنف الصحاح، مات سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. (السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص85).

2 هو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله، محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي الضربير النحوي الحنبلي، صاحب الإعراب، كان ثقة صدوقاً، قرأ العربية على يحيى بن نجاح، وأقرأ النحو واللغة، صَنَّفَ: إعراب القرآن، مات ست عشرة وستمائة. (السيوطي، بغية الوعاة، 38/2).

3 ينظر: ابن باديس، مجالس التذكير، ج1، ص332.

4 المرجع السابق، ج1، ص334.

5 قطعة من: حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، حديث رقم: 746، ص293.

ثم علق الشيخ على هذا الحديث بقوله: "فهذا يدل على أنهم فهموا أن الأمر من قوله تعالى: ﴿فَرِئَانًا﴾ لهم معه، مع أنه موجه إليه بخطاب الأفراد. وأنه كان فرضاً عليه وعلى الناس، فصار تطوعاً عليه وعلى الناس".¹

4- ولحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين وغيرهما: "قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»".²

ثم بين وجه الاستدلال من الحديث بقوله: "فلو كانوا يعلمون أن قيام الليل واجب عليه، ويفهمونه من القرآن لما أنكروا- مشفقين عليه- أن يقوم بما هو واجب عليه، ولأن قوله: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»، يُفيد أنه متطوع بهذا القيام باختيار، ليوّدي شكر نعمة ربه عليه".³

وقد أطال الشيخ ابن باديس المناقشة بين أصحاب القولين خرج في آخرها بنتيجة، قال فيها: "وإذا تأملت في هذا البحث الذي سقناه أدركت أن القول بعدم الخصوصية هو الأرجح، فالآية حث وتغيب على قيام الليل للعموم، ووعد له ﷺ بالمقام المحمود".⁴
القاعدة الثالثة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص
بيان صورة القاعدة:

إذا اختلفت أقوال المفسرين في تفسير آية فمنهم من يحملها على عموم ألفاظها، ومنهم من يخصصها ويقتصرها على بعض أفراد العام، فالصواب هو حملها على العموم.
ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها، ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته، فهو أولى بتفسير الآية حملاً لها على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفسير إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتماً أو يقوم الدليل على ذلك.⁵

1 ابن باديس، مجالس التذكير، 1/435.

2 رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الفتح، باب: قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:2]، حديث رقم: 4836، ص950. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، حديث رقم: 2819.

3 ابن باديس، مجالس التذكير، ج1، ص435.

4 المرجع نفسه، ج1، ص437.

5 يمكن من خلال ما تطرق إليه ابن باديس في تفصيله لما تقدم استخراج قواعد أخرى ناتجة عن استدلالاته من السنة وسياق الآية.

6 ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية، حسين الحربي، ج2، ص527، ط1، 1417هـ، 1996م، دار القاسم، الرياض، السعودية.

7 ينظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص59، ط4، 1430هـ، 2009م، دار القلم، دمشق، (يتصرف).

تطبيق الإمام ابن باديس للقاعدة:

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾

[الإسراء:80].

اختلف المفسرون في معنى (المُدخل والمُخرج) في الآية على أكثر من عشرة أقوال¹، أذكر منها:

القول الأول: أنه عامّ يشمل جميع الموارد والمصادر الدنيوية والأخروية.

القول الثاني: هو مُدخل رسول الله ﷺ المدينة حين هاجر إليها، ومُخرجه من مكة حين خرج منها مهاجرا إلى المدينة.

القول الثالث: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مُدخل صدق وأخرجني منه مُخرج صدق.

القول الرابع: أدخلني القبر مُدخل صدق، وأخرجني منه عند البعث مُخرج صدق.

القول الخامس: أدخلني في الدين وأخرجني من الدنيا وأنا على الحق.

ترجيح ابن باديس:

رجّح الشيخ عبد الحميد في تفسيره للمُدخل والمُخرج في الآية، أنه على العموم: أي: عامّ في جميع موارد ومصادره دنيوية وأخروية، فقد قال في تفسيره للآية: "إذا نظرنا إلى ما تقدّم من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجَنَّكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء:76]. قيل: إنّ المراد بمُدخل الصدق هو المدينة. ومُخرج الصدق هو مكة.

وتكون مكة مُخرج صدق لأنه يخرج منها على حقّ ويقين وبصيرة وبإذن من الله تعالى وتأييده. وتكون المدينة مُدخل صدق لذلك كذلك.

وإذا نظرنا إلى عموم اللفظ حملنا الآية على العموم اعتبارا بحكم اللفظ، ولا يفوت اعتبار المناسبة لما تقدّم، فإنّ الخروج من مكة ودخول المدينة يكون ممّا دخل في العموم دخولا أوليا، فالحمل على العموم - كما رأيت - مُحصلٌ لاعتبار اللفظ واعتبار المناسبة، ولذلك اخترناه².

يُلاحظ من خلال كلام الشيخ ابن باديس أنّه رجّح العموم واختاره على باقي الأقوال الأخرى اعتدادا بعموم لفظي الدخول والخروج في الآية، وذلك هو الأصل ما لم يرد ما يخصصه.

القاعدة الرابعة: اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه³

1 ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج5، ص77، ط3، 1403هـ، 1983م، المكتب الإسلامي، لصاحبه: زهير شاويش، بيروت.

2 ينظر: ابن باديس، مجالس التذكير، ج1، ص343.

3 وذلك أنّ بعض القراءات يبيّن ما لعله يُجهل في القراءة الأخرى. ينظر: خالد السبت، قواعد التفسير - جمعا ودراسة، ج1، ص90، ط1، 1421هـ، دار ابن عفان.

بيان صورة القاعدة:

إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من القرآن، ووُجد ما يستند إليه من القراءات القرآنية في تقوية أحد الأقوال، سواء كانت القراءة متواترة أو أحاديّة¹، فالأولى تفسيرها بذلك؛ لأنّ القراءتين كالأيتين²، وتفسير بعضها ببعض يُعتبر من تفسير القرآن للقرآن.

تطبيق الإمام ابن باديس للقاعدة:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

[الأنبياء:105].

اختلف أهل التفسير في المعنى بالزبور على أربعة أقوال³ أذكر منها قولين فقط:

القول الأول: أنّ الزبور في الآية عني به: زبور داود عليه السلام.

القول الثاني: أنّ المراد بالزبور في الآية: الكتب المنزلة.

اختيار ابن باديس:

جاء ترجيح الشيخ موافقا للقول الثاني - أي عني بالزبور في الآية الكتب المنزلة - وردّ القول الآخر بقوله - بعد شرحه اللغويّ للفظه: "وقرأ حمزة (الزبور)، جمع (زبر)؛ أي كتاب، فعينت هذه القراءة أنّ المراد بـ (الزبور) في القراءة الأولى: الكتب المنزلة، لا خصوص زبور داود عليه السلام"⁴.

إذن فقد استند الشيخ في ردّه للمعنى الأول؛ وهو أنّ الزبور في الآية عني به: زبور داود عليه السلام إلى قراءة حمزة بضم الزاي، والتي معناها: (الكتب)، وبهذا يكون قد حمل الآيتين على معنى واحد، وهذا هو الأصل الذي تشير إليه القاعدة.

خاتمة

بعد هذه الجولة العلميّة الممتعة التي قمت بها مع الشيخ ابن باديس في تفسيره عموماً، وفي سورة الإسراء خصوصاً، أصل الآن إلى نهاية هذا البحث ، ولكن قبل الافتراق أودّ أن ألخص أهمّ النتائج التي توصّلت إليها من خلاله، وأرفقها ببعض التوصيات:

أولاً- أهمّ النتائج:

- 1- لا فرق بين قواعد التفسير والترجيح إلا من جهة الاستعمال والمنهج.
- 2- الغالب على منهج الشيخ في الترجيح؛ أنّه كان لا يذكر الأقوال - إلا نادراً وبصفة

1 ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ص336، ط1، 1376هـ، 1957م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه.

2 ينظر: أبو إسحاق الشيرازي، المعونة في الجدل، ت: علي عبد العزيز العميريني، باب وجوه الكلام على الاستدلال بالكتاب، الاعتراض الخامس: اختلاف القراءات، ص44، ط1، 1407هـ 1927م، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت.

3 ينظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج22، ص229، ط1، 1401هـ، 1981م، دار الفكر، بيروت .

4 ينظر: ابن باديس، مجالس التذكير، اعتنى به وخرّج أحاديثه: أبو عبد الرحمن محمود، ج1، ص392.

مختصرة -، ولكن يورد رأيه ابتداءً، وتارة يذكر مستنده في ذلك، وتارة لا يذكر، وهذا ما تدعوا إليه طبيعة تفسيره.

3- حضور الرأي الشخصي للشيخ ابن باديس في تفسيره؛ على أنه لم يكن مجرد ناقل وسارد لأقوال المفسرين؛ بل جعل ذهنه مصفاً لهذه الأقوال.

4- الظاهر في تفسير الشيخ ابن باديس أنه لا يفرق في منهجه بين الاختيار والترجيح.
5- من خلال الاطلاع على تفسير الشيخ ابن باديس يتبين لكل ناظر فيه أن للشيخ مكنة في اللغة وعلومها.

6- إن الدعوة إلى التكبير ونبد الجمود والتقليد الذي كان الشيخ ابن باديس من أنصارها لم تجعله يُعطي العقل الحرّية الواسعة التي دُمّ لأجلها أصحاب هذا الاتجاه.

7- التعريف الاصطلاحي لقرائن الترجيح هو: كل أمانة ظاهرة يتوصل بها إلى الترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير، وتكون غير مطردة. والله أعلم.
ثانيا- أهم التوصيات:

1- إعداد رسائل أكاديمية تُعنى بدراسة الاختيارات والترجيحات في تفسير الشيخ ابن باديس.

2- اعتماد تفسير ابن باديس كمرجع لإحدى المواد في التدريس كالتفسير التحليلي، أو الموضوعي.

3- إعادة تحقيق كتاب مجالس التذكير من قبل المتخصصين.

4- جعل يوم ختمه للتفسير ذكرى علمية وطنية يُحتفى بها.

وفي الختام أذكر بقول الشيخ ابن باديس في قيمة العلم وقدره، وهو قوله:

"العلم هو وحده الإمام المتبع في الحياة، فلا نعتقد إلا عن علم أو نفعل إلا عن علم".

وأخيرا هذا ما وفقت إلى كتابته، وأرجوا أن أكون قد وفيتُ هذا الموضوع بعض حقه، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به من كتبه وقرأه، وصلّ اللهم وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأخردعوانا أي الحمد لله رب العالمين.

الدكتور أحمد شرشال الجزائري وجهوده في خدمة الدراسات القرآنية

مختار قديري

قسم دكتوراه التفسير والتشريع المقارن - جامعة الوادي

guedirimokhtar@gmail.com

ملخص البحث

لقد كان لعلماء الجزائر إسهامات وجهود كبيرة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، ودفع المطاعن والشبهات عنه، ومن خلال هذا البحث أردت التعريف بعالم من كبار علماء الجزائر والعالم الإسلامي في رسم المصحف وضبطه والعارفين بعلوم القرآن في عصرنا الحاضر، ألا وهو الأستاذ الدكتور: أحمد بن معمر شرشال الملياني الجزائري، الذي يعرفه أهل التخصص والمهتمون بعلوم القرآن.

وأجاب البحث عن أهم التساؤلات المطروحة المتعلقة بالتعريف بحياته الشخصية والعلمية والمهنية، وإبراز إسهاماته وجهوده في الدراسات القرآنية خاصة مؤلفاته التي انتشرت شرقا وغربا، وأصبحت مرجعا في رسم وضبط مصاحف العالم، والتعريف بمشروعه "المصحف الإمام" ومبررات كتابته ومحاسنه، وبيان مكانته العلمية وثناء العلماء عليه، وذلك من خلال مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي خلّص إليها البحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

لقد كان لعلماء الجزائر إسهامات وجهود كبيرة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، ودفع المطاعن والشبهات عنه، ومن خلال هذا البحث أردت التعريف بعالم من أكبر علماء الجزائر والعالم الإسلامي في علمي رسم المصحف وضبطه، والعارفين بعلوم القرآن، وإبراز إسهاماته ومؤلفاته التي انتشرت شرقا وغربا، وأصبحت مرجعا في رسم وضبط مصاحف العالم، ألا وهو الأستاذ الدكتور: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الملياني الجزائري، الذي يعرفه أهل التخصص والمهتمون بعلوم القرآن.

وعليه فإن السؤال الرئيس الذي سنحاول الإجابة عنه من خلال هذه البحث هو: من هو العلامة أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري؟، والذي تتفرع عنه أسئلة فرعية أخرى متمثلة في: ما هي أهم مؤلفاته في القرآن الكريم وعلومه؟ وما حقيقة مشروعه

"المصحف الإمام"؟ وما هو كلام العلماء والمتخصصين في الدكتور ومؤلفاته؟
وللإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة قسمنا هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، كالآتي:

المقدمة: فيها أهمية البحث.
المبحث الأول: التعريف بالدكتور أحمد شرشال الجزائري.
المبحث الثاني: مؤلفات الدكتور أحمد شرشال .
المبحث الثالث: مشروع المصحف الإمام.
المبحث الرابع: ثناء العلماء على الدكتور أحمد شرشال.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

وفي الختام أحمد الله سبحانه الذي وفقني للكتابة في هذا الموضوع، ومنّ عليّ بإكماله، وأشكر كلّ من مدّ لي يد العون لإنجازه، وأخصّ منهم مشرفي الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوغزالة حفظه الله، الذي شجّعني لكتابة هذا البحث، ووفّر لي مجموعة من مؤلفات الدكتور أحمد شرشال التي استفدت منها في توثيق مادة البحث، فجزاه الله خيراً.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول: التعريف بالدكتور أحمد شرشال الجزائري

والكلام في هذا المبحث يتناول حياته الشخصية والعلمية والمهنية⁽¹⁾.

المطلب الأول: حياته الشخصية

وتتضمن: اسمه ولقبه ونسبته ومولده ونشأته.

أولاً: اسمه ونسبه ونسبته:

1. اسمه ونسبه:

أحمد بن أحمد بن معمر بن العربي شرشال.

2. نسبته:

الملياني: نسبة لمسقط رأسه مدينة مليانة التابعة لولاية عين الدفلى.

الجزائري: نسبة لبلده الجزائر.

ثانياً: مولده ونشأته

ولد الشيخ شرشال في 30 أوت 1951م بقرية عين التركي بمدينة مليانة⁽²⁾ الجزائر، بدأ

(1) ينظر: دليل الطالبين إلى معرفة القراء الجزائريين المجازين (2/500-508)، والسيرة الذاتية للشيخ بموقع جامعة أم القرى بمكة المكرمة، البيانات الشخصية، على الرابط:

<https://old.uqu.edu.sa/page/ar/158033>

(2) مليانة: بالكسر ثم السكون، وباء تحتها نقطتان خفيفة، وبعد الألف نون، هي مدينة في آخر إفريقيا، في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس والمسيلة وبقر نهر شلف، تأسست خلال العهد الروماني =

حياته بحفظ القرآن، وختمه في اللوح أربع مرات رسماً وضبطاً، وأمّ به في صلاة التراويح، وأخذ الإجازة بحفظه من الشيخ قليل محمد⁽¹⁾ والشيخ عبد الله عثمان عبد القادر⁽²⁾ ووالده الشيخ أحمد شرشال⁽³⁾، الذي كان من المتقنين الكبار للقرآن الكريم، حيث لم يُرَ حاملاً للمصحف قط منذ أن حفظه، وهو في الثمانين، وهو يختمه غيباً كل خمسة أيام و يؤم به الناس.

ثم انتقل الشيخ إلى زاوية أعريب⁽⁴⁾ المتخصصة في العلوم الشرعية، فأخذ الفقه من كتاب الشيخ خليل رحمه الله، واللغة من كتاب شذور الذهب في معرفة كلام العرب، وكتاب قطر الندى، وحفظ ألفية ابن مالك والتفسير وعلوم القرآن على يد الشيخ العلامة ابن دوحة محمد⁽⁵⁾.

ثم انتظم الشيخ في معاهد التعليم الأصلي والشؤون الدينية بولاية المدية، سنة 1969م، ودرس فيها لمدة سنتين على يد نخبة من علماء الجزائر بمسجد النور⁽⁶⁾، وبعدها نجح الشيخ في مسابقة اختيار المدرسين ودرس لمدة سنة بمدرسة التكوين والإعداد، وعيّن مدرّساً سنة 1971م.

خلال هذه الفترة التي قضّاها في التدريس، والتي كانت بمثابة الفرصة الذهبية للشيخ لمواصلة مشواره الدراسي، حيث استغل الفترات المسائية وانضم إلى المعاهد المسائية وشارك في الدروس بالمراسلة، وتحصّل خلالها على عدّة شهادات في الكفاءة التربوية وعلم النفس، ونجح في الشهادة الثانوية العامة (البكالوريا) شعبة اللغة والأدب سنة 1977م.

=وبقيت عامرة إلى يومنا هذا، وهي الآن مدينة تنتهي إلى ولاية عين الدفلى على بعد 150 كلم غرب الجزائر العاصمة (ينظر: معجم البلدان (196/5)، والروض المعطار في خبر الأقطار (ص: 547)).

- (1) بعد البحث لم أعثر له على ترجمة.
- (2) بعد البحث لم أعثر له على ترجمة.
- (3) بعد البحث لم أعثر له على ترجمة.
- (4) زاوية أعريب هي زاوية صغيرة بقرية من ضواحي بلدية عريب ولاية عين الدفلى.
- (5) بعد البحث لم أعثر له على ترجمة.
- (6) وكان مسجد النور بالمدية عبارة عن كنيسة بساحة أول نوفمبر، ثم هدمت الكنيسة وحولت إلى مسجد، وقد كتب فيه الشيخ الفضيل اسكندر الجزائري هذه الأبيات:

الله أكبر جاء الحق وانهدمت	معالم الكفر وانجلت عنا المحن
حيث النواقيس والصلبان قد زهقت	وحل موضعها القرآن والسّن
يا مسجد النور فيك رمز عزتنا	إذا رأيناك زال الغم والحزن
بك المدية نالت كل مفخرة	وزادها بهجة رونقك الحسن

والتي كتبت بمداد من ذهب على قطعة رخامية تتصدر مسجد النور وذلك سنة 1969م (ينظر مقال ترجمة الشيخ الفضيل اسكندر الجزائري رحمه الله تعالى، يوسف بن علي، مجلة الأشير العدد السابع أوت 2006 الصادرة عن مديرية الثقافة ولاية المدية، الجزائر).

واصل الشيخ مشواره العلمي وانظم إلى جامعة الجزائر، معهد اللغة والأدب من سنة 1977م إلى سنة 1979م، مع مزاولة التدريس، لكن شغف الشيخ بالقرآن الكريم وعلومه جعله يهاجر إلى المدينة المنورة ويختار كلية القرآن الكريم وعلومه، وتخرج فيها بشهادة اليسانس سنة 1984م بتقدير ممتاز، والماجستير سنة 1409هـ بتقدير ممتاز في القرآن وعلومه والدكتوراه سنة 1413هـ بمرتبة الشرف الأولى.

المطلب الثاني : حياته العلمية

سأتناول في هذا المطلب الحياة العلمية للدكتور أحمد شرشال الجزائري، وأذكر فيها شيوخه وتلاميذه، والشهادات والمؤهلات العلمية، والمقررات التي درّسها بالجامعة.

أولاً: شيوخه:

1. شيوخه بالجزائر:

وعلى رأسهم والده الشيخ أحمد شرشال رحمه الله وعدد من علماء الجزائر الأجلاء، نذكر منهم:

- الحاج قليل محمد
- الشيخ عثمان عبد القادر
- الشيخ العلامة ابن دوحة محمد
- 2. شيوخه بالسعودية:

وبعد مغادرة الشيخ الجزائر لمواصلة دراسته في القرآن الكريم وعلومه، التقى الشيخ بخبرة علماء المملكة المنتسبين لجامعة الإمام بالمدينة المنورة وعلى رأسهم مشرفه في مرحلة الدكتوراه الشيخ: محمد بن عمر بن الأمين الشنقيطي.

ثانياً: الشهادات والمؤهلات العلمية:

- واهم الشهادات التي تقلدها الشيخ خلال حياته العلمية الآتي:
- شهادة إجازة حفظ القرآن الكريم: من الزاوية سنة 1968م.
 - شهادة الثقافة العامة والمهنية: في التربية وعلم النفس سنة 1973م.
 - شهادة الكفاءة العليا القسم الأول: في التربية وعلم النفس سنة 1974م.
 - شهادة الكفاءة العليا القسم الثاني: في التربية وعلم النفس سنة 1976م.
 - شهادة الكفاءة التربوية: في التربية وعلم النفس وهي أعلى شهادة سنة 1977م.
 - شهادة الثانوية العامة (البكالوريا): شعبة اللغة والآداب سنة 1977م.
 - شهادة اليسانس : في القرآن الكريم وعلومه من كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بتقدير: ممتاز سنة 1984م.
 - شهادة الماجستير: في شعبة التفسير، قسم القراءات بكلية القرآن الكريم بالجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة، بتقدير: ممتاز سنة 1409هـ، موضوع الرسالة: تحقيق كتاب "الطراز في شرح ضبط الخراز للتنسي تحقيق ودراسة".

• شهادة الدكتوراه: في شعبة القراءات، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، بتقدير: مرتبة الشرف الأولى، 1413هـ، موضوع الرسالة: تحقيق ودراسة لكتاب "مختصر التبیین لهجاء التنزيل" للإمام أبي داود سليمان بن نجاح، بإشراف الدكتور: عبد الله بن عمر الأمين الشنقيطي.

ثالثاً: المقررات المدرسة بالجامعة:

والمقررات التي درّسها الشيخ بالجامعة هي:

- قواعد التجويد، وحفظ القرآن لجميع المستويات.
- تفسير تحليلي لجميع المستويات.
- تفسير موضوعي لجميع المستويات.
- علوم القرآن لجميع المستويات.
- مناهج المفسرين لجميع المستويات.
- دراسة نصيّة من كتب التفسير.
- علم عدّ الآي وفواصل القرآن الكريم.
- علم الرسم العثماني.
- علوم القراءات وتوجيهها.
- مناهج البحث العلمي والتحقيق.
- اللغة العربية وقواعدها.
- الدّخيل في التفسير.
- أصول التفسير وقواعده
- الإشراف على رسائل الماجستير.

المطلب الثالث: حياته المهنية

وتتمثل أهم الوظائف والأعمال والخبرات للشيخ أحمد شرشال في الآتي:

1. مدرس في جميع مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، وتاريخ أول تعيين 1971م في مدينة الجزائر.
2. مدير مدرسة ابتدائية لمدة سنة واحدة.
3. موجه تربوي، في المدارس الابتدائية بصفة مؤقتة.
4. مكلف بالندوات التربوية.
5. أستاذ مساعد في معهد العلوم الإسلامية والعربية القسم الجامعي في موريتانيا ، التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، أكثر من خمس سنوات.

6. عضو في هيئة تحرير مجلة المربطون فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
 7. أستاذ مشارك في جامعة الكويت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التفسير والحديث من سنة 1998م.
 8. عضو لجنة تطوير المناهج والمقررات الدراسية لجميع المراحل التعليمية في الكويت.
 9. أستاذ مشارك بقسم أصول الدين ، قسم التفسير والحديث، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، سلطنة بروناي، دار السلام، لمدة ثلاث سنوات 2004-2007م.
 10. أستاذ مساعد في جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم القراءات، المملكة العربية السعودية.
 11. عضو هيئة تحكيم مسابقة القرآن الكريم في بروناي لدول جنوب شرق آسيا.
 12. عضو هيئة تحكيم الأبحاث العلمية المجازة للنشر.
- والشيخ يعمل الآن أستاذاً مشاركاً في جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، سلطنة بروناي دار السلام، التي عاد إليها بعد تدريسه بجامعة أم القرى.

المبحث الثاني: مؤلفات الشيخ أحمد شرشال الجزائري

وقد ألف حوالي عدّة كتب ضخمة، ونخبة من البحوث القيمة، طبع بعضها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالتعاون مع مركز الملك فيصل بالرياض، وكذا عدة دور نشر عربية، كما نشرت له عدة بحوث في كبريات المجلات المتخصصة، في العالم الإسلامي. وسأحاول أن أعطي بطاقة فنية لأبرز كتب وبحوث الدكتور أحمد شرشال، من خلال الآتي:

المطلب الأول: الكتب المطبوعة

ومن أهم كتب الدكتور أحمد شرشال المطبوعة، الآتي:

1. الطراز في شرح ضبط الخراز للإمام التنسي:

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: ضبط المصحف، الكاتب: أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني، المحقق: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، سنة النشر: 1420هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 798.

موضوع الكتاب: يعدّ هذا الكتاب من أشهر الكتب المؤلفة في فن الضبط القرآني، حيث تناول فيه مؤلفه مباحث فن النّقط والضبط، وناقش أهم مسائله، وقارن بين مذاهب أئمة هذا الفن. وبين القوي والضعيف من الأقوال، وهذا ما جعله عمدة المتأخرين في هذا الشأن، واعتمدته اللجان والهيئات المراجعة للمصاحف في الكثير من الدول الإسلامية.

2. مختصر التبیین لهجاء التنزیل للإمام أبي داود سليمان بن نجاح

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: رسم المصحف، الكاتب: أبو داود سليمان بن نجاح ، المحقق: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، سنة النشر: 1423هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 5، عدد الصفحات: 1929.

موضوع الكتاب: هذا الكتاب يتناول موضوع رسم المصاحف، وبيان الهجاء الذي كتبت به المصاحف العثمانية التي أرسلها سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الأمصار، فتضمن كتابه رسم جميع القراءات، مع التركيز على قراءة الإمام نافع المدني رحمه الله، وهو يعدّ من أقدم الكتب المؤلفة في هذا العلم، وأنقّسها وأوسّعها.

3. أصول الضبط لأبي داود سليمان بن نجاح:

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: ضبط المصحف، الكاتب: أبو داود سليمان بن نجاح، المحقق: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، سنة النشر: 1427هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 340.

موضوع الكتاب: هذا كتاب يذكر فيه الكاتب أصول الضبط لكتاب الله تعالى على قراءة نافع ومن وافقه من سائر الأئمة، إذ قد أفرد في الضبط كتابًا جامعيًا للقراء السبعة من جميع طرقهم، وقصد هنا إلى الاختصار.

المطلب الثاني: الأبحاث المحكّمة المطبوعة:

وللشيخ عدّة بحوث ومقالات منشورة في الكثير من المجالات المحكّمة، وبعضها تمّ طبعه على شكل كتب ورسائل علمية، ومن ذلك:

1. الوصل والوقف وأثرهما في بيان معاني التنزيل:

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: رسم المصحف، الكاتب: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، الناشر: دار الحرمين القاهرة، سنة النشر: 1422هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 340.

موضوع الكتاب: بيّن المؤلف في هذا البحث أهمية تعلم الوقف والابتداء، وأنه صرّح بوجود معرفته جمع من العلماء وتواترت أقوالهم في ذلك، ثم بيّن أثره في إثراء المعاني مع قلة الكلام ، وفي بيان الفرق بين المعنيين المتضادين المتنافيين، وفي بيان أثر العمل الصالح وسوء أثر العمل الطالح، وأن القرآن الكريم قد جزئ بأجزائه المعروفة الآن مراعاة لذلك،

وهي أمور محدثة حصلت في العهد الأموي، وفي بعض المواطن لم يوفق الواضعون للصواب، حيث لم تتم مراعاة الوصل والوقف، وكل جهد بشري قابل للإضافة والحذف.

2. مخالافات النسخ ولجان المراجعة والتصحيح لمرسوم المصحف الإمام

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: رسم المصحف، الكاتب: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، الناشر: دار الحرمين القاهرة، سنة النشر: 1423هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 106.

موضوع الكتاب: يُبين المؤلف في بداية بحثه أنه قد لفت انتباهه وهو يراجع المصاحف بمختلف الروايات: تعدد المصاحف واختلاف ضبطها ورسمها، حتى صار لأهل المشرق مصاحف، ولأهل المغرب مصاحف؛ بل صار لكل مصر اصطلاحات خاصة وضبط وشكل مُعين. فقام بوضع هذا البحث الذي يدور حول الرسم العثماني، ومخالفة نسخ المصاحف، ولجان مراجعتها وتصحيحها للمصحف العثماني (الإمام)، مُبينًا هذه المخالفات ومدى بُعدها وجنوحها عن الصواب، كما حلّى كتابه بذكر ما يتعلّق برسم المصحف وضبطه من قواعد سار عليها أهل العلم في القديم والحديث.

3. ردود القرآن على ذوي الجحود والإنكار

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: دفع المطاعن عن القرآن، الكاتب: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، الناشر: دار الحرمين ، القاهرة، سنة النشر: 1425هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 116.

موضوع الكتاب: هذا البحث يتناول تتبّع المؤلف ردود القرآن الكريم على المنكرين والجاحدين من خلال المباحث الآتية: 1. ردود القرآن في قضية التوحيد 2. ردود القرآن في قضية الملائكة 3. ردود القرآن في النبوة والرسالة؛ ويندرج تحتها عدة مباحث 4. ردود القرآن في القضاء والقدر 5. ردود القرآن على المنكرين لليوم الآخر.

4. مقررات التفسير

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: التفسير، الكاتب: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، الناشر: دار ابن الحفصي للطباعة والنشر مصر، سنة النشر: 2009، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1.

موضوع الكتاب: تناول المؤلف فيه أبحاث مقترحة لجميع المستويات (مائة وخمسة بحثًا مقترحًا) شاملة لأبحاث الدكتوراه والماجستير ومذكرات التخرّج، "القرآن الكريم كاملاً"، من "الفتحة" إلى "الناس"، أعدّه لطلابه.

5. أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: الدفاع عن القرآن الكريم، الكاتب: أحمد شرشال الجزائري، دار الناشر: دار ابن الحفصي للطباعة والنشر مصر، سنة النشر: 1436هـ، الطبعة: 2، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 136.

موضوع الكتاب: في هذا البحث الماتع تناول المؤلف مسألة مهمة لفتت انتباهه وهي: اعتماد بعض المتخصصين في التربية والتعليم من المسلمين على النظريات الغربية البشرية، والتي هي كصانعيها، وتركهم للمصدر الأول وهو القرآن الكريم الذي حوى ضروب المعرفة العلمية والأصول التربوية ما يجعله في غنى عن جميع تلك النظريات. والباحث بحث في آيات الذكر الحكيم واستخرج لنا أصولاً وقواعد تربوية تصلح لبناء الإنسان من جميع جوانبه، وإلى تحقيق التوازن والاعتدال بين جميع المذاهب والمدارس الفكرية، واحتواء جميع الأصناف والطوائف، والتي من أهمها: تعليم الخط والكتابة، تلاوة القرآن الكريم، تعليم الكتاب، تعليم الحكمة، العمل بالعلم، إنقاذهم من الضلال المبين.

6. كلية القرآن الكريم وأثرها في حفظ القراءات وعلومها

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: القراءات، الكاتب: أحمد بن أحمد شرشال الجزائري، الناشر: دار ابن الحفصي للطباعة والنشر مصر، سنة النشر: 1437هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 88.

موضوع الكتاب: طرح المؤلف في هذا البحث قضية مهمة تتمثل في حال القراءات العشر المتواترة في واقعنا اليوم، وذلك بعد توجه أغلب الناس للقراءة برواية حفص التي اشتهرت وانتشرت أكثر من غيرها، بينما انحصرت رواية ورش وقالون والدوري في مناطق محدودة ومعدودة، وباقي الروايات والقراءات اندثرت ولا تكاد تُعرف إلا عند المتخصصين الذين اقتصرُوا على الدراسة النظرية دون القراءة بها وتطبيقها عملياً.

ومن هنا جاءت دعوة المؤلف إلى إنشاء كَلِيَّة للقرآن الكريم على مستوى الجامعات في كل دول العالم العربي والإسلامي مهما كان تخصصها للمحافظة على القراءات العشر المتواترة برواياتها العشرين ووجوهها المتعددة، حتى لا تفقد تواترها بقلّة العدد، ويطرأ عنها الشذوذ، كما حدث في عهد ابن مجاهد من دخول قراءات متواترة في حكم الشذوذ بسبب اقتصار ابن مجاهد على القراء السبعة وراويين عن كل إمام فقط.

7. أوصاف ونعوت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: علم التجويد، الكاتب: أحمد بن أحمد شرشال الجزائري، الناشر: دار ابن الحفصي للطباعة والنشر مصر، سنة النشر: 1437هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1، عدد

الصفحات: 103.

موضوع الكتاب: في هذا البحث طرح المؤلف ما لفت انتباهه وهو يطالع كتب ومقررات علم قواعد التجويد والترتيل في الجامعات وغيرها، من خلوها وعدم تناولها لكيفيات وأوصاف ونعوت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وتلاوته وترتيله وترسله، وغيرها من الأوصاف والنعوت التي نعد من أصول علم التجويد.

والباحث من خلال هذا البحث يدعوا إلى ضرورة عناية المشتغلين بمناهج علم التجويد بما أثر من أوصاف ونعوت لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وإدراجها ضمن مقررات هذا العلم، وعلى الطلاب والدارسين لكتاب الله معرفتها والعلم بها.

ومن المباحث التي أوردها الباحث أوصافا ونعوتا لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم: تعلمه وتلاوته، وعرضه وسماعه، وحزبه، وحسن صوته، وترسله، ومراتب قراءته، وما استحدثه الناس من ألحان وتطريب وترعيد وما شابهه مرجعه إلى جهلهم بهذه النعوت والأوصاف لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم.

8. التفسير وأثره في بناء الشخصية واتزانها

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: التفسير، الكاتب: أحمد بن أحمد شرشال الجزائري، الناشر: دار ابن الحفصي للطباعة والنشر مصر، سنة النشر: 1437هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 127.

موضوع الكتاب: في هذا المبحث يبين المؤلف أن القرآن الكريم وما تضمنه من علوم الكتاب يعد بمثابة الأم بعد الفطام للتربية والتعليم، لأنه يمثل أعظم منهج تربوي عرفه البشر، والباحث يدعوا إلى ضرورة العودة إلى هذه المنابع الربانية للتربية والتعليم والابتعاد عن المناهج الدخيلة علينا.

والمباحث التي تطرق إليها المؤلف هي: الضرورة والحاجة لتفسير القرآن الكريم، العلوم التي يجدها الدارسين لتفسير القرآن الكريم، الأثر الذي يتركه علم التفسير في بناء الشخصية واتزانها واعتدالها، العلوم التي يحصل عليها الطالب للتفسير وتكاملها، بيان الأثر السلبي عند من يقتصر على بعض المقررات الدراسية.

9. قواعد التجويد وأثرها في المعاني والأحكام دراسة تحليلية، نقدية

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: علم التجويد، الكاتب: أحمد بن أحمد شرشال الجزائري، الناشر: دار ابن الحفصي للطباعة والنشر مصر، سنة النشر: 1437هـ، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 47.

موضوع الكتاب: يبين المؤلف في بداية بحثه ما لفت انتباهه وهو يطالع المؤلفات الحديثة

في قواعد التجويد من الأخطاء العلمية والمنهجية الكثيرة التي تراكت فيها، وأعظم من ذلك الفهم السقيم لدى الكثير من المعاصرين في كون علم التجويد تنحصر فائدته على تحسين الصوت فقط، ولا يتعداه إلى غير ذلك.

الباحث حرّر في هذا البحث الكثير من المسائل المهمة المتعلقة بقواعد التجويد وأثرها في المعاني والأحكام بأسلوب رزين محكم في ستة مباحث كالآتي: الأول: بدأ فيه بتحرير التسمية الصحيحة لهذا العلم، والثاني: حرر فيه موضوعات هذا العلم، والثالث: حقق فيه منهجية ترتيب موضوعاته، والرابع: حرّر فيه القول في أنواع مراتب التلاوة، والخامس: أهمية قواعد التجويد، والسادس: بيّن فيه أثر قواعد التجويد في اللغة والمعاني.

10. علامة الوصل "أولى" في المصاحف وأثرها على القارئ وقراءته

معلومات عن الكتاب:

التصنيف: علم الوقف والابتداء، الكاتب: أحمد شرشال الجزائري، الناشر: دار ابن الحفصي للطباعة والنشر مصر، سنة النشر: بدون تاريخ، الطبعة : طبعة خاصة، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 71.

موضوع الكتاب: بيّن المؤلف في بداية بحثه علامة الوصل أولى المشكلة وحلها، حيث بيّن أول من استعملها في المصاحف، وكيف انتشرت وشاعت، ووضعت في غير موضعها الصحيح، وبيّن كيف أن هذه العلامة عسيرة التطبيق، وأنها ليست عملية فوجودها كعدمها، بل إنها أضرت وساهمت في الوقف القبيح لأن حاجة السواد الأعظم من المسلمين في التلاوة إلى مواضع الوقوف المتقاربة، وإلى الوقف أولى، لأن حاجتهم إلى النطق الصحيح و تجويد الحروف، أكثر من حاجتهم إلى معرفة المعاني والروابط اللفظية والمعنوية.

وبيّن الباحث في هذا البحث المنهج الرشيد والقول السديد في وقوف القرآن المجيد الذي يزول به الإشكال في مواضع الوقف من المصحف كله، وتزول به الشكوى من علامة الوصل أولى، فكلما قلّت مراتب الوقف وأنواعه كلما كان الانفراج من ضيق النفس، وكلما كثرت وتنوعت وتوالت علامات الوصل كلما شقّ ذلك على القارئ وأثر في قراءته.

المطلب الثالث: المقالات الموثقة المنشورة

وللشيخ عدّة مقالات محكمة منشورة في مجلات إسلامية وعربية، نذكر منها:

1. فهم القرآن وتدبره، نشر في مجلة البيان في الرياض.
2. طريقة القرآن في عرض هداياته وأحكامه، نشر في مجلة البيان في الرياض، ومجلة الوعي الإسلامي في الكويت.
3. المنهج السديد في عرض مادة التوحيد، نشر في مجلة البيان في الرياض، العدد: 122 وغيرها.
4. كشف المعاني عن بلاغة الرسم العثماني، نشر في مجلة المرباطون التابعة لجامعة

- الإمام نواقشوط موريتانيا.
5. الدعوة الإصلاحية للإمام محمد المغيلي في إفريقيا، نشر في مجلة المرباطون التابعة لجامعة الإمام نواقشوط موريتانيا.
6. المقررات الجامعية في القرآن الكريم، في حلقات مجلة الفيصل في الرياض، ومجلة الوعي الإسلامي في الكويت.
7. التوجيه السديد في رسم وضبط بلاغة القرآن المجيد، نشر مجلة كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد 20، سنة: 1422هـ.
8. أثر القرآن في تقوية الإحساس بالأخوة، نشر مجلة البيان للبحوث والدراسات، الكويت، العدد: 133، رمضان 1419هـ.
9. دفع الافتراء والتهم عن ابن جليل الحافظ، مجلة الوعي الإسلامي في الكويت.
10. أثر التفسير في بناء الشخصية، مجلة البيان في الرياض.
- وغير ذلك من البحوث الموثقة المنشورة للشيخ، التي تتميز بالأسلوب العلمي الرصين، وحسن العرض، والتوثيق الأمين، الأمر الذي جعل رؤساء مجلات العالم الإسلامي والعربي يتهافون للظفر بنشرها.

المبحث الثالث: مشروع المصحف الإمام :

وفي هذا المبحث سنحاول التعريف بمشروع الدكتور أحمد شرشال ومبررات كتابة هذا المصحف ومحاسنه والمنهجية المتبعة في كتابته، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول : فكرة المشروع

توصل العالم الجزائري الأستاذ الدكتور أحمد شرشال الذي يعد من أكابر علماء الرسم والضبط في العالم الإسلامي إلى إعداد أضخم مشروع "المصحف الإمام"، لكن مشروعه لم ير النور إلى حد الآن، وهو يناشد السلطات المسؤولة في الجزائر، وعلى رأسها وزارتي الثقافة والشؤون الدينية إلى تبني هذا المشروع، وتجسيده على أرض الواقع.

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ تلقى العديد من العروض من عدة دول عربية وإسلامية، من أجل الظفر بهذا المشروع، ولكن الشيخ ما زال يرفض كل هذه الطلبات، ويريد أن يكون هذا المشروع بأيدي وإمكانات جزائرية مائة بالمائة.

وأكد صاحب أول مصحف من نوعه، أن المصحف الإمام لا يعرف الحدود ولا الأمصار ولا المذاهب، بل هو للناس جميعا لما فيه من تبسيط وكذا اعتماده على الطريقة الجامعة الشاملة، كما أنه يحمل بصمة جزائرية خالصة، ولذلك لا يريد أن يشارك فيه غير المختصين الجزائريين من الخطاطين، بل هو فكرة نابعة من الزاوية الجزائرية.

وتتمثل مطالب الشيخ شرشال من الجهات المسؤولة في البلاد لانجاز هذا المشروع في

توفير خطاط جزائري متمرس يتفرغ لكتابته، ويقوم بتنفيذ توجيهات وطلبات صاحب المشروع، الذي يريد أن يكون إنجاز هذا المشروع أمام عينيه.⁽¹⁾

المطلب الثاني : مبررات كتابة المصحف الإمام

وتتمثل مبررات مشروع كتابة المصحف الإمام ومحاسنه عن الشيخ في الآتي :

1. تصحيح بعض مخالفات الرسم العثماني.
2. تصحيح مخالفات في الشكل والضبط.
3. تصحيح مخالفات في وضع علامات الوصل والوقف.
4. تصحيح أوضاع بعض الحروف وطرق تصوير هجائها واستبعاد الدخيل منها.
5. تصحيح الألوان المستعملة في المصاحف ، واستبعاد الدخيل منها.
6. الإشارة بعلامة إلى رءوس الآي على جميع مذاهب علماء العد لتتقارب مواضع الوقف.⁽²⁾

المطلب الثالث : منهج كتابة المصحف الإمام

ومنهج الشيخ لكتابة المصحف الإمام يقوم على الأسس الآتية:
الأول : وضوح الحروف: فجمال الخط وروعته في وضوحه، فلا نحتاج إلى زخرفة الخط، ولا نحتاج إلى أمهر الخطاطين، وإنما نحتاج إلى حروف واضحة، يستطيع المبتدئ أن يتبناها، فالمصحف يراعي في كتابته جميع الناس عربهم وعجمهم.
الثاني : المطابقة التامة بين المكتوب والمقروء في مواضعها ما أمكن: فإذا تعارضت مذاهب الخطاطين مع التلاوة كما هو الحال حيث رجحوا قواعد خطهم على أحكام التلاوة فأهملوها، فإني لا ألتفت إلى مذاهبهم في سبيل تحقيق ألفاظ التلاوة، فالواجب أن يكون الخط مطابقا للتلاوة، ومفصحا عنها، ومعبرا عنها من كل الوجوه بقدر الإمكان.
الثالث: إتباع مرسوم المصاحف الأمهات.

الرابع: تجريد المصحف الإمام من جميع المخالفات والأوجه الضعيفة، ونجمع فيه كل ما صح وما تناثر في المصاحف الحالية: فيكون من هذا الوجه إماما لجميع المصاحف، وهذه المخالفات والوجوه الضعيفة ليست وليدة الساعة، وإنما هي قديمة، وتوسع فيها المتأخرون، واستمرت وانتشرت حتى صار المنكر لها متهما، وذلك لشيوعها.
الخامس: نلتزم في إعرابه بالنقط والشكل بالألوان التي نص عليها علماء القراءات.
السادس: ترك فسحة بين كل حرف وآخر ليتسنى لنا بدون مضايقة إلحاق المحذوف، والحركات والهمزات والمدات وغير ذلك مما يحتاج إليه من النقط والشكل والإعراب.

(1) ينظر: اتصال الشيخ شرشال بجريدة الشروق اليومي بتاريخ: 2010/07/03 .

(2) ينظر: مقال للأستاذ الدكتور أحمد بن أحمد شرشال، محاسن كتابة المصحف الإمام ومبرراته، قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

السابع: المحافظة على الحروف العربية: وهذا من أهم أهداف المصحف الإمام، إذ تكاد صور بعض الحروف تندرس لما أصاب الخط العربي من تطور وزخرفة، فيكون مشروع كتابة المصحف الإمام بعون الله مستودعا للحروف العربية من الضياع والتلف لارتباطها بالقرآن الكريم.⁽¹⁾

وأشار الشيخ إلى أن هذا المشروع:

- ليس مبتدعا أو مخالفا لمصحف الإمام.
- وأن فكرته تقوم أساسا على إحياء ما كاد يندثر.
- وأن الخطأ يجب أن يصحح وإن طال زمنه.

فقال: "ولست مبتدعا، ولا مغيرا، ولا مخالفا في هذا المصحف الإمام ولو فعلت ذلك، أو أردته لكنت كذلك، وإنما هو إحياء لما كاد يندثر ويندرس، وإصلاح وتصحيح لما خالف فيه الناس وجمع لما صح وتناثر في المصاحف وكتب الرسم والضبط، والتزام كامل بإذن الله بما نص عليه علماء القراءات والرسم والضبط، ولا أزيد على ذلك. فالخطأ يجب أن يصحح، وإن طال زمانه، والصواب يجب أن يقبل مهما كان مصدره"⁽²⁾.

المبحث الرابع: ثناء العلماء على الشيخ أحمد شرشال

أن الشيخ أحمد شرشال يعدّ كما ذكرنا من أكابر علماء العالم الإسلامي في علي الرسم والضبط القرآني، وهو لا يحتاج إلى تزكية، وأعماله ومؤلفاته تكفي في تزكية، وإبراز مكانته العلمية، ولكن سنورد ثناء بعض أهل العلم والفضل عليه:

1. ثناء الشيخ الدكتور أيمن سويد:

وشهد للشيخ أحمد شرشال أقرانه بنبوغه وبروزه في علي الرسم والضبط القرآني، حتى قال عنه الدكتور أيمن رشدي سويد: "أنه من الفلوات التي تظهر بين الفينة والأخرى".

2. ثناء الدكتور عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين:

جاء في العدد 198 لشهر صفر 1425هـ من مجلة البيان في ركن رسالة من قارئ: رسالة أرسلها الدكتور عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين- كلية الشريعة بالإحساء- السعودية، إلى المجلة يقول فيها: "أسأل الله تعالى أن يثيبكم على جهودكم المباركة، وجميع العاملين في مجلة البيان، وأمل التكرم بقبول الاقتراح الآتي: سبق أن نُشر في مجلة البيان العدد 194 صفحة 10 . 12 مقالا بعنوان: "سلبيات فصل العلوم عن أصلها القرآني" للدكتور أحمد بن أحمد شرشال، فقد قرأت الموضوع الرائع، وأعجبتني حسن العرض للكاتب الكريم، وأسلوبه العلمي الرصين، وتوثيقه الأمين، وأتمنى أن يقوم الكاتب بكتابة

(1) ينظر: مختصر لبحث كتبه د. أحمد بن أحمد شرشال، محاسن كتابة المصحف الإمام ومبرراته، قسم

القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين . جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(2) ينظر: المرجع نفسه.

بحث أو مؤلف في هذا الموضوع يفيد به الأمة الإسلامية من خلال طرحه المتميز، ولعل هيئة التحرير أن ترى إفراد موضوع (قواعد مهمة في التعامل مع كتاب الله الكريم) في ملف خاص للمجلة، وهذه دعوات قلب محب لكم بالتوفيق والسداد⁽¹⁾.

3. ثناء الدكتور عبد المجيد رياش:

ومدحه الدكتور عبد المجيد رياش - صاحب دار ابن الحفصي للنشر والتوزيع- عند تقديمه لطبعة كتاب أصول الضبط وكيفية على جهة الاختصار للإمام أبي داود دراسة وتحقيق للدكتور أحمد شرشال، فقال: "ولقد قيض الله لكتابي أبي داود "مختصر أصول الضبط" و"مختصر التبيين لهجاء التنزيل" فعلا من فحول أبناء الجزائر رزقه الله الاطلاع الواسع والقدرة على التمييز بين الأقوال ونقدها مع بيان الأوجه منها، ألا وهو: أخونا الفحل الدكتور أحمد بن أحمد شرشال فقام بخدمة الكتابين خدمة تليق بهما، ...

وأثناء قراءتي للكتابين كنت من حين لآخر أود التعليق على بعض المسائل، ولكن أخي الفحل لم يبق لي مجالا لذلك، فجزاه الله عن كتاب ربنا وعن أئمتنا وعنا خير الجزاء. وإنه لشرف عظيم لدار الحفصي الفتية أن يخصصها فحل الجزائر بطباعة كتبه المختلفة "المؤلفة والمحققة"⁽²⁾.

4. ثناء الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ:

ومن ذلك أيضا ثناء معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، والمشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف على تحقيق الدكتور أحمد شرشال لكتاب "مختصر التبيين لهجاء التنزيل"، فقال في مقدمة الكتاب: "... وأود في هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الجزيل لمحقق الكتاب الدكتور أحمد بن أحمد شرشال على ما بذله من جهد علمي في هذا السبيل"⁽³⁾.

ونوه به كذلك في مقدمة كتاب "الطراز في شرح ضبط الخراز" للإمام التنسي، فقال: "... فإنه يسرها - أي وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- أن تقدم إلى أهل القرآن وحفظته وإلى الباحثين المعنيين بالدراسات القرآنية هذا السفر الجليل "الطراز في شرح ضبط الخراز" للإمام أبي عبد الله التنسي المتوفي سنة 899هـ، الذي قام بتحقيقه والتعليق عليه أحد المتخصصين في القرآن وعلومه الدكتور أحمد بن أحمد شرشال"⁽⁴⁾.

5. إشادة الأمانة العامة لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف:

وفي مقدمة نفس الكتاب- أي الطراز- أشادت الأمانة العامة لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف على التحقيق والدراسة العلمية الرصينة للشيخ شرشال: "... ومما يزيد من

(1) ينظر: مجلة البيان للبحوث والدراسات، ركن رسالة من قارئ، العدد 198 لشهر صفر 1425هـ

(2) ينظر: كتاب أصول الضبط، دار ابن الحفصي، الصفحتين: أ و ب.

(3) ينظر: مختصر التبيين، الجزء الأول، الصفحة أ.

(4) ينظر: الطراز في شرح ضبط الخراز، ص 3.

أهمية هذا السفر الجليل-أي الطراز- هذه الدراسة العلمية المتقنة التي عني بها المحقق لإجلاء غوامض هذا الفن، وما يلزمه من التحرير والبحث في بعض مسائله ومشكلاته، ..."⁽¹⁾.

6. ثناء الشيخ ضيف الله بن محمد العامري الشمراني:

ومدحه الشيخ الشمراني عند ذكر كتب في علم رسم المصحف وضبطه نصح بها الشيخ أحمد شرشال، فقال: "الحمد لله، وبعد، فلا يخفى على طلاب العلم المتخصصين في علوم القراءات أن فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد شرشال من كبار علماء العصر في علمي رسم المصحف وضبطه، فجهوده في هذا المجال دراسة وبحثاً وتحقيقاً ظاهرة واضحة، وقد انتفع بها المتخصصون من العلماء وطلاب العلم، وتقبلوها بقبول حسن"⁽²⁾.

7. ثناء تلميذه الدكتور يوسف بن مصلح الرادادي⁽³⁾:

"أتقدم بعاطر الترحيب وصادق الحفاوة بين يدي شيخي وأستاذه فضيلة الدكتور أحمد شرشال حفظه الله، مثمناً لفضيلته تكرمه بالمشاركة معنا في هذا الملتقى المبارك، وقد تشرفت بالتلمذ على يديه في السنة المنهجية من مرحلة الدكتوراه بقسم القراءات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام 1431هـ، ولم تزل آثار مجالسه العلمية التي تشرفنا فيها بالجلوس بين يديه تملأ أوقاتنا مسكاً وطيباً ومندلاً كلما تذكرنا تلك الأيام الطيبة، وما كان ينثره خلالها من درر مكنونة ولآلئ مكنوزة، تفيض معرفةً وعلماً، وحكمةً وفضلاً، وكان حفظه الله مثلاً يُحتذى في الحرص والضبط والإتقان، وكانت محاضراته في مقرر الدفاع عن القرآن من أمتع وأطيب ما يجده الطالب، مع تمكنه التام وغيرته الصادقة في الذب والدفاع عن كتاب الله تعالى"⁽⁴⁾.

الخاتمة

ومن النتائج التي نخرج بها من هذا البحث:

1. أن الدكتور أحمد شرشال الملياني، جزائري المولد والنشأة، دفعه شغفه بالقرآن الكريم وعلومه إلى الهجرة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم التدريس في العديد من الدول الإسلامية بعد نيّله لشهادة الدكتوراه.

2. أن الدكتور أحمد شرشال الجزائري يعدّ من أكبر علماء الجزائر والعالم الإسلامي

(1) ينظر: الطراز في شرح ضبط الخراز، ص 6.

(2) ينظر: مدونة جامعة لفوائد ومقالات أبي صلاح ضيف الله بن محمد العمري الأستاذ المحاضر بكلية القرآن الكريم، قسم القراءات، المدينة المنورة بتاريخ: 1434/11/08هـ، على الرابط:

http://difallh-alshamrani.blogspot.com/2015/03/blog-post_27.html

(3) وهو الآن عضو هيئة التدريس في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

(4) ينظر: ملتقى أهل التفسير على الرابط: <http://vb.tafsir.net/tafsir36179/#.WB-jly2rTcs>

المبرزين في علمي رسم المصحف وضبطه، ولا نبالغ إن قلنا أنه يعدّ ابن نجاح زمانه وتنسي عصره، وله جهود وإسهامات كبيرة في خدمة القرآن الكريم وعلموه.

3. إن كتابي "مختصر التبیین" و"الطراز" اللذين حَضِيّا بتحقيق ودراسة الدكتور أحمد شرشال، يُعدان اليوم المرجع الأساس للجان مراجعة المصاحف في كثير من الدول الإسلامية.

4. مشروع "مصحف الإمام" يعد من أضخم المشاريع في الدراسات القرآنية، والشيخ يريده أن يكون جزائرياً مائة بالمائة، لأن فكرة المشروع نابعة من الزوايا الجزائرية، ولا يريده أن يخرج منها.

ومن التوصيات التي أراها مهمة وتحتاج إلى مزيد العناية:

1. ضرورة الاهتمام بالطاقات والكوادر العلمية الجزائرية التي تقيم بالخارج كالشيخ أحمد شرشال، ومحاولة الاستفادة منها، وذلك بتوفير الإمكانيات اللازمة والجو المناسب لنشاطها وعطائها.

2. الشيخ أحمد شرشال يعد امتداداً لجهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم كالإمام التنسي، وعليه فيمكن لطلبة الدراسات العليا عقد دراسة حول جهود علماء الجزائر في خدمة المصحف الشريف.

3. دعوة المطابع الوطنية للإقدام على طباعة مؤلفات الدكتور أحمد شرشال، نظراً للقيمة العلمية التي تركت أكبر مطابع العالم تنافس للظفر بطباعتها كمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

4. اقترح اعتماد مؤلفات الشيخ كمختصر التبیین ضمن مقررات طلبة الدراسات العليا في كليات ومعاهد العلوم الإسلامية بالجزائر على غرار الكثير من الدول العربية والإسلامية.

5. الدعوة إلى إنشاء مجمع لطباعة المصحف الشريف بالجزائر تسند له مهمة التسيير والإشراف على كل ما يتعلق بالمصحف الشريف، على غرار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمملكة العربية السعودية، ومؤسسة محمد السادس لطباعة المصحف الشريف بالمغرب.

6. دعوة الجهات الرسمية في الجزائر إلى تكريم الدكتور أحمد شرشال الذي يعدّ كما ذكرنا من أكابر علماء رسم المصحف وضبطه في العالم الإسلامي، وأن تسند إليه مهمة إدارة وتسيير مجمع طباعة المصحف الشريف بالجزائر.

هذا وأسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت فيما كتبت، وأعطيت الشيخ حقه الذي يليق به، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. الكتب والمقالات :

- أصول الضبط، أبو داود سليمان بن نجاح الأندلسي، المحقق: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، دار ابن الحفصي للطباعة والنشر، مصر، 2013، عدد الأجزاء: 1.
- دليل الطالبين إلى معرفة القراء الجزائريين المجازين، جمع وترتيب سالم بوحامدي، مكتبة الإمام مالك، باب الواد، الجزائر، الطبعة الأولى، 1434هـ، عدد الأجزاء: 2.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الجُميري، المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، 1980 م، عدد الأجزاء: 1.
- الطراز في شرح ضبط الخراز، أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني، المحقق: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ، عدد الأجزاء: 1.
- مجلة البيان للبحوث والدراسات، العدد 198 لشهر صفر 1425هـ.
- محاسن كتابة المصحف الإمام ومبرراته، بحث كتبه الدكتور أحمد بن أحمد شرشال، قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- محاسن كتابة المصحف الإمام ومبرراته، بحث كتبه الدكتور أحمد بن أحمد شرشال، قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- مختصر التبیین لهجاء التنزيل، أبو داود سليمان بن نجاح الأندلسي، المحقق: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال الجزائري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423هـ، عدد الأجزاء: 5.
- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (المتوفى: 626هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م، عدد الأجزاء: 7.
- مقال ترجمة الشيخ الفضيل اسكندر الجزائري رحمه الله تعالى، يوسف بن علي، مجلة الأشير العدد السابع أوت 2006 الصادرة عن مديرية الثقافة ولاية المدية، الجزائر.

2. المواقع الإلكترونية:

- موقع الدكتور أبي صلاح ضيف الله بن محمد العمري .
- موقع جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- موقع ملتقى أهل التفسير.

جهود الشيخ محمد الطاهر التليلي رحمه الله في خدمة كتاب الله - عز وجل

سيرين دادة

قسم دكتوراه التفسير والتشريع المقارن - جامعة الوادي
daddaserine@gmail.com

ملخص البحث

أنجبت الجزائر علماء صدقوا ما عاهدوا الله عليه في خدمة كتاب الله . عز وجل . من بينهم الشيخ محمد الطاهر التليلي القماري السُوفي الجزائري المتوفى بتاريخ 11 نوفمبر 2003م، كان له شأن عظيم في مجال التعليم والإصلاح ونشر العلم ومبادئ الدين في الفترة التي عاش فيها إبان الاستعمار الغاشم وحتى بعد الاستقلال، إلى أن تقاعد فأفرغ جهده في التأليف والتصنيف في مجالات مختلفة؛ من بينها علوم القرآن الذي كان له نصيب موفور من مؤلفاته، فقد بلغ عددها في هذا المجال ستة كتب نذكرها على النحو الآتي:

قواعد وكليات في الثابت والمحذوف في القرآن الكريم، مجموعة تشتمل على مسائل في رسم القرآن وضبطه، منظومة قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن على رواية ورش، رسالة في رسم الألف في القرآن كما في المصحف، التعليقات البيانية على منظومات مسائل قرآنية، منظومات في مسائل قرآنية.

هذا الأخير هو الذي خصصته بالدراسة، فهو عبارة عن ثلاث منظومات جمع فيها الشيخ رحمه الله المفردات الغريبة الواردة في القرآن الكريم، ومسائل تتعلق بالرسم والضبط والمتشابه من الألفاظ، وأرقام المواد الموجودة فيه؛ كعدد سور القرآن وعدد آياته وما إلى ذلك.

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله وصفيُّه من خلقه وحبيبه إلى نفسه، أدَّى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وكشف . بإذن الله . الغمَّة حتى أتاه اليقين صلوات ربي وسلامه عليه أجمعين، أما بعد:

خصَّ الله أمة الإسلام بمعجزة خالدة وحجة واضحة؛ ألا وهي القرآن الكريم الذي أعجز أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء على أن يأتوا بمثله. لذا اهتم به الأولون، وسار على نهجهم المتأخرون يهلون من علومه، ويستخرجون الجوهر المكنون من أغواره، وبذلوا في ذلك النفس

والنفيس خدمةً له، سواءً من ناحية التأليف، أو من ناحية التدريس والتعليم. ولم يتوان أي قطر من أقطار الأمة الإسلامية عن خدمة كتاب الله . عزَّ وجلَّ . من ذلك بلدنا الغالي الجزائر الذي أنجب علماء صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وبذلوا ما في وسعهم حفاظاً على كتاب ربنا وقرية وطاعة له . سُبْحانه وتعالى . من بينهم العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله التَّنْسي الجزائري، والعلامة عبد الحميد بن باديس القسنطيني، والشيخ محمد الطاهر التليلي القماري السوفي، هذا الأخير كان له شأن عظيم في الفترة التي عاش فيها إبان الاستعمار الفرنسي الغاشم، خاصة في مجال التعليم والتدريس والإصلاح محاولاً نشر العلم بين أفراد مجتمعه في ذلك الوقت؛ خاصة والجهل قد استفحل شرُّه بينهم ولم يعد للعلم مكان بين النَّاس، متحدياً بذلك السلطة الفرنسية لأنها تمنع أي نشاط تعليمي أو تربوي إصلاحِي.

إنَّ المتفحص لسيرة الشيخ يعلم علم اليقين قيمة الرجل ومدى حرصه على تعليم النَّاس، وخدمة دين الله وكتابه، والنَّاظر في آثاره التي خَلَّفها يجد ما يثبت ذلك.

من هذا المنطلق يمكننا طرح التساؤل الآتي: فيما تتمثل جهود الشيخ محمد الطاهر التليلي في خدمة كتاب الله . عزَّ وجلَّ ؟.

وللإجابة عليه سعيت جاهدة في التنقيب عن سيرته قصد التعريف بها وإبراز جهوده المتعلقة بخدمة كتاب الله في بحث عنوانته ب: جهود الشيخ محمد الطاهر التليلي السوفي في خدمة كتاب الله . عزَّ وجلَّ .

خطة البحث ومنهجه: اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي وفق الخطة الآتية:

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث، فالمبحث الأول خصصته للكلام عن منطقة قمار والحركة العلمية التي تميزت بها. أمَّا المبحث الثاني فقد جعلته لترجمة الشيخ محمد الطاهر التليلي رحمته الله. والمبحث الثالث أفردته لبيان جهود الشيخ في خدمة كتاب الله . عزَّ وجلَّ .

أهداف البحث: من أبرز أهداف هذا البحث ما يأتي:

1. بيان جهود عالم من علماء سوف.
2. بيان فضل علمائنا على بلدنا وأمتنا.
3. رفع الهمم وشحن النفوس للاقتداء بأمثال الشيخ والسير على خطاهم.
4. بيان مدى إطلاع الشيخ رحمته الله الواسع والمتميز في علوم القرآن.

الدراسات السابقة: لقد تعرض الباحثون لشخصية الشيخ محمد الطاهر تليلي رحمته الله

بالدراسة والبحث، نذكر من بين هذه الدراسات ما يأتي:

1. منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، طبعت في الجزائر من طرف المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.
2. الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن

على رواية ورش- دراسة وتعليق- رسالة ماجستير، الدكتور طالب محمد، نوقشت في جامعة باتنة، 2008م.

3. الشيخ محمد الطاهر التليبي وجهوده في الفقه والإفتاء، من تأليف الدكتور إبراهيم رحمان، طبع هذا الكتاب الطبعة الأولى من طرف مطبعة سخري بالوادي سنة 1432هـ/ 2011م. فقد تكلم أستاذنا الفاضل في هذا الكتاب على شخصية الشيخ بشيء من التفصيل، مع بيان منهجه في البحث الفقهي والافتاء.

4. عناية الشيخ محمد الطاهر التليبي بالدراسات القرآنية، ضمن كتاب العلامة المصلح محمد الطاهر التليبي: قراءات في سيرته وفكره وأثاره، لمجموعة من الأساتذة، وقد طبع الطبعة الأولى من طرف مطبعة مزوار بالوادي، الجزائر، سنة 2005 م.

المبحث الأول: لمحة تاريخية موجزة عن مدينة قمار

المطلب الأول: الموقع الجغرافي

تقع مدينة قمار في ولاية الوادي على بعد أربعة عشر كلم عن عاصمة الولاية، من الناحية الشمالية مع انحراف قليل إلى الشرق، على الطريق الوطني رقم: 3 الرابط بين ولايتي بسكرة والوادي.

وهي مدينة قديمة النشأة، فهي تعتبر المدينة الثانية أو الثالثة من حيث الظهور في وادي سوف. وقد نشأت قديما في جزيرة صغيرة يكونها وادي سوف المنحدر جنوبا عندما يتفرع إلى فرعين. وقد دفنت الرمال اليوم فرعي الوادي، إلا أن السكان يعرفون آثار الجزيرة من خلال التربة، فإذا كانت هشة فذلك دليل على مجرى الوادي المدفون، وإن كانت صلبة فذلك دليل على أنها تقع خارج مجرى الوادي¹.

المطلب الثاني: أصل السكان وسبب التسمية

سكان مدينة قمار مزيج بين عرشي عدوان² وطرود³، وأكثر سكان سوف هم من عدوان وطرود وسليم وهلال، وينسبون جميعا إلى قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن

1 الموقع الإلكتروني: مدينة قمار تاريخ وجغرافيا، guemar.org، تمّ زيارة الموقع يوم: 4 نوفمبر، 2016، على الساعة: 19:00.

2 طرود هي قبيلة عربية تنسب إلى بني فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقيل أن سبب تسميتهم نسبتهم إلى رجل اسمه طراداً من قوم مسروق بن عذالة حين كانوا بطرابلس فقتلوا رجلا فطلبوا منهم اللّية فامتنعوا، وفرّوا هاربين ليلاً. ينظر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم بن محمد العوامر، ت: الجيلاني العوامر، د ط، منشورات ثالة الأبيار، الجزائر، 2007، ص: 337.

3 عدوان وهي قبيلة عربية أيضا وتنسب لبني عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقيل ان عدوان من بطن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر. ينظر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم بن محمد العوامر، ت: الجيلاني العوامر، ص: 337.

عدنان¹. وقد فصل الشيخ العوامر رحمته في تركيبة سكان قمار ذكر بأنهم يتكونون من خمس عمائر فهم مزيج من: أولاد حميد، وأولاد عبد القادر، وأولاد رابح وأولاد بوعافية والصيادية².

وأما سبب التسمية فقد ذُكرت عدّة أقوال، من بينها:

القول الأول: أنَّ رجلا من تاغزوت³ كان يضع علامات على الطرقات لخبرته بها فلقب بالقَمَّار، وسميَّ أبناؤه من بعده بأبناء القَمَّار، وكانوا كثيرين فنزلوا منطقة قمار حاليا، وسميت المدينة باسمهم، ومع طول الزمن اختصرت وأصبح اسم المدينة بـ قمار.

القول الثاني: وقيل أنَّ جماعة من الحجاج اجتمعوا في الحج ببعض أهل قمار الهند، وكان أحدهم شبيه بهم، فقال له أصحابه كأنك قماري ثم لقب به، ولما رجعوا من الحج نزل بمنطقة قمار الآن فقبل له محل القماري. إلى أنت تصرفت الكلمة وسميت بـ قمار⁴.

المطلب الثالث: مميزات أهل قمار

تميزت مدينة قمار عن باقي البلديات الأخرى لولاية الوادي بكثرة العلماء والمثقفين والباحثين وطلبة العلم المميزين، فهي مدينة معروفة بالعلم وحب أهلها له وتعظيمه. فلو قلبنا في صفحات التاريخ ستجدها مليئة بالعلماء وأصحاب الشأن العظيم إلى يومنا هذا، نذكر من بين هؤلاء الذين تفتخر بهم مدينة قمار:

الشيخ إبراهيم الأخضر إمام المسجد النبوي الشريف⁵. والعلامة عبد القادر الياجوري⁶ أحد أقطاب جمعية العلماء الجزائريين، والدكتور والباحث أحمد شنة المتخصص في الكيمياء العضوية⁷. والشيخ عمار الأزعر مدرس العلوم الشرعية بالمدينة المنورة⁸. والأستاذ الدكتور بوبكر لشهب أستاذ أصول الفقه بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي⁹. وغيرهم فالقائمة تطول بذكرهم.

المبحث الثاني: ترجمة الشيخ محمد الطاهر التليلي رحمته

سننتطرق في هذا المبحث . بحول الله . إلى التعريف بحياة الشيخ رحمته تعريفا موجزا،

1 الوادي تراث وحضارة، دار الثقافة بالوادي، نُجِز وطُبع من قبل cdsp، 43 شارع الأمير خالد بولوغين، الجزائر، 2009، ص: 22.

2 ينظر تفصيل هذه الأنساب: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم بن محمد العوامر، ت: الجيلاني العوامر، ص: 399، 401.

3 تاغزوت إحدى بلديات قمار تبعد عن عاصمة ولاية الوادي بـ 14 كلم.

4 الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم بن محمد العوامر، ت: الجيلاني العوامر، ص: 117.

5 ينظر ترجمته: أعلام من قمار بوادي سوف، التجاني العقون، د ط، مطبعة سخري، الوادي، 2013، ص: 11.

6 المرجع نفسه، ص: 248.

7 المرجع نفسه، ص: 55.

8 المرجع نفسه، ص: 278.

9 المرجع نفسه، ص: 425.

ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: حياته الشخصية

1. اسمه ونسبه: هو محمد الطاهر بن بلقاسم بن الأخضر بن عمر بن أحمد بن قاسم بن أحمد التليلي، من ذرية سيدي تليل. وهي أسرة انحدرت من فريانة (قرب قفصة) بتونس. فجدّه أحمد التليلي رحل من تونس إلى وادي سوف واستقر في إحدى قرأه¹.

2. مولده ونشأته: ولد الشيخ رحمته بقمار سنة 1910م. توجه منذ صغره إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم، وتنقل بين المؤدبين فكان أفضلهم جدّه لأبيه. فحفظ القرآن والمتون معاً في فترة قصيرة، وحضر دروس بعض الشيوخ الزيتونيين؛ أمثال: محمد اللقاني بن السائح القماري²، والشيخ عمار بن الأزعر القماري³ الذين قَدِموا من أجل نشر العلم وبث مبادئ الإصلاح. ومن هذه الحلقات تعلق الشيخ بالزيتونة، فتوجه إليها سنة 1927م، رفقة الشيخ عبد القادر الياجوري⁴ وعلي بن سعد خيراني. ثم عاد من رحلته العلمية إلى أرض الوطن ملبياً نداء الواجب، وقد ارتوى من المعين الصافي والمنبع العذب بالأدب والعلم، فجعلت منه هذه الرحلة فتىً مثقفاً متعلماً متأدباً.

حاول الشيخ محمد الطاهر رحمته التدريس والتعليم الحرّ ونشر العلم في ظروف صعبة جداً فالجهل منتشر والطرقية مستحكمة، ناهيك عن سياسة الاستعمار الغاشم المانعة لمثل هذه الأمور، إلاّ أنّه مُنع من ذلك من قبل القائد وعيون الاستعمار.

لم ييأس الشيخ رغم التضيق عليه، بل حاول التعليم في إطار جمعية العلماء المسلمين، فضيّق عليه مرّة أخرى وبشكل أوسع. ومع هذا فقد سعى جاهداً لنشر التعليم العربي والتعاليم الإسلامية مدّة خمس عشرة سنة في بلدة قمار حتى تخرّج على يديه نخبة من المتعلمين.

وبعد الاستقلال عمل في إطار المعلمين مثل زملائه مُدرسي مدارس جمعية العلماء السابقين وتَنقَّل بين مدارس العاصمة وتقرت والوادي وعنابة، كما سيّر مدرسة النّجاح بقمار مدّة من الزمن، إلى أن تقاعد من تلقاء نفسه سنة 1972م، فقد أثر اعتزال النّاس

1 ينظر ترجمته: خارج السّرب، أبو القاسم سعد الله، د ط، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص: 155، 156. الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، د. إبراهيم رحمان، ط: 1، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 1432هـ/ 2011م، ص: 15. أعلام من قمار بوادي سوف، التجاني العقون، د ط، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2013م، ص: 337.

2 ينظر ترجمته: أعلام من قمار بوادي سوف، التجاني العقون، ص: 320.

3 هو الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد بن محمد لزعر القماري المدني، (1316هـ، 1389هـ). ينظر تفصيل ترجمته: أعلام من قمار بوادي سوف، التجاني العقون، ص: 278، 284.

4 هو العلامة عبد القادر الياجوري بن الحاج عمار المعروف بالياجوري، (1912م، 1991م)، أحد أقطاب جمعية لعلماء الجزائريين. ينظر تفصيل ترجمته: أعلام من قمار بوادي سوف، التجاني العقون، ص: 248، 249.

لأجل تقييد العلم ونسخه¹.

المطلب الثاني: حياته العلمية

1. شيوخه وتلاميذه:

أ. شيوخه²: تلقى الشيخ علومه الأولى على يد مشايخ كثير؛ سواء من مدينة قمار أو من تونس نذكر منهم على سبيل الاختصار ما يأتي:

- جدّه الأخضر بن عمر رحمته، حفظ عنه القرآن الكريم.
- الشيخ عمار بن الأزعر القمار رحمته المتوفى: 1393هـ/ 1968م.
- الشيخ محمد بن السائح اللقاني الجزائري رحمته المتوفى: 1389هـ/ 1970م.
- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التونسي رحمته المتوفى: 1393هـ/ 1973م.
- الشيخ معاوية التميمي التونسي رحمته المتوفى: 1363هـ/ 1944م.

ب. تلاميذه: تأسست مدرسة النّجاح في قمار وكان الشيخ رحمته هو المدير والمعلم والمراقب والمسؤول علمها من كلّ النّواحي، فتخرج على يديه عدد كبير من الطلبة؛ الذين أصبحوا عمدة الجزائر في العلم والأدب والإدارة والسياسة والاقتصاد بعد الاستقلال³.

2. مؤلفاته⁴: ترك الشيخ رحمته مؤلفات نفيسة تُنبئ على نُبل الرجل وعلو شأنه في مجال العلم، غير أنّ هذه المؤلفات حبيسة خزانة المخطوطات لدى مكتبة الشيوخ في جامعة المير عبد القادر بقسنطينة على وفق وصيته؛ حيث أوصى بوقفها على طلبة الجامعة. ولم يخرج منها إلى النور إلّا القليل⁵. وسأقتصر في هذه الأسطر على ذكر مؤلفاته المتعلقة بالقرآن وعلومه حتى لا يطول المقام.

ومؤلفاته المتعلقة بالقرآن وعلومه على النحو الآتي:

أ. قواعد وكليات في الثابت والمحذوف في القرآن الكريم، تحقيق الدكتور أبو القاسم

1 ينظر تفصيل هذه الأحداث: خارج السّرب، أبو القاسم سعد الله، ص: 156، 157، 158، 159، 160. الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، د. إبراهيم رحمان، ص: 23، 26، 31، 37، 38. أعلام من قمار بوادي سوف، التجاني العقون، ص: 340، 341. علماء سوف وشذرات من تراثهم الدفين، أ. فؤاد عطاء الله، مجلة الذاكرة، العدد: 4، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني، التراث العربي المخطوط بالجنوب "واقعه وأعلامه"، 15، 16، ديسمبر، 2014م، ص: 262.

2 خارج السّرب، أبو القاسم سعد الله، ص: 157. الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، د. إبراهيم رحمان، ص: 20، 21.

3 خارج السّرب، أبو القاسم سعد الله، ص: 159.

4 ذكر مؤلفات الشيخ بالتفصيل أبو القاسم سعد الله أثناء تقديمه لكتاب منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 10، 11. الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، د. إبراهيم رحمان، ص: 48، 49، 50، 51، 52.

5 علماء سوف وشذرات من تراثهم الدفين، أ. فؤاد عطاء الله، مجلة الذاكرة، ص: 263.

سعد الله ﷺ، صدر مطبوعاً ضمن منشورات المجلس الإسلامي الأعلى عام 2014م.
 ب. مجموعة تشتمل على مسائل في رسم القرآن وضبطه، وهو مخطوط متواجد في مكتبة الشيوخ في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة.
 ت. منظومات في مسائل قرآنية، وهو مطبوع منذ حياة الشيخ سنة 1986م، وهو الذي سنخسه بالدراسة.
 ث. منظومة قواعد البيان في الثابت والمحدوف في القرآن على رواية ورش . دراسة وتعليق . رسالة ماجستير، الدكتور طالبي محمد، نوقشت في جامعة باتنة، 2008م¹.
 ج. رسالة في رسم الألف في القرآن كما في المصحف، وهو لا يزال مخطوطاً.
 ح. التعليقات البانية على منظومات مسائل قرآنية، وهو لا يزال مخطوطاً².
 3. مكانته العلمية:

كان الشيخ واسع الاطلاع على الثقافة الدينية والمعرفة العربية؛ فهو عارف بالتفاسير ومعاني القرآن، وأصول الفقه وفروعه والمذاهب الإسلامية وعلم الكلام والحديث. ومعرفته لهذه العلوم ليست معرفة نقلية تعتمد على الحفظ فقط بل كانت معرفة عقلية أيضاً.

فالشيخ ﷺ لم يكن مقلداً في كثير من الأمور، بل كانت له استقلالية في الفكر والرأي. كما كان ﷺ مولعاً بالمعارف الأدبية، فهو حافظ للمفردات ورواية للشعر العربي في جميع عصوره، فلا تكاد تذكر له أدبياً في الجاهلية أو في الإسلام أو في العصر الحديث إلا جاءك بنموذج من أدبه ومن حياته وأخباره ومن مصادره ومظانه³.

4. وفاته: توفي الشيخ ﷺ بعد حياة علمية حافلة بالعباء يوم الثلاثاء 16 رمضان 1424هـ الموافق لـ 11 نوفمبر 2003م، ودفن في قمار، فرحم الله الشيخ رحمة واسعة وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً⁴.

المبحث الثالث: جهود الشيخ محمد الطاهر التليلي ﷺ في خدمة كتاب الله

لم يكن ببلادنا جامعات إسلامية عريقة تهتم بالدراسات الإسلامية، لذا نجد العناية بالدراسات القرآنية قليل في بلادنا، إضافة إلى سياسة الاستعمار الشرسة والمتمثلة في الإساءة إلى علماء الدين والثقافة الإسلامية.

غير أن شيخنا لم يستسلم لهذه الأسباب، بل نجده منذ تقاعده كرّس جهده للقرآن

1 المرجع نفسه، ص: 264، 265، 266.

2 الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، د. إبراهيم رحمان، ص: 48.

3 ينظر: تقديم الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتاب منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 10.

11. خارج السرب، أبو القاسم سعد الله، ص: 161.

4 الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، د. إبراهيم رحمان، ص: 45. علماء سوف وشذرات من تراثهم الدفين، أ. فؤاد عطاء الله، مجلة الذاكرة، ص: 263.

الكريم قراءة ودراسة. فقد كان يقضي جلَّ وقته في تكراره واستظهاره والتعبد به. كما أنَّه كان يُدرِّسه دراسة تحقيق وتعمق، وذلك بكثرة اطلاعه على التفاسير والقضايا والأبحاث القديمة والمعاصرة التي تعالج القرآن الكريم¹.

وخير دليل على ما قلناه منظوماته النفيسة في مسائل قرآنية، تدل على مدى تمكن الشيخ من فنون وعلوم القرآن ونبدأ أولاً بـ:

المطلب الأول: منظومة المدخل في غريب القرآن

هذا النظم مكون من 445 بيتاً من الرجز، يذكر فيه المفردات الغريبة الواردة في القرآن الكريم، وقد فرغ من تبييضه يوم الرابع من ذي القعدة من عام 1402هـ، ومن خلال المقدمة يذكر الشيخ منهجه المتبع في نظمه.

سبب تأليفه: أمّا عن سبب تأليف هذا النظم فيعود إلى الحلقات القرآنية التي كان يقيمها الشيخ رحمته مع حفظة كتاب الله من أجل مذاكرة الآيات الخاصة والألفاظ الشاذة والحروف النادرة. وكان فارس الحلقة في هذه المذاكرة الشيخ عمّار العمري²، ولما علم الشيخ أنَّ هذه الحلقات ستطول مدتها إلى سنوات عزم على نظم الغريب أو أكثره الذي ذكر في القرآن وجعله كمدخل لتلك المذكرات المجموعة في المنظومة الخاصة والمسمّاة بـ "حجر المخلاة"³.

منهج المؤلف في هذا النظم: هذا النظم المسمّى بـ "المدخل الرّبّاني للمفرد الغريب في القرآن"، جمع فيه الشيخ أكثر الكلمات التي وردت مرّة واحدة في القرآن دون النظر إلى صيغتها أو وزنها، بل المراد من هذا الجمع ما ورد مرة واحدة وعلى أية حال كانت.

ابتدأ الناظم رحمته المنظومة بمدخل يتضمّن ثلاث وعشرون بيتاً أثنى على المولى عزّ وجلّ وصلى على النبي صلّى الله عليه وآله وبيّن مقصده من هذا النظم، ومنهجه فيه، مع ذكر العنوان الكامل.

تتبع الناظم رحمته في هذا النظم ترتيب حروف الهجاء في ذكر الألفاظ القرآنية والتي بلغ عددها خمسٌ وثمانون بعد الثلاثمائة⁴.

وقد استعان بمعجم الألفاظ والأعلام القرآنية للشيخ محمد إسماعيل إبراهيم⁵.

ثم بدأ رحمته في إيراد الألفاظ القرآنية مرتبة حسب حروف الهجاء، فيذكر الكلمة ومكان ورودها في القرآن، نحو قوله:

1 ينظر: منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 11.

2 هو الشيخ عمار بن أحمد العمري القماري، ولد سنة: 1895، أخذ العلم على عدة شيوخ سواء من بلدة قمار أو من الوافدين إليها، وكان آية في حفظ القرآن وعلومه. كثير المدارس له خاصة مع الشيخ التليلي رحمهما الله تعالى. ينظر: أعلام من قمار بوادي سوف، التجاني العقون، د ط، مطبعة سخري، الوادي، 2013م، ص: 285.

3 ينظر: منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، "مقدمة النظم الأول"، ص: 15، 16.

4 المصدر نفسه، ص: 17، 18.

5 هذا الكتاب يشمل جميع ألفاظ القرآن الكريم مرتبة هجائياً مع الشرح وبيان عدد مرات ورود كل لفظ، ومواضع نصوصه في السور والآيات مع تعريف بالأعلام التاريخية والجغرافية.

وَأَبَقِ الْفَعْلَ أَتَى بِمُفْرَدِهِ ..: فِي سُورَةِ الْيَقِطِينَ فاعلم وانتبه¹.
 أَي أَنَّ وَرَدَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا بَقِيَ إِلَى الْفُلْكِ
 الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: 140].

وَقَدْ يَذْكُرُ الْكَلِمَةَ وَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ مَعْنَى نَحْوِ:
 وَالْأَثْلُ² نَبَتْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ..: فِي سِيَِّ مُنْفَرِدًا وَحْدَانِي.
 وَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقًا مَجْمُوعَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا النِّظْمِ، وَنَسْذَكُرُ فِي هَذَا
 الْجَدْوَلِ عِدَدَ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ حَرْفٍ

الحرف	عدد الألفاظ الواردة في النظم	الحرف	عدد الألفاظ الواردة في النظم
الألف	12 كلمة	الضَّاد	10 كلمات
الباء	19 كلمة	الطَّاء	8 كلمات
التاء	6 كلمة	الظَّاء	كلمة واحدة
الثاء	6 كلمة	العين	15 كلمة
الجيم	19 كلمة	الغين	11 كلمة
الحاء	23 كلمة	الفاء	20 كلمة
الخاء	14 كلمة	القاف	23 كلمة
الدال	14 كلمة	الكاف	14 كلمة
الذال	6 كلمة	اللام	11 كلمة
الراء	22 كلمة	الميم	13 كلمة
الزَّاي	12 كلمة	النون	25 كلمة
السين	25 كلمة	الهاء	16 كلمة
الشين	16 كلمة	الواو	18 كلمة
الصَّاد	15 كلمة	الياء	3 كلمات

وَلَمَّا فَرِغَ مِنْ ذِكْرِ اللَّفَظِ الْغَرِيبَةِ شَرَعَ فِي ذِكْرِ الْأَعْلَامِ الَّتِي ذَكَرَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْقُرْآنِ.
 فَبَيَّنَ فِي الْأَبْيَاتِ الْأُولَى أَنْوَاعَ الْأَعْلَامِ الَّتِي ذَكَرَتْ فِي الْقُرْآنِ، مِنْهَا مَا تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ، وَمِنْهَا الَّذِي
 لَمْ يَتَكَرَّرْ ذِكْرُهُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا الْأَخِيرُ هُوَ مَقْصِدُ الشَّيْخِ فِي نِظْمِهِ، قَالَ ﷺ:

وَفِي الْقُرْآنِ ذَكَرْتُ أَعْلَامَ أَنْوَاعِهَا كَثِيرَةٌ أَقْسَامُ
 مِنْهَا الَّتِي ذَكَرْتُ مَرَارًا كُثِّرَتْ فِي سُورَةٍ تَكَرَّرَ
 وَبَعْضُهَا مُنْفَرِدٌ فِي السَّطْرِ لَمْ يَتَكَرَّرْ أَبَدًا فِي الذِّكْرِ
 وَهُوَ الَّذِي أَرَدْتَهُ فِي النِّظْمِ ذَكَرْتَهُ تَتَمَّةً لِلرَّقْمِ³

1 منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 19.

2 الأثل شجر ثابت الأصل، وشجر مُتَأَثِّل: ثابت ثبوته. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِي، ت: صفوان

عدنان داوودي، ط: 5، دار القلم، دمشق، سوريا، 2011، ص: 63.

3 منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 41.

وقد ذكر 38 اسماً، مرتبة حسب سور القرآن فمثلاً عند بداية النظم قال:

فبابل ثم الصفا والمروة وعرفات وهي أعلى ذروة
والمشعر الحرام أو هاروت وميكائيل أيضاً أو ماروت
فكلها قد ذكرت في البكر ولم تكرر عندنا في الذكر

ثم ذكر الأسماء التي جاءت في سورة آل عمران فقال:

بدرٌ وبكةٌ هما اثنتان ذكرتا في سورة العمران¹

وفي آخر النظم ذكر عدد الأبيات وتاريخ الفراغ من النظم، فقال:

أبياته في قولنا (أتم) الطاهر التليي هذا النظم

فرغت من تبويضه في الرابع من شهر (زد) لقمير مطالع

من عام ألف ومئات أربع وستين بالتاريخ الأملع²

فرمز بعدد الأبيات بقوله: "أتم" وقصد بها الحساب الجُملي، فالألف برقم 1، والتاء

بعدد: 400، والميم بعدد: 40، وبعد الجمع يكون عدد الأبيات واحد وأربعون بعد الأربعمائة.

وأما تاريخ الفراغ منه فذكر اليوم الرابع ورمز للشهر بقوله "زد"، فيكون رقم حرف الزاي: 7،

ورقم حرف الدال: 4، وعليه يكون الشهر المراد شهر ذي القعدة، أما التاريخ فقد ذكره

صريحاً، وهو عام ألف وأربعمائة واثنين للهجرة.

المطلب الثاني: منظومة حِجر المخلاة في مجالس المحاجة

بعد أن أتمَّ الشيخ النظم الأول عرَّج على النظم الثاني، وسماه بـ "حجر المخلاة في

مجالس المحاجة". وهو نظم يتكون من ألف وثلثمائة وسبعة بيت فرغ من تبويضه يوم

الثاني من شعبان من عام ألف وأربعمائة وثلثة للهجرة. وسنتعرض بحول الله في هذا

المطلب إلى بيان منهج النَّاطم فيه.

سبب تأليفه: يرجع سبب تأليف هذا النظم إلى مذاكرة الشيخ رحمته مع الشيخ الوقور

والمحترم عمَّار العمري رحمته، فقد كان هذا الأخير يُلقي في المجلس مسائل قرآنية ويطرح

إشكالات خاصة بالرسم والضبط وما إلى ذلك فيما يشبه النظم ويطلب من الشيخ التليي

رحمته تصحيح ذلك. عند ذلك خطر على بال الشيخ نظم هذه المسائل والأجوبة التي صححها

لشيخه ومما استفاده من الطلاب وأمّهات الكتب في نظم مفيد سمَّاه بـ "حِجر المخلاة في

مجالس المحاجة"³.

منهجه في نظمه: ابتدأ النَّاطم نظمه بحمد الله . عزَّ وجلَّ . والصَّلَاة على النبيِّ محمد صلوات ،

ثمَّ بين سبب تأليفه لهذا النظم، ثم ذكر منهجه في هذا النظم على النحو الآتي:

1 المصدر السابق، ص: 42.

2 لمصدر نفسه، ص: 42.

3 ينظر: منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليي، "مقدمة النظم"، ص: 49.

1. ألفاظ هذا النظم هي من إلقاء الشيخ عمّار العمري، وتولى الشيخ التليلي تصحيح النظم.
2. أكثر نصوص هذا النظم مأخوذة من كتب أهل الفنّ في الرسم والضبط¹، ثم جعلها ضمن أبواب.
3. لم يقصد استيعاب كل الألفاظ الواردة في أي الكتاب بل كل ما حضر وتذاكره أثناء الحلقات، قاصدا بذلك التيسير والتسهيل على الطلاب.
4. فصل كلّ نوع في باب منفصل ومستقل ويبدأ بذكر الكلمات المفردة ثم التي تكررت مع ذكر السورة الموجودة فيها، نحو:
بعض ما جاء منه واحد

فبیس بالفاء وباللام أتى في سورة النحل وحيدا أثبتا²

ثم ذكر الباب الثاني في: بعض ما جاء منه اثنان

لفظ اللذان جاء في النساء بألف وفصلت بياء

أعني المثنى أما لفظ المفرد ولفظ جمع فكثير العدد³

5. جلّ هذا النظم متعلق بالرسم والضبط، وهذه بعض الأمثلة تبين ذلك:

ارسم طغى بالياء مهما جاء إلا طغا الماء أتى استثناء⁴

قصد الناظم هنا أنّ لفظ طغى ترسم بالياء في أي موضع وقعت فيه، إلا في موضع

سورة الحاقة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْبَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11]. فإنها ترسم بألف ممدودة⁵.

ومثال آخر: بقيت الله أنت يهود مفتوحة التاء بلا حدود⁶

قصد الناظم ﷺ أنّ التاء في لفظ بقية رسمت مفتوحة في سورة هود عليه السّلام

فقط، وغيرها فهي على الأصل فتأوها مربوطة كما في موضع سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: 248].

1 لم يذكر الشيخ المراجع والمصادر التي اعتمد عليها، وإنما أشار بأنه اعتمد على كتب أهل الفن فقط. ويمكننا ذكر بعض المؤلفات في الرسم والضبط: المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، وكذا مورد الظمّان في رسم القرآن والذيل في فن الضبط للإمام محمد بن محمد الخراز رحمتهما.

2 منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 53.

3 المصدر نفسه، ص: 58.

4 المصدر نفسه، ص: 53.

5 لفظ طغى لغتان: طغوت، وطغيت، ورُسِمَ بالياء في جميع المواضع إلا موضع الحاقة فإنه بالألف، والمراد التفخيم كما قال الداني. ينظر: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، ت: جمال السيّد الرفاعي، ط: 1، المكتبة الأزهرية، مصر، 2007م، ص: 89. هجاء مصاحف الأمصار، أبو العباس المهدوي، ت: حاتم الصالح الضامن، د ط، الشارقة، د ت، ص: 51.

6 منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 54.

ومن ناحية الضبط نذكر مثالا على ذلك:

وجاء أمة¹ شذوذا فاعرف
واهملوا التشكيل في التسهيل
تسهيله لدى شمال الألف
غير الذي قل شدَّ في التسهيل²

6. تعرض النَّاطِم كذلك للحالة الإعرابية للكلمات القرآنية من ذلك:

طائفة بالنصب قل ثنتان³ في قصص وسورة العمران³

أي أنَّ لفظ "طائفة" جاء منصوب في موضعين الأول في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدْدٍ أَلْفٍ مَمْنَةً تَحَاسَبًا يَعْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: 154] وباقي المواضع في سورة آل عمران بالرفع⁴. والموضع الثاني في سورة القصص عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ فرعونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ [القصص: 4].

7. ومن ناحية تشابه الآيات أولاه الشيخ اهتمامه أيضا نحو:

لفظ الرسول بعده يدعوكم
في آل عمران في الحديد
في سورتين لهما أدعوكم
قبل الرسول الواو بالتحديد⁵

قصد النَّاطِم أن هناك متشابهات في القرآن فمن خلال هذا النظم يدلُّك على نوع التشابه ومكانه وكيف تفرق بينها فمثلا لفظ الرسول يأتي قبله "واو" وبعده لفظ "يدعوكم" وذلك في موضعين، الأول في سورة آل عمران ﴿إِذْ تَضَعُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجَكُمْ﴾ [آل عمران: 153]، والموضع الثاني في سورة: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ [الحديد: 8].

8. ولما فرغ الشيخ من نظم الألفاظ القرآنية التي لها رسم خاص أو المتشابهات، تطرق لذكر الألفاظ التي فيها الظاء المشالة، حيث ذكر خمس وعشرون كلمة كلها بالظاء وهي الأصول، أما الفروع فقد ترك للطالب معرفته بمفرده.

9. رجع في كل فصل من المنظومة إلى النصوص والمصادر الأصلية من المعاجم القرآنية.

10. اقتصر عند الخلاف على مشهور القول وما استقر عليه العمل.

المطلب الثالث: منظومة تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد

1 جاء أمة تضبط الهمزة المسهلة في أمة بوضع نقطة مدوّرة مكان الهمزة دلالة على التسهيل. ينظر: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، علي بن محمد الضُّبَّاع، د ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د م، د ت، ص: 198.

2 منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 55.

3 المصدر السابق، ص: 58.

4 والمواضع هي الآية: 69، 72، 154.

5 منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 59.

يلي المنظومتين الأوليين نظم ثالث سَمَاه النَّاطِم ﷺ بـ "تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد"، وعدد أبياتها خمسمائة وتسعة وثمانون بيتاً، فرغ من نظمه في الخامس من ذي الحجة سنة ألف وأربعمائة وثلاثة للهجرة.

سبب التأليف: لما طالع الشيخ كتاب قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية للشيخ محمد إسماعيل إبراهيم استفاد منه استفادة عظيمة في النظمين الأولين، فاستخار الله . عزَّ وجلَّ . تسهيل نظم يذكر فيه ما أثبتته الشيخ محمد إسماعيل من أرقام المواد الموجودة في القرآن؛ كعدد سور القرآن، وعدد السور المكية والمدنية، وعدد آياته وما إلى ذلك. منهجه في نظمه:

ابتدأ النَّاطِم نظمه بحمد الله . عزَّ وجلَّ . وثناه بالصَّلَاة على النبي محمد ﷺ ، ثمَّ بين سبب تأليفه لهذا النظم، كما ذكر منهجه في نظمه على النحو الآتي:

1. يذكر عدد المادة؛ كعدد سور القرآن أو عدد الآيات مثلاً على طريقة الحساب الجُمْلِي، نحو:

وعدة الآيات في القرآن بجمل يذكرها بياني

واو ولام ثم راء شين مضاعف بستة تبين

للمدني بعضها وقد جمع في رمز (تنشو) فأدرك ذاك واتبع¹

2. اتبع في تبويب النظم ما سار عليه في الأصل وهو حجر المخلاة والمدخل. ومثال ذلك:

لفظ "درع"، و"دفع" و"الدلوک" ذكرت مرَّة واحدة في القرآن فرمز لعدد ورودها بحرف الألف لأن حرف الألف رقمه: 1، فقال:

دفعٌ ودفق والدلوک ما والدمع والدينار دهق أدهما

فكلها (بألف) ولفظ دل بسبعة ودك (زاي) متصل²

3. قد يجمع بعض الرموز في كلمة كلغز يُطلب من القارئ فك رموزه.

4. لم يهتم بذكر الأعلام كثيراً.

5. اعتبر عدد سور المكي إحدى وتسعون سورة، وأمَّا المدني فهو ثلاثٌ وعشرون سورة.

ولم يعتبر السور المختلف فيها.

6. ختم النظم بأبيات يبيِّن افتقاره للمولى عزَّ وجلَّ وضعفه وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على

تواضعه ودُّلّه وخشوعه لله تعالى، هذا ما التمسناه من كلامه ولا نزكي على الله أحد.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن عرض النتائج المتوصل إليها على النحو الآتي:

1. تزخر الجزائر عموماً ووادي سوف خصوصاً بمشايخ فضلاء كرسوا حياتهم وجهدهم

خدمة للدين ونشر تعاليم الإسلام، من بينهم الشيخ: محمد الطاهر التليلي ﷺ .

1 منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، ص: 137.

2 المصدر السابق، ص: 147.

2. للشيخ محمد الطاهر التليلي رحمته الله جهود نفيسة في خدمة كتاب الله . عزَّ وجلَّ . تظهر بوضوح في مؤلفاته الجليلة.
 3. تمكَّن الشيخ من بعض علوم القرآن، وهذا إن دلَّ فإنَّما يدلُّ على اطلاعه الدقيق وثقافته الواسعة في هذا الفنِّ.
 4. مؤلفات الشيخ في مجال علوم القرآن منها ما أُخرج للنور ومنها ما يزال حبيس خزانة المخطوطات.
 5. على الطلبة المتخصصين في مجال علوم القرآن التوجه إلى مثل هذه المؤلفات وتحقيقها ودراستها دراسة علمية تليق بمثل هذا الموروث النفيس.
- هذا والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، " مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي".
 1. أعلام من قمار بوادي سوف، التجاني العقون، د ط، مطبعة سخري، الوادي، 2013.
 2. خارج البئر، أبو القاسم سعد الله، د ط، عالم المعرفة، الجزائر، 2015.
 3. سفير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، علي بن محمد الضَّبَّاع، د ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د م، د ت.
 4. الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، د. إبراهيم رحمان، ط:1، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 1432هـ/2011م.
 5. الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم بن محمد العوامر، ت: الجيلاني العوامر، د ط، منشورات ثالة الأبيار، الجزائر، 2007.
 6. علماء سوف وشذرات من تراثهم الدفين، أ. فؤاد عطاء الله، مجلة الذاكرة، العدد:4، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني، التراث العربي المخطوط بالجنوب "واقعه وأعلامه"، 15، 16، ديسمبر، 2014م.
 7. مفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغِب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، ط:5، دار القلم، دمشق، سوريا، 2011.
 8. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، ت: جمال السيّد الرفاعي، ط: المكتبة الأزهرية، مصر، 2007م.
 9. منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.
 10. هجاء مصاحف الأمصار، أبو العباس المهدوي، ت: حاتم الصالح الضامن، د ط، الشارقة، د ت.
 11. الوادي تراث وحضارة، دار الثقافة بالوادي، أُنجِز وطُبع من قبل cds، 43 شارع الأمير خالد بولوغين، الجزائر، 2009.
- الموقع الإلكتروني: مدينة قمار تاريخ وجغرافيا، guemar.org.

الشيخ الحسين حمادي ودوره في تعليم القرآن الكريم وعلومه

ليلى شبرو

قسم دكتوراه التفسير والتشريع المقارن - جامعة الوادي

aboukosaye1981@gmail.com

ملخص البحث

لقد حظي القرآن الكريم اهتماما كبيرا من قبل العلماء في شتى مجالاته وفنونه، خاصة من علماء الجزائر ومنهم فضيلة الشيخ الحسين بن علي بن حمادي المولود ببلدية النخلة بالواد، والمتوفى سنة 1982م، الذي نذر نفسه لخدمة كتاب الله تعالى، وأفنى عمره لينير الطريق لغيره، فمن المجحف إهماله وعدم التطرق إليه، وهذا العلامة شدّ اهتمامي؛ لما كان له من عظيم الجهد في تنوير المنطقة بالقرآن، وبعث العلم فيها، لذا أردت التعريف بهذه الشخصية القرآنية الفذة، وإبراز دوره في خدمة القرآن وعلومه، واخترت لهذا البحث العنوان: "الشيخ الحسين حمادي ودوره في تعليم القرآن الكريم وعلومه"، ولقد كان الشيخ ذو علم وافر، وتلاميذه يشهدون له بالفطنة والذكاء، وغزارة العلم في شتى أنواع العلوم، إلا أن فترة تعليمه للناس كانت إبان الاستعمار الفرنسي الغاشم، حيث لم يتمكن أحد ولا هو من تدوين وكتابة موروثه العلمي إلا اللهم الزير جدا، أضف لذلك أن تلاميذه لم يولوا اهتماما كبيرا لما يلقيه عليهم من علومه المختلفة، نظرا للحقبة الاستعمارية وما ينتج عنها من جهل وفقر وتشريد، وقلة المؤونة، فالبعض منهم لا يستطيع أن يقتني قوت يومه، وذلك بشهادة أحد تلاميذه الذي ذكر أنه كان يُبين لهم المتشابهات القرآنية بمنظومة الدنفاسي وغيرها، إلا أن هذا الأخير لم يكن يعرف قيمتها إلا بعد رحيل الشيخ، فهم الآن يتأسفون عن كل دقيقة ذهبت منهم دون استغلالها من الشيخ، لذلك تحدثت في البحث عن كيفية مساهمة الشيخ في نشر رسالة القرآن، والأثر الذي تركه في خدمة كتاب الله والعلوم المتصلة به، فقسمته إلى مبحثين تناولت في الأول التعريف بالشيخ والعصر الذي عاش فيه، أما المبحث الثاني فقد خصصته للدور الذي حققه في خدمة القرآن وعلومه والذي شمل بدوره عناية الشيخ بالقرآن تلاوة وإقراء، حيث شمل منهجية الشيخ في تدريس القرآن الكريم بطريقة الإنصات والاستماع، وكيفية تعليمه للطلبة الأميين والأطفال، بالإضافة للعلوم المتصلة بالقرآن والمتمثلة في الرسم القرآني، والمتشابه اللفظي، كما تطرقت لعنايته بالتفسير مشافهةً وكتابةً، لأتوصل في النهاية لعدة نتائج منها: رغم الحياة التي عاشها الشيخ وقت الثورة، وما عمّها من ظلم واضطهاد وفقر، كل ذلك لم يثن عزيمة الشيخ الثابتة والمخلصة في تعليم كتاب الله وتحفيظه للأجيال والمحافظة عليه، مما جعل القرآن راسخا في عقول وقلوب طلبته إلى يومنا هذا.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحببيه، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

لقد حظي القرآن الكريم منذ نزوله اهتماما كبيرا من قبل العلماء، فكان محط أنظارهم ومناط أفكارهم، وموضع عنايتهم في القديم والحديث، حتى استفادوا منه علوما كثيرة وفنونا غزيرة، فطائفة منهم اعتنت بالكتابة فيه، وأخرى اعتنت بتدريسه ونشر تعاليم ديننا الحنيف، وقد كان من هؤلاء الجُلَّة العلماء فضيلة الشيخ الحسين حمادي الذي نذر نفسه لخدمة كتاب الله تعالى، وأفنى عمره لينير الطريق لغيره، فمن المجحف إهماله وعدم التطرق إليه، وهذا العلامة شدَّ اهتمامي؛ لما كان له من عظيم الجهد في تنوير المنطقة بالقران، وبعث العلم فيها، لذا أردت التعريف بهذه الشخصية القرآنية المحبة لله وكتابه، وإبراز دوره في خدمة القرآن وعلومه، واخترت لهذا البحث العنوان: "الشيخ الحسين حمادي ودوره في تعليم القرآن الكريم وعلومه".

ومن أعظم حقوق العالم أن تأخذ علمه، وتلازمه لتستفيد منه، لألا يموت وعلمه في صدره، لأن هذا العلم ورثه العلماء عن الأنبياء، فمن الجفاء أن يُضَيَّع العالم، ويُترك علمه، ولقد كان الشيخ ذو علم وافر، وتلاميذه يشهدون له بالفطنة والذكاء، وغزارة العلم في شتى أنواع العلوم، إلا أن فترة تعليمه للناس كانت إبان الاستعمار الفرنسي الغاشم، حيث لم يتمكن أحد ولا هو من تدوين وكتابة موارثه العلمي إلا اللمم الزير جدا، أضف لذلك أن تلاميذه لم يولوا اهتماما كبيرا لما يلقيه عليهم من علومه المختلفة، نظرا للحقبة الاستعمارية وما ينتج عنها من جهل وفقر وتشريد، وقلة المؤونة، فالبعض منهم لا يستطيع أن يقتني قوت يومه، وذلك بشهادة أحد تلاميذه الذي ذكر أنه كان يُبين لهم المتشابهات القرآنية بمنظومة الدنفاسي وغيرها، إلا أن هذا الأخير لم يكن يعرف قيمتها إلا بعد رحيل الشيخ، فهم الآن يتأسفون عن كل دقيقة ذهبت منهم دون استغلالها من الشيخ.

أولا: إشكالية البحث:

من خلال ما سبق يجد القارئ نفسه أمام العديد من الأسئلة التي يطرحها موضوع هذا البحث حول إسهامات الشيخ الحسين وجهوده في خدمة كتاب الله تدريساً وإقراءً، وأثرها على واقع الأمة المسلمة، فمن تلك التساؤلات ما هو ذو علاقة بحياته، ومنها ما هو متعلق بتعليمه وتعليمه.

فمن هو الشيخ حمادي؟ كيف ساهم في نشر رسالة القرآن؟ ما الأثر الذي تركه الشيخ في خدمة كتاب الله؟ كيف حقق النجاح في التعليم القرآني؟ هل كان يفسر للناس القرآن؟ ما العلوم الأخرى التي كان ينبه عليها طلبته؟ والعديد من الأسئلة الأخرى الفرعية التي تتناول بعض جزئيات هذه المواضيع، وأسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون قد وفي ولو بجانب من المقام حقه بوضع إجابات عن تلك التساؤلات وغيرها.

ثانياً: أسباب اختيار البحث: يرجع سبب اختياري لهذا الموضوع لعدة أمور أهمها:

- مكانة الشيخ العلمية بين أهل عصره؛ فقد تبوأ مكانةً عاليةً في نشر القرآن وتعليمه.
- لم يسبق لأحدٍ تكلم عن هذا العلم ببحثٍ مُستقلٍ أو مقال منشور فيما أعلم، فأردتُ خوض غمار هذا البحر، سائلة المولى التوفيق والسداد.
- ما حبا الله به الشيخ حسين في طريقة تدريسه للقران الكريم، تلقي له الحب في قلوب سامعيه، الشيء الذي يجعل النفس متطلعة لمزيد التعرف على هذه الشخصية.
- إضافة إلى ذلك فإن مثل هذا النمط من البحوث - والله أعلم - هو من أفضل أنواعها في هذه المرحلة، لما له من تعلق كبير بالتخصص، بحيث يستطيع الباحث فيه أن يُكوّن نفسه في هذا العلم.

- مما دفعني للكتابة في هذا البحث أيضاً ضعف حافظي للقران الملحوظ في تلاوتهم لكتاب الله تعالى وحفظه، بالإضافة لضعف بعض معلمي القران وعدم الخبرة في كيفية تدريسهم.

ثالثاً: أهداف البحث: مما دفعني للكتابة في هذا الموضوع عدة نقاط أهمها:

- تذكير الأجيال بأحد أعلام منطقة سوف، رغبة في إحياء تاريخهم الحافل بالمآثر، اعترافاً بما أسدوه من فضل يشكرون عليه، وجميل يذكرون به خاصةً في الأمور التي تتعلق بكتاب الله تعالى.

- إكراماً للجهود التي يبذلها أهل القران ارتأيت التحدث في الموضوع.

- الاعتناء بتعريف ولو نسبي لهذه الشخصية الفذة التي لا تكاد تعرف إلا بتدريسها للقران، وذلك بترجمة لحياته العلمية والشخصية.

- معرفة الجهود التي بذلها الشيخ الحسين مع تدريسه للقران الكريم.

رابعاً: المنهج المتبع: اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي، والذي يعتني بذكر ترجمة للشيخ الحسين، بالإضافة إلى المنهج الوصفي، المستخدم في وصف طريقة الشيخ في تدريسه للقران الكريم.

خامساً: المصادر المعتمدة:

أما بالنسبة للمصادر والمراجع فقد اعتمدت في الغالب على الرواية الشفوية من بعض تلاميذ الشيخ، ومن عاصروه، بالإضافة إلى بعض القصصات التي كُتبت بخط يديه.

سادسا: خطة البحث:

ولتحقيق الهدف قسمت البحث إلى مقدمة، ومبحثين، تطرقت في المقدمة إشكاليات الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته، أما المبحث الأول فقد خصصته للتعريف بالشيخ الحسين من الناحيتين الشخصية والعلمية بالإضافة إلى ذكر حالة العصر الذي عاش فيه، وفي المبحث الثاني تطرقت فيه للدور الذي لعبه الشيخ في خدمة القرآن وعلومه.

المبحث الأول: نبذة عن العصر الذي عاش فيه الشيخ الحسين

وبالتعريف بحياته الشخصية والعلمية

لقي التعليم القرآني في سوف اهتماما كبيرا وانتشارا واسعا، حيث نجد في أغلب الأحياء مدرسة قرآنية تابعة لمسجد أو مستقلة، وهذا ما كان سائدا في منطقة النخلة الشرقية، ومن أبرز معلمي القرآن وأشهرهم الشيخ الحسين حمادي الذي كانت له طريقة خاصة في تحفيظ القرآن الكريم، لذلك سأتطرق في هذا المبحث لإلقاء نبذة عن العصر الذي عاش فيه الشيخ الحسين، وبالتعريف بحياته الشخصية والعلمية.

المطلب الأول: العصر الذي عاش فيه الشيخ.

الفرع الأول: الناحية السياسية: ولد الشيخ الحسين بعد سبعون سنة من دخول المستعمر إلى الجزائر، وبعد 18 سنة من احتلاله لمنطقة وادي سوف، وقد كان يساند الثورة ويعمل لإنجاحها فعُيِّن مسؤولا لجمع الاشتراكات للثورة، ولم يكن بمعزل عن هذه الأحداث السياسية، فكان لها تأثير على شخصيته، خاصة أحداث ما بعد سنة 1940م عندما استقر بالنخلة، وبعد اكتشاف السلطات الفرنسية لعمل الخلايا السرية، وجمع الاشتراكات للثورة في أفريل 1957م، بدأت عمليات التعذيب والاعتقال، نُفي على إثرها الشيخ الحسين إلى تونس.

الفرع الثاني: الناحية الاجتماعية: سعى المستعمر الفرنسي إلى تدمير كل مقومات الحياة منذ دخوله للجزائر، فقام بالتضييق على المواطنين وغلق طرق وأساليب الكسب، الأمر الذي أحدث مجاعات وفقر شديد لم يسمح لطالب العلم بتحصيل مراده آنذاك، وليس من السهل أن يطلب العلم في هذا الزمن حيث الفقر الشديد والاستعمار المنادي بالجهل، ونقص الكتب، فتشد الرجال للحصول على معلومة أو كتاب، ومن تعلم في تلك الحُقبَة إلا صاحب العزيمة القوية، والرجل الشجاع الصبور، ففي زمن المصارعة لكسب لقمة عيش يسعى الشيخ الحسين للحصول على معلومة يُلبّي بها حاجة العقل والروح، ويضيء بها الدرب للآخرين.

الفرع الثالث: الناحية الدينية: سعت فرنسا للقضاء على الدين الإسلامي بوضع اللغة العربية والإسلام تحت المراقبة، وبعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر اعتبرت السلطات الاستعمارية كل تعليم قرآني ووعظ ديني هو دعم للثورة وتمرد عن السلطة، ولهذا المسعى كاد المستعمر الفرنسي أن يعدم الشيخ الحسين لولا تدخل بعض المستشارين، وتحويل الإعدام إلى

نفي للأراضي التونسية.

وقد كانت واد سوف قبل دخول المستعمر حاضرة علمية قائمة على تدريس القرآن الكريم بالمساجد، ومبادئ اللغة العربية والفقه، وبقيت على هذا الحال بعد احتلالها، ويعود ذلك إلى الجهود العظيمة التي بذلها الشيوخ والعلماء بالمدارس القرآنية وتعليم القراءة والكتابة ومحو الأمية، وتقديم دروس الوعظ والإرشاد لبث الوعي ومناهضة الاستعمار، ومن بين تلك المدارس التي تأسست في المساجد مدرسة الشيخ الحسين الحمادي بالنخلة سنة 1940م، والتي كانت تُدرّس قبل هذه السنة وكان يسيرها والده الشيخ علي.

"وكان الظاهر هو تعليم القرآن وحده لأن الاستعمار يريد أن يدرسه مجردا عن التفسير والشرح حتى لا يساهم في بث الوعي في نفوس الناشئة، وعندما يحس بذلك الوعي يضيق على المعلم أو يوقف نشاط المدرسة"¹.

المطلب الثاني: حياة الشيخ الشخصية والعلمية.

أولاً: اسمه ونسبه: هو الحسين بن علي بن حمادي بن علي بن سالم بن نصيب بن بلقاسم ابن لعجال².

وكان والده إمام مسجد النخلة منذ أوائل القرن العشرين يصلي بالناس ويُعلم القرآن، وكان شيخاً وقوراً هادئاً ذا أخلاق عالية وهمة ورزانة وتعفف، وقبل موته أوصى ابنه الحسين بالمسجد والجماعة بقوله: "هنيئاً عن المسجد، لأن هذه الجماعة إن لم تجد راعياً فستهدم المسجد وتقسم حجارته"³.

وقد تولى الولد الإمامة عند إنشاء مسجد النخلة الشرقية، حوالي سنة 1917م. ثانياً: مولده ونشأته: ولد الشيخ الحسين سنة 1900م، أو 1902م، عاش حياة بسيطة بالنخلة لا تختلف عن سكان النخلة الذين تغلب عليهم حياة الرجل أو شبه الرجل، يعيشون في البيداء على تربية الحيوانات⁴.

ورغم بساطة وتواضع الحياة آنذاك، إضافة إلى طبيعة القرية خاصة النخلة التي كانت أشبه بمقر موسمي تدب بها الحياة في فصل الخريف أكثر من بقية الفصول، فمعظم السكان يقضون باقي الفصول يجوبون البادية بحثاً على الكلاً والماء، ومن استقر منهم لا تتوفر له أدنى متطلبات الحياة، لكن لم يمنع ذلك من بروز طموحات وفطانة، وميولات الطفل الحسين الذي أبدى رغبة كبيرة في التعلم واستعداداً للرحيل إلى الجنوب التونسي

¹ - دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر "مجتمع وادي سوف نموذجاً"، للأستاذ علي غنابزبة، مقال منشور بمجلة البحوث والدراسات: دورية أكاديمية محكمة يصدرها المركز الجامعي بالوادي، العدد الرابع، السنة الرابعة، محرم 1428هـ/يناير 2007م، ص 70.

² - الشيخ الحسين حمادي، دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م، محمد العيد قذع، الوادي، مطبعة ذويب، ط1، 2013م، ص 38.

³ - المرجع نفسه، ص 39.

⁴ - المرجع نفسه، ص 43.

مبكرا عندما سمع بالمستوى الذي وصلت له المدارس والزوايا من رقي علي¹.
ثالثا: طلبه للعلم: مرت الحياة العلمية للشيخ الحسين بمراحل زمنية مختلفة نجلها فيما يلي:

1- دراسته بالنخلة: تلقى الشيخ الحسين تعليمه الأول على يد والده الطالب علي حمادي، إمام مسجد الحي ومعلم الصبيان فيه، كعادة المساجد في التعليم القرآني بالطريقة التقليدية، والتي تتم باللوح والقلم والدواة.

2- رحلته لطلب العلم بتونس: بعد أن تعلم الشيخ القراءة والكتابة وحفظ شيئا من القرآن على يد والده، قرر هذا الأخير بعدما بلغ عمر ابنه اثنا عشر سنة أو أكثر بقليل بالسفر به إلى نفطة بالجريد التونسي لطلب العلم، والسبب في ذلك هو أنه لما وصل في حفظه إلى الحزب الخامس بدءً من سورة الناس، وبالضبط عند قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ اثْبَأْكَ هَذَا قَالَ نَبَأُيَ الْعَلِيمِ الْخَيْرُ﴾ [التحریم: 3] كتبها برسم الألفين، فلما رأى إحدى معلمي القرآن الرسم على اللوح قال: "لعى العى"، تعريضا بالطالب علي حمادي، لأنه حال بينه وبين إمامة المسجد، فأثرت كلمة المعلم في وجدان الولد الصغير، بل أوجعته وكانت دافعا له لطلب العلم في الشرق بتونس التي كان التعليم القرآني مزدهرا فيها آنذاك، فأرسله أبوه إلى الجريد، وذهب به إلى زاوية سيدي إبراهيم بن نفطة بعد إلحاح من الولد².

ومكث الشيخ بالزاوية حوالي ستة سنوات، دَرَسَ بها القرآن حفظا ورسمًا، ومختلف العلوم الشرعية واللغوية.

3- دراسته العليا بالبلاد التونسية:

- انخراطه في جامع الزيتونة: كانت للشيخ الحسين رغبة كبيرة في الاستزادة من العلوم، فأثناء مدة إقامته في بلدة المكناسي كان يتردد على جامع الزيتونة بتونس، لإكمال دراسته وإشباع نهمة العلمي الذي لا ينتهي، بالنسبة للسنوات الأربع الأولى المرحلة الابتدائية لم يدرسها، وإنما كان آخر السنة الدراسية يذهب إلى تونس العاصمة، فيدخل الامتحان بصفة مترشح حر، فيجتازه بنجاح لسابق دراسته بزاوية سيدي إبراهيم بن نفطة، وهكذا تحصل على شهادة الأهلية من الزيتونة، ثم التحق بمقاعد الدراسة بالجامع الأعظم طالبا بصفة منتظمة، ومقيما بتونس العاصمة في مدرسة جامع الهواء، أحد المقار المخصصة لطلبة الزيتونة، وفي العطلة يعود إلى المكناسي باعتبارها مقر إقامته وأهله، فأتم السنة الخامسة 1931م، والسادسة 1932م بنجاح، ولم يكمل دراسته السنة السابعة 1933م للتحصل على شهادة التطوع أو التحصيل بسبب الاضطرابات التي وقعت في تونس عامة، وجامع الزيتونة خاصة سنة 1933م، ليعود إلى مكان إقامته بقرية أولاد لعمامي، يؤدي رسالة

¹ - الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح، محمد الصالح بن علي، الوادي، مطبعة سخري، ط1، 1433هـ-2012م، ص38-39.

² - الشيخ الحسين حمادي، دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي، محمد العيد قذع، مرجع سابق، ص 45.

التدريس والإرشاد، وهذا في ذو القعدة 1351هـ الموافق لشهر فيفري 1933م¹.
رابعاً: شيوخه وتلاميذه.

أ- شيوخه: تتلمذ الشيخ الحسين على عدة شيوخ وكان أولهم والده الطالب علي الذي علّمه مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ شيئاً من القرآن، وبعدها سافر إلى تونس وأخذ العلم من شيوخها منهم:

1- شيوخه بنقطة: تتلمذ الشيخ الحسين بزاوية سيدي إبراهيم بنقطة على يد ثلة من الشيوخ المشهود لهم بالشموخ في العلم والتبحر فيه، منهم: الشيخ محمد بن حمد وهو عالم مشهور في الحديث والفقه المالكي وعلم الفرائض، أغلب دروسه كان يلقيها في مسجد ضيف الله بنقطة.

- الشيخ إبراهيم الصمادح وهو شيخ بارز في الفقه على المذهب المالكي خصوصاً.
- الشيخ التابعي بن الوادي وهو عالم في التوحيد والعقائد أو ما يسمى وقتها بعلم الكلام.
- الشيخ لحبيب: معجزة في القرآن الكريم تلاوةً ورسمًا بروايات، ويقال أنه لا يعرف شيئاً غير القرآن، يقرؤه من أول سورة أو من آخرها بطلاقة، وكان وقت دراسة الطالب الحسين شيخاً طاعناً لا يُدرس في الزاوية، ولكن يأتيها من حين لآخر فيقضي بها أيام، وكان يحب الطالب الحسين كثيراً، لما يرى فيه من نباهة وذكاء وتعطش للعلم، وكان يقصد الطالب الحسين أول ما يأتي للزاوية، يعطيه العلم ويصح له لوحه، وإذا لم يجد ما يصح يكتب له تحت الكلمات هذه موجودة كذا مرة في القرآن، وهنا إمالة أو إدغام، وغيرها من المعلومات، ومن ذكاء الطالب الحسين وشغفه بالعلم، يستغل تواجد الشيخ لحبيب بالزاوية فيقلل من حفظ القرآن، ليأخذ أكبر قسط من علم الشيخ².

2- شيوخه بالزيتونة: وكان من أشهر شيوخه بالزيتونة: الشيخ أحمد بن عثمان في الفقه المالكي، الشيخ محمد الزغواني، الشيخ محمد التارزي بن عبد الله في المواريث، الذي أخذ عنه كتاب الرحبية في علم الفرائض، شيخ الإسلام محمد عبد العزيز جعيط علم الأصول، الشيخ محمد الخطّاب بوشناق في الفقه، الشيخ إبراهيم النيفر، الشيخ محمد عبد العزيز النيفر في الأدب والبلاغة أخذ عنه إجازة في كتاب مختصر السعد التفتازاني³.

ب- تلاميذه: للشيخ فضل كبير على كثير من الناس من مختلف المناطق؛ كالعقلة والنخلات الثلاث والخبنة، وكان نتاج تلامذته كبير مقارنة مع طلبة آخرين من المناطق المجاورة، وكلما دخلوا لمسابقة نجح منهم عدد كبير جداً، وكان أغلب الذين درسوا عنده يجتازون امتحان الزيتونة⁴.

ومن بين تلاميذ الشيخ الذين تعلموا على يديه نذكر:

¹ - المرجع نفسه، ص 52-53.

² - الشيخ الحسين حمادي، دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي، محمد العيد قدح، مرجع سابق، ص 53.

³ - المرجع نفسه، ص 47.

⁴ - لقاء مع المجاهد لمن حمادي نجل الشيخ الحسين، بمنزلة الكائن بحي الشهداء الوادي يوم: 8 نوفمبر 2016م، على الساعة: 17:00.

- الإمام لزهاري بن عمار حميداتو: تلقى تعليمه الأول على يد الشيخ الحسين إلى أن نُفي الشيخ، وبعد عودته من المنفى درس عنده مع مجموعة من الطلبة: الفقه واللغة عبر الأجرومية والقطر وغيرها، عمل في ميدان التعليم إلى أن تقاعد سنة 2006م، قال الشيخ لزهاري: "تسعة طلبية في شهر واحد حفظوا عنده الأجرومية بشرحها، وأنا منهم، والآن أدرس بنفس طريقة شيعي في تعليم الأجرومية والقران وغيره"¹.

- الشيخ الطاهر بن لخضر حميداتو: أحد الذين حفظوا القران على يد الشيخ، إذ يقول: "حفظت القران الكريم كاملا على يد شيعي الحسين، مُركزا على رسمه ومتشابهه، وقد كان الشيخ يتلوا علينا بعض أبياتها، ويبين لنا رسم الكلمات القرآنية، ولكن مازلنا صغارا على حفظها بالشرح، والآن أدرس طلبتي بمنظومة الدنفاسي في الرسم لأنني أجدها الطريقة الأفضل في تحفيظ القران الكريم، فالطالب من خلالها يقوم بتشغيل ثلاثة جوارح في وقت واحد العين واللسان واليد، ومن مميزات أيضا قوة الحفظ الملاحظ عند الكثير من الحفاظ، ومعرفة الرسم القرآني الذي لا يعرفه الكثير"².

- الشيخ عمر شويرفات: من أقدم تلامذته وأحبهم له، نشأ يتيما لذلك كان يعطف عليه، ولقد تركه لخلافته في تحفيظ القران أثناء نفيه، حاليا يبلغ من العمر أربعة وثمانون سنة، ويختم القران عن ظهر قلب في يومين أو ثلاث، ويحفظ كيفية رسم الكلمات القرآنية³.

خامسا: مكانته العلمية:

امتازت حياة الشيخ الحسين بمكانة علمية مرموقة شهد لها من عرفه، ففي قرية أولاد لعمامي بالمكناسي أثناء دراسته بتونس كانت الرسائل التي تنقلها القوافل متبادلة بينه وبين أبيه، ومرة بعث له أبوه برسالة ومعها عشرة دورو، ومما جاء فيها أنه لم يكن يملك النقود حين كتابتها، وإنما استدانها فيما بعد، فرحمة بوالده قرر التوقف عن الدراسة والبحث عن عمل يكتسب منه، ومن ثم ركب القطار الذي التقى على متنه بشخص من أهل المكناسي كان يتفقد ضيعة له في توزر، فتعارفا ولما عرف المكناسي بأن رفيقه طالب ويبحث عن عمل، اقترح عليه بأن يذهب معه إلى قريتهم أولاد لعمامي، لأنهم يبحثون عن طالب لتعليم أبنائهم القران ومكث عندهم مدة تفوق العشرين سنة، يعلم القران ومبادئ اللغة وبعض العلوم الأخرى⁴.

وقد تعلم الشيخ أحكام الترتيل نظريا بالشاطبية والجزرية وغيرها، أما تطبيقيا فيتم أمام الشيخ الجميل حيث كان الطلبة يعرضون عليه قراءتهم، فيصوب ويحيز، فقرأ عليه

¹ - لقاء مع الشيخ لزهاري احميداتو ببيته بحي سيدي مستور، يوم الأحد 6 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:00.

² - لقاء مع الشيخ الطاهر حميداتو ببيته، يوم الخميس 10 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:15.

³ - لقاء مع الشيخ عمر شويرفات في مسجد النخلة الشرقية المقابل لجمعية خالد بن الوليد لتحفيظ القران، يوم

الخميس 10 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:00.

⁴ - الشيخ الحسين حمادي، دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي، محمد العيد قدح، مرجع سابق، ص 49-50.

الطالب الحسين الأحزاب الثلاثة الأولى من القرآن، أي إلى قوله تعالى: ﴿ اذْكُرْ لَهُمْ نَصِيبًا مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ [البقرة: 200] قال له الشيخ الجميل: أهكذا كل قراءتك؟ فأجابته: نعم، قال: لا تأتيني بعد اليوم فقد أجزتكَ¹.

— " لما توفر الصدق والإخلاص في طلب العلم جعلنا الشيخ الحسين يستفيد مما تعلمه، ويكوّن لنفسه قاعدة علمية متينة استند عليها، سواء في تعليمه الأولي على يد والده، أو في زاوية سيدي إبراهيم بنقطة، أو أثناء تحضيره للدخول للزيتونة، ثم ما تلقاه فيها من العلوم المختلفة، منها الشرعية: كالقراءات رواية ودراية، الرسم التوقيفي، التفسير، التوحيد، الحديث الشريف، المصطلح، أصول الفقه، الفقه، عبادات ومعاملات، مقاصد الشريعة، تاريخ التشريع الإسلامي، الفرائض علما وعملا، الأقضية والشهادات، الإجراءات، علم الأخلاق، والسيرة النبوية، ومنها الأدبية كالنحو الصرف البلاغة العروض الخطابة، والعلوم الرياضية كالحساب والجبر والجغرافيا والتاريخ، وكذلك الكتب المبرمج دراستها تحت إشراف الشيوخ والعلماء كتفسير الجلالين، الموطأ والأجرومية والشاطبية وغيرها"².

سادسا: مذهبه الفقهي: متمسك بالمذهب المالكي ويأخذ بأرائه ويرجحه على ما سواه، ومع ذلك فإنه لا يحب التشدد والتعصب، فلا يخطئ مخالفه في المذهب، ويحترم رأيه ما دام ملتزم بالحكم الشرعي.

سابعا: آثاره:

أعظمها ما خلف وراءه من تلاميذ حملوا بعده مشعل القرآن الكريم وتدرّسه، كما أن له بعض القصاصات خلفها بخط يده، ومن خلال شذرات تلك القصاصات التي خلفها يمكننا القول بأن له إلمام بعلوم شتى منها أحكام ترتيل القرآن الكريم، السنة، الحديث، علم التفسير، علم الميراث، وله باع في العروض والقوافي.

— يقول الأستاذ عبد الرزاق دادة: "في عام 1957م بعث الشيخ الحسين أخي المولدي إلى دكان بالبياضة ليرى أخبار الاستعمار، فلما وصل سأل صاحب الدكان عن الأخبار، وعندما همّ بالإجابة دخل شخص يتجسس للفرنسيين، فنزع صاحب الدكان ورقة صغيرة من دفتره ومضغها بفمه وهو يتلوا قوله تعالى: ﴿ اَلنَّارُ ذَاتُ الْوُجُوْهِ ﴾ [البروج: 5]، فحمل الشيخ المولدي هذا الكلام للشيخ الحسين، فأمرهم أن يحرقوا كل الوثائق والأوراق التي كانت بحوزته وحوزة غيره، سواء كانت الخاصة بجهة التحرير، أو الخاصة بالشيخ من كتب أو قصاصات كان يكتبها مما فتح الله عليه"³، ومن هنا يتبين لي — والله أعلم — أن الشيخ كتب بعض العلوم لتبقى أرثا لمن بعده، ولكن نظن أنها قد أحرقت مع بعض الأوراق التي كان يكتب فيها،

¹ - المرجع نفسه، ص53.

² - ينظر: الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح، محمد الصالح بن علي، مرجع سابق، ص59-60.

³ - مكالمة هاتفية مع الأستاذ عبد الرزاق دادة يوم الأربعاء 9 نوفمبر 2016م، على الساعة: 19:58.

والكتب التي يدرسها.

ثامنا: وفاته.

بعد أن نالت الجزائر استقلالها عام 1962م، رجع الشيخ الحسين إلى بلده، وعاش بقية حياته بالنخلة إماما للناس وموجها، ومعلما للغلمان، إلى أن تُوفي، وكان ذلك يوم الخميس 15 أفريل 1982م، بعد قرابة عشرين يوما مع الصراع مع المرض.

المبحث الثاني: دور الشيخ في خدمة القرآن وعلومه

كان الشيخ الحسين معلما للقران وعالما بالفقه، لِبِن العريكة حليما صابرا، طيب اللسان والسريرة، يستقبل الكل والبشاشة لا تفارقه، يحب النصيح والتوجيه، يمتاز بخفة الروح والدعابة، ومع ذلك فقد كان مهيبا مرهوب الجانب، قدم مجهودات جبارة في ميدان التعليم سواء أثناء إقامته بالمكناسي في تونس، أو ببلدته النخلة، وكان له أسلوب متميز في التدريس.

المطلب الأول: عنايته بالقران تلاوة وإقراء:

للشيخ الحسين طريقة نموذجية في تدريسه للقران الكريم تختلف حسب ما يراه مناسب لكل طالب يريد الحفظ.

أولا: منهجية الشيخ في تدريس القران الكريم بطريقة الإنصات والاستماع: يستقبل الشيخ كل من قدم لحفظ القران وعلومه ولا يرفض أحد مهما كثر عددهم، ولقد وهبه الله القدرة على التمييز بين الطلبة الذي يعرفون الحروف والذين لا يعرفونها، فيعطي لكل واحد منهم حقه في التدريس، يبدأ الشيخ في الفترة الصباحية بالاستماع إلى تلاوة طلابه بعد أن يكون قد لقَّهم سابقا وهذا بالنسبة للمتعلمين الكتابة، فيبدؤون بعرض وجه اللوح الذي كتبوه أول أمس على الشيخ وهو يسمع منهم، ويُصوب لهم الأخطاء، فإذا رأى التلميذ متمكن من الحفظ جيدا يسمح له بمحي الوجه المعروض من اللوح، ثم يعود للشيخ ليمليه وهو يكتب، والشيخ يصحح، ويذهب مباشرة لتكراره، أما في المساء يقوم التلاميذ بتكرار وجه اللوح المكتوب يوم الأمس لعرضه في الصباح المقبل، وهكذا دواليك، فيستعمل كلا الجهتين من اللوح، أما التلميذ الذي لم يتمكن من الحفظ الجيد فإن الشيخ لا يسمح له بمحي لوحه أبدا، وحين الإملاء يتحلق حول الشيخ صفين، في كل صف عشرة أو اثنا عشر تلميذا، يبدأ في إملائهم قدرا محددا من القران ثم يصحح ما كتبوه، فإذا انتهى من إملائهم وتصحيح ألواحهم، يسمح لهم بالتوجه للحفظ، وأتى غيرهم إلى أن ينتهي من كل التلاميذ، وباقي التلاميذ إما تجدهم منشغلون بمحي ألواحهم وتجفيفها، وإما يكررون ما كتبوه بالأمس، وكتابة القران أو غيره من العلوم، تتم على الألواح الخشبية بواسطة قلم القصب والدواية.

ويكون تكرارهم لما سبق إن كان عددهم حوالي تسعة أو عشرة طلبة، فالشيخ يطلب منهم أن يكرروا ما حفظوه سابقا في وقت واحد وهو يصحح لهم الأخطاء رغم اختلافهم في الأجزاء المكررة، أما إذا كان عددهم يفوق التسعين مثلا فيطلب من البعض التكرار ومن البعض الآخر الحفظ، أو يطلب من أحد تلاميذه النجباء مساعدته في ذلك.

ثانيا: كيفية تعليمه القرآن الكريم للطلبة الأميين: يبدأ الشيخ بتعليم التلميذ حروف الهجاء أ، ب، ت... فيحفظونها حرفا حرفا بالترتيب، وبعدها يتعرفون عليها يُلفت انتباههم إلى تنقيطها بهذه الكيفية؛ أَلَف لا شيء عليها والباء نقطة من أسفل... بعدها يتعرف التلميذ على حركاتها، وأولها الفتحة وتدعى؛ انصب فيقولون أنصب، بانصب، تانصب... وثانها الضمة وتدعى؛ الرفع وتدعى؛ أورفع، فيقولون أورفع، بورفع، تورفع... وثالثها الكسرة وتدعى؛ الخفضة، وتدعى؛ إخفض، فيقولون إخفض، بيخفض، تيخفض... ورابعها السكون وتدعى؛ الوقفة، وتدعى؛ أقف، فيقولون أقف، بُقِف، تُقف... وبعد حفظها تجمع كلها مرة واحدة، ويقرأ كل حرف بالحركات الأربع، ثم ينتقل إلى كتابة البسملة بالكلمة مقطعة، ثم يجمع حروفها مركبة، ثم سورة الفاتحة فالناس، وهكذا صعودا إلى سورة البقرة، ويُدرس الشيخ الأحكام القرآنية شفويا بالترتيل ولا يُعرّف بها لقصور ذهن التلاميذ عن فهمه، ولكن الذي يحفظ القرآن عنده يجيد الأحكام تطبيقا من حيث لا يدري، وإذا قَدِم للشيخ عدد كبير من الطلبة المقبلين على الحفظ، في هذه الحالة يضطر للاستعانة بالتلاميذ القدماء المجتهدين، فيُدْرَسون الطلبة القدامى، أما الجدد فيشرف عليهم بنفسه، لخوفه أن يصدر تصرف من المساعد قد يؤدي إلى عزوف التلميذ الجديد عن الحلقة، كما يشرف على كتابة اللوح بنفسه ولو كان عددهم أكثر من مائة تلميذ، وهذا لحرصه الشديد وتقديره للمسؤولية التي تحملها.

ثالثا: كيفية تصرفه عند حفظ التلميذ لكلمة قرآنية محرفة: عندما يحفظ أحد الطلبة الكلمة القرآنية بالتحريف، فإن الشيخ لا يسمح لأحد من الطلاب أن يصحح الألواح غيره، قال تلميذه "كنت في أواخر سورة الغاشية، وبعد كتابتي للوح وتصحيح الشيخ له، زاد لي أحد التلامذة القدماء شدة فوق كلمة ﴿إِيَّاكُمْ﴾ [الغاشية: 25] فحفظت الكلمة بالشد، فلما عرضت اللوح عن الشيخ، وكنت أحفظه جيدا وقرأت الكلمة بالشد أمرني بالتوقف، أخذ اللوح وسألني من وضع الشد لعلمه بأني لا أتجرأ عليه، فقلت فلان، فقال لي لا تمح اللوح، فقلت يا نعمسيدي إني حفظت، وبالنسبة للشدة فقد عرفتها ولن أقرأها بالشد، وحاولته مرارا لكنه رفض أن أمحي، لدرجة أن الحادثة ترسخت في ذهني، وبعد قرابة عشرين سنة سألته عنها، فأجابني بأن الشدة ما زال العهد بها جديدا فلو لم أفعل ذلك ستبقى طول عمرك تقرأها بالشد، ولكن لما أجلتك مازلت تتذكرها إلي اليوم¹.

كان يصحح أخطاء الطلبة حتى وهو خارج المسجد، ففي سورة المائدة سمع شخص يقرأ في قوله تعالى: ﴿أَفَعَلُمُ الْبَهِيمَةِ يَبْغُونَ² وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50] قرأها الطالب لقوم يؤمنون، فقال له لا، بل الصواب لقوم يوقنون².
رابعا: كيفية تعامله مع الأطفال:

1 - لقاء مع الشيخ لزهاري احمدياتو ببيته بحي سيدي مستور يوم الأحد 6 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:00.

2 - لقاء مع الشيخ الطاهر حميداتو في بيته بالنخلة الشرقية، يوم الخميس 10 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:15.

قال نجله الشيخ لمين: "يبدأ بتعليم الأمي أو الطفل الصغير بحيث يضعهم صفوف صفوف، الصف الأول يعلمه بالحرف الواحد حتى يحفظوه، والصف الثاني يبين له كيفية تركيب حرفين ونطقه، وهكذا لكل صف حتى يصل بالصف الذي بعده فيبين له كيفية كتابة الكلمة ونطقها، والذي بعده يبين له كيفية كتابة الآية وقراءتها، إلى أن يصل إلى كتابة الآيات وكيفية رسمها وقراءتها، وكان يعرب لهم بعض الكلمات ويبين لهم أماكن التوقف، ومن نماذج تعليمه للصغار أنه أعطانا ذات يوم طفل صغير لتدريسه، فمكثنا معه ثلاثة أشهر نحاول تعليمه الحروف، ولكن وجدناه مشاغب كثيرا، فلم نستطع تعليمه رغم عدة محاولات، فلما انتبه له الشيخ ذات يوم حزمه الأمر وقال لنا: لم تغشون والده، فالفهم ممكن إهلاك قريتنا بسببه، أتركوه لي لتعليمه، فبدأ يملئ عليه أرسم عصا، عصبية، أرسم سن، أرسم سنينة، وهكذا، حتى علمه الحروف كلها في وقت يسير، أقل من أسبوعين".¹

خامسا: طريقة الشيخ في تعليم طلبته الرسم القرآني:

الرسم القرآني هو الوضع الذي ارتضاه سيدنا عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن و حروفه، فالأصل في المكتوب موافقته للمنطوق، لكن ذلك أهمل في المصاحف العثمانية لأغراض، وهذا الجاني اهتم به الشيخ حسين كثيرا فلا تمر كلمة من هذا النوع إلا ويبيها للطلاب حتى يستطيع التمييز بينها ويتقن الحفظ أكثر، ومثال ذلك؛ قوله لتلميذه الشيخ الطاهر حميداتوا عند قراءته للكلمة ﴿ قَرَّحْ وَرَّحَانْ وَحَنَّتْ نَعِيرٌ ﴾ [الواقعة: 89] "بأن التاء في كامل القرآن رسمت بتاء مربوطة إلا في هذا الموضع من سورة الواقعة فإنها رسمت بتاء مفتوحة، لأن رؤية الله تعالى لا تفارقهم في الجنة".²

ومن أمثلة ذلك أيضا قول تلميذه الشيخ عمر: "ما زلت أتذكر نعمسيدي وهو يبين لنا رسم الكلمات القرآنية، ككلمة ﴿ ءَامَنُتُمْ ﴾ [الأعراف: 123] قال لي بأنها تكتب بهمزة استفهامية محققة ثم بألف فوقها نقطة للإشارة أنها تقرأ بالتسهيل ثم بألف بعدها، ويبيّن لي رسمها".³

قال الشيخ لزهاري: "حفظت عليه القرآن كاملا، وكان يملئ عليّ من ذاكرته دون المصحف، فأملئ عليّ ربع الأعراف مرة، وربع مريم مرة، وربع يسين مرتين، ويركز لي على الرسم القرآني".⁴ كما كان الشيخ يركز لهم على الثابت والمحدوف في القرآن الكريم، قال أحد طلبته: "كان يبين لنا الثابت والمحدوف في القرآن، وينبهنا عليه، ويقول هز من الملة - يقصد الإملاء - مثل ما أعطيتك فالثابت ثابت والمحدوف محدوف".⁵

¹ - لقاء مع نجله الشيخ لمين حمادي في بيته بحي الشهداء، يوم الأحد 6 نوفمبر 2016م، على الساعة: 17:00

² - لقاء مع الشيخ الطاهر حميداتوا في بيته بالنخلة الشرقية، يوم الخميس 10 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:15

³ - لقاء مع الشيخ عمر شويرفات بمسجد النخلة الشرقية المقابل لجمعية خالد بن الوليد، يوم الخميس 10 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:00.

⁴ - لقاء مع الشيخ لزهاري حميداتوا ببيته بحي سيدي مستور يوم الأحد 6 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:00.

⁵ - لقاء مع الشيخ الطاهر حميداتوا في بيته في النخلة الشرقية يوم الخميس 10 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:15.

سادسا: طريقة الشيخ في تنبيه طلبته على المتشابه القرآني:

لشدة حرص الشيخ على تحفيظ تلاميذه الحفظ المتقن، كان ينيهم على مواضع المتشابهات في آيات القرآن الكريم، حيث يجمع لهم المتشابهات ويظهر لهم الفرق بينها، وتحفظ بتلك الهيئة، حتى لا تختلط الآيات أثناء التلاوة، وهذه المنهجية معتمدة كثيرا في التحفيظ، ولا تزال إلى اليوم راسخة في أذهان تلاميذه الذين أصبحوا شيوخا، أمثال الشيخ عمر شوريفات الذي يتجاوز من العمر أربعة وثمانون سنة، والشيخ طاهر حميداتوا.

المطلب الثاني: عنايته بالقرآن تفسيرا:

كان للشيخ الحسين باع كبير في التفسير، ويعود ذلك لقناعته بأهمية هذا العلم، فعند عودته من تونس كان هدفه نشر العلوم التي من الله بها عليه منها علم التفسير، ولكن وجد الناس غير مهتمين بمثل هذه الأمور، وهدفهم حفظ القرآن فقط، بالإضافة إلى الجهل المطبق والتقاليد البالية والعقليات الجافة، والاستعمار المسيطر المخيف، وهذه الظروف كلها ضد العلم وأهله، ومن أمثلة ذلك أن الشيخ لما فتح كتابه في الفقه لتعليمه للناس بشهادة تلميذه الشيخ لزهارى حميداتوا حيث قال: "بقي تسعة أيام يُدرّسنا الفقه، فجاء رجل يضرب بالدف وقال للشيخ: أتركنا قليلا من الكتاب لَنُزهي أرواحنا، فأغلق الشيخ الكتاب، وقال: هذا الكتاب لا أعد أحمله وأُدرس به"¹.

ومن أمثلة حرصه على تعليم الناس التفسير قوله للأستاذ عبد الرزاق دادة: "كانوا سرعان ما يحسون بالملل وهم يستمعون للتفسير، فلما رجعت من تونس بدأت معهم التفسير ابتداءً من سورة الفاتحة، وكان الحضور كثيرا، ثم سرعان ما بدأ عددهم يقل، وبعد أسبوع أو اثنين لم يحضر للتفسير سوى اثنين فقط"².

ولكن مع ذلك كان يفسر للناس بعض الآيات وهو يحفظهم القرآن الكريم، أو لمن يسأله عن تفسير آية.

1- جهوده المتعلقة بتفسير بعض الآيات القرآنية مشافهة:

من أمثلة تفسير الشيخ الحسين للقرآن الكريم نذكر بعض من شهادات من حضروا له:

- قال الأستاذ عبد الرزاق: "لقد كان الشيخ الحسين يفسر بعض الآيات، فلما كنا نتحدث

عن سقر، فسر لي آية سورة المدثر فقال: يقال لهم: ﴿ مَا سَلَكَكَ فِي سَقَرٍ ۚ ﴾ (١٦) قَالُوا لَرَّ نَكَ مِنَ الصَّالِينَ (١٧) وَلَرَّ نَكَ نَقْلُومُ الْيَسْكِينِ (١٨) وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَاطِئِينَ (١٩) وَكُنَّا نَكُذِّبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿ [المدثر: 42 - 46]، وسقر هو تكذيبهم بيوم الدين، والتكذيب هنا هو الشرك، فالله تعالى يغفر للعبد كل شيء إلا الشرك، وقال لي: بدأت لهم تفسير سورة الفاتحة وكان الحضور عدد

¹ - لقاء مع الشيخ لزهارى حميداتوا ببنته يحي سبيدي مستور يوم الأحد 6 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:00.

² - مكالمة هاتفية مع الأستاذ عبد الرزاق دادة يوم الأربعاء 9 نوفمبر 2016م، على الساعة: 19:58.

كبير، ثم لم يبق منهم إلا واحد أو اثنين فقط"¹.

- تفسير الشيخ للآية: "﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: 128]، قال: الريع هو المكان المرتفع، والآية هي القصر"².

- قال الشيخ لزهاري حميداتوا: "عندما وصلت إلى الآية: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: 24]، أوقفني سي الحسين، قلت له لماذا يا شيخ، فقال توسمت فيك خيرا، فكلمة تعرف بمعنى أنك ستعرف الكثير من الأشياء التي تسرك في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا ستعرف القرآن وتصبح معلماً، تُدرس الكثير من الطلبة مثل هؤلاء، وأشار إلى جمع كبير من تلاميذه، وبالفعل الآن أصبحت معلماً للقران، وأُدْرَس بنفس الطريقة التي درسي بها شيخي"³.

2- جهود الشيخ المتعلقة بتفسير بعض الآيات القرآنية كتابةً:

كان الشيخ الحسين يُدون بعض الفوائد في قصاصات، وفي بعض الأوراق التي ترسل إليه كرسالة فيستغلها للكتابة، أو يأخذها من أحد الطلبة، لأنه كان لا يملك ما يشتري به أوراق أو أقلام مثلاً، وتردت أوضاعه المادية إلى أدنى المستويات، فلا تجد عائلته في أغلب الأحيان ما تسد به رمقها، ولكن وجدنا ورقة بخط يده مكتوب عليها تفسيراً للآية: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِيم﴾ [القلم: 13]، عتل: غليظ الجسم، قاسي القلب، بعيد الفهم، كثير الجهل، وقيل العتل: جاف غليظ.

زنييم: ولد زنى، وقيل هو الذي في عنقه زنمة، كزنمة الشاة التي تعلق في حلقها، وقيل معناه مريب قبيح الأفعال، وقيل ظلوم، وقيل لئيم، والزنييم: المنسوب إلى غير قومه"⁴.

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية مع الشيخ الحسين حمادي في طريقة تدريسه للقران الكريم وما يتعلق به من علوم، نخلص إلى جملة النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: نتائج البحث:

- 1- إن العصر الذي عاش فيه الشيخ الحسين إِبَّان الاستعمار الفرنسي الغاشم، أثر في شخصيته وجعله يرغب في تعلم العلوم الشرعية لنشرها، وتوعية الناس بأمور دينها.
- 2- إن الشيخ الحسين لم يكن معلماً للقران فحسب، بل كان مُلماً بعلومه المختلفة، فمارس تحفيظ القران للناس، وبعض العلوم لمن يرغب فيها، وكان يريد نشر علومه التي أخذها عن شيوخه لكن وجد إعراض من قبل معظم الناس بسبب الظروف المزرية آنذاك.
- 3- يستقبل الشيخ التلاميذ الجدد بصدر رحب، ويعاملهم بحنو ولين، ويُوليهم عناية

¹ - مكالمة هاتفية مع الأستاذ عبد الرزاق دادة يوم الأربعاء 9 نوفمبر 2016م، على الساعة: 19:58.

² - لقاء مع الشيخ الطاهر حميداتوا ببيته يوم الخميس 10 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:12.

3 - لقاء مع الشيخ لزهاري حميداتوا ببيته بحي سيدي مستور، يوم الأحد 6 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:00.

4 - ينظر: الملحق رقم (01) آخر البحث.

فائقة، ويعاملهم معاملة خاصة، فيجلسهم بجانبه، ولا يقسوا عليهم حتى لا يحسوا بالملل، ويربطهم وجدانيا بالدراسة والمدرس.

4- كان للشيخ الحسين باع كبير في القرآن وما يتعلق به، فتنبيهه للطلبة رسم الكلمات القرآنية دليل على تمكنه من ذلك العلم، وتفسيره لبعض الكلمات القرآنية سواء كان بمحض إرادته أو بسؤالهم له يدل على تمكنه من التفسير.

5- رغم الحياة التي عاشها الشيخ وقت الثورة، وما عمَّها من ظلم واضطهاد وفقر، كل ذلك لم يثن عزيمة الشيخ الثابتة والمخلصة في تعليم كتاب الله وتحفيظه للأجيال والمحافظة عليه.

6- إن منهجية الشيخ التي اتبعها في تحفيظ كتاب الله تعالى، جعل القرآن راسخا في عقول وقلوب طلبته إلى يومنا هذا.

7- هذه محاولة متواضعة للتعريف بأحد أعلام القرآن الكريم وعلومه ببلدنا، وفاء لما كان له من جهود عظيمة بقي طلبته يُدرسون بطريقته إلى هذا اليوم، ويعتبرونها أفضل نموذج في ترسيخ القرآن برسمه للأجيال.

ثانيا: توصيات البحث.

- توصي الباحثة أولا بتقوى الله في السر والعلن.

- الإلمام بجهود العلماء، ودراساتها دراسة علمية كي يستفيد منها الباحث والمطلع.

وفي الأخير أسأل الله العلي القدير أن يغفر لي خطأي، ويتجاوز عن تقصيري، وأن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم ويجعله في ميزان الحسنات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

✓ الكتب المطبوعة:

1. الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح، محمد الصالح بن علي، الوادي، مطبعة سخري، ط1، 1433هـ-2012م.

2. الشيخ الحسين حمادي، دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م، محمد العيد قدع، الوادي، مطبعة ذويب، ط1، 2013م.

✓ المقالات:

❖ دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر "مجتمع وادي سوف نموذجا"، للأستاذ علي غنابزية، مقال منشور بمجلة البحوث والدراسات: دورية أكاديمية محكمة يصدرها المركز الجامعي بالوادي، العدد الرابع، السنة الرابعة، محرم 1428هـ/يناير 2007م.

✓ اللقاءات والمكالمات الهاتفية:

❖ لقاء مع الشيخ لزهارى حميداتوا ببيته بحي سيدي مستور، يوم الأحد 6 نوفمبر 2016م،

❖ لقاء مع المجاهد لمين حمادي نجل الشيخ، بمنزله الكائن بحي الشهداء الوادي يوم: 8 نوفمبر 2016م، على الساعة: 17:00.

❖ مكالمة هاتفية مع الأستاذ عبد الرزاق داذة يوم الإربعاء 9 نوفمبر 2016م، على الساعة: 19:58.

❖ لقاء مع الشيخ عمر شويرفات في مسجد النخلة الشرقية المقابل لجمعية خالد بن الوليد لتحفيظ القرآن، يوم الخميس 10 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:00.

❖ لقاء مع الشيخ الطاهر حميداتوا ببيته، يوم الخميس 10 نوفمبر 2016م، على الساعة: 16:15.

ابنه جبري
 زعيم ولد زنا
 وعبد
 هو الذي يتفق من كرمه الله
 التي تعلق به حشده
 وفيل
 معناه قريب فيهم / افعال
 وفيل ظلموم
 وقيل لهم
 المصدر: بن علي محمد الصالح
 في النسخة
 العبد جاف غلب
 والزمهم المنهوب من النسخة فوس

نموذج من تفسير آية من سورة القلم بخط يد الشيخ الحسين رحمه الله تعالى

جهود أبي بكر جابر الجزائري في التفسير "كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" أنموذجا

فريدة زعوب

قسم دكتوراه القرآن والسنة والفكر الإسلامي . جامعة باتنة1
zaaboubfarida@outlook.com

ملخص البحث

جهود علماء الجزائر في خدمة العلوم الدينية عامة وتفسير القرآن الكريم خاصة لا ينكرها عارف منصف، ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على شخصية جزائرية أثبتت براعتها في هذا الميدان (الشيخ أبو بكر جابر الجزائري) من خلال مؤلفه "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير".

يبدأ البحث بمقدمة تعرّف بعلم التفسير وأهميته، ويذكر بأهمية مثل هذه الملتقيات في تعريف شباب الأمة بعلمائها، ثم يعرف بشخصية الشيخ أبي بكر جابر الجزائري من حيث نسبه ومولده ونشأته مركزا على أهم المحطات العلمية في حياته، ويذكر أهم مؤلفاته، ثم يعرف بالكتاب "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير". ويذكر دوافع الشيخ إلى تأليفه والمصادر التي اعتمد عليها والمنهج المتبع .

وفي الأخير يحمل البحث دعوة إلى الباحثين إلى تكثيف الجهود لإمادة الحجاب عن الجهود الكبيرة لعلماء الجزائر في مختلف المجالات العلمية والاهتمام بالشخصيات العلمية الوطنية والتعريف بها .

مقدمة

الحمد لله نعمده حق حمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ به من كل شر ونستهديه ونتوب إليه من سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عزيز، أنزله على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وجعله الحجة الدائمة على الخلق إلى يوم القيامة ونور وضياء نستمد منه السعادة والرحمة والشفاء والهداية والبيان والتبيان، أنزله الله سبحانه وتعالى ليتدبره العباد ويتبعوه، ويهتدوا به إلى سبل النجاة في الدارين.

ولذلك لما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة العظيمة والمكانة الرفيعة، أمر الله بتلاوته وفهم آياته والعمل بمقتضاه، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁽¹⁾.

وقال أيضا: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾⁽²⁾.

والتفسير نوع من تدبر القرآن لذلك فهو من أجل العلوم وأشرفها لأن موضوعه القرآن الكريم، ولهذا اعتنى علماء الأمة الإسلامية منذ فجر الإسلام بتفسير القرآن وتأويله للوصول إلى مراد الله منه بقدر الطاقة البشرية، فظهرت التفاسير الخادمة لكتاب الله، وتعددت أنواعها عبر العصور، فلا يكاد يخلو عصر أو جيل من تفسير القرآن الكريم، وهذا راجع لحاجة الناس الماسة لفهم معانيه واستخراج ما فيه من كنوز معرفية ومنافع للعباد، ولهذا برع في هذا الفن علماء أجلاء فسروا القرآن ومصنفاتهم شاهدة عليهم؛ وعلماء الجزائر من بين علماء الأمة الإسلامية الذين خدموا القرآن، واعتنوا به وبعلموه، وكانت لهم المساهمة الفعالة في تفسير كتاب الله عز وجل منذ القديم، لذلك سنحاول في هذه المداخلة المتواضعة تسليط الضوء على عَلم من علماء القطر الجزائري الحبيب الذي أولى عناية فائقة بكتاب الله حفظا وتلاوة وتفسيرا وهو الشيخ أبو بكر جابر الجزائري -رحمة الله عليه- من خلال تفسيره "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" الذي يعتبر تفسير نفيس جدير بأن يكون في مكتبة كل مسلم عامة وكل جزائري خاصة.

ونظرا لأهمية مثل هذه المنتقيات في إمطة الحجاب والتعريف بأعلام الجزائر الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله وعلموه المختلفة تتجلى أهمية موضوع البحث حيث تكشف لنا على جهود العالم الفاضل والشيخ الورع أبو بكر جابر الجزائري في التفسير، تحت الإشكالية التالية:

من هو هذا المفسر؟ وما طبيعة تكوين ونشأة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري التي أدت إلى اتجاهه واهتماماته بتفسير كتاب الله؟ وما مدى دواعي التأليف عنده؟ أهو التجديد والإبداع، أم التلخيص والتبسيط؟ وما هي الإضافات التي أثرى بها تفسيره "أيسر التفاسير"؟ وما هي المميزات والخصائص التي يمكن رصدها من خلال دراسة كتاب "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"؟ وكيف يمكن الإفادة اليوم بمثل هذا التفسير؟

إن هذه الإشكالية استدعت بحث الموضوع تحت عنوان: "جهود أبو بكر جابر الجزائري في التفسير كتاب "أيسر التفاسير أنموذجا"، ويندرج هذا البحث ضمن المحور الثاني للملتقى والموسوم بـ: "جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم وعلموه" عناية علماء الجزائر

1- سورة ص، الآية: 29.

2- سورة محمد، الآية: 24.

بالقرآن تفسيراً وبياناً" - جهودهم المتعلقة بتفسير القرآن كتابة ومشاهدة-

وبناء على ذلك قسم البحث إلى مقدمة ومطلعين؛ الأول: يتضمن التعريف بالمؤلف. والثاني: يتناول جهود أبو بكر الجزائري في التفسير، وبما أنه لا يمكن استيعاب جميع النماذج لتفسير القرآن في مثل هذا البحث فإنه تم انتخاب بعض النماذج لحاجة الموضوع لذلك، ثم تذييل البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج وأخيراً التوصيات.

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف "الشيخ أبوة بكر جابر الجزائري".

ويتضمن هذا المطلب نسبه ومولده ونشأته وتلاميذه وثناء العلماء عليه وأعماله ومؤلفاته ووفاته.

الفرع الأول: نسبه ومولده ونشأته.

هو الشيخ الفاضل الكريم أبو بكر جابر بن موسى الجزائري واسمه أبو بكر والكنية هي الاسم وأبوه موسى بن عبد القادر بن جابر، وجابر جده الأكبر، وكنية الشيخ أبو عبد الرحمن من بني هلال إحدى القبائل العربية، والتي خرجت من الجزيرة العربية واستقرت في إفريقيا، واستوطنتها فهو عربي الأصل.⁽¹⁾

ولد -رحمه الله- بقرية ليوة بكسر اللام مع المد وفتح الواو ثم بعدها هاء، وهي قرية زراعية من قرى مدينة بسكرة، بينها وبين بسكرة أربعون كيلومتراً. كانت تسمى عروس الجنوب الجزائري لما حباها الله من الزروع، والثمار، والأزهار فهي واحة جميلة في صحراء الجزائر، وكان مولده عام 1324هـ الموافق لـ 1921م، وتوفي والده في عامه الأول فنشأ يتيماً في حجر أمه.

كانت أسرته من أبائه أجداده حفاظ القرية للقرآن الكريم، يتوارثون ذلك، فنشأ في هذا الجو المتدين، فأشرفت أمه على تعليمه وتحفيظه القرآن الكريم، وغرست فيه الأخلاق الفاضلة، كالصدق والأمانة فكانت خير معين له، وأتم حفظ القرآن في القرية ولم يبلغ الحادية عشر من عمره وأم بالمصليين في القرية. وسنة ستة عشر عاماً تعلم القراءة والكتابة في القرية، وسمع أن ببسكرة شيخاً يعلم النحو والفقه وهو الشيخ عيسى معنوقي، فاستحضره إلى القرية، وأسكنه في داره فأضافه وخدمه في سبيل تعليمه، فدرس عليه الأجرومية منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي، ومصطلح الحديث وغيره، ثم بعد ذلك انتقل إلى بسكرة فتعلم على مشايخ بها مثل نعيم النعيمي والطيب العقبي، وقد لازم الشيخ الطيب العقبي وتلمذ على يده، وكان الشيخ الطيب قد درس بالمسجد النبوي الشريف العقيدة السلفية الصافية على مشايخ الدعوة إبان دخوله الحجاز تحت الحكومة السعودية، فتأثر به الشيخ وقد لازمه في دروس التفسير عدة سنوات في العاصمة الجزائرية، وهو من أفضل

1- أبو بكر الجزائري : <http://ar.wikipedia.org/wiki>. ويكيبيديا الموسوعة الحرة -يناير 2014.

مشايخه، ثم انتقل إلى العاصمة وعمل في جمعية العلماء المسلمين آنذاك كانت النواة الجيدة في غرس العقيدة السلفية ومحاربة البدع الشائبة للإسلام، فترعرع الشيخ في هذا المحيط المبارك، والمنهج الصحيح محارباً للبدع والخرافات لتصحيح مسيرة الأمة الإسلامية الجزائرية. فعمل على نشر الوعي السلفي، فأنشأ مجلة الداعي واللواء الناطقة بلسان الشباب الموحدين، وهي مجلة إصلاحية، وكان رحمه الله يحرق أبوابها كلها وكلماتها بنفسه ويوزعها بنفسه، ثم في عام 1372هـ قدم إلى مكة المكرمة للحج والعمرة والزيارة، وكان قصده بعد أداء فريضة الحج الرجوع إلى بلده الجزائر، إلا أن الإخوة الجزائريين المهاجرين المقيمين بالمدينة حبيبوا له البقاء للاستفادة من علمه، لاسيما عمه عيسى -رحمة الله عليه- الذي كان محباً للمدينة النبوية، وتمنى الموت بها، وقد استجاب الله له، فتوفي بعد الحج مباشرة.

فتأثر الشيخ أبو بكر الجزائري بذلك، وازداد حبه للبقعة المباركة النبوية الطاهرة، فأحب المدينة وأحبته فصار عالمها الأول، وهذا ثمرة الحب الصادق فعزم على البقاء، وواصل بعد ذلك الأخذ على مشايخ المدينة فلازم حلقة الشيخ عمر بري، والشيخ محمد الحافظ، وكذلك الشيخ محمد الخيال عليهم الرحمة جميعاً، ورئيس قضاتها وخطيب مسجدها الشيخ عبد العزيز بن صالح؛ بعد عام 1374هـ حصل على إجازة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي الشريف، ومازال كذلك حتى وافته المنية رحمة الله عليه.⁽¹⁾

الفرع الثاني: أعماله ومؤلفاته ووفاته.

• أعماله:

عمل في التدريس بوزارة المعارف وذلك في المدرسة المحمدية، وكذلك عمل في التدريس بالمدرسة السلفية، ثم بدار الحديث بالمدينة، ولما فتحت الجامعة الإسلامية أبوابها انتقل إليها، وكان له دور فعال في إنشائها وأحد المسؤولين عليها، وأيضا كان من الداعين إلى إنشاء رابطة العالم الإسلامي، وإذاعة القرآن الكريم وتدريبه وتعليمه في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لعقود رحمة الله عليه.

يتميز الشيخ الجزائري بعقيدته الصافية وأفكاره الإصلاحية التي تبعت إلى النهضة الإسلامية على منهج صحيح، وقد أخبر أن لديه فكرة إنشاء حلقات علم بالمسجد النبوي الشريف تُخرج علماء متخصصين في الشريعة الإسلامية، وذلك كما رأى من نقص العلم وذهابه بذهاب العلماء ضعف مستوى من يأتي، وهذه نهضة علمية إسلامية جيدة تراود

1- شبكة ومنتديات فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم للكاتيب سعد العتيبي، ترجمة: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، يوم السبت 24 شعبان 1433هـ الموافق لـ 2012/7/4.

الشيخ.

أما بالنسبة لإمامته في المسجد النبي الشريف قال الأستاذ سعد العتيبي: "أم الشيخ أبو بكر الجزائري المصلين في المسجد النبوي في صلاة العصر عام 1413هـ عندما تأخر إمام المسجد النبوي الشيخ "عبد العزيز بن صالح".

• مؤلفاته:

تميزت مؤلفات الشيخ رحمه الله بالسهولة في الأسلوب وجزالة التركيب وقوته وقربها من الفهم فتأليفه إصلاحية ودعوية لتقريب وتفهم الإسلام الصحيح الخالي من البدع. ابتداءً التأليف منذ باكورة أمره فألف في الجزائر "الضروريات الفقهية"، وهي تبسيط الفقه للطلاب والدروس الجغرافية، وكذا جريدتي "اللواء" و"الداعي"، وبعد قدومه الحجاز، واستقراره بها بدأ بنشر الخير بتأليفه لمجموعة من الرسائل منها رسالة "لا إله إلا اله" و"الأخلاق الإسلامية" "الدستور الإسلامي" وأسس مطبعة الدعوة من ماله الخاص ونشر الكتب العلمية والرسائل وطبع كتابه الذائع الصيت "منهاج المسلم"، ثم بدأت رسائل الشيخ ترا كرسالة "إلى اللاعبين بالنار"، "الحج المبرور"، "كيف يتطهر المسلم ويصلي"، "اتقوا الله في هذه الأمة"، "هؤلاء هم اليهود"، "كمال الأمة في صلاح عقيدتها"، "التصوف يا عباد الله"، "نداءات الرحمن لأهل الإيمان"، "الدولة المسلمة"، المرأة المسلمة"، "هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.. يا محب" وتبلغ رسائل الشيخ رحمه الله أكثر من مائة رسالة إصلاحية هادفة جمعت معظمها في مجلدات جاسم "رسائل الجزائري"⁽¹⁾.

• وفاة الشيخ أبو بكر الجزائري:

توفي الشيخ الفاضل أبو بكر الجزائري عن عمر يناهز ثلاثاً وتسعين سنة بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية. وفقدت الأمة الإسلامية واحداً من علمائها الريانيين ومفكرها الذي عرف عنه الورع والتقوى والعلم ولم يفارق المسجد النبوي يعلم الناس لأكثر من 50 عاماً، ويرشدهم ويوجههم، نرجو من الله أن يغفر له ويرحمه ويعفو عنه ويجزيه خير الجزاء.

الفرع الثالث: تلاميذه وثناء العلماء عليه.

أولاً: تلاميذه.

لقد أحب الشيخ المدينة المنورة وأحب أكثر المسجد النبوي الشريف ولازم البقعة المباركة ف قضى فيها قرابة نصف قرن يعلم ويرشد ويوجه ويعوظ ومن ثمرة ذلك الحب أن تتلمذ على يده أجيال وأجيال من طلبة العلم لا يتسع الوقت لذكرهم جميعاً لذلك سأقتصر على ذكر بعض الأسماء فقط.

1- المصدر السابق.

- تخرج على يد الشيخ -رحمه الله- الكثير من الطلاب من الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في قسم التفسير، أما في كلية الشريعة بالجامعة والمسجد النبوي فلا يحصى عدد الطلبة المتخرجين على يديه إلا الله ومن بينهم فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن صالح بن محي الدين والشيخ الدكتور عبد الله الشيخ محمد الأمين والشيخ الدكتور عمر بن حسن فلاته المدرس بالمسجد النبوي، والشيخ عواد بن بلال بن معيض، والشيخ عبد الله بن فايز الجهني، والشيخ عبد الحليم نصار السلفي، والشيخ عدنان بن عبد العزيز، والشيخ عبد الرحمن بن صدوق الجزائري والشيخ إدريس بن إبراهيم المغربي وغيرهم.

أحيل الشيخ إلى التقاعد عام 1406هـ ولكن منزله عامر بطلاب العلم وله دروس في منزله قبل الظهر في التفسير لكتابه "أيسر التفاسير" وفي الحديث لكتاب صحيح البخاري وموطأ مالك فضلاً عن دروسه في الحرم النبوي الشريف وهي مستمرة في جميع ليالي الأسبوع ما بين المغرب إلى العشاء، وبدأها مع إجازته للتدريس، وكان أولاً عند باب الرحمة، ثم انتقل إلى مكان الشيخ بن تركي، ثم انتقل إلى آخر المسجد النبوي بجوار باب عمر بن الخطاب، وأخيراً في التسعة الجديدة من المسجد أمام باب الملك سعود القديم.⁽¹⁾

ثانياً: ثناء العلماء عليه.

لقد عُرف الشيخ بحبه للناس وحب الناس له وتقدير أصحاب العلم لأمره والرفع من شأنه وتكريمه نظراً لعطائه العظيم في مجال خدمة الإسلام والمسلمين. ولهذا سنعرض بعض ما قاله أهل العلم في حق الشيخ الفاضل أبو بكر جابر الجزائري.

قال الإمام العلامة حماد الأنصاري محدث المدينة: "رأيت في المنام الشيخ أبي بكر الجزائري يمشي وهو لابس مثلة، ومعه شخص آخر لابس لبساً أقل منه، فأولته بلباس التقوى".

وقال عنه بدر المدينة الشيخ عبد المحسن العباد: "بعد انتقال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- من رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض كان -رحمه الله- كلما لقيته يسألني عن الدروس في المسجد النبوي والمدرسين فيه ويخص بالسؤال عن الشيخ أبو بكر الجزائري".

يقول فيه صالح بن فوزان آل فوزان -عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وعضو اللجنة الخماسية الثقافية وأحد كبار العلماء المعروفين في

1- منتديات قراءة طيبة الطيبة، قسم أئمة الحرم النبوي الشريف، بحث بعنوان أئمة المسجد النبوي من بداية العهد السعودي (ملف وورد) للكاتب أبو إبراهيم سعد العتيبي، يوم الأحد 29 رجب 1431هـ الموافق لـ 2010/7/11م.

أوساط العالم الإسلامي: "أبو بكر جابر الجزائري علم على رأسه نار -أحد علماء المدينة والمدرس بالمسجد النبوي وصاحب الكتب المفيدة النافعة، وله سعة بال وصدر على الدعوة إلى الله، يسافر كثيرا، جريء في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، مشهور بتواضعه وحبته للناس- ختم الله له بصالح العمل".

وقال أيضا: "إنه رجل طيب وصاحب عقيدة وقد نفع الله بدرسه في الحرم النبوي".

ثناء الشيخ صالح المغامسي على العلامة أبي بكر الجزائري: "من خيرة مشايخنا درست في حلقاته العلمية كثيرا وهو رجل مبارك ونحسبه عند الله كذلك لا نزي على الله أحدا، أمضى الرجل أكثر من نصف قرن يدرس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا العطاء الرباني لا يؤتيه الله إلا لمن كان أهلا لذلك برحمة الله وفضله، بارك الله في عمره وفي مؤلفاته وأمد له في العمر وهذا فضل من الله ورحمته. جلس في مقعد مبارك في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على الناس القرآن ويفسرهم لهم ويبينه، ويعظمهم، ويرشدهم، وهذه مناقب محبوبة، والعالم أمد الله في عمره وثبته على الهدى في هذه السنين الطوال إن شاء الله يدل ذلك على فضله عند ربه ومنزلته عنده إن شاء الله أن يتم له بخير ويحسن لنا وله الختام وأن يعزى عنا وعن جميع المسلمين".⁽¹⁾

قالوا للشيخ مقبل رحمه الله: ما رأيك في كتاب "مناهج المسلم" للجزائري؟: "منهاج المسلم للشيخ أبي بكر الجزائري كتاب سهل يستفيد منه طالب العلم، والغالب عليه الصواب، وحسب العالم أن يكون الغالب على كتاباته الصواب، يكفي لأنه ما من أحد إلا وهو يصيب ويخطئ"، "وقد أجاد في تأليفه بارك الله فيه وجزه الله خيرا".

يقول الشيخ إدريس المغربي: "كلما جاء إلى المدينة الشيخ عثيمين رحمه الله يتنازل الشيخ أبو بكر الجزائري عن مجلسه له ويدرس فيه الشيخ عثيمين -رحمه الله- ويجلس الشيخ الجزائري معنا كأنه طالب علم ويستمتع من الشيخ عثيمين ولا يستحي أن يسأل العلماء".⁽²⁾

المطلب الثاني: جهود أبو بكر الجزائري في التفسير

علم التفسير من أهم العلوم التي ينبغي لطالب العلم العناية بها، إذ أن شرف العلم بشرف المعلوم، قال ابن عبد البر -رحمه الله-: "فأول العلم حفظ كتاب الله وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب معه".⁽³⁾

1- <http://www.youtube.com/watch?v=mKDSFyav>

ثناء الشيخ المغامسي على الشيخ أبو بكر الجزائري.

2- <http://www.youtube.com/watch?v=Bxsx32RZiw8>

موقع الشيخ أبو بكر الجزائري، علاقة الشيخ أبو بكر الجزائري بالشيخين ابن باز وابن عثيمين.

3- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مراتب الطلب، (1416هـ/1996م)، ج 10، ص: 526.

وقال الشيخ ابن تيمية -رحمه الله-: "قد فتح الله علي في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن".⁽¹⁾

ولقد اعتنى الشيخ الجزائري -رحمه الله- بالتفسير، ويعود ذلك لقناعته بأهمية هذا العلم، فكان يوليه عناية خاصة، فهو بارز فيه كما كان بارزا في علوم القرآن الأخرى، ومن يطلع على تفسيره وكتبه يعلم مدى ما حباه الله من فهم لكتابه، ولا ينكر جهوده في خدمة كتاب الله سواء في التفسير، أو في التلاوة، أو في البيان إلا جاحد وذلك نظرا لكثرة وتنوع وتعدد جهوده في هذا المجال. وسنحاول إبراز هذه الجهود المختلفة في ثنايا هذه الفروع.

الفرع الأول: جهود الشيخ في التفسير.

أولا: التعريف بالكتاب "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير".

هو كتاب لتفسير القرآن أسماه مؤلفه "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، طبع من الكتاب حتى الآن ثلاثة طبعات، وفي الطبعة الثالثة أضيف هامش على الكتاب سعي بهامش نهر الخير على أيسر التفاسير، وهو بمثابة إضافات لغوية بيانية واستشهاد بسند من السنة النبوية، وتعليقات جانبية على بعض الآيات أبو بكر الجزائري -رحمه الله-: "إنه نظرا إلى حاجة طلبية العلم إلى المزيد من المعرفة وضعت هذه الحاشية التي هي أشبه بتعليق على أيسر التفاسير وأسميتها نهر الخير، أودعت فيها مع مراعاة الاختصار بعض ما يرغب طالب العلم في معرفته، والحصول عليه من شاهد لغة، أو بيان، أو أثر جميل، أو مسند حديث جليل، أو كشف عن وجه لأية ذات وجوه، أو الوقوف على يسر من أسرار القرآن، أو عجيبة من عجائبه التي لا تنقضي بمرور الزمن، ولا تنتهي بتعاقب العصور وأهم من ذلك تصويب رأي، أو تصحيح خطأ وقع في التفسير، مع إزالة إبهام، أو إضافة بعض الأحكام".

ثانيا: أسباب التأليف وزمنه.

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري -رحمه الله- في مقدمة كتابه "أيسر التفاسير": "ثم أما بعد أيضا هذا تفسير موجز لكتاب الله تعالى القرآن الكريم وصنفته مراعي فيه حاجة المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله تعالى الذي هو مصدر شريعتهم، وسبيل هدايتهم، وهو عصمتهم من الأهواء، وشفائهم من الأدواء، مراعي فيه أيضا رغبة المسلمين اليوم في دراسة كتاب الله وفهمه والعمل به، هي رغبة لم تكن لهم منذ قرون عدة حيث كان القرآن يقرأ على الأموات دون الأحياء، ويعتبر تفسيره خطيئة من الخطايا وذنبا من الذنوب، إذ ساد بين المسلمين القول: بأن تفسير القرآن صوابه خطأ وخطأه كفر، فلذا القارئ يقرأ ﴿وَأَنَّ

1- العقود الدرية، من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لمحمد ابن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي، المحقق علي بن محمد العمران، ت إضافته 2015/7/16، ص: 28.

الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا⁽¹⁾.

والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعونه بأعلى أصواتهم "يا سيدي كذا وكذا ولا يجزئ أحد أن يقول يا إخواننا لا تدعو السيد فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾".

ويضيف: هذا ونظرا لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، وبين اللفظ الغريب من فهم المسلم اليوم نبين فيه العقيدة السلفية المنجية والأحكام الفقهية الضرورية مع تربية التقوى في النفوس، بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل، والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم، مع التجميل بالأخلاق القرآنية والتحلي بالأداب الربانية.

- طلب منه مستمعو دروس في التفسير في المسجد النبوي أن يضع لهم تفسيراً سهلاً العبارة قريب الإشارة يساعد على فهم كلام الله تعالى.

- ويذكر الشيخ سببا آخر لوضعه لتفسيره وه لقاء بينه وبين فضيلة الدكتور عبد الله بن صالح العبيد رئيس الجامعة: "وُلِّمَهم أن يقول لي: "لو أنك وضعت تفسيراً على غرار الجلالين يحل محله في المعاهد ودور الحديث تلتزم فيه العقيدة السلفية التي خلا منها تفسير الجلالين فضر كثيراً بقدر ما نفع".

هذه بعض الأسباب التي أدت بالشيخ إلى تأليفه لمصنفه أيسر التفاسير والآن نتعرف على زمن التأليف والنشر.

- بدأ أبو بكر الجزائري في التفكير في تأليف كتابه في عام 1406هـ وبالتحديد في أواخر محرم من نفس العام وكانت بداية تأليفه لكتابته في أوائل شهر رجب من عام 1406هـ وفي يوم 17 من رمضان من العام نفسه طبع الجزء الأول من كتابه المتضمن تفسير ثلث القرآن، وفي ليلة السبت 23 من شهر محرم عام 1407هـ، وفي الروضة الشريفة في المسجد النبوي الشريف تم الانتهاء من تأليف كتاب "أيسر التفاسير" كاملاً.⁽²⁾

ثالثاً: مراجع الكتاب.

اعتمد الشيخ أبو بكر الجزائري في تأليفه كتابه "أيسر التفاسير" على أربع تفاسير جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري، وتفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، وتفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير

1- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري، سلم الوصول إلى تراجم علماء مدينة رسول الله 353، حمزة القرعاني أئمة الحرمين (1433/1343هـ)، عبد الله العلاف.

2- المصدر نفسه.

المنان بعبد الرحمن بن ناصر السعدي المشهور بتفسير السعدي⁽¹⁾.

رابعاً: مؤلفات على الكتاب.

صدر كتاب في عام 1433هـ الموافق لـ 2012م بعنوان "نظرات في كتاب أيسر التفاسير" للشيخ أبي بكر جابر الجزائري مؤلفه عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الرومي (1421/1364) جمع فيه المؤلف 185 تنبيه وقع فيها الشيخ أبو بكر الجزائري بين ثنابات تفسيره يقول الرومي: "إن كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ الفاضل أبي بكر الجزائري، متعه الله بالصحة والعافية من الكتب النافعة والمشتهرة وقد ظهر لي عليه بعض التنبيهات فأردت وضعها بين يدي القارئ لتتم الفائدة"⁽²⁾.

الفرع الثاني: مميزات تفسيره ومنهجه.

أولاً: مميزات التفسير.

لقد بين الشيخ مميزات التفسير في مقدمته:

- الوسطية بين الاختصار المحل والتطويل الممل.
- اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات والالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية.
- إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا ما لا بد منه لفهم الآية وكان مما يجوز روايته.
- إغفال الخلافات التفسيرية.
- الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية.
- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية.
- عدم التعرض للقراءات إلا نادراً حيث يتوقف معنى الآية على ذلك.
- الاقتصار في الأحاديث على الصحيح والحسن منها.
- خلو التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح الذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح.
- وقد جعل المؤلف الكتاب دروساً منظمة منسقة فقد جعل الآية أو آيتين أو الثلاثة درساً فيشرح الكلمات ويبين المعنى من الآيات ولا يزيد على خمس آيات إلا نادراً وذلك طلباً لوحدة الموضوع وارتباط المعنى به.

1- المصدر السابق.

2- نظرات في كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لعبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، (1433هـ/2012م).

- جعل الآيات مشکولة على قراءة حفص وبخط المصحف.⁽¹⁾

ثانيا: منهجه في التفسير.

لقد اتبع الشيخ في تفسيره منهجا واضحا ومنظما سوف أبينه بإذن الله من خلال عرض نماذج من تفسير الشيخ لبعض السور لتتضح الصورة أكثر.

إن أي منهج لكي يكون ناجحا، مؤديا النتيجة التي أنيطت به، موصلا للغاية التي وُضع من أجلها، لابد أن يستجمع نواحي ثلاث:

(1) حسن العرض مع يسر العبارة وسهولة الأسلوب.

(2) كون المادة التي عرضت صحيحة وافية منسجمة مع المستوى الذي وضعت له.

(3) أن تكون خالية من الاستطرادات التي تكون من نتائجها التشويش على القارئ فتضطرب نفسه وتتشعب أفكاره.⁽²⁾

وستتعرف إلى هذه الجوانب الثلاث من خلال اختيار نماذج لتفسير سورة الفاتحة من خلال كتاب "أيسر التفاسير".

أولا: حسن العرض وحسن العبارة.

أما عن حسن العرض، فيبدو واضحا في كتاب التفسير وذلك للتنظيم الرقيق الذي حرص عليه الشيخ من تفسيره لألو سورة في كتاب الله إلى آخر سورة والمثمر فيما يلي: يبدأ الشيخ أولا بذكر اسم السورة، ثم يبين هل هي مكية أو مدنية وعدد آياتها ثم يقسم التفسير قسمين.

تفسير الكلمات والألفاظ ثم تفسير المعاني حيث يبدأ بشرح كلمات السورة كلمة كلمة حتى ينتهي من الآية الأولى فينتقل إلى بيان معنى الآية الأولى ثم يفعل مع الآية الثانية مثل ما صنع في الآية الأولى وهكذا مع الآية الثالثة وإذا جمع ثلاث آيات استنبط هدايات الآيات وذلك للاعتقاد والعمل.

- وقد يذكر الآية الواحدة فيشرح كلماتها ويبين معناها ويذكر هداية الآية.

ونمثل لهذا العرض الحسن بتفسيره لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ من سورة الفاتحة.

شرح الكلمات:

إياك: ضمير نصب يخاطب به الواحد.

1- أيسر التفاسير لكلام علي الكبير وبهامشه "نهر الخير على أيسر التفاسير"، أبي بكر جابر الجزائري،

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط2، (1416هـ/1996م).

2- المفسرون ومدارسهم ومناهجهم، القسم الأول، الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، (1427هـ/2007م).

نعبد: نطيع مع غاية الذل لك والتعظيم والحب.

نستعين: نطلب عونك لنا على طاعتك.

معنى الآية:

علمنا الله تعالى كيف نتوسل إليه في قبول دعائنا فقال احمداوا الله واثنوا عليه ومجدوه، والتزموا له بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به وتستعينوه ولا تستعينوا بغيره.

هداية الآية:

من هداية هذه الآية ما يلي:

1/ آداب الدعاء حيث يقدم السائل بين يدي دعائه حمد الله والثناء عليه وتمجيده. وزادت السنة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يسأل حاجته فإنه يستجاب له.

2/ أن لا يعبد غير ربه، وأن لا يستعينه إلا هو سبحانه وتعالى.⁽¹⁾

أما عن يسر العبارة، فقد بينها المصنف في ذكر الأسباب التي أدت به إلى كتابة هذا التأليف: "لو وضعت تفسيرا للمسلمين سهل العبارة قريب الإشارة يساعد على فهم كلام الله".

ومثال على يسر العبارة عند شرحه لمعنى آية ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ من سورة الفاتحة.

معنى الآية:

تمجيد لله تعالى بأنه المالك لكل ما في يوم القيامة.⁽²⁾

ثانيا: شمول المادة وصحتها.

بالنسبة للشمول فنجد أن الشيخ جمع مادة وافية كافية شاملة لما يتطلبه بيان مراد الله تعالى من كلامه في القرآن الكريم بحيث أن المسلم يقرأه ليعرف ربه معرفة تكسب خشيته ومحبهه ويعرف محابه تعالى ليتقرب بفعلها إليه، ويعرف مساخطه ليتجنبها خوفا من عذابه.

- فلم يفوت الشيخ -رحمه الله- في تفسيره على القارئ أدنى استفادة حيث يذكر في تفسيره حتى التنبيهات، ولم يخل الشيخ تفسيره كلما سمحت له الفرصة من ربط الآيات القرآنية بواقع الأمة وقضاياها المعاصرة وذلك بين أحاديث إصلاحية وتوجيهات إرشادية لجعلها رايات وأعلام تهتدى بها الأمة في واقعها المعاش والمعاصر. ونجده قد رصد نماذج من الفكر الإصلاحي نجدها ماثلة في مواضع من كتاب "أيسر التفاسير" نستخلص منها روح الشيخ الإصلاحية، وما كان يحمله من هم العودة بالأمة إلى كتاب ربها ومنهج قرآنها فنجده رحمة الله عليه يجلي منهج الإسلام في مناحي مختلفة من الحياة حادث فيها الأمة عن ذلك المنهج في العقيدة والسياسة والاقتصاد والتعليم وغيرها.

1- أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، المجلد 1، ص: 13.

2- أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، المجلد 1، ص: 6 بتصرف.

وللتمثيل لذلك نقوم بتقديم تفسير الشيخ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁽¹⁾.

وهو تفسير القرآن مشافهة يليقه الشيخ في حضر الملك خالد بن عبد العزيز وسمو الأمير عبد الله في درس من دروس التفسير لسورة الحج الآية 41 قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ يقول الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية ومحاولة ربطها بواقع الأمة المسلمة اليوم، حيث يبين دعائم قيام الدولة المسلمة القوية التي يهاجم أعداؤها فيقول: "إن الله ذكر علة القتال وسببه وهو ما يعرف بقوائم (الحرب ضرورة بشرية) يقول إن من واجب المسلمين اليوم الدفاع عن حماهم وشريعتهم ودينهم وإلا يتعرضون لمكر العدو بهم، فالجهاد والحرب في هذه الحالة أمر حتمي وهذه سنة الله في الأرض.

ويبين أن الذين يقاتلون في سبيل الله سوف يمكن الله لهم في الأمر ويصبحوا مالكين ورؤساء وحاكمين يجب عليهم أن يقيموا دولتهم على أسس أربعة وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولأنه لا يخاف في الحق لومة لائم، يتوجه إلى جلالة الملك خالد ويخاطبه مباشرة: "صاحب الجلالة حفظه الله وأيده بإخوانه ورجاله ونود من جلالتك أن تراعوا هذه الدعائم دائما كيف ما كانت الظروف والأحوال لأنه حق الله علينا -لا بد من إقامة الصلاة وإجبار الناس عليها ولا بد من إيتاء الزكاة مهما أثرتنا واتسعت أموالنا، ثم هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن لا تخلو منها ديارنا، ثم يختار لها الأكفاء والصالحون. ويؤيدون بالسلطان والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، حتى نرضي الله ونأمن على سلطاننا وبقائنا فإننا مع الله مادام الله معنا ومن كان الله معه ودليله فلا يضره أحد..."⁽²⁾

ثالثا: عدم الاستطراد.

فلا يشعر القارئ بأنه خرج من جو التفسير إلى جو آخر كما نجد ذلك في معظم التفاسير، فالشيخ رحمه الله يتعرض لذكر الإسرائيليات إلا ما كان لابد منه لفهم الآية حتى لا يشرد ذهن القارئ عن مراد الله من الآية والسورة والقرآن كله، فلا يذكر الأقوال واختلاف العلماء وإنما يكتفي بملتزم بالقول الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح وهذه ميزة جلييلة في الشيخ رحمة الله عليه حتى يجمع المسلمين على فكر موحد صائب سليم.

1- سورة الحج، الآية: 41.

2- <http://www.youtube.com/watch?v=iLyzpdligbtOfsISLAM11/10/2016>

الشيخ يفسر القرآن بحضور الملك خالد والأمير عبد الله.

ونمثل لهذا الجزء في بيان منهجه في التفسير حينما ذكر أن آيات الفاتحة سبع دون البسملة فيذكر في الحاشية "وقيل البسملة هي الآية السابعة، وإليه ذهب الشافعي فأوجب قراءتها في الصلاة وعلى القول الراجح بأن البسملة ليست آية".⁽¹⁾

نتائج البحث:

بعد البحث في هذا الموضوع باختصار أخلص إلى النتائج التالية:

- (1) إن هناك علماء من الجزائر خدموا القرآن وعلومه وفسروه كاملا كتابة ومشافهة.
 - (2) أبو بكر جابر الجزائري عالم جزائري هاجر من الجزائر إلى الحجاز وأصبح عالم المدينة الأول والواعظ بالمسجد النبوي الشريف.
 - (3) ساهم الجزائري في العناية بالقرآن الكريم وتفسيره وخدم الأمة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها بتفسيره "أيسر التفاسير".
 - (4) كتابه "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" كتاب مشهور ومفيد ونافع.
 - (5) للشيخ أبو بكر الجزائري مؤلفات أخرى في شتى العلوم الإسلامية كالعقيدة والفقه والسيرة.
 - (6) يعتبر تفسير الشيخ تفسيرا إصلاحيا دعويا لأنه حاول من خلال تفسير سور القرآن العودة بالأمة للتمسك بكتاب الله ومنهج الإسلام القويم.
 - (7) لم يغفل الشيخ في ثنايا تفسيره عن ربط الآيات القرآنية بواقع الأمة وقضاياها المعاصرة.
 - (8) ساهم الشيخ الجزائري بجهود جبارة في الدعوة والإصلاح بإنشاء مؤسسات ومراكز علمية لخدمة طالب العلم والنهوض بالأمة الإسلامية، كدوره الفعال في تأسيس الجامعة الإسلامية وإنشاء رابطة العالم الإسلامي، وإذاعة القرآن الكريم.
- التوصيات:

وختاماً فإنني أوصي الباحثين بإفراد هذا الموضوع بالدراسة والبحث لبيان جهود العالم الفاضل أبو بكر الجزائري في العناية بكتاب الله حفظ وتلاوة وتفسيراً للاستفادة منها. وإظهار هذا التفسير والتعريف به وبيان مميزاته وخصائصه.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

1- أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، المجلد 1، ص: 10.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
■ التعريف بالملتقى.	05
■ كلمة رئيس الملتقى.	07
■ كلمة مدير الملتقى.	11
■ مجموع بحوث الملتقى.	13
■ عناية الأمة الجزائرية بالقرآن الكريم وقراءاته.	15
كـ د/ مهدي دهيم	
■ أبو العباس المقرئ الباغاني وجهوده في تفسير القرآن الكريم (345-401 هـ).	25
كـ أ. د/ مختار نصيرة، ود/ حدة سابق	
■ تاريخ قراءة نافع بالجزائر.	37
كـ د/ مراد بلخير	
■ المدارس القرآنية الرسمية في الجزائر بين الواقع والمأمول - دراسة نظرية ميدانية - مدينة باتنة أنموذجا.	51
كـ د/ بشير قادره	
■ الشيخ مختار هنيات وجهوده في خدمة القرآن الكريم.	67
كـ د/ عبد القادر مهاوات	
■ التفسير الجزائري المطبوع - دراسة تاريخية استقرائية ببلوغرافية -	75
كـ أ/ نبيل صابري	
■ مخطوطات التفسير وعلوم القرآن في الجزائر.	95
كـ د/ أكرم بلعمري	
■ الإمام أبو القاسم البسكري الهذلي وجهوده في خدمة القرآن وعلومه.	117
كـ د/ نبيل موفق	
■ الشيخ طاهر الجزائري وجهوده في تفسير القرآن الكريم وبيانه.	133
كـ أ/ علي خضرة	
■ التفسير الفقهي عند محمد بن عبد الكريم الجزائري "آية الربا نموذجا".	143
كـ د/ أحمد الزايدي	
■ المصنفات الجزائرية في علم القراءات تعريف وتوصيف.	151
كـ د/ هدى حراق	
■ الفهرس الوصفي لمؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه المخطوطة والمطبوعة والمفقودة - دراسة وصفية إحصائية -	159
كـ د/ فؤاد عطاء الله	
■ جهود الشيخ أحمد رحمانى - رحمه الله - في نشر علوم القرآن والقراءات -	177

	رسالة درة المتون في قراءة الإمام نافع برواية الإمامين ورش وقالون أنموذجا - هـ أ/ محمد الصغير مزقو
199	■ الأخضر الدهمة وجهوده في التفسير من خلال كتابه: قطوف دانية من سور قرآنية هـ أ/ ميلود عمارة
215	■ الشيخ محمد الحواس بوسنة وجهوده في التفسير الإصلاحي. هـ أ/ نبيل بوراس
229	■ قراءة في كتاب "مسائل قرآنية منظومات"، أو: "بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن" للشيخ محمد الطاهر التليلي. هـ أ/ يوسف زغوان
241	■ مجالات استفادة الإمام أبي عبد الملك البوني من القرآن في تفسير الموطأ هـ د/ خريف زتون
257	■ جهود الإمام محمد المكي بن عزوز الجزائري في خدمة القرآن الكريم. هـ د/ شمس الدين حماش
283	■ الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة القرآن الكريم. هـ أ/ محمد الصالح غريسي
293	■ الاتجاه العقائدي في التفسير عند العلامة المبارك الميلي من خلال كتابه "الشرك ومظاهره". هـ أ/ عباس منصّر
301	■ من أعلام التعليم القرآني بالوادي: "الشيخ عبد الرزاق تامة أنموذجا". هـ أ/ علي زواري أحمد
315	■ قواعد الترجيح عند الإمام عبد الحميد بن باديس في التفسير. هـ الصادق ذهب
335	■ الدكتور أحمد شرشال الجزائري وجهوده في خدمة الدراسات القرآنية. هـ مختار قديري
353	■ جهود الشيخ محمد الطاهر التليلي - رحمه الله - في خدمة كتاب الله. عز وجل. هـ سيرين دادة
367	■ الشيخ الحسين حمادي ودوره في تعليم القرآن الكريم وعلومه. هـ ليلي شبرو
383	■ جهود أبي بكر جابر الجزائري في التفسير "كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" أنموذجا. هـ فريدة زعبوب
397	■ فهرس المحتويات

